

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



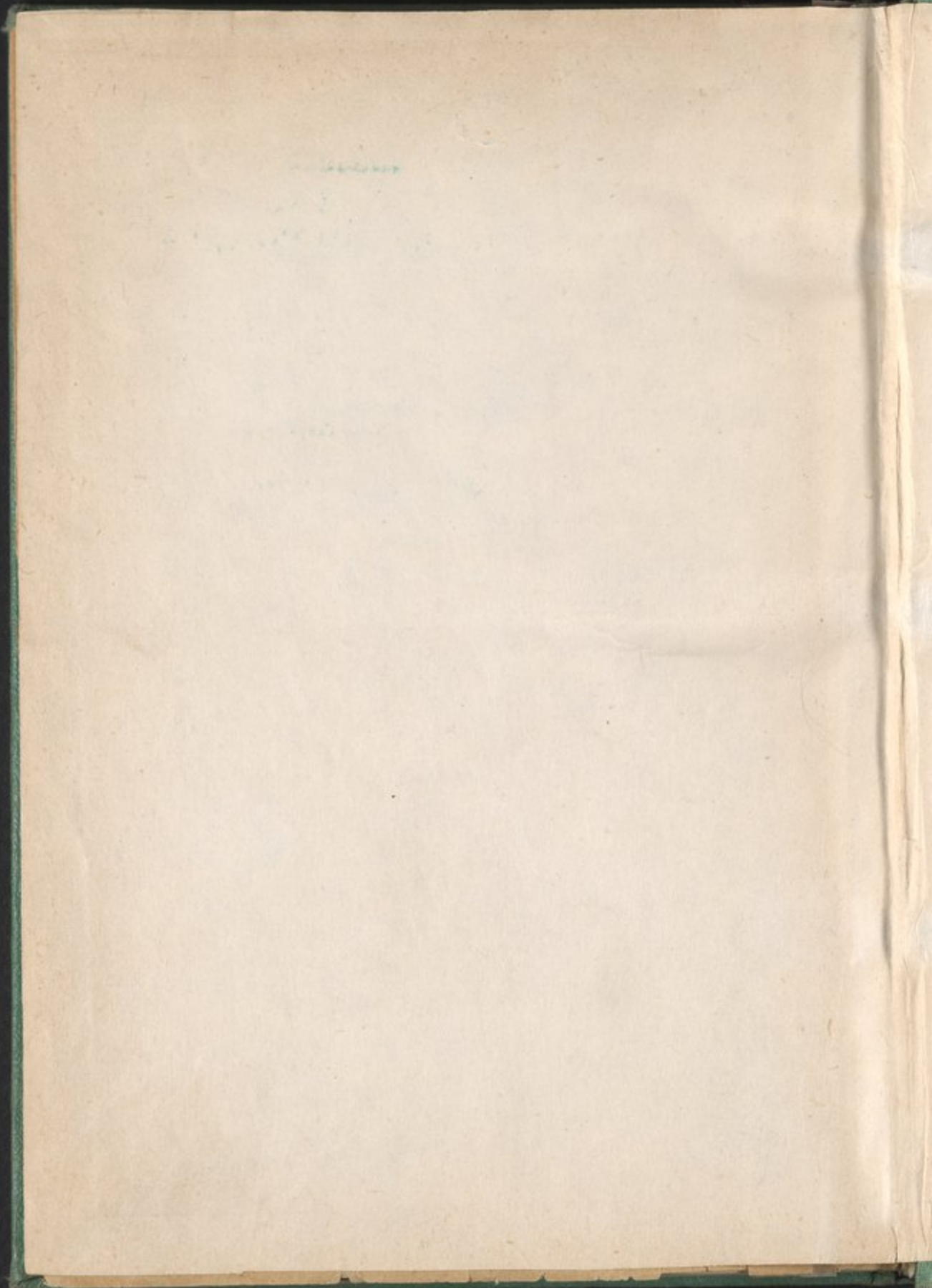
3 8534 01039 2995

D  
1  
H  
1



FROM THE  
LIBRARY OF  
THE  
AMERICAN UNIVERSITY  
IN  
CAIRO

من مكتبة  
الجامعة الامريكية بالقاهرة



04-83082

-NAE  
-LC

al-Hariri, Sayyid 'Ali

D  
158  
H3  
1911

١٥٧٠  
١٢٤٩  
كِتَابُ

الْأَخْبَارِ السَّنِيَّةِ

فِي

الْحُرُوفِ الصَّلِيَّةِ



بِتَأْلِيفِ

السَّيِّدِ عَلِيِّ أَحْمَدَ سُرِّي

حقوق الطبع والترجمه محفوظه \*

( كل نسخة لم تكن مبسوطة بختنا لا تعتمد ويحاكم صاحبها )

سنة ١٣٢٩

مطبعة النيل بمصر

الطبعة الثانية

٢٩ ١١



الاصولي البارع محمود بك أبو النصر  
الحامي الوطني الشير

# اهداء الكتاب

(الى حضرة العالم العامل محمود بك أبو النصر المحامي)\*

خدمت الآداب العربية والشريعة الاسلامية أستاذا في دار  
وفي مدرسة العلوم الشرقية بباريس ثم عدت الى مصر تعمل  
خدمتها مع العاملين الصادقين فكنت في كل اطوار حياتك  
الكمال ومظهر الحكمة والاستقلال نعم عرفت فيك من  
الرجولية ومزايا العلم والفضل ماجعل لشخصك الكريم  
عارفيك منزلة خاصة بين منازل رجالنا المخلصين في خدمة  
والآداب والامة والدين لذلك اخترت ان أشرف كتابي  
هدائه اليك فتقبله قبولا حسنا فها هو الامنك واليك وك

المؤلف

سيد علي الحريري

ي خلق  
سلام على

ببار السنية

الذين نظروا

قل من أن

ثانية غير آل

المؤرخون

قد أضفت

بين ممن ورد

تقا وبهاء فاذا

بول وك

(كاتبه)

سيد علي الحريري



المؤلف سيد علي الحريري



# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

بعد حمد من لا یحمد سواه وهو الحمید المجدید . الذی خلق  
الخلق فسواه وحکم فیہ بما یشاء ویرید . والصلاة والسلام علی  
سیدنا محمد وعلی آله وصحبه أجمعین

اما وقد نفذت الطبعة الاولى من کتابی هذا (الخبار السنیة  
فی الحروب الصلیبیة) فقد وجب علی الشکر لمواطنی الذین نظروا  
له بعین الاکبار والاعظام وان کان هو فی نظری أقل من أن  
ینال منهم مانال وهاأنا الآن قد أعدت طبعه للمرة الثانية غیر آل  
جهداً فی اخراجه علی أحسن ما یکون وكأوثق ما أرخ المؤرخون  
ولکی تكون وقائعه أوقع فی النفس وراسخة فی الذهن قد أضفت  
الیه شیئاً کثیراً من صور الوقائع ورسوم الملوك والمحارین ممن ورد  
ذکرهم به من المسلمین والصلیبیین مما زاده روتقا وبهاء فاذا  
مالا قی منهم ماؤمله من القبول کان ذلك حسبی والمأمول وک

(کاتبه)

عبدالله بن محمد بن  
سید یحییٰ بن محمد بن  
سید یحییٰ بن محمد بن

الحمد لله رب العالمين . الذي جعل تاريخ الاولين عبرة للاخزين . ومراة  
لكل عاقل فطين . أحده على ما أسبغ من الانعام والافضال . ومن به من  
الاحسان والنوال . ونصلى على رسوله ونبيه . وخيرته من خلقه وصفيه  
سيدنا أبى القاسم محمد بن عبد الله ذى الشرف الباذخ . والفضل الشامخ  
والعلم الراسخ . صلى الله عليه وعلى الملائكة المقربين . وعلى الانبياء  
والمرسلين . ما طلع كوكب وبزغ هلال . وعلى آله وصحبه وعترته أجمعين  
صلاة وسلاماً دائماً متلازمين الى يوم الدين . أما بعد فانه لا يخفى على  
كل انسان أهمية الحروب الصليبية التي جرت في الاجيال الغابرة .  
وتحريضات البابوات والاكليروس اهل أوروبا بمحاربة المسلمين وما جرى  
لالصليبيين من اغتصاب بلاد الشام بحجة تخلص القدس من ايدي الاسلام  
وما عقب ذلك من اتحاد المسلمين واستخلاص البلاد من الصليبيين وما  
جرى لاولئك الصليبيين من المصائب والهلاك والفشل والارتباك

وحيث ان ملوك أوروبا الآن حصل منهم تعصب على دولتنا العلية  
حرسها الله بما يشابه ما فعلوه اولئك الغابرون حتى قال سلطاننا الاعظم  
وخاقاننا الانخم المحفوظ . بالسبع المئاني (عبد الحميد الثاني) ان أوروبا  
تحاربنا الآن حرباً صليبية تحت شكل سيامي

وحيث اننا معشر قراء اللغة العربية لم يوجد بلغتنا كتاب يحتوي على  
الحروب الصليبية لمعرفة حقيقتها بل انا نجد البعض منها موجوداً في كتب  
التواريخ خالياً عن معرفة اسبابها والمحرزين عليها وكيفية نتائجها ولذلك باشرت  
تأليف هذا الكتاب وسميته (الاخبار السنية في الحروب الصليبية) وقد عنيت في  
ضبط هذا الكتاب المشتمل على الثمانية حروب صليبية مينا كل حرب منها على حدة  
موضحاً اسبابها والمحرزين عليها وسفر عساكرها وما فعله الصليبيون من المحاربات

مع الملوك المسلمين وقد أوضحت أيضاً تواريخ ملوك الاسلام المعاصرين لهذه الحروب الذين لهم شأن مع الصليبيين من ابتداء سنة ٤٩٠ هجرية التي فيها دخل الصليبيون سوريا لغاية سنة ٦٩٠ هجرية التي انقضى فيها الصليبيون من سوريا بأسلوب بسيط خالياً من التعميد والتطويل الممل

غير انى وان كنت لست من رجال هذا الفن ولكن طمعي في فضل حضرات أسانذته هو الذى شجعني على تقديم كتابي هذا بين أيديهم ليكون مشمولاً بنظرهم السامى واقتبالهم تألبنى هذا بصدر رحب ونظرهم اليه بعين الرضا اذ العصمة للنبي وحده معترفاً أمامهم باني جمته من جملة كتب مطولة مثل تاريخ مصر الحديث وابن الاثير وأبى الفدا والروضتين وتاريخ الحروب المقدسة الذى عربه مكسيموس مظالم وتاريخ سوريا وغيره ولكنى أرغب الى من يثر لى على خطأ ان يذمني اليه فاشكر سعيه وأثني عليه . أو يذموني فان أعقل الناس أعذرهم للناس ولا أقول ان كل خطأ سهو جرى به القلم بل أعترف ان ما أجهل أكثر مما أعلم وماتمام العلم الاله وحده الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

وانى اتضرع الى الله فاطر السموات والارض من فؤاد مخلص وقلبي صادق أن يهب الدولة العلية القوية الابدية والنصر السرمدى ليعيش العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سؤدد ورفعة وأن يحفظ لنا حامي حماها جلالة السلطان الاعظم والخليفة الاكبر الغازي (عبد الحميد الثانى) وان يحفظ لمصر في ظل جلالتها عزيزها المحبوب وأميرها المعظم سمو الخديوى (عباس حلمى باشا الثانى) وولى عهده المكرم محمد عبد المنعم ان

ربى سميع مجيب

تحريراً بمصر القاهرة في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٧ وشهر يولييه

(سيد علي الحريرى)

سنة ١٨٩٩



## أسباب الحروب الصليبية

كان رجل فقير يسمى بطرس المولود باميان من اعمال بيكارديه احدى مقاطعات مملكة فرانس قد انقطع للتعبد ولبس ثوباً رهبانياً من الصوف الخشن وأقام بمفارة يتعبد فيها ثم تركها وتوجه مع جماعة يقصد زيارة بيت المقدس فلما وصلوا الى المدينة المقدسة ووجدوها في حكم المسلمين صار بطرس يبكي وينتحب ثم تقابل مع البطريرك سيمان وتحدثا ملياً فاخبره البطريرك عن كيفية استيلاء المسلمين على بيت المقدس الذي هو قبر المسيح وان الحكم منهم طالما ظلوا قومه ثم تعانقا وهما يبكيان ووعده بطرس السامح البطريرك بأنه سيعمل جهده في حمل أهل أوروبا لتخليص بيت المقدس من المسلمين

ثم غادر بيت المقدس راجعاً الى روميه وهناك طلب مقابلة البابا أوربانس الثاني ولما مثل بين يديه وأخبره بما قاله بطريرك القدس وعده بالمساعدة التامه أمراً اياه بالتوجه الى جميع بلاد أوروبا لاجل تحرير الاهالي على ذلك وخرج هذا الرجل من لدن البابا وأخذ يجول في بلاد فرانس وبعض ممالك أوروبا راكباً على بغل قابضاً يديه على الصليب منادياً بحرب الصليب في الطرقات والازقة والكنائس والاديره منادياً بان مسيحيي الشرق يقاسون العذاب الواناً تحت حكم المسلمين. زكياً أقواله بوصفه جبل صهيون ومكان الجبيلة وبستان الزيتون وقد كان أحياناً يستصحب بعض مسيحيي الشرق الذين كان يقابلهم ببلاد أوروبا



وكانت الناس تتقاطر اليه مزدحمين حوله مقبلين اريدته فارشين الاعشاب  
 في الارض لير عليها منخاطفين اجزاء وشاح بغله بمنزلة ذخائر لهم ملقبه بقديس  
 ونبي باكين معه على شقاء اورشليم (بيت القدس) متمهدين بصرفه  
 وجوداتهم وخيراتهم وحياتهم لاجل انقاذها من الاسر والهوان  
 وفي اثناء ذلك ارسل ملك القسطنطينية المدعو اليكسيوس كومنينوس  
 وقدأ الى البابا اوربانس الثاني يطلب منه الاغاثة لان الاتراك اغاروا على بلاده  
 وكان قد ارسل وفوداً الى ملوك اوربا بخصوص ذلك أيضاً طالباً منهم المبادرة  
 لمحاياته مقررأ لهم في نظير ذلك جميع ما ينجز ان مدينته

﴿ مؤتمر مدينة بلاصانس بايطاليا ﴾

ولما تحقق جناب البابا من استمرار دعوة بطرس السابج أمر بانعقاد مؤتمر بمدينة بلاصانس حيث اجتمع مئتا اسقف مع رؤساء أساقفة وأربعة آلاف اكليريكي وثلاثون الفاً من العلمانيين وهذا المؤتمر انعقدت جلسانه في البريه في مكان سهل واسع بالقرب من المدينة وكانت أعين الشعوب متجهة الى وفد الملك اليكسيوس متمجيين لملايسهم الفاخرة الشرقية وصاعين الى أصواتهم الملمسة المعونة من ملوك المغرب بان يوجهوا قوة أسلحتهم لمعاودة القسطنطينية ولا تقاذبيت المقدس وشرع البابا بتحريض الجميع باتحاد قواهم واتفاق عزائمهم نحو هذه القضية المقدسة فقبلوا جميعاً الأوامر واعدين بانهم بعد أيام قليلة يجتمعون تحت يبارق الصليب لنهابهم الى بلاد فلسطين للحرب المقدسة باتفاق عام بينهم

ثم لم تمض أيام قليلة علي هذا المؤتمر حتي سكن نارهم لانه اعتراهم الخوف من ترك بلادهم وأوطانهم والذهاب الى بلاد وأقاليم مجهولة عندهم وهكذا لم تحصل ثمرة من المؤتمر لانه لم يتقرر فيه تحديد كيفية محاربة المسلمين ولان البابا لم يبق في استطاعته تحريض وحث الشعوب التي حوله لانقسام أهالي بلاد النمسا وقام فريق منهم ضد الكرسي الرسولي . وأهالي الاقاليم الشمالية كانوا منشغلين باهتمام في صد البربر عنهم وكانوا قائلين الميل الى هذه الحروب ومملكة اسبانيا كانت تحت حكم المسلمين . وبلاد الانكليز كانت وقتئذ ضعيفة محتاجة لحماية بلادها التي فتحها ملكها غوليا لموس بمساكره الموجودة في ولايته ولذلك لم يجد البابا أمامه غير بلاد فرانس

﴿ مؤتمر مدينة كليرمون بفرانسا ﴾

فاجتاز البابا اوربانس بلاد ايطاليا ودخل مملكة فرانس وعقد مؤتمراً في

مدينة كليرمون في شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥ فتقاطرت اليه جميع الشعوب من  
 أمراء ورؤساء كنائس ووفود ملوك وغيرهم حتى امتلأت المدن والقري  
 حول تلك المدينة بوفود الشعوب وكانت الخيام والمضارب منصوبة في الحقول  
 لماوى الكثيرين منهم وكان ذلك في فصل الشتاء والبرد شديد الزمهرير وفي  
 الجلسة العاشرة من هذا المؤتمر اجتمعوا في قصر المدينة وكان بطرس الساج  
 جالساً بجانب البابا وهو الذي فتح الخطاب معدداً الشدائد التي يعانيها أهالي  
 بيت المقدس قائلاً انه شاهد هناك المسيحيين مقيدين بالسلاسل الحديدية وانه  
 نظر قبر المسيح محترقاً مهاناً وان زواره يتكبدون الذل ثم قام البابا وخطب  
 قائلاً

(أيها المسيحيون ان تلك الارض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها  
 وتلك المغارة المرعية المختصة بفادينا وذاك الجبل الذي عاينه تألم ومات من  
 أجلنا وذلك النهر الذي تنازل لأن يدفن فيه ضحية للموت كلها أضحت ميراثنا  
 لشعب غريب وغاب كل بهاءها الاصلى وهياكلها قد خربت وأشعة نورها  
 الساطعة تحوات الى ظلام خالك وهي تستحق التذب الشديد والبكاء ولم يعد  
 لله من معبد داخل المدينة المقدسة الخصوصية والمشرق الذي هو المهد والينبوع  
 المقدس لا يمانتا لم يعد مشهداً الا لافتخارات أعمال المسلمين وجهات أسيا  
 الاكثر ثروة وغناء قد التحقت بالظلام الى الكره والفقير المهين . وانطاكيه  
 وافسس ونيقيه قد صارت مدن الاسماعيليين والأتراك قدمدوا ولا يتهم الى  
 حدود هاليبوتوس لابل الى أبواب القسطنطينية . ومن هناك ذراع هؤلاء  
 الشعوب الشديد يتهدد بان يستولى على كل ممالك الغرب )

ثم ان البابا وجه خطابه الى الحاضرين من وفود الطوائف قائلاً لهم هل  
 ان مشهداً مثل هذا يترك قلوبهم باردة وغير حساسة . ثم وجه خطابه الى  
 أهل فرانساً قائلاً أيها الطائفة الفرنساوية العزيزة لدى الله . ان كنيسة المسيحيين

قد وضعت رجاها مسنداً على شجاعتكم فانا الذي أعرف جيداً تقواكم وكفائتكم بالشجاعة والغيرة . وقد اجتزت الجبال الالية وحضرت لكي انذر بسلام الله في وسط بلادكم . وهكذا أخذ يحنهم مذكراً ايهم بشجاعتهم القديمة وما أتم كلامه حتى وضع ضباط العساكر أيديهم على سيوفهم وأقسموا بان يبادروا الى انقاذ المسيحيين

فلما تأكد البابا من نجاح مرغوبه اردف خطابه بقوله . لقد آن الزمان الذي فيه تمحولون ضد الاسلام تلك الاسلحة التي أخذتموها حتى الآن ضد بعضكم لا أخذ الثار لانفسكم من أبناء جنسكم عن بعض اهانات فالجرب المقدسة المعتمدة الآن ليست هي لاخذ الثار عن الاهانات ضد البشر بل عن الاهانات الصادرة ضد الله . وليست هي لاكتساب مدينة واحدة فقط بل هي أقاليم أسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى فاتخذوا محجة القبر المقدس . وخلصوا الاراضي المقدسة من أيادي الختلسين وأنتم أملكوها لذواتكم فهذه الارض كقاله تقيض لبناً وعسلاً الخ . ثم قال يا أيها الشجعان اذهبوا متساحين بسيف مفايحي البطرسيه واكتسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الابدية . فاذا أنتم انتصرتهم على اعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسماً وميراثاً . وأما اذا قتلتهم فلكم المجد لأنكم تموتون في المكان الذي فيه مات يسوع المسيح . وهكذا صار يخطب ويحث

ثم أخرج علامة الفدا المقدسة ( صليب الخلاص ) وقال احموه على عواتقكم أو على صدوركم وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم ( أي اعلاكم ) ثم قام الكردينال غريغوريوس تالياً بصوت عال صورة اعتراف عام وعند نهايتها مد اليها أيديه ومنح الجميع البركة ثم قام ادھمار دي موتيل اسقف مدينة بوى وطلب الى البابا الاذن له بان يكون أول من يجاهد في سبيل الله ثم استام من يد البابا سنجق الصليب



فاتبه عدد عظيم من رؤساء الكنائس ومن القواد المختلفي الرتب متحالفين  
على المحاربة وكذلك الامراء استلموا من البابا سنجق صليب آخر ثم ان  
جميع الذين كانوا حاضرين في هذا المجمع علقوا على صدورهم صليبا حمر  
واخذوا لنفسهم اسم (صليبيين) كما انهم لقبوا الحرب التي شرعوا فيها (حرب  
الصليب المقدس) وأظهر البابا اغتنامه من عدم مسيره بشخصه أمامهم وقال انه  
اناب عنه اسقف بوى المتقدم ذكره

وقرر المجمع أيضاً عدة امتيازات للصليبيين كاعفائهم من دفع العوائد  
وغيره وقرر اشهار الحرب على بلاد فلسطين ولما عاد الاساقفة الى  
ابريشياتهم اجهدوا في صنع سناجق الصليبان وكانوا يقدمونها الى جماهير المسافرين  
الى هذه الحرب



الابا اوربانس الثاني

وأخذ البابا أوربانس ينتقل في بعض أقاليم فرانسا وعقد الجمعيات في مدن  
روان وطورس ونسياس باذلائعنايته في نجاح هذه الحروب وامتدت هذه الدعوة  
الى البلاد الاورباوية الاخرى فاخذ الناس يرسلون اولادهم مع العساكر من  
الانكليز والنمسا واطاليا واسبانيا

ومما ساعد على ذلك أيضاً انه حصل قحط ببلاد أوروبا عدة سنوات  
مترافة نتج عنه فيها مجاعة عظيمة وكثرت اللصوص وصارت مدنهم وقراهم  
لا تتحملهم فاندك بادروا نحو اراضى المشرق المختصة التي يشير اليها الكتاب  
المقدس بقوله تدر لبنأوعسلا وخصوصاً لانهم سمعوا عن كثرة غناء بلاد آسيا  
وخزائنها فاضحت بلادهم امامهم كأهمنى وصار المشرق امامهم كأنه وطن وكان  
لارؤساء يومئذ غايات فدعوا الناس الى الغزو فبادروا اليه جاهلين ما وراء ذلك  
واجتمعوا ليسيروا ناعاجا الى الذبح في بلاد غريبه

### \* (الحروب الصليبية الاولى) \*

كان المجمع المنعقد في مدينة كيرمون قد ضرب ميعاداً لسفر العساكر  
الصليبية الى الحرب عيد السيده في ١٥ اغسطس سنة ١٠٩٦ وعند حلول  
شهر مارس أخذوا باعداد العمد ونصب الخيام وتجهيز الخيول والبغال  
والاساحة والسناجق فتألفوا كتائب وجيوشاً وساروا على غير ترتيب ولا نظام  
وكان فيهم من يحمل المزاريق ومنهم من يحمل الحراب وكثيرون عزل بلا سلاح  
وأكثرهم مشاة ومعهم عائلتهم من نساء وأولاد وكانوا بلا قائد يسير امامهم  
لان الامراء والرؤساء الذين كانوا يلزمهم ان يقودوهم أعطوهم ميعاداً  
للمقابلة في القسطنطينية فسارت الجيوش وأمامها قائدها بطرس الساج راكباً  
بغلته ثم انه قسم جيشه الى قسمين أحدهما سار بقيادته والثاني عين عليه أحد  
ضباط فرنسا المسمى ولتر أد (غوتيار)

وسار قسم غوتيار مجتازاً بلاد فرانسام بلاد المانيا لبأني هنكاريا طريقاً  
 للقسطنطينية عاصمة الروم فلما تبطنوا بلغاريا قل زادهم فطفقوا يعيشون في  
 البلاد ينهبون ويسلبون وهم في أمن مما يحذرون حتي بلغوا بلغراد العاصمة  
 قهاجوها ولكن الاهلين نشطوا لمقاتلتهم وقتلوا منهم كثيرين وبددوهم وكان  
 ماقلوه في أهل بلغاريا شاهد عدل على ان مقصدهم بمحاربة الاسلام ليس  
 الا النهب والسلب وان كان ظاهره لغايات دينية يأبى التقى أن يعترف بها ثم ان  
 ولتر المذكور جمع باقى جيشه وخرج من بلغاريا الى القسطنطينية التي بلغوها  
 بعد شهرين بعد ما قاسوا اتعاباً ومشقات وهناك الملك اليكسيوس أقامهم عنده  
 لحين حضور الآخرين

وسار الجيش الذي بقيادة بطرس الساج ولما وصل الى حدود هنكاريا  
 بلغه ماجرى للقائد غوتيار فحزن لذلك وعزم على الانتقام فهجم على مدينة  
 ساملين وقتل أربعة آلاف من أهاليها . ولما بلغ خبر هذه المقتلة أهل هنكاريا  
 استعدوا لقتاله بقيادة ملكهم لولومان . وعند وصول جيش بطرس اليهم  
 هجموا على هذا الجيش الصليبي وبددوه وقتلوا أكثره ولجأ بطرس الى الفرار  
 هو ومن نجا من القتل ودخلوا بلاد بلغاريا وهناك عند مدينة ينصاهجم عليهم  
 البلغاريون وشتوهم وهكذا ساروا هاربين الى مدينة القسطنطينية  
 ثم انه سار أيضاً جيش صليبي آخر من بلاد النمسا تحت قيادة غوشالك  
 الكاهن بالاطنيات يتبع بطرس الساج وأخذوا يعتدون على الاهالي في مسيرهم  
 فموقبوا بمثل ما عوقب به الذين تقدموهم

ثم سار أيضاً جيش صليبي رابع من بلاد ريزوموسيل تحت رئاسة  
 الكونت اميلوك وهذا الجيش لم يبرح وطنه الا بعد ان قتل جميع اليهود  
 ظلماً وعمل أعمالاً فاحشة لا تختمها الا انسانية التي يدعون بزحفهم لتجديتها  
 ولما وصل الى هنكاريا هجم عليهم الهنكاريون وقتلوا معظمهم وهرب الباقي

### ✽ دخول الصليبيين آسيا وهلاك هذه الجيوش في نيقية ✽

لما وصلت بقايا جميع الجيوش المذكورة الى مدينة القسطنطينية اجتمعت لدى الملك اليكسيوس كومنينوس وكان عددهم مائة ألف محارب تقلمهم بمراكبه من القسطنطينية الى وراء البوسفور وهناك تفرقت كلهم واختلفوا في أمرهم فلذلك تركهم بطرس ورجع الى القسطنطينية ثم بلغ أمرهم الى قليج ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب قونية وبلاد الروم فجمع عسكر الاسلام واحتاط بهم من كل جهة فاعمل المسلمون فيهم السيف حتى أفنواهم عن آخرهم وكان ذلك بالقرب من مدينة قونية ولم ينج منهم باقرب الا قليل وكذلك قتل القائد ولتر او ( غوتيار ) الفرنساوى مجروحاً سبعة جراح في فخذه وهكذا لم يبق من هذه الجيوش التي نقلت من أوروبا الى آسيا في سهل قونية الا أجسام بالية من طوائف مختلفة وهذه كانت النهاية التامة لمساكر أخلاقها رديئة كما قاله المؤرخ ( برزدوس الخازن الفرنساوى )

وأما بطرس الساج فانه لما رجع الى القسطنطينية أخذ يشكو بمرارة من الصليبيين لعدم اطاعتهم أوامره ولذلك صار يسيهم لوصفاً وقد أقسم بأنه لا يفتر عن عزمه حتى يشاهد حروباً صليبية أخرى .

### ✽ الحملة الثانية من الحروب الصليبية الاولى ✽

لما باغ سكان أوروبا ما حل بالحملة الاولى شملهم الحزن والغم الشديد وافتكروا في الانتقام واعتمدوا على السفر الى البلاد الشرقية تحت رياسة غودافرو دي بوليون دوك دي لورين السفلى المولود في براينت وكان هذا

الرئيس ميجلا معظماً عندهم شجاعاً ذا رأى ومعه عدد واقرب من قوادفرنسا  
وببلادالنسا كاؤسطاكيوس (من بلونيا) وبودوين واخوته وأولاد عمه  
يودوين روبورك وبودوين حاكم هانوت وعزنييل حاكم دي هاش وجرارد  
وبطرس دي طول وهو كز دي سانبول وابن انجلران دوك دي لوران  
وساروا جميعاً برأ قاصدين القسطنطينية وكان مسيرهم من بلاد ألمانيا بفاية  
الادب والقناعة ولذلك لم يتعرض لهم أحد في طريقهم

وسار جيش آخر عن طريق ايطاليا تحت رئاسة هو كز حاكم فرمندواس  
أخي ملك فرانسا ومعه رو بارتوس الملقب بكورتهوز حاكم ولاية نور مندياه  
وروبارتوس أكذ والى مقاطعة فلاندره الملقب بحربة المسيحيين . واستفانس  
دالى بلواز وكاتريز الذى كان معتمداً في ديوان شورى الحرب لفطنته وسار  
هذا الجيش متأخراً عن سابقه فاجتاز جبال الالب نحو بلاد ايطاليا ولما  
وصلوا مقاطعة لو كابلهم البابا أوربانس الثانى وباركهم ومن هناك ساروا  
الى بوليا يقصدون سفرهم بحراً

ومرورهم بايطاليا أجاز الايطاليين الى السفر غيرة وبمقدمتهم بوهمند  
أمير تارانت فاشترك في المسير مع الجيش البحرى وكان بقيادة أهالى بوليا  
وغيرهم من بلاد كلابريا وسيسيايا ومعه ريكاردوس أمير سالارنوس وأخوه  
رانولف وروبارتوس دي هوس وروبارتوس دي سور وقال وهر مفرو  
دى موتيك

وسار جيش ثالث من إقليم فرانسا الجنوبي تحت رياسة ادهاردى . وتقبل  
( اسقف بوى ) وبقيادة رايوند كونت دي سلت ودى طولوز وكان ادهار



هذا قد اقامه البابا رئيسا كنائسيا على الجيوش الصليبية وهو اول من استلم  
سنجق الصليب وكان هذا القسم من أهالي غاز كونيا ولانكادوك واليموزين  
وافرنيا والبروفانس وبصحبتهم أيضا هرقل كنت دي بولنيك وغوليافوس  
دي ساريان وروجار كونت دي فواكس وغوليا موس سيد مونت بليز  
ورايوند بالات وريمون كنت دي أورانج وغيرهم كثيرون وأساقفة ابنت  
ولورين وأورانج مع رئيس اساقفة طوليد وكانوا حملة الصليبان وكان مسير  
هذا الجيش من جبال الالب وبلاد لومبار ديا والقربول متقدما نحو حدود  
المملكة اليونانية بمشقات عظيمة من اقاليم دالماسيا

### ﴿ ما جرى للصليبيين في القسطنطينية ﴾

كان الملك اليكسيوس ملك القسطنطينية قد ارسل وفودا الى ملوك  
أوروبا يستغيث بهم لمساعدته ضد الساميين ولما بلغه قرب حضور هذه الجيوش  
الكثيفة خاف منهم على بلاده وندم على ما فرط منه ثم ابتداء بتدبير الحيل لكي يد  
الصليبيين وكان الجيش البحري برئاسة هو كز حاكم فرمنداوس أخي ملك  
قرانسا قد قرب ولكن هذا القائد غرق مركبه على شواطئ الابيروس فخرج

سالماً فارسل اليه حاكم دوراتسيوس احد عماله لاجل ان يهتبه بالسلامة ولما  
 قرب للقسطنطينية بالاكرام والاحتفال أمر بسجن هذا القائد بصفته أسيراً  
 ظاناً انه بجبس أخى ملك فرانساعنده بصفة رهينة يأمن غائلة الجيوش  
 القادمة

وكان غودافرو رئيس الجيش البري الاول قد باع مدينة فليوبوليس  
 وسمع بأسر أخى سلطان فرانس وحبسه فاغتاظ غيظاً شديداً وأخذ يعامل  
 أهل البلاد بصفة اعداء محارين فقراً كثيرهم الى القسطنطينية للاحتماء بها  
 ولما علم الملك بما جرى لبلاده خاف خوفاً شديداً وارسل يطلب من قائد  
 الجيوش الصليبية الكف عن القتال متمهداً له بما يطلب وانه يفتك اسر  
 المسجون عنده ولذلك رضى قائد الجيوش وكف عن الحرب وسار قاصداً  
 القسطنطينية بصفة سلميه

اما الملك اليكسيوس فانه احضره وركز لديه واخذ يعتذر اليه ويهاديه  
 تملقاً حتى انه جذب قلبه وطلب منه القسم على الطاعة له وحفظ الامانة  
 بالخضوع لاوامره وبعدم الانحراف ضده وبذلك اشترى عتقه من الاسر  
 وانطلق الى الجيوش الصليبية فعند اجتماعهم أخبرهم بقسمه فلما علموا بانه  
 يلزم الاطاعة بموجب هذه الشروط لملك غريب اغتاظوا غيظاً شديداً ورفضوا  
 هذا الامر معتمدين على مقاومته

وهذا الرفض أغضب الملك اليكسيوس الذى عزم على ان يجماهم بطبعونه  
 غصباً بواسطة الجوع ولذلك أمر بقطع الملائق مع الجيوش الصليبية وأمر  
 بمنع الاهالى من بيع المأكولات لهم غير ان هذا الرأى لم يأت بفائدة لان  
 القائد غودافرو اتحد مع باقى رؤساء جيشه وقرروا الهجوم على جميع القرى  
 وأخذ ما يوجد فيها من القوت وهكذا كانت الجيوش الصليبية تهجم بشراسة  
 كلية على أهل القرى وتذهب موجوداتهم حتى امتلأت مضاربهم من كل نوع

وحيث انه كان قد قرب عيد الميلاد فاجلالا له كفوا عن القتال ودارت  
 الخبارة بأمر الصالح الذي تم على ان الملك يقدم لهم المؤونة  
 وكان بوهموند أمير تاراتا قد سوت له نفسه محاربة القسطنطينية  
 والاستيلاء عليها ولذلك زحف نحوها بمساكره ولما قرب من مدينة  
 دوراتسيوس بعث رسولا الى غودافرو القائد العام بما عزم عليه وبعزمه على  
 الاتحاد معه غير ان هذا القائد رفض هذا الرأي ووبخه عليه ولما علم ملك  
 الروم بما دبره بوهموند اجتهد بان يكتسب صداقة غودافرو ومحبة الامراء  
 الذين رفقته لينجو من الغائلة ولمنع الريبة به قد أرسل ابنه يوحنا الى معسكر  
 الصليبيين كرهن وحينئذ آمن غودافرو ودخل القسطنطينية ونزل في قصر  
 الملك واعجب غودافرو وأمرأؤه بالقسطنطينية وبنائتها الفاخرة وزيناتها كما  
 أعجب الملك وأهل المدينة بحسن ملابس الامراء الصليبيين الفاخرة المزينة  
 بالذهب والماس ثم ان الملك قابلهم ببشاشة تامة معانقا ايهم الواحد بعد الواحد  
 وكانوا يتحنون أمام العرش الملوكي الشرقي ويسلمون جاثين على ركبهم باحترام  
 ثم خاطبهم الملك قائلا أرغب منكم يا حماة المسيحيين ان تحموا بلادني من  
 الاعداء فوعده هؤلاء الامراء بان يردوا له جميع البلاد التي كانت تحت  
 حكمه وبان يعطوه كل ما يستولون عليه وفي نظير ذلك حلف الملك لهم بانه  
 يتسلف الصليبيين بكل الوسائط الممكنة له ودليلا على ذلك أهدهم هدايا  
 فاخرة وأصدر أوامره الى جميع رعاياه بان يقابلوا الصليبيين بالمودة ويقدموا  
 الى مضاربهم المؤن وبهذه التصرفات حصل السرور للطرفين واسكن الملك  
 كان الخوف لم يزل في نفسه فلذلك أشار على غودافرو بان يكون مسير الجيش  
 الى أسيا من وراء البوسفور وهكذا سافرت المساكر الصليبية من طرق  
 وعرة أضاعت فيها زمانا طويلا ذهب بحماسهم .



## ✽ الصليبيون في آسيا واستيلاؤهم على قونيه ✽

لما انتقلت العساكر الصليبية الى آسيا ساروا في سهول الاراضي الشرقية التي كانت مخضرة يانعة بالانتمار في زمن الربيع فزحفت الى مدينة قونيه عاصمة بلاد الروم وكانت تحت حكم قباييج ارسلان بن سليمان وكان شجاعاً عاقلاً فلما بلغه خبر قدوم هؤلاء الصليبيين جمع عساكر كثيرة لرد هجماتهم وكان من جمهم من العساكر يبالغ مائة ألف وأما عدد الصليبيين فكان مائة ألف من الخيالة وخمسمائة ألف من المشاة وكانت قونيه محاطة بجبال عالية ومحاطة من جهتها القبلية والغربية ببحيرة اسكانيوس فاما بافتها الجيوش الصليبية حاصرتها من كل جهة ونصبوا مضاربتهم حولها وكانت كل طائفة منهم على حدة تميزاً لها ولها سنجق صليبي وبعد حصار المدينة عدة أيام خرج قباييج ارسلان المذكور بعساكره من جهة الجبال مهاجماً الصليبيين وكانت هجماته المذكورة على جيش غودافر والقائد العام وعلى جيش رايموند دي طولوز حتى انه قهرهم الى آخر مضاربتهم وحينئذ هجمت عليهم بقى طوائف الصليبيين واشتد القتال الى آخر النهار وانهمزمت العساكر الاسلامية الى الجبال وكان ذلك في سنة ٤٩٠ هجرية .

وفي صباح اليوم الثاني لهذه الواقعة هجم قباييج ارسلان بعساكره على الصليبيين واستمرروا في قتال عظيم وقد أظهرت العساكر الاسلامية من الشجاعة والجيل الحربية ما أدهش الصليبيين كما رواه مؤرخوهم ولكن الكثرة تغلبت على الشجاعة فانصر الصليبيون على المسلمين في هذا اليوم وهربت عساكر الاسلام الى الحدود والاستعداد للمهاجمة والمدافعة وكانت المدينة لم تزل محصورة بعساكر الافرنج الذين ركبوا عابها المنجنيقات وأخذوا يرشقونها تباعاً بسرعة الى ان هدموا سورها وكانت العساكر الاسلامية من داخل

المدينة ترميهم بنبال مسمومة وكانت ترمى أيضاً الصليبيين الذين كانوا يطلعون فوق السور بجبال مرشوقة بكلايب حديد وبذلك قتلوا كثيرين من الصليبيين وكان يوجد رجل شركسي كل يوم يظهر فوق السور ويرمي الصليبيين بالنشاب الذي كان يصيدهم ويملكهم حتى أزعجهم وفي يوم من الايام عند ظهور هذا الشجاع على السور جاءت نبلة من يد غودافرو فدخلت صدره فماتته في الحال وكانت المدينة لم تنزل في حصار لان جهتها القبليّة والغربية كانت في مأمن من الصليبيين ثم رأوا البحيرة قد امتلأت بمراكب الصليبيين الواردة من القسطنطينية وحينئذ وقع الرعب في عساكر الاسلام وفرحوا الصليبيون وشددوا الحصار وكانت زوجة قايج ارسلان داخل البلد فخرجت هاربة مع ولديها في مركب صغير فشر بهم الصليبيون ولحقوهم حتى قبضوا عليهم ولما بلغ هذا الخبر الى عساكر الاسلام خافوا وكان الملك اليكسيوس قد أرسل فرقة من جيشه صعبة الصليبيين لحصار قونية ولكونه لم يزل خائفاً منهم أرسل فرقة أخرى سرية تحت رئاسة أحد قواده المسمى بوطوميت لاجل الاستيلاء على قونية لتكون له فهذا القائد عمل كل جهده حتى دخل المدينة وهناك اجتمع مع الامراء المسلمين وعرضهم بان هؤلاء الصليبيين اذا امتلكوا المدينة يقتلونهم عن آخرهم واستحسن لهم ان يسلموها الى الملك اليكسيوس وفلما تم هذا الاتفاق.

وأما الصليبيون فكانوا قد عزموا على الهجوم على المدينة بكل قوتهم لاجل استيلائهم عليها فهاشعروا الا وسناجق الملك اليكسيوس على أسوار المدينة فانبعثوا لذلك واشتدوا غيظاً من معاملة هذا الملك المخادع خصوصاً لكونه أمر بالافراج عن زوجة ملك المسلمين وولديها وأحسن معاملة الاسرى المحبوسين ولكن الصليبيين كتموا غيظهم وكان مدة حصار قونية ما يتوقف عن الحسين يوم وأقاموا مدة يسيرة حول مدينة قونية للاستراحة وبمدها قسموا

الجيش قسمين سارا بين القسم الاول والثاني مسافة قليلة واجتازوا جبال  
أقربيه الصغيرة تاهين في الوديان قاصدين سوريا ولم يدم معرفتهم الاراضى  
حصل لهم مشقة عظيمة وخصوصاً لدم المياه وحرارة الجو

وكان القسم الاول تحت رئاسة بوهيموند وانكريد ودوك زرمنديا انتهى  
الى وادى مخصب عند نهر غورغوني وأقام مضاربه الاستراحة وفي صباح  
اليوم الثاني وجدوا غباراً قد علا ونار وانكشف عن عساكر الاسلام بقيادة  
ملكهم قليج أرسلان فاستمد هذا القسم للمدافعة فجمع الاولاد والنساء في  
القباب والعساكر المشاة محتاطة بهم وأما الخيالة فانقسموا ثلاث فرق فاحدهم  
كان برئاسة تنكريد والثاني برئاسة دوك دى نور منديا والكونت دى شاتريز  
والثالث كان برئاسة بوهيموند أمير تاراتا رئيس هذا القسم . ولما تقاربت  
العساكر الاسلامية اصطفت صفوفاً وهجمت على الصليبيين هجمة شديدة ثم  
تكاثر عليهم الصليبيون وزحزحوهم عن موافقهم ثم انهم ارتدوا عليهم  
وأخذوا يرمونهم بالنشاب حتى ان خيولهم كانت تتساقط من الجراح وهجموا  
بقوة على الصليبيين حتى بدوهم واستولوا على مساكنهم وأخذوا منهم  
نساءهم وصاروا يقتلون فيهم قتلاً شديداً حتى أفنوا أكثرهم وقتل غوبليوم  
أخو تنكريد وغيره من الامراء مع ما أظهره من الشجاعة خصوصاً  
بوهيموند الذي كان هجم على ملك المسلمين يريد قتله ولكن الملك هجم عليهم  
وأخذهم بالجراح والقتل ثم ان أحد قواد الصليبيين المدعو روبرتوس دوك  
دى نور منديا استجبع بعض عساكره وهجم على المسلمين وتبعه تنكريد  
وريكارد أمير سالرنور واسطفانوس كونت دى بلواز وباقي القواد واستخلصوا  
منهم النساء وصارت الطائفتان في قتال ونزال وهجوم ودفاع الى ان كل  
الصليبيون وفروا هارين وحل بهم عطش شديد من ارتفاع الحرارة وهكذا  
كانت الدائرة على الصليبيين .

ثم علا الغبار وبان عن عساكر القسم الثاني للصليبيين الذي كان تحت  
رئاسة غودافرو دي لورين القائد العام ورايموند وغيره الذي بلغهم خبر القسم  
الاول فاسرعوا بالمسير حتى لحقوهم علي آخر رمق من الحياة وحينئذ اصطفت  
عساكرهم قلب وجناحين فكان علي اليمين غودافرو وكونت دي فلانديا  
وكونت دي نافار وعلي اليسرة بوهيموند وتسكريد وروبارتوس دي نور منديا  
وكان علي القلب رايموند وحملوا علي عساكر المسلمين حملة شديدة انتهت بفرار  
العساكر الاسلامية الي الجبال واستولى الصليبيون علي مضاربهم وأخذوا  
ذخائرهم وقد اشتهرت هذه الواقعة بواقعة رويله ونهر غورغوني

ثم سار جميع الصليبيين جيشاً واحداً قاصدين سوريا مارين في الجبال  
والوديان المعطشة وكان قايحج أرسلان قد سبقهم ببقايا جيشه يحرق المزروعات  
والكروم لئلا يجدوا شيئاً يأكلونه وهكذا حصل فن ما كولاتهم قد فرغت  
وصاروا يأكلون البقول الناشفة التي يلتقطونها من الارض وعدموا المياه بالكلية  
حتى ان البهائم ماتت منهم في الطريق وكنت تجد الرجل منهم ماشياً علي أقدامه  
حامل أممته علي ظهره وكذلك آلات الحرب فان العساكر حملتها علي ظهورها  
وكاد العطش يهلكهم لانه كان يموت منهم في اليوم الواحد نحو الخمسمائة من  
العطش والجوع وكذلك قد عدم منهم ما كان معهم من كلاب وخنزير وطيور  
كاسرة وساروا كذلك الي ان وصلوا الي وديان بسيديا وأقاموا للاستراحة  
وهم في غاية الظمأ . وكان لاحدهم كلب فغاب عنه يبحث علي ماء ثم رجع  
الكلب وجسده مبلول فعملوا بانهم وجد ماء فاتبعوا الناحية التي رأوا ان الكلب عانداً  
منها وهناك وجدوا نهراً جارياً واشد عطشهم انكبوا علي النهر يشربون بغير  
حساب حتى ان البض منهم ماتت من ذلك والبض مرض ثم ساروا في طريقهم  
مارين ببلاد الارمن

## ✽ وصول الصليبيين الى طرسوس واختلافهم ✽

ففي أثناء مسير الصليبيين حصلت لهم بعض مصائب منها ان غودافرو كان خرج من جيشه للنزهة وفيما هوسائر اذ سمع صوت رجسلى يستغيث من خلفه فالتفت اليه فوجده رجلا صليبياً حاملاً متاعه على ظهره وبتبعه دب هائل فنزل هذا القائد عن فرسه لاجل ان يقتل الدب فسل سيفه وأراد الهجوم على الدب الذى بادته واراد ان يفرسه ووقع القائد تحته ثم انتصب قائماً ورنع يده بالسيف يريد قتله فجرحه السيف جرحاً بليغاً ثم لحقه احد القواد وقتل الدب وحمل غودافرو الى المعسكر ولكن لكثرة الدم الذى سال منه حصل له مرض شديد كاد يهلكه

ومنها انه كان انفصل من الجيش الصليبي قائدان وهما تنكريد وبودوين أخو غودافرو لاجل ان يلحقوا عساكر المسلمين الهاربين وهكذا ساروا مفترقين حتى وصلوا مدينة طرسوس وكان السابق تنكريد وكان أهل المدينة أكثرهم من المسيحيين وحين سمعوا باخبار الصليبيين فرحوا بهم ولما وصل اليهم تنكريد ففتحوا له أبواب المدينة التى دخلها بدون حرب ووضع على أسوارها سناجقه ثم وصل بودوين الى المدينة ووجد اعلام تنكريد عليها فحصل له غيظ شديد وأمر برفع علم تنكريد ووضع علمه ولذلك حصلت بينهما خصامة وأخيراً فررا ان يجعل الرأى فى ذلك لانتخاب أهل البلد ولكون تنكريد هو أول من وصل الى البلد ودخلها فلذلك انتخبوه ثم ان بودوين هددهم وخوفهم بالعقاب ففتحوا له أبواب البلد فطرح علم تنكريد فى الخندق ووضع علمه على السور فحصل هرج عظيم بين الجيشين أى الجيش الايطالى الذى تحت قيادة تنكريد والجيش الفرنساوى الذى بقيادة بودوين وكادوا ان يقتتلوا لولا ان تنكريد كتم غيظه وطاب من جيشه المساحة والكف عن

المخاصمة والمقاتلة ثم أخذ جيشه وسار الى ان وصل الى مدينة موبسواسطيه  
 وكان بوهيموند قد أرسل شزيمة من عساكره تبلغ الثلثمائة نفر في أثر تنكريد  
 فلما وصلت هذه الشزيمة الى طرسوس ووجدوا علم بودوين طلبوا المبيت  
 داخل المدينة وفي الصباح يرحلون الى تنكريد فابى بودوين مبيتهم داخل  
 البلد ولذلك نصبوا خيامهم خارج البلد وباتوا هناك وفي منتصف الليل هجمت  
 عليهم جماعة من الأتراك فأفروهم عن آخرهم ولما بلغ هذا الخبر الى داخل  
 المدينة اجتمع المسيحيون سكان البلد وانقضوا على المسلمين وذبحوهم بدون  
 شفقة

وأما بودوين فانه خاف من هذا الحادث الفظيع خصوصاً لكونه هو  
 السبب في ذلك فابقى بطرسوس جانباً من عساكره لاجل حمايتها وأخذ الباقي  
 سائراً في أثر القائد تنكريد الى ان بلغ مدينة موبسواسطيه ولما اقتربت  
 الجيوش من بعضها وكان خبير مقتلة الثمائة ايطالى باغ جيش تنكريد طلبوا  
 محاربة بودوين فمنعهم قائدهم فارسعوه شتا وسباً ونسبوا له الجبن وأخيراً التحم  
 الحيشان واقتتلا وانجلى الواقعة عن انهزام تنكريد وجيشه لقلته وكثرة عدوه  
 ودخلوا المدينة

ولما أصبح الصباح تناهوا ماجرى لهم بالامس وطلبوا الصلح الذي  
 تم بينهم بمعاينة تنكريد وبودوين بعضهما امام جيوشهم وتحالفا معاً ثم ان  
 تنكريد صار يضع يده على البلاد التي يمر عليها حتى باغ حكم اسكندرونه  
 ومنها رجع الى المعسكر العام ظانراً منصوراً غانماً أسلاباً كثيرة فاقبله الجيش  
 العام بالاكرام والاحترام وهناؤه وأما بودوين فانه لما وصل الى المعسكر  
 العام قوبل بفتور ولا موه على أفعاله خصوصاً أخوه القائد العام فانه أنبهه  
 خصوصاً لقتل الشزيمة البادية اذ ذكر وكان بودوين قد تصاحب مع أمير أرمق  
 اسمه انكراس الذي كان دائماً يصحبه مفضلاً له عدم المسير مع الصليبيين

والاستقلال بمملكة أسيوية مخبراً إياه بان البلاد الكائنة على شطوط نهر  
الفرات مخصصة جداً وأكثر سكانها مسيحيون والجميع مستعدون لتسليمها إلى  
من يحضر من قواد الصليبيين ولذلك عزم في نفسه على انفصاله من الصليبيين  
والاستقلال بهذه البلاد وانهز فرصة لومه من الجيش وترذيله وانفصل عنهم ومعه  
ألف و ٥٠٠ عسكري مشاة ومائتا فارس

### ﴿ اخبار بودوين على شطوط نهر الفرات ﴾

لما انفصل بودوين من الصليبيين وصحبته انكراس الارمني لم تدم صحبتها  
لان انكراس الارمني لما وجدان بودوين قد امتلك مدينة طور باسال  
ومدينة رافاندال واختص بهما لنفسه يثس وانفصل عن بودوين الذي كان  
كلما يصل الى بلد من شطوط نهر الفرات كانوا يقابلونه ويعظمونه حتى انه  
املك أكثر البلاد بدون حرب وترك بعض عساكره حفظاً لسيادته الى  
ان وصل الى مدينة (الرها) التي كانت تحت حكم أمير يوناني اسمه  
تاودورس من لدن ملك الروم وكان يدفع الجزية في كل سنة الى المسلمين  
ولما باغ سكان هذه المدينة قرب وصول الصليبيين اليهم فرحوا فرحاً شديداً  
وخرجوا لملاقاة بودوين ومن معه (لان الباقي معه من عساكره كان مائة خيال  
فقط) متوسلين اليه ومحلفينه بالدخول الى مدينتهم وحمايتها من المسلمين فهذا  
القائد قبل مطلوبهم وسار معهم الى ان دخل المدينة

وكان الامير تاودورس حاكم المدينة لا يريد دخول هذا القائد الى مدينته  
ولكن خوفه من عصيان رعيته أجلس على الترحاب به والتزلف له . وأما  
بودوين فلما وجد أهل المدينة يطلبون حمايته ولم يقرؤا على امتلاكه له اقال  
انه لا يمكنه ان يحمي بلداً لم تكن له ولذلك سبتركها . فلما علم أهل البلد بذلك  
اجتمعوا لديه وطلبوا منه عدم ترك مدينتهم ولما نظر ذلك تاودورس قال

له اني رجل كبير مسن ولم يكن لي ولداً وارث فارجو ان تكون بصفة ابن لي وتكون وريثي الوحيد ولما سمع ذلك بودوين وعلم بانه سيكون بعد موت ثاودورس وريثاً لمدينة الرها بل لجميع شطوط الفرات فرح فرحاً شديداً ووعد بان يحمي تحت سيفه مقاطعة قد أضحت ميراثاً له بعد زمان قليل يمر ثم انه اتفق مع أهل البلد وتلوا ثاودورس بعد محاصرته باقلعة وطلبه الامان منهم نخانوه ورموه من فوق السور ثم قطعوه قطعاً

### ﴿ محاصرة الصليبيين انطاكية وامتلاكها ﴾

سارت الجيوش الصليبية قاصدة سوريا مارة بالمدن الآتية وهي : ايكارنيا وهيراكلييا . وقيسارية كياروكيا . وتيانا . وفوزقون . ومرعش . كان أهالي هذه المدن اذا وصلت اليهم اخبار الصليبيين يخرجون من مدنهاهم ويقابلونهم بالاكرام ويسلمون لهم مدنهاهم بدون حرب . وكانت شدة الحرارة وصعوبة الطريق قد أتت بهم خصوصاً في جبال الشيطان التي هي فيما بين فوزقون ومرعش ثم باقوا حبل طاوروس وجبل أمانوس الى ان وصلوا انطاكية في سنة ١٠٩٧ الموافقة سنة ٤٩١ هجرية وكان الحاكم على هذه المدينة باغيسيان أصغر اولاد الملك شاه الساجوقي فلما باغى خبير الصليبيين أمر باقفال المدينة والاستعداد للحصار وكان الممر الوحيد الى سهل انطاكية على جسر فوق نهر العاصي وعلى جانبي ذلك الجسر برجان محصنان فيهما كثير من الرجال فخاربهما الا فرنج اولاً وأخذوهما ثم دنوا من انطاكية ونصبوا خيامهم فكان القائدان بوهيموند وتنكريد على العساكر الايطالية امام باب القديس بولص وعلى يمينهم العساكر الزماندية والبريطونية والفلامندية رأماً الفرناويون الذين بقيادة روبرتوس هو كزدي فار مندياور وبارنوس كونت دي شارتيزه فكانوا بالجهة البحرية امام باب الكلب وأما ثودانرو والكونت دي طولوز



وادهماردى مونتيل فانهم كانوا على جسر نهر العاصى فعدوا مجلساً حكموا  
 فيه بوجود محاصرة انطاكية وأخذوا الالهة للقتال وأما عساكر الاسلام  
 المحصورون داخل الاسوار فلم يبدوا حراكاً ولم يظهر منهم مقاتل واحد فوق  
 الاسوار والابراج ولذلك استخف بهم الافرنج وأخذوا يذبذبون التحفظ  
 وانكفوا جميعاً على التلذذ بالملاهى وببضارة ذلك المكان وطفقوا يرتكبون  
 كل القبائح والرذائل بينما كان المحصورون فى المدينة يتأهبون للدفاع عن  
 ذمارهم ويستعدون كل الاستعداد حتى غنموا فرصة انشغال أعدائهم باللذات  
 والمعاصى وخرجوا من المدينة وأولئك متفرقون فى القرى فهجم المسلمون  
 عليهم هجمة الاسود فانكسر الافرنج انكساراً كبيراً وبعد ذلك حدثت معارك  
 كثيرة بين المحاربين كان النصر فيها حليفاً للمحصورين ووقعت مؤونة  
 الافرنج فظهر عدم درايتهم للعيان بسوء الادارة التي أخذت تؤثر فيهم وشعروا  
 حينئذ بنقص الالهة الحربية فاقاموا أبراجاً لصدم الابراج التي على المدينة  
 وصمموا على تدقيق الحصار وتشديده بحيث يقطعون المدد عن المدينة ولم  
 يتمكنوا من تنفيذ ما ربههم الى ان وقعوا فى الارتباك ودهمهم فصل الشتاء  
 وحل بهم مرض البرداء واشتد فيهم حتى مات كثيرون واشتد الحال جداً  
 حتى كثيرين من الذين وسموا أنفسهم ظاهراً بسمة دينية مقدسة وباطناً  
 يافكار النهب والسلب وارتكاب ماظهر نموذجه فروا هاربين للتخلص من  
 مشاق الحروب الشرقية ومن غريب الامور ان بطرس الساج المندى بتلك  
 الحرب كان اول الهاربين الا ان الامير تنكريد أدركه وأعادته وأقسم بدوام  
 مرافقة الذين قاهم للحرب أما المحصورون فاقاموا بكل أنواع الحكمة واصول  
 الدفاع وكان لهم جواسيس من السريان يعرفون بواسطتهم كل ما يحدث فى  
 معسكر الأعداء ولذلك قرر بوهيموند ان يصير التدقيق بالبحث عن الجواسيس  
 ومضى وجد واحداً منهم يذبح ويطبخ لحمه أو يشوى ويؤكل ولاشك ان هذا

الامر في غاية البربرية وبذلك قد انقطعت الاخبار عن المسلمين وفي اثناء ذلك  
بعث المستعلى بالله العلوي من مصر وقد ادى الى الافرنج يعرض عليهم الصلح  
والمسالمة وانه يرجع اليهم الكنائس التي شيدها المسيحيون وان يحامي عنهم  
ويفتح أبواب بيت المقدس للزوار بشرط ان يدخلوها بلا سلاح ولا يقيم  
الواحد منهم فيها أكثر من شهر واذا رفضوا ذلك فالخليفة مستعد لان يعقد  
مخالفة من المسلمين لصددهم فلم يحتفل الافرنج بمقد الصلح مع انه خو لهم  
المقصد الذي ادعوا انهم يحاربون لاجله ولم يرغبوا احجب دماء العباد والرجوع  
الى اوطانهم سالمين بل اجابوا الوفد باستعدادهم للحرب غير مباليين بما  
يصادفونه من قوة الاسلام وكان صاحب حلب وغيره من أمراء البلاد قد  
يعتوا بالامداد من الجنود لتجدة انظاريه



وعلم الافرنج بذلك فساروا اليهم قبل ان يدركوا المدينة وحاربوهم  
فانكسر المدد وقتل الافرنج منهم عدداً غفيراً وبثوا برؤوس كثيرين منهم  
الى الوفد المصري ورموا رؤوس أخرى الى المدينة وجرت مواقع كثيرة  
كان النصر فيها تارة للمسلمين وطوراً للصليبيين وأخيراً طلب أهل المدينة

هدنة فجددوا فيها الذخائر والمهمات وتمادى الحال ولم ينل الافرنج اربا  
سما لان الشقاق كان سائداً بينهم وكان بوهيموند بود ان يتولى على انطاكية  
لغيرته من بودوين والى الرها وبذل في ذلك عناية عظيمة حتى اسعفه شخص  
اسمه فيروز اصله ارمني واعتنق الديانة الاسلامية وكان يحبه باغسيان ولذلك  
قلده أميراً على ثلاثة أبراج كبيرة وكان هذا الرجل من الثقل وجب الرفعة  
والمسال على جانب عظيم لذلك عقد مع بوهيموند شروط التسليم بالخيانة  
وكشف كل منهما مكنونات ضميره ثم جمع بوهيموند الامراء وقواد الجيش  
واعلمهم انه يلزمهم أخذ المدينة بنوع الخيانة والرشوة بالمال فعارضه القواد  
خصوصاً الكونت دى طولوز وبعد ذلك ببضعة أيام شاعت الاخبار بقدم  
كربوغا صاحب الموصل بالوف من الرجال لجددة المدينة تخاف الافرنج وخطب  
فيهم بوهيموند بوجوب استعمال الخيانة لامتلاك المدينة فاذعنوا لذلك وفي  
تلك الليلة اجتمع بوهيموند بفيروز الخائن واتفقا على وقت تسليم المدينة  
وانفصلا وفي آخر اليوم الثاني جمع الافرنج خيامهم وانسحبوا عن ساحتهم  
بالطبول والصرخ نحو بيت المقدس حتى تواروا عن العيون ثم قفلوا راجعين  
يهدو حتى بلغوا البرج الذي كان فيه فيروز فاقام ذلك الخائن بفظائمه حتى  
قتل بيده أخاه الذي لم يكن عالماً باتفاقه وخاف منه ان يشمر بالصائدين  
فيصيح على الخفرا فيبادر بقتله ثم ادلى سلم من جلد فتعاق به شخص اسمه  
بايمان من عساكر بوهيموند الى ان صعد البرج وأراه جثة أخيه المقتول ثم  
اتبعه بوهيموند وكونت دى فلاندر وغيره وامتلكوا الثلاثة أبراج بعد ان  
أمرهم فيروز بقتل أخيه الثالث الذي كان على برج آخر وامتلكوا سبعة غيرها  
بعد ان قتلوا حراسها وكسروا الابواب ودخلوا المدينة فلما كوهوا وكان ذلك في  
٣ يونيو سنة ١٠٩٨ بعد حصار تسمه شهرور وقتك الصليبيون بالاهالى فتك  
ذريماً ليلاً ونهاراً حتى انهم كانوا يهجمون على البيوت ويقتلون من فيها ما عدا

بيوت المسيحيين الذين كانوا يضعون عليها الصليب للتمييز ومن فر من عساكر  
الاسلام كانوا يلحقونهم في الحقول والاحراش ويقتلونهم ( وهكذا تكون  
سحابة الانسانية ) وفر باغديسيان فقتله بعض الارمن وجاءوا برأسه الى انطاكية  
لأما القلعة فكانت لم تنزل بيد المسلمين واقام بوهموند رايته في أعلى برج في  
المدينة دلالة على استيلائه عليها ومن هذا الوقت قد استنصر فيروز الخائن  
وأخيه بوهموند

### ﴿ محاصرة المسلمين انطاكية وظهور الحرب المقدسة ﴾

اقام الصليبيون بانطاكية ثلاثة أيام وعلي قول ابن خلدون ثلاثة عشر  
يوماً وهم في فرح وسرور لاستيلائهم على المدينة فاولموا الولاة وصرقوا  
أوقاتهم بالملذات والملاهي وفي اليوم الرابع من حلولهم فيها جاء قوام الدين  
كربوفا صاحب الموصل الى مرج دابق بالشام واجتمعت عليه العساكر فكان  
معه دقاق بن تمش وطغرل بك انايك وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان  
تماش صاحب سنجار وسقمان بن ارتق وغيرهم من الامراء المسلمين وجمعوا  
ما كان هناك من الترك والعرب وبادروا الى انطاكية وحصروها واضطرب  
الافرنج وخافوا وأخذ الضيق منهم كل مأخذ فلم يعد عندهم زاد ولم يكن لهم  
يد لاستجلاب الممدد لان القرى الواقعة بجوار انطاكية كانت قد باتت مدمرة  
من نتائج الحرب ولذلك تضايق المحصورون جداً وامسى حالهم تبيساً وبمدة  
وحيزة نفذ كل القوت والذخيرة حتى التزم الافرنج ان يأكلوا البهائم واضطرب  
كثير منهم الى الشجاعة فكانت ترى كثيرين من الامراء منهم كونت دي  
فلاندراطوف الازقة يطلب الصدقة وفر كثير من المحصورين طلباً  
للنجاة من الموت جوعاً وهكذا مضت مدة أيام على هذا المنوال فخارت  
قوى الجنود وضعت وكان المسلمون يعلمون ذلك فلما رأى الامير بوهموند

أمير ترانتا وانطاكية كسل أصحابه وتقاعدهم أحرق دورهم قصاصا لهم ولكن  
لسان اللهب تجاوز حده فامتد الى جهات ساء الامير حرقها الا ان تلك النار  
لم تحرك حماسة قوم اقدمهم الجوع الشديد والضعف ولذلك صارت الكهنة  
والامراء وبعض الناس يقصون انهم رأوا أحلاما ونبوات تفيدان الصليبيين  
سيغلبون أعداهم وذلك لتدب الحمية في قلوب أولئك الكسالى وتوصلا لما  
يريدون قال كاهن من أهل مرسيليا جنوبي فرانس اسمها بطرس برتولوني  
ان القديس اندراوس الرسول ظهر له في الحلم ثلاث مرات وقال له : اذهب الى  
كنيسة أخي بطرس بانطاكية وهناك بقرب الهيكل الملوكي تجد الحربه الحديد التي  
طعن بها جنب المسيح مدفونة في الارض وانه بمجرد حمل هذه الحربه أمام  
جيش الصليبيين يحصل له النصر .

ثم انتخب اثني عشر شخصا من الاعيان والكهنة ليكونوا شهودا على  
اكتشافها ولم يسمح لاحد من الجنود والاهالي بحضور الحفر الذي اشتغلوا به طول  
النهار وهم يدققون البعث فلم يجدوا شيئا والابواب مغلقة عليهم وبعد الغروب نزل  
الكاهن بنفسه وأحضرها

أما الحربه ففيها أقوال لان المؤرخين الاكليريكيين يقولون انها معجزة  
الهيبة وغيرهم يقولون ان الافرنج لما رأوا وهن عزائم جنودهم وانهم لا ينشطون  
بلا محرك فمال دبروا هذه الحيلة فنجحت نجاحا عظيما على انه بعد حين يسير  
انكشف الغطاء عن أعين كثيرين وبات جمهور غفير من الناس لا يركنون اليها ولا  
يصدقون بها

( نقلنا هذا بدون ابداء رأينا فيه وهو مجمل ما كتبه حضرة الفاضل  
جورجي افندي يني في كتابه تاريخ سوريا وكذلك ماجاء بكتاب ( الحروب  
المقدسة جزء أول )

وحينئذ فرح الصليبيون بهذه الحرب واجتمعوا في الكنائس واقسموا جميعاً بمداومتهم على الحروب وارسلوا بطرس السائح الى صاحب الموصل يطلبوا منه المقابلة في الحرب فوعدهم بالحرب وفي ثاني يوم خرج الصليبيون جميعاً وهجروا على جيش الاسلام وكان كربوغا جالساً في خيمته ظاناً بان المسيحيين قادمين الى طلب الصالح ثم التفت الى القلعة فوجد الراية التي عليها سوداء فعرف بان القوم جاؤا مهاجمين فانذهل واذا بكثيرين من جماعته يركضون مرتشين وأخبروه بان الصليبيين خرجوا عليهم مرتين جنودهم اثني عشر فرقة تحت رئاسة قوادهم هو كزوغودافرو وروبارتوس دي نورمنديا وادهار دي مونتيل وتنكريد وبوهيموند وان رايموندي اجيلاس يحمل الحربة لمامهم فامر الامير كربوغا بترتيب الجيش وأمر كل من صاحب حلب والشام ونيقيه بان يكمنوا وراء عساكر العدو لينعموهم عن انطاكية وبعد قتال شديد وهجوم ودفاع كاد ينتصر فيه المسلمون ولما كان في الاسلام من النفرة لصاحب الموصل تمت هزيمتهم وكان كربوغا في أوائلهم وذلك في ٢٩ يونيه سنة ١٠٩٨ وغنم الاقربنج غنائم لا تحصى جمعوا مالا غزرا فعادوا الى انطاكية بثروة عظيمة ثم ان من كان في القلعة لما علموا بهزيمة الجيوش الاسلامية القوا سلاحهم وسلموها فوقع بين بوهيموند أمير انطاكية وبين الكونت دي طولوز نفور وخصام بشأن تملكها ثم انتشبت في الصليبيين الامراض الوبائية حتى مات منهم كثيرون ومات أيضاً القائد ادهماردي مونتيل أسقف بوي ودفن في كنيسة ماري بطرس محل وجود الحربة ثم ساروا الصليبيون الى معرة النعمان وحاصروها حتى كلوا ثم امتلكوها واخشوا في استباحتها

### ✦ مسير الصليبيين من انطاكية قاصدين بيت المقدس ✦

بعد مضي نحو الستة شهور من استيلائهم على انطاكية ساروا الى جهة

سوريا العليا واجتازوا مقاطعة قيسارية وحماه وحمص وكانت أهالي البلاد  
تقابلهم بالترحاب تلافياً لعداوتهم وهكذا ساروا مسرعين الى ان وصلوا مدينة  
اركاس الكائنة عند سفح جبل لبنان فرفض أهاليها تسليمها ولذلك حاصرها  
قسم من الصليبيين تحت قيادة رايونند وتشكريد والدوك دي نورمندا وعساكر  
الكونت دي طولوز

وقسم آخر من عساكر فلاندر وهولاندا وانكلترا وبوهيموند سار  
الى ان وصل الى اللاذقية وهناك رجع بوهيموند الى انطاكية ولايته واعدأ  
اياهم بان يتبعهم فيما بعدويدركهم عند أسوار بيت المقدس  
وقسم ثالث برئاسة غودافرو واسطاكيوس سار الى ان وصل الى جبلة التي  
على شط البحر قريبة من اللاذقية وحاصرها بقوة

وقسم رابع برئاسة رايونند دي طوران حاصر طرطوز وامتلكها بعد  
هروب أهلها فالقسم الاول بعد محاصرته مدينة اركاس كما ذكر لم يتمكن من  
أخذها ففي آخر شهر مايو سنة ١٠٩٩ فقد صبرهم فساروا نحو فلسطين فقابلهم  
أمير مدينة طرابلس وبعد ان حاربوه وتغلبوا عليه صالحهم على مال وساروا  
قاصدين بيت المقدس ثم تقابل جميع الصليبيين وساورا معاً الى ان وصلوا الى  
عكا وحينئذ خرج اليها الذي كان تابعاً لخليفة مصر وأعلمهم بأنه مستعد  
لتسليمهم المدينة عند ما يستولون على بيت المقدس ولذلك تركوه الى ان  
وصلوا عمواس القديمة وهناك قابلم وفد من أهالي بيت لحم وطلبوا اغاثتهم  
فتوجه معهم الامير تشكريد ليلامعه ثلاثمائة نفر الى ان دخلها ليلا  
ووضع رايته عليها ثم ارتجع ولحق بقومه وهكذا ساروا الى ان وصلوا الى  
مدينة اورشليم



﴿ محاصرة الصليبيين لبيت المقدس واستيلاؤهم عليه ﴾

كان بيت المقدس تابعا لمملكة مصر السعيدة وكان الحاكم عليه افتخار الدولة من قبل الخليفة المستعلي بالله العلوي وكان قد أمر ببناء ما تهدم من السور وقت استيلاء الافضل بن بدر الدين قائد الجيوش المصرية من الامير سقمان بن ارتق واستعدادا بما يلزم للحصار ولما وصلت الصليبيون الى المدينة انمقد مجلس مشورتهم وقرر حصار بيت المقدس فكان كما يأتي في شمال المدينة دوك دي نور من دياو كونت دي فلاندر و تنكريد أي من باب هيردوس الى باب القديس اسطفانوس وكان غودافرو واسطاكيوس وبودوين دي بورغ حول جبل الجبلجله من باب دمشق الى باب يافا وكان الكونت دي طولوز ورايمود دي أورانج وغليوم دي مونت بلير وغاسطون دي بيرا على يمين غدافرو على جبل صهيون قبلي المدينة الى الغرب وهكذا أقيم الحصار مدة من الايام ثم انهم هجموا هجمة قوية على سور المدينة القديم بقصد هدمه فاخذ فريق منهم يهدم السور وفريق يدافع الى ان هدموا معظمه ودخلوا منه وارادوا هدم السور الداخلي فما أمكنهم ثم افتكروا في كيفية استيلائهم على المدينة وأخيراً قرروا بان يتسلقوا السور بالسلام الجلد والحبال التي معهم بكثرة وأخذوا يرمون السلام على شرافات السور فتعلق به وبهذه الوساطة صعد الى السور منهم كثيرون ولما نظروهم عساكر الاسلام هجموا عليهم باعلى السور واقتلوا الفريقان ودارة الدائرة على الصليبيين الذين فسروا الى معسكرهم بواسطة السلام أيضاً ومن هذا الوقت افتكروا بانه يلزمهم منجانيقات للقذف بها على السور والمدينة فاخذوا يبحثون على الاخشاب اللازمة لذلك حتي انهم هدموا منازل القرى المجاورة للمدينة وأخذوا أخشاب السقوف وكان ذلك في فصل الصيف وفي شدة الحر وعدم وجود مياه كافية لسقيهم لان حاكم المدينة كان أمر بهدم الصهاريج التي بالخارج



فناهم ظمأً شديداً لان نهر سلوان الذي كانوا يستقون منه كانت مياهه شحيحة ولم تكن تجري دائماً

وكانت قد وردت أخبار للصليبيين تبشرهم بان قد جاءتهم المراكب تحمل ذخائر وغيرها من جنوى فشملمهم الفرح والسرور وسار منهم قسم لاجل استحضار ذلك ولما توجهوا الى ناحية جوبه وجدوا مراكب الاسلام قد داهمت مراكبهم وحرقتها وكان ذلك بعد اخراج الذخائر الى البر ثم انهم نقلوا هذه الذخائر مع آلات الحرب ومن حضر معهم من المهندسين وتوجهوا الى بيت المقدس وكان أيضاً احد أهالي سوريا قد دل الصليبيين على حرش بعيد عن المدينة بمسافة ثلاثين ميلا في جبل بين وادي شخيم ووادي السامر فانطلق منهم قسم الى هناك وقطعوا اخشاب الحرش وحملوها على عربات تجرها البقر ولذلك صنعوا ثلاثة ابراج من الخشب كل برج ثلاث طبقات حتى صارت الابراج أعلى من سور البلد وعمل على الابراج جسر ولذلك فرح الصليبيون فرحاً شديداً ثم عقدوا مجلس مشورتهم ليعينوا يوم الهجوم وكيفيته وهذا المجلس قرر تغيير مواضع الحصار فنقلوا الابراج الخشبية الى شرقي المدينة عند باب سیدار تحت رئاسة دوك دي لورين وأقاموا المنجانيقات والاكباش تحت رئاسة تنكريد وروبارتوس من باب دمشق والبرج المقرن الذي دعى فيما بعد ببرج تنكريد

وفي يوم الخميس ١٤ يولييه سنة ١٠٩٩ هجم الصليبيون هجمة شديدة على كل جهات المدينة خصوصاً الابراج الخشبية التي كانوا يجرونها بمجمل الى أي جهة يريدونها وكانت مملوءة بالمحار بين تحت رئاسة غودافرو وأخيه اسطاكيوس وبودوين دي بورغ اللذين كانا بالبرج الاعلى وكانوا يصدرون أوامر الحرب من أعلا هذا البرج فيهمجمون بالابراج على أسوار المدينة وكذلك رؤساء المنجانيقات كانوا يتابعون الرمي بها بسرعة وعساكر الاسلام

تقابلهم كالأسود ولا يزالون من هذه الهجمات وكانوا يرمون الصليبيين بالمواد  
المتنبهة ومشتعلة بالزيت وكانت مركبة على الابراج آلات حربية كبيرة لصد  
هجمات الصليبيين وظل الفريقان في هجوم ودفاع طول اليوم المذكور بدون ان  
يظهر النصر لفريق منهم

وفي صباح اليوم الثاني بادر الفريقان للمحاربة واشتدت هجمات  
الصليبيين على المدينة ولكن حسن دفاع المسلمين منهم من التقدم الى السور  
فكان المسلمون قد وجهوا قوتهم ضد من في البرج الاعلى الذي كان فيه  
غودافرو ومن معه حتى انهم قتلوا أكثر عساكر دوك دي لورين وكان  
رايموند من ناحية المدينة القبلية مع جماعة يباشروا أعمالهم الحربية بصورة  
عديمة الوصف وكان تنكريد وروبارتوس من الجهة الشمالية وهكذا صار  
القتال منتشراً بينهم وكان الانتصار لجيش المسلمين الا ان الصليبيين رموا ناراً  
من الابراج الحشوية على آلات الحرب المركبة على السور فالتهمت وزادها  
الريح التهاباً وتطاير الشرار والدخان على عساكر الاسلام فاضطروا للتأخر  
عن الاسوار ولذلك نزل دوك دي لورين وغودافرو من الابراج ومعهم  
عساكرهم الى الاسوار وصاروا يقتلون من المسلمين من يجذوه ثم اتبعهم كثير  
من عساكر الصليبيين الذين كسروا باب القديس اسطفانوس بالفؤوس والمعاول  
ودخلت منه باقي العساكر الصليبية وكان ذلك في ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ لسبع  
بقيين من شعبان سنة ٤٩٢ وكانت مدة حصار المدينة أربعين يوماً ثم ان  
العساكر الصليبية فتكوا بالمسلمين فتكاذريماً وصاروا يقتلون الرجال والنساء  
والكبار والصغار والبنين والبنات وقتلوا داخل المسجد ماينوف عن سبعين  
الفاً من المجاورين فيهم العلماء والزهاد والعباد حتى كانت الجثث ملقاة في  
الازقة والاسواق وأخذوا من المسجد نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة زنة  
كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم و ١٥٠ قنديلاً من الصغار وتوراً من

الفضة زنته أربعون رطلاً شامياً وغير ذلك مما لا يحصى واعتصم باقي الاسلام  
بمحراب داود عليه السلام حتى استأمنوا وخرجوا ليلاً الى عسقلان وكان  
السبب في ذلك انه انعقد مجلس مشورة الصليبيين وقرر بان يقتل كل مسلم أو يهودى  
باق في المدينة فخرج المسلمون بعد الاستئمان والتجأ اليهود الى كنيسهم فحرقوا  
الصليبيون جميع الحي بما فيه الكنيس ومن فيها



وبعد ذلك انعقد مجلس مشورتهم لانتخاب أحدهم ليكون ملكاً على بيت  
المقدس وبعد مجادلات ومعارضات تم انتخاب أربعة وهم غودافرو ورايموند  
ودوك نورمانديا وتسكربدو وأخيراً عينوا اللجنة من الكهنة وغيرهم عددها عشرة  
لاجل ان ينتخبوا واحداً من الاربعة المذكورين فانهقدت اللجنة وقررت انتخاب

القائد غودافرو ولما أرادوا تنويجه ليكون ملكا على بيت المقدس أبي ان  
يلبس التاج قائلا لا يمكنه ان يضع علي رأسه تاجا من ذهب مرصعاً بحجارة  
كريمة في بلد توج فيها المسيح باكليل من شوك وأبي ان يلقب بملك القدس بل  
(بمحمي قبر المسيح)

\* واقعة عسقلان وانتصار الصليبيين فيها \*

بعد ان تملك الصليبيون بيت المقدس وصل صريح الاسلام الى الخليفة المقتدى  
ببغداد مستغيثين به فارسل وفداً الى السلطان بركيارق مؤلف من أبي محمد  
الدامغاني وأبي بكر الشاشي وأبي القاسم الزنجاني وأبي الوفاء بن عقيد وأبي  
سعد الحلواني وأبي الحسين بن السماك فساروا الى بركيارق يستصرخونه  
للمسلمين فانتهوا الى حلوان (غير حلوان مصر) وبانهم مقتل نجد الملك  
البارسلان وفتنة بركيارق مع أخيه محمد فرجعوا وكانت قد وصلت الاخبار  
الى مصر فاضطربت وأصبحت تخشى أن يصيبها مثل ذلك فسار أمير الجيوش  
الافضل الى سوريا لمحاربة الصليبيين وكانت أخباره وصلت الى بيت المقدس  
تفرج غودافرو ومعه تسكريدو الكونت دي فلاندر وروبارتوس دي نورمنديا  
وراييموندي طولوز وبطريق اورشليم الجديد ارنول وساروا قاصدين الجيوش  
المصرية الذين قابلوهم بجوار مدينة عسقلان وهناك أقام كل من الفريقين خيامه  
واصطفت العساكر لكل فريق قلباً وجناحين واقتتل الجيشان قتالاً شديداً  
كان النصر فيه للصليبيين وانهمزمت العساكر الاسلامية بعد ان قتل أكثرها  
ودخلت مدينة عسقلان ثم بعد انتهاء هذه المعركة رجعت الجيوش الصليبية  
الى اورشليم مسرورة لحصولهم على النصر وأمامهم الطبول تعزف

\* انتهاء الحروب الصليبية الاولى وسفرهم الى أوطانهم \*

بعد النصر الذي حصل للصليبيين في سهل عسقلان ورجوعهم الى بيت

المقدس حصل شقاق بين أمراء الاسلام على انه كان الواجب في مثل هذه الاحوال ان يتحدوا يداً واحدة لمقاومة الاغراب لكنهم جاؤا بالعكس فانقسمت الآراء وتشتت القوات تحارب بعضها بعضا لاسباب واهيه . ولما علم الصليبيون بانه لم يوجد أحد من المسلمين يحاربهم طلبوا الرحيل الى أوطانهم تاركين مدينة اورشليم وفيها غودافرو والامير تنكريد الذين رغبوا ان تكون وطناً جديداً لهم يقضوا فيه باقى ايام حياتهم وهكذا انقضت الحروب الصليبية الاولى التى استمرت أربع سنوات استولوا فيها على بلاد الروم الشرقية أى بر الاناضول والارمن وانطاكيه وبيت المقدس وأكثر بلاد سوريا وبلاد ما بين النهرين ( أى حكومة بودوين المستقلة ) ولما رجع باقى الجيوش الصليبية الى ممالكهم باوروبا ومقاطعاتهم جاءت اهلها اليهم فرحين بمقابلتهم ولما علموا بان الصليبيين جميعهم (ماعدا البعض الذى سافر الى وطنه) قد قتلوا ودفنوا في آسيا أخذوا اينديون وبولولون حتى انه لم يخل عائلة من نواح وبكاء وكذلك سافر بطرس السائح الى دير على نهر موزا واقام هناك الى ان مات

### \* ( الحروب الصليبية الجديدة ) \*

بعد وصول الصليبيين الاول الى بلادهم اتفقت الغيرة بين رؤساء العساكر الذين كانوا اقاموا باوروبا ولم يسافروا معهم ولذلك عزموا على تجريد حملة ثانية والتوجه الى البلاد الشرقية كي يتحصلوا على الانتصار والامتلاك مثل من سبقوهم فلذلك حملوا الصليبان كما دتتهم وتجمعوا من كل مملكة فكان من مملكة فرانسأ أخو سلطانها واسطفانوس كونت دى بولوز تحت رئاسة غويليوم التاسع كونت دى بواثير ومن ايطاليا الكونت دى بلاندراس البرتوس وانسلموس رئيس اساقفة مدبولان بجيوشهم الكثيرة العدد ومن مملكة النمسا الكونت كونراد قائد جيوش الملك اريكوس وفولف الرابع دوك دى

بافيريا والامير ايضا ومرغرا دي أوستريا وغيرهم وسار الجميع بجيوشهم الكثيفة الى ان وصلوا الى القسطنطينية فلاك القسطنطينية الكسيوس خاف من غوائل الصليبيين فاستدعى رايوندي دي طولوز الذي كان وقتئذ والياً على اللاذقية من قبله ولما حضر رايوندي المذكور منع الصليبيين من العيث ووعدهم بأنه سيكون رائدهم في طريق آسيا الصغرى ثم انهم عبروا الى البراشاني وهناك انقسموا ثلاثة أقسام

فالقسم الاول كان برئاسة رايوندي سان جيلاس ودوك دي بورغونيا والكونت دي شارتراس ورئيس أساقفة مدبولان والكونت دي بلاندراس وكان رئيس أساقفة مدبولان حاملاً للذخيرة المقدسة وهي ذراع القديس امبراتيوس التي جاءها من أوروبا ورايوندي كان أخذ معه الحربة المقدسة التي وجدوها بانطاكية فهذا القسم الذي كان مؤلفاً من مائة ألف عسكري بعد ان أخذ مدينة ايكوريه قام لمقاتلته سلطان نيقية وبلاد الروم الامير قايسج أرسلان وبصحبته صاحب الموصل الامير كربوغا فجمعوا جيوشهم وهاجموا على هؤلاء الصليبيين هجمة صادقة واشتبكت المعركة بين الجهتين في أرض هاليس وبعد قتال شديد فازت العساكر الاسلامية بالنصر وشتوا الصليبيين وبددوهم قفروا هارين في القفار الى قرب مدينة سينوبيا حيث تقابل كل من الكونت دي بلواز وفرايوندي دي سان جيلاس ودوك بورغونيا وجمعوا حولهم فضلات قليلة من باقي جيوشهم وأما القسم الثاني فكان برئاسة الكونت دي نافار وسار متقدماً في المسير الى مدينة اينكوريا قاصدين مدينة هيراكليا وهناك صادفتهم عساكر الاتراك المذكورون قبله وحملوا عليهم الى ان بددوهم عن آخرهم

وأما القسم الثالث البالغ قدره مائة وخمسين ألف مقاتل تحت رئاسة الكونت دي بواير والدوك دي بافيريا وهو كز دي فرمندوس فبعد ان امتلكوا مدينتي

فيلو وليوم وساماليا ساروا نحو مدينة سنكون مجتهدين في اتحادهم بعسكر  
القسم الثاني واذا بعساكر قايح ارسلان وعساكر الامير بوغالا اسلامية قد حملوا  
عليهم واقتتل الفريقان وكانت معركة مخيفة لان عساكر الاسلام اعمسوا في  
الصلبيين السيف حتي قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم أكثر من ألف شخص  
وفر الكونت دي فرمندوس من هذه المعركة مجروحاً الى ترسوس حيث  
مات هناك واما دوك دي بافيرا وكونت دي بواير فتاها هارين من مكان  
آخر حتي دخلا انطاكية التي كان قد سبقهم اليها كونت دي نافار هاربا وهناك  
اجتمع بقايا الصليبيين الذين نجوا من هذه الوقائع وكان عددهم عشرة آلاف  
قاصدين مدينة اورشليم أي القدس ثم حصلت لهم وقائع أخرى باراضي  
فلسطين بقرب مدينة الرملة انكسر فيها الصليبيون بأيدي عساكر الاسلام  
وفي هذه الواقعة قتل دوك بورغونيا والكونت دي بلواز ثم ساروا قاصدين  
أوطانهم مخذولين وسيأتي بيان هذه الواقعة سنة ٤٩٦ هـ وسنة ١١٠٢ أفرنكية  
مع العساكر المصرية

### ﴿محاصرة غودافرو ومدينة ارسور﴾

بعد ان تملك القدس غودافرو كما تقدم صار يرتب أحكامه كما يتراءى له  
وصدر أمره بان كل شخص يضع يده علي منزل أو أرض يجرئها سنة كاملة  
ويوماً تكون له مائة طلقاً شرعياً وكذلك كل من غاب عن عقاراته سنة  
ويوماً تؤخذ منه ولا يكون له حق فيها مطابقاً ثم انه رتب جزية علي الامراء  
المسلمين الذين كانوا قد خضعوا له مثل أمراء قيساريه وغيرها وأيضاً صدقوة  
العرب شمالي نهر الاردن ثم سار الى مدينة ارسور وحاصرها حصاراً شديداً  
لانها لم تخضع له ولما كان الحصار صعباً جداً علي المدينة وكان أهل المدينة  
أخذوا جيران دي افسانس أسيراً ثم انهم أدلوه بجبل أمام غودافرو وصرخ

طالباً من غودافرو ان يبقي حياته بواسطة رجوعه عن هذه المدينة وعدم حصارها فاجابه غودافرو على الفور بأنه لو كان أخوه اسطاكوس نفسه وطلب ذلك ما أمكنه قط وقال له الاحسن ان تسلم نفسك للموت بدل اخوانك الصليبيين ثم بعد ذلك قتلوه ثم ان غودافرو شدد الحصار على المدينة ولكن هذا الحصار لم يكسبه شيئاً لان آلات حربه حرقت عن آخرها بواسطة النار التي قذفت عليهم من داخل المدينة وحينئذ غودافرو قطع الامل من الاستيلاء على هذه المدينة ورفع الحصار عنها ورجع الى القدس

### ﴿ اجتماع الامراء الصليبيين بالقدس وانتخاب قانون لحكومتها ﴾

بعد رجوع غودافرو الى القدس آتته الاخبار بان عدداً عظيماً من أهل بيزا وجنوى التابعين لاطاليا برفقة رئيس أساقفة بيزا ديارتوس بصفته نائب بابوى والاسقف اريانوس قاصدين القدس للزيارة في عيد الميلاد ثم حضر أيضاً الى القدس كل من بوهيموند أمير انطاكية و بودوين أمير الرها و راييموند دى طولوز وكثيرون من القواد والرؤساء ثم ان غودافرو افتكر بان يعمل قانوناً لحكومته لترتيبها وتنسيقها فاعتنم فرصة وجود الامراء المذكورين فعقد جمعية في قصره الكائن في جبل صهيون بالقرب من كنيسة قبر المسيح وأعلمهم بما أصر عليه من ترتيب الحكومة بقانون يبين حقوق السلطان والموظفين والاشراف (القواد) والرعية كلا منهم بما يخصه ويلزمه فعينوا ثلاثة دواوين فالديوان الاول يعقد برباسة السلطان وتكون أعضاؤه القواد لاصدار الاحكام والترتيبات الشاملة لجميع الرعية. والديوان الثانى يكون رئيسه قائم مقام القدس وأعضائه أعيان المدن الكبار لكل مدينة عضو ويكون اختصاصه النظر فى الإيرادات والمصروفات وترتيب الحقوق والتدابير المدنية. والديوان الثالث للقضاء وهو يختص بالدعوى التي ترفع على الشرقيين ويكون رئيسه أحد قضاة



البلاد لاصدار أحكامه بما يطابق عوائدهم وهكذا انتهى هذا المجلس وقد  
حفظوا أصل القرار داخل كنيسة القيامة ثم تعين ديارتوس رئيس أساقفة  
بيزا بطريركا على القدس خلفاً لارنولد بطريركها المتوفي

\* (موت غودافرو سلطان القدس) \*

بعد انتهاء مجلس الامراء المذكور سافر كل منهم الى محله ثم توجه  
غودافرو مع تسكريد بجيشهما الى طبرية وامتلكوها واقام تسكريد حاكماً عليها  
ثم رجع غودافرو الى القدس وبعد أيام قليلة حصل له مرض شديد فجمع  
حوله القواد والكهنة وحرصهم على اتمام واجباتهم وأخذ عليهم الاقسام  
بدوام محاربتهم المسلمين ودوام محاماتهم عن البلاد التي امتلكوها لا يخرجياتهم  
وبعد أيام قليلة فاضت روحه في ١٨ يوليو سنة ١١٠٠ فبكاه الجميع لما كان  
موصوفاً به من العدل واحتفلوا بجنائزته ودفنوه باكرام بجذاء جبل الجليله  
بكنيسة القيامة بالقرب من قبر المسيح (كاعتقادهم) وقبره هناك يزوره  
الزوار الغربيون الآن

\* (انتخاب بودوين سلطاناً للقدس) \*

بعد موت غودافرو طمع في هذه الوظيفة ديارتوس البطريرك وارسل  
الى بوهموند بانطاكه لمساعدته على ذلك ثم جمع القواد والرؤساء وعقدوا  
مجلساً لاجل انتخاب سلطان عليهم بدل المتوفي مقدماً نفسه لهذه الوظيفة  
السامية وحينئذ اهل المجلس رفضوا تعيينه عليهم سلطاناً وكذلك بوهموند  
أرسل اليه برفض المساعدة ثم ان هذا المجلس قرر باتحاد الآراء انتخاب  
بودوين ملك الرها وشقيق غودافرو ليكون سلطاناً عليهم ثم أعلموه بذلك  
فقبل هذا الانتخاب وعين بدله ابن عمه بودوين دي بورغ ملكاً على ما بين  
النهرين (الرها) وسار هو قاصداً القدس ومعه جيشه فتقابل مع دقاق أمير

دمشق وجنح الدولة أمير حصص بعيداً عن بيروت بمقدار تسعة أميال وتجارها  
وانتهت الحرب بهزيمة المسلمين وسار بودوين الى ان وصل الى القدس ودخلها  
باحتراف عظيم اقامه له أهل المدينة

ثم ان بودوين اراد ان يوسع مملكته فأخذ جيشه وسار قاصداً مدينة  
عسقلان ليمتلكها وبعد قتالها انهزم راجعاً الى القدس وشرع في تويجه  
بيت لحم ولبس التاج الملوكي وكان الامير تنكريد والى طبرية لم يعترف  
بملك بودوين على القدس لما بينهما من العداوة القديمة التي ظهرت بناحية  
طرسوس كما تقدم وكان بودوين يرغب مصالحة تنكريد ولكونه سلطاناً لم  
يسمح بالتنازل وطلب الصلح من تنكريد غير ان المصالحة تمت بينهما عند  
مقابلتهما معاً بميناء حيفا فتصالحا وتعانقا ولكون بوهموند أمير انطاكية قد  
وقع اسيراً في يد المسلمين كما يأتي في أخباره وظلت انطاكية خالية من حاكم  
فيئذ تعين تنكريد حاكماً على انطاكية

ثم انه جاءت سراكب من ناحية جنوى مشحونة بالعساكر الذين وعدهم  
بودوين بأنه يحارب معهم وكل ما يملكه من الغنائم يعطيهم ثلثه وكل بلد يملكها  
يجعل لهم فيها طريقاً باسم اهالي جنوى ثم سار معهم وامتلك مدينة ارسور  
( لعلها ارسوف ) سنة ١١٠١ التي لم يقدر اخوه غودافرو على امتلاكها ثم سار  
وانتصر على مدينتي اوباتريدا وقيساربه ثم سار قاصداً عسقلان وكانت مصر  
قد ارسلت جيشاً بقيادة سعد الدولة فسار الجيش وما زالوا حتى التقوا بالجيوش  
الصليبية عند اسوار عسقلان فخاربوها فارجعوها على اعقابها

### \* خلافة الأمر باحكام الله وواقعة عسقلان \*

في يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٠٥ هـ توفي الخليفة العلوي المستعلي بالله  
بالقاهرة بعد ان حكم سبع سنوات وشهرين وله ولد اسمه المنصور لم يبلغ

السادسة من عمره بوصاية شاهين شاه الذي كان وصياً على المستعلى أيضاً وكان قد عهد اليه ان يلقبه عند مبايعته بالآمر باحكام الله ففعل وكان ذلك موافق سنة ١١٠١ أفرنكيه ثم بعث الافضل أمير الجيوش بمصر ابنه شرف المعالي بالمساكر الي عسقلان فتقابل مع بودوين ملك القدس بالرمله وكان معه بقايا الجيوش الصليبية الثانية الذي كان قد هلكهم قليج ارسلان وكربوزا كما تقدم برئاسة كل من فولف الرابع دوك دي بافيرا وغيلوم التاسع كونت دي بوانسير وجفرو دي باندوم وهو كزدي لويزينان وادواس دوك دي بورغونيا واستفانوس كونت دي بلواز واورين كونت دي باري واشتبك بينهم الحرب وقتل من الصليبيين في الحرب استفانوس كونت دي بلواز وادواس دوك دي بورغنيا واورين دي باري وقع أسيراً ثم مات واختنق بودوين في الشجر ونجا الي الرملة مع جماعة من زعماء الافرنج فصرهم شرف المعالي خمسة عشر يوماً حتى أخذهم فقتل منهم أربعمائة وبعث ثلثمائة الي مصر ونجا بودوين الي يافا ووصل في البحر جوع من الافرنج لازيارة فندبهم بودوين للغزو وسارهم الي عسقلان وهناك حاربوا الرمله التي كانت استولت عليها عساكر الاسلام وامتلكوها ورجع بودوين الي القدس

\* بوهيموند أمير انطاكية وما جرى له \*

في سنة ١١٠١ وقع بوهيموند أسيراً بيد الاسلام وسارت انطاكية خالية من حاكم الي ان حصل الصلح بين بودوين وتسكريد كما تقدم وتعيين تسكريد حاكماً على انطاكية ثم في سنة ١١٠٣ نجا بوهيموند من الاسر بعد ان اقام بالاسر سنتين ونصفاً واتي الي انطاكية وكان بوهيموند مستقلاً بانطاكية لا يعترف بسيادة القدس على مدينته ولذلك تحارب مع الملك الكسيوس ملك الروم مرات كثيرة كان النصر بينهم سجلاً تارة الي بوهيموند وتارة الي الملك

الروم ثم ان بوهيموند اتحد مع بودوين دى بورغ ملك الرها وجوسلين دى كورتناى وتشكريد لسي يجاربوا مدينة حران الكائنة بين النهرين وساروا الى أن وصلوا حران وكادوا يملكونها فحينئذ وقع الخلاف بينهم لان كلا منهم كان يريد امتلاكها باسمه حتى كادوا ان يجارب بعضهم بعضاً وبينما كانوا في هذه المتخاصمة واذا بعساكر اسلامية اتهم من الموصل وماردين فضربوا عليهم حصاراً من كل الجهات وحملوا عليهم حملة صادقة كادت ان تبيدهم عن آخرهم فوقع بودوين دى بورغ أسيراً وكذلك جوسلين عند الامير سقمان وأما بوهيموند وتشكريد ففرامن الموت هارين الى ان وصل مع القليلين الذين نجوا من الذبح الى انطاكية . ثم ان بوهيموند وجد نفسه واقماً بين قوتين لاقدرة له عليهما ولا يمكن ان يحمي نفسه منهما وهما الكسيوس ملك الروم من جهة والمساكر الاسلامية من جهة أخرى فاضطر الى الهرب الى أوروبا كي يحرك أهل الغرب الى معونته ولكي يخفي عن أعدائه هذا التدبير الذى عزم عليه قد اشاع عن نفسه بانه مات واختفى في مكان مجهول في سنة ١١٠٤ وبعد ذلك لبس ثوباً محزناً ونزل في مركب وسار من وسط مراكب ملك الروم بدون معلومية أحد به الى ان وصل مدينة كورفو وصعد من المركب الى البر وأرسل يقول الى القائد الرومى بان يخبر ملكه بان بوهيموند قد قام من الموت وعن قريب يشاهده في القتال ثم وصل الى ايطاليا وانطرح على اقدام البابا بسكوال الثانى وطلب منه المعونة والمساعدة فقبله البابا وسلمه سنجق (علم) القديس بطرس الرسول ووعده بالاسعاف ثم سار بوهيموند الى ان وصل الى مملكة فرنسا فصادف في البلاط الملوكى استقبالا عظيماً وأكرمه ملك فرنسا فيليب الاول اكراماً زائداً وزوجه ابنته قسطنسا سنة ١١٠٦ ثم جهزه ملك فرنسا بجيوش كثيرة وقد استحصل أيضاً على جيوش اسبانية ثم سار الى ان وصل ايطاليا فتبعه جيش عظيم ثم انه نزل بالمراكب من مدينة

جاري باقليم نابولي التابع لمملكة ايطاليا ثم انه طلع على بلاد الروم وحاصر مدينة دورالسيوس سنة ١١١١ وأما بودوين دى بورغ ونسيبه جوسلين فبعد أسرها خمس سنوات رجعا الى ولايتهما وكان أخذها جكرمس من سقمان الذي أسرها ثم أخذها جاولى ملك الموصل وأطلقهما بشروط منها ان يطلق الاسرى المسلمين الذين ببلادهما وان يمدهم بنفسهما وبمساكرهما متى احتاج الى ذلك وعلى مال دفعاه قدره ثلاثون ألف دينار

### ﴿ استيلاء الافرنج على عكا ﴾

ان بودوين اراد اتساع مملكته خصوصاً ببلاد الساحل لتتصل ببلاده ببلاد أوروبا فلذلك عزم على محاربة مدينة عكا وامتلاكها فجمع جيشه وجيش جنوى الذي كان قادماً للزيارة بمراكبه وطالب اليهم بودوين المساعدة في الحرب ولهم ثلث المكسب فسار بهم ورجالهم قاصداً مدينة عكا فلما وصل حاصرها برأ بجيشه وحاصرها بجزراً بمراكب الجنويين البالغ عددها سبعين مركباً وكان ذلك سنة ١١٠٤ الموافقة سنة ٤٩٧ هجرية وكانت عكا في ذلك الحين تابعة لمصر وحكمها يدعى زاهر الدولة ويلقب بالجيوشى لانه كان من اتباع أمير الجيوش وطال امد الحصار حتى مل الصليبيون الانتظار وبعد حصول معارك كثيرة اظهر فيها المسلمون شجاعة عجيبة وانتهى الامر بان طلب الامير زاهر الى بودوين الصلح على تسليم المدينة بشرط ان يخرج المسلمون بامتعتهم فقبل بودوين ذلك منهم واعطاهم اماناً ولذلك رمواله مفاتيح المدينة من فوق السور واما الجنويون الذين كانوا المراكب فانهم لما نظروا غنى أهل المدينة لم يعتبروا الامان الذي اعطاهم بودوين وهجموا على أهل البلد يسلبون ويقتلون وأخذ بودوين يتوسل الى الجنويين ليمتنعوا عن التمسك بأهل المدينة فما أمكنه وفر

الامير زاهر الى مدينة دمشق ومنها الى مصر

### ﴿ محاصرة مدينة طرابلس ﴾

كان رايوندي دي طولوز ( مؤرخو العرب يقولون صنجيل ) قد لازم حصار طرابلس وزحف اليه قايج ارسلان صاحب بلاد الروم فظفريه وعاد رايوندي مهزوما وفي سنة ٤٩٥ هـ الموافق سنة ١١٠١ م حاصر المدينة رايوندي وشد الحصار وأعان أهل الجبل والمسيحيون من أهل سوادها ثم صالحه الامير نجر الدولة ابن عمار صاحبها على مال وخيل ورحل عنها رايوندي الى طرسوس فحاصرها ومالكها عنوة واستباحها ثم سار الى حصن العاومار وصاحبه ابن العريض فامتع عليهم وقتلهم رايوندي فهزموا عسكره وأسروا زعيما من زعماء الافرنج اقتداه رايوندي بعشرة آلاف دينار وألف أسير

وفي سنة ٤٩٧ هـ الموافق ١١٠٣ م سار رايوندي وقد جاءتة أمداد الافرنج بجرأ الى طرابلس فحاصرها برأ وبجرأ فلم يجد فيها مطمعا فعاد عنها الى جبيل وتسلمها بالامان من صاحبها ابن صليحه ثم سار رايوندي المعروف عند العرب بصنجيل الى طرابلس فحاصرها وبني بالقرب منها حصناً وبني تحته وبناً وهو المعروف بحصن صنجيل فخرج ابن عمار صاحب طرابلس فأحرق الرض ووقف رايوندي على بعض سقوفه المحروقة فانخسف به فريض وبقي عشرة أيام ومات فحمل الى القدس ودفن فيه ودامت الحرب بين أهل طرابلس والافرنج خمس سنين وظهر من صاحبها ابن عمار صبر عظيم الى ان قتل الافوات واقتر الاغنياء

وفي سنة ٥٠١ هـ الموافق سنة ١١٠٧ م توجه نجر الدولة أبو علي بن عمار من طرابلس الى بغداد مستفراً لما حل بطرابلس وبالشام من

الافرنج واجتمع بالسلطان محمد ملك شاه وبالحليفة المقتدر فلم يتحصل منهما على فائدة فعاد الى دمشق وأقام عند طفتكين ثم احتسى أهل طرابلس بخليفة مصر الأمر بأحكام الله فخماهم وبعث الافضل الى طرابلس احد أوليائه وتملكها باسم خليفة مصر وأرسل اليها بعد ذلك عمارة بحرية تدفع عنها الصليبيين فتأخر وصولها لمعاكسة الريح لها الى ان أتى بارتراندين رايونند من أوروبا بعمارة بحرية قوية فحاصر المدينة ودخلها عنوة في ١١ ذى الحجة سنة ٥٠٣ الموافق ٢ يولييه ١١١٠ وقتل قسما من أهلها واستعبد القسم الآخر وصارت طرابلس ملكا لبارتراندين رايونند دي طولوز

\* (باقي ولاية بودوين الاول على القدس) \*

استقر بودوين في مملكته بعد سفر أهل ييزا وجنوى بمرأكهم مستقلا ببلاده مدافماً عنها صاداً هجمات المسلمين الذين كانوا قد استولوا على بلاده وكادت أن تنصب أعلامهم فوق جبل صهيون نفسه ولكن جاءت امداد الصليبيين الى بودوين فأسمعته وردت المسلمين عن بلاده ثم سار بودوين الى بيروت وحاصرها براً وبحراً شهرين في سنة ١١١٠ فملكها بالسيف وقتل منها نفراً كثيراً وطارت شهرة الانتصارات الصليبية الى أقصى بلاد أوروبا حتى جاء الى القدس ماينوف عن عشرة آلاف عسكري نرويجي بقيادة ملكهم سيفور بن ماينوس الثالث في عمارة مؤلفة من مئتي مركب وكانت قد خرجت هذه العمارة من مملكة نروج في شمالي أوروبا وسارت في البحر المحيط (لعله الاوقيانوس الاطالانطيكى) تامة ثلاث سنوات الى ان وصلت الى مدينة يافا سنة ١١١٠ فلما علم بودوين بوصولهم ذهب لملاقاتهم واستحلفهم بان يجاهدوا معه فقبل سيفور طلبه هذا بدون مكافئة سوى قطعة من خشب صليب الصليبوت وساروا الى ان وصلوا الى القدس وبعد أيام قاموا قاصدين مدينة صيدا

مُحاصروها مدة ستة أسابيع أظهر أهلها في أثناءها الشجاعة والقوة  
وأخيراً امتلكها الصليبيون وغنموا منها غنائم عظيمة اقتسمها كل من  
بودوين ملك القدس وسيفور ملك النروج وأخذ الملك سيفور قطعة من  
صليب الصلبوت وسافر إلى بلاده فرحاً مسروراً بهذه الذخيرة المقدسة التي  
وضعها في كنيسة دورتم

ولما رجع بودوين إلى عاصمة ملكه علم بان جيرفيز حاكم طبرية قد  
وقع أسيراً في أيدي المسلمين فشعله الحزن الشديد لانه كان يحبه محبة  
عظيمة وبعد ذلك وردت رسل من عسكر المسلمين إلى بودوين يطلبون  
منه فدية حبيبه المذكور وان تكون الفدية ان يرد اليهم عكا وبافا وغيرها  
فرد بودوين الجواب اليهم قائلاً اني بطيب خاطر أفديه منكم بمال عظيم  
أدفعه لكم وأما البلاد فلا أعطيها لكم ولو كانت فدية عن أخي نفسه أو  
عن جميع الامراء الصليبيين ولما رجعت الرسل إلى دمشق بهذا الجواب  
قتلوا جيرفيز ومن معه

وفي سنة ١١١٢ مات تنكريد قائمقام انطاكية فحزن عليه بودوين وباقي  
الامراء الصليبيين ثم حصل تغير في الجو ونزل ضباب هيبى أحرق المزروعات  
وبسبب ذلك حصل قحط ومجاعة ثم حصلت زلازل شديدة هدمت جملة مدن  
من إقليم كليكيا وكذلك الابراج التي حول سور مدينة الرها وقلعة مدينة  
حلب قد اندكت وهدمت باندفاع مخيف وقد هدمت كنائس وعمارات شاهقة  
في مدينة انطاكية من أساسها وكذلك الباب البحري وأبراجه وفي أواخر  
سنة ٥١١ خرج بودوين ملك القدس لاقتحاح مصر بجيش غفير فوصل الفرما  
فاستولى عليها ودمج أهلها وأحرق جوامعها وهم إلى مصر فداهمه مرض حمله  
على العود واجتمعت حوله جميع الامراء والقواد فآخذ يشجعهم ثم حلفهم بان  
لا يدفوه في أرض غريبة وطلب منهم نقل جثته ودفنها بالقدس بجوار أخيه



ثم أمر خدامه بكيفية دفنه وسألوه عن يكون عليهم سلطاناً بعده فاجابهم بأنه قد ترك هذا النخت لشقيقه اسطيا كيوس اذا كان يرغب في الاقامة بفلسطين والا يكون لابن عمه بودوين دي بورغ أمير الرها ومات في سنة ١١١٨ وهو راجع الى القدس قبل ادراك العريش فزعوا أحشاه ودفنوها في مكان لا يبعد كثيراً من العريش في وسط أرض رملية وأقاموا على قبره حجراً كبيراً ولا يزال ذلك المكان معروفاً الى ايامنا هذه باسم رمال بردويل (وهو تحريف لفظ بودوين والبعض يقول بقدوين) أما حجته فحملوها الى بيت المقدس ودفنوها هناك بجوار أخيه غودافرو

### \* جمعيات الرهبان الصليبيين \*

كانت قبل استيلاء الصليبيين على القدس جمعية هناك باسم (ضياف الغربا) وهذه الجمعية تمتلك نزلاً أو فندقاً لاجل اقامة الغرباء من زوار القدس وكانت هذه الجمعية تقدم لازوار المأكل ولما استولى الصليبيون على المدينة أوسعوا نطاق هذه الجمعية واكتبوا لها بمبالغ مالية وأضافوا على عملها معالجة الجرحي وتنازل كثير من الشبان عن ميراثهم لهذه الجمعية مثل رايوند دي بوي ودودون دي كومباس من أهالي دوفينه وغسطون من مدينة بردواس وكونون دي مونته من مدينة أوفرينا ثم تشكلت بالمدينة جمعية باسم الهيكليين كإسياني بيانه

ثم أنشئت كنيسة عظيمة باسم القديس يوحنا المعمدان تابعة لجمعية ضياف الغربا وأنشئت أيضاً فنادق لاجل اقامة المرضى والجرحي ومنازل لاجل سكن أعضاء الجمعية الذين من وظيفتهم معالجة المرضى والجرحين الذين تلقبوا باسم رهبان القديس يوحنا المعمدان وكانوا يقبلون فقراء الزوار بهذه الفنادق ويقدمون لهم ما يلزمهم من أكل ولبس وغيره من أنواع الخدم بغاية الشرف

والممنونة ببشاشة تامة وفي سنة ١١٠٤ حينما كانت هذه الجمعية تحت رئاسة  
 ورايموند دي بوى اضيف على شروطها بانه يجب على الاعضاء الخدمة العسكرية  
 فكانت هذه الجمعية من اكبر الجمعيات وساعدت حكومة الصليبيين المساعدة  
 التامة لان اعضاءها كانوا يحاربون في وسط صفوف الصليبيين براية خصوصية  
 شقتين بيضاء وسوداء ثم يتوجهون الى الفنادق لاجل عيادة المرضى وخدمة  
 الزوار الفقراء وبهذه الصفة انتشرت هذه الجمعية في ممالك أوروبا وعين من  
 اعضائها من يتجول في أوروبا لاجل جمع الصدقات والتبرعات وآخرين  
 لاجل تحصيل ايراداتها الخصوصية وذلك جميعه للانفاق على الجمعيه ومستلزماتها  
 ١٠ أما الجمعية الثانية المسماة بجمعية الهيكلين فانها تأسست سنة ١١١٨ من تسعة  
 أشخاص فرنساويين وكانت شروط هذه الجمعيه هي ان تحمي جميع الزوار  
 الواردين من أوروبا الى القدس ومحاربة المسلمين ثم تبهم عدد وافرو تأيدت  
 هذه الجمعيه من الامراء والملوك وتخصص لها انعامات سامية من الاحبار  
 الرومانيين وصارت جميعه رهبانية عسكرية وكان السبب في تسميتهم هيكلين هو  
 ان بودوين الثاني الذي سيأتي ذكره شيد لها منزلا كبيرا كدير فوق دنار  
 هيكل سايمان وكان علم هذه الجمعيه مكتوبة عليه هذه الالفاظ. الداووديه  
 (٠٠ لالنايارب ٠٠ لالنا ٠٠ لكن لاسمك أعط المجد ) وكان لهذه الجمعيه شأن  
 كبير في محاربة الاسلام

### \* ( في ولاية بودوين الثاني ) \*

بعد دفن جثة بودوين الاول اجتمع جميع قواد العساكر ورؤساء  
 الكنائس وقرروا تعيين بودوين دي بورغ أمير الرها سلطاناً عليهم حسب  
 وصية بودوين الاول وأعلنوا بودوين المذكور في الرها قبل هذا التعيين  
 وتنازل عن اماره الرها الى جوسلين دي كورتناي وترك أمرها وسافر

الى القدس فقابلوه باحترام عظيم وأجلسوه على تخت ملكه وتسمى باسم  
يودوين الثاني

\* وفاة الامام المستظهر بالله العباسي وخلافة ولده المسترشد بالله \*

في سادس عشر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ توفي الامام المستظهر بالله  
أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله وكان عمره ٤١ سنة  
و ٦ أشهر و ٦ أيام وخلافته اربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر واحدى عشر  
يوماً وحكم فى أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم ببغداد من السلجوقيين وهم  
أخو ملكشاه تاج الدولة تنش وركن الدولة تكياروق بن ملكشاه وأخوه  
غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان المستظهر كريم الاخلاق لين الجانب  
مشكور المساعى يحب العلم والعلماء وكان يسارع الى أعمال البر حسن  
الخط جيد التوقيع ولما توفي صلى عليه ولده المسترشد بالله وبعده بويغ  
لولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر وكان  
ولى عهد قد خطب له ثلاث وعشرين سنة فبايمه أخواه وهما أبو عبد الله  
محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدى بأمر الله وغيرهم من العلماء  
والامراء والقضاء والاعيان وكان المتولى لاختد البيعة القاضى أبو الحسن  
الدامغاني وكان نائباً عن الوزارة فاقره المسترشد بالله عليها ثم عزله عن نيابة  
الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الريدب أبي منصور وزير السلطان محمود

\* واقعة ايلغازي مع الصليبيين بحدود انطاكية \*

فى سنة ٥١٣ سار الافرنج الى نواحي حلب ونازلوها واخربوها ولم يكن  
بجلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً وخافهم أهلها ولو مكنوا من القتال  
لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الافرنج أهل حلب على ان  
يقاسموهم املا لهم التي بباب حلب وكان الامير ايلغازي صاحب حلب بيده

ماردین یجمع العساكر والمتطوعة للفرزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً وكان  
 معه اسامة بن المبارك بن شبل الكلالي والامير طغان ارسلان بن المكر  
 صاحب بدليس وارزن فسار بهم الى الشام عازماً على قتال الافرنج بناحية  
 انطاكية فلما علم بذلك روجار دى سيسايا الوصى على ابن بوهيو وند صاحب  
 انطاكية ارسل الى بودوين الثاني ملك القدس يطلب مساعدته ولكن قبل  
 ورود ملك القدس اليه سار بجيشه البالغ ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف  
 راجل فزلوا قريباً من الانارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس  
 لها طريق الا من ثلاث جهات وقد ظن الافرنج بانه لا يمكن للمسلمين السلوك  
 اليهم لضيق الطريق فاخذوا الى المطاولة وارسلوا الى ايلغازى يقولون له  
 لا تعب نفسك بالمسير الينا فحن واصلون اليك فاعلم اصحابه بما قالوه واستشارهم  
 فيما يفعل فاشاروا بالركوب من وقته ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من  
 الطرق الثلاثة فلم يشعر الافرنج الا واوائل المسلمين قد غشيتهم فحمل الافرنج  
 جملة منكراً وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا الافرنج من جميع جهاتهم  
 واخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع  
 واسروا وكان في جملة الاسرى ما ينيف عن سببن فارساً من مقدميهم حملوا  
 الى حلب فبدلوا في نفوسهم ثمانمائة الف دينار فلم يقبل منهم وقتل روجار وحمل  
 رأسه وكان ذلك في منتصف شهر ربيع اول سنة ٥١٣ هـ موافقة سنة

١١٢٠ م

ثم جاءت الجيوش الصليبية التي كان طلب روجار مساعدتها كما ذكر  
 تحت رئاسة بودوين الثاني ملك القدس ومعه امير الرها وطراباس فهجموا  
 على العساكر الاسلامية هجمة شديدة خصوصاً رجال جمعية يوحنا المعمدان  
 انتهت بهزيمة العساكر الاسلامية وبعد ذلك رجع بودوين الى القدس  
 وكذلك جوساين سار الى جهة طبرية فسكس طائفة من طيء يعرفون ببنى

خالد فاخذهم واخذ غنائمهم وسألمهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروه  
 أنهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوساين مائة  
 وخمسون فارساً من أصحابه وسار هو في خمسين فارس على طريق آخر  
 ووعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فارادوا الرجيل فتمهم  
 أميرهم وكاتوا في مائة وخمسين فارساً فوصلهم المائة وخمسون من الافرنج  
 معتقدين ان جوساين قد سبقهم أو سيدركهم فاضل الطريق وتساوت القوتان  
 فاقتلوا وطغنت العرب خيولهم فجمعوا اكثرهم رجاله فقتل من الافرنج سبعون  
 واسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالا جزبلا وعدة  
 من الاسرى واما جوساين فبلغه خبر الواقعة وهو ضال الطريق فسار الي  
 طرابلس فجمع بها جمعاً وسار الي عسقلان فاغار على بلدها فهزمه المسلمون  
 هناك فماد مغلولاً

\* قتل الافضل بن بدر الجمالي وزير مصر \*

في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٥١٥ قتل أمير الحيوش الافضل بن  
 بدر الجمالي وهو وزير الحاكم بأمر الله خليفة مصر وكان قد ركب الي خزائن  
 السلاح ليفرقه على الجنود على جاري المارة في الاعياد فسار معه عالم كثير  
 من الرجالة والخيالة فتأذى بالغباب فامر بالبعد عنه وسار منفرداً ومعه رجلان  
 قصادف رجلين بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء ثالث من  
 ورائه فضربه بسكين في خصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة  
 وحملوه الي داره فدخل عليه الخليفة وتوجع له وسأله عن الاموال فادله  
 عليها فلما توفي الافضل بقي الخليفة في داره نحو اربعين يوماً والكتاب بين  
 يديه والدواب تحمل وتنقل ليلاً ونهاراً ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء  
 القليلة الوجود مالا يوجد مثله لغيره واعتقل اولاده وكان عمره ٥٧ سنة وكانت

وزارته ثمانيا وعشرين سنة منها آخر أيام المستضيء وجميع أيام الأمر باحكام  
 الله ثم ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحي ولقب المأمون وتحكم في الدولة

\* محاربة بلك بن بهرام مع جوسلين أمير الرها وأسرته \*

في سنة ٥١٥ الموافقة سنة ١١٢١ م سار بلك بن بهرام ولد أخي  
 أيلغازي إلى مدينة الرها فحصرها وبها الأفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر  
 بها فرحل عنها فجاءه رجل تركاني وأعلمه أن جوسلين صاحب الرها وسروج  
 قد جمع الأفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك أصحابه وبقي  
 في أربعمائة فارس فوقف مستعداً لقتالهم وأقبل الأفرنج ولكن من لطف الله  
 أن الأفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء فصارت وحلاً فغاصت  
 خيولهم فيها فلم تتمكن من الإسراع مع ثقل السلاح والفرسان فرماهم  
 أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسلين وصهره غاليران  
 وكبلوهم بالحديد وطلب من جوسلين أن يسلم الرها فلم يفعل وبذل في فداء  
 نفسه أموالاً جزيلة وأسرى كثيرة فلم يجبه إلى ذلك وحملوهما إلى قلعة  
 خرتبرت وسجنوهما بها وأسر أيضاً جماعة من فرسانهم المشهورين  
 فسجنوا معهم

\* محاربة بلك مع بغدوين ملك القدس وأسرته \*

في سنة ٥١٧ الموافقة سنة ١١٢٣ م جمع بغدوين رجاله وسار قاصداً  
 مدينة خرتبرت بديار بكر للاستيلاء عليها ونحايص جوسلين من الأسر وكان  
 يملك محاصراً قلعة كركر قبله بجيء بغدوين فرحل إليه والتقى وأقتلها فهزم  
 الأفرنج وأسر ملكهم بغدوين ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وسجنوا  
 جماعة خرتبرت مع جوسلين ومن معه

ثم اجتمع نحو خمسين ارمينيا وتحالفوا على تخليص ملك القدس من الاسر  
 فغيروا ملابسهم واخفوا سلاحهم تحتها ودخلوا قلعة خرتبرت منفردين الى أن  
 صاروا من الداخل وهناك اظهروا اسلحتهم وأخذوا يقتلون العساكر حراس  
 السجن وكسروا قيود المسجونين وأرادوا خلاصهم ونصبوا علم الصليبيين علي  
 القلعة فباغتتهم العساكر الاسلامية وحاصروا القلعة بما فيها ولم يتمكن أحد  
 من الهرب الا جوسلين أمير الرها وظل بودوين ومن معه في السجن وأما  
 الخمسون ارمينيا فذبحوا عن آخرهم وكان بلك صاحب القلعة قد توجه الى  
 حران ولما بلغه ماجرى بالقلعة عاد في عساكره اليها وحصرها كما ذكر وأما  
 جوسلين فانه اقسم بان لا يخلق ولا يشرب الخمر حتى يتوجه لزيارة القدس  
 ويسمى في تخليص الاسرى

\* ( ورود أهل البندقية للاشتراك مع الصليبيين ) \*

لم يشترك أهل البندقية في المحاربات الماضية مع الصليبيين لكونهم يشتغلون  
 بالتجارة ولما رأوا ان أهل بيزا وجنوى قد توجهوا الى بلاد فلسطين  
 وانصروا وربحوا غنائم كثيرة تفوق على ارباح التجارة أخذتهم الغيرة  
 واستعدوا وتجمعوا تحت رئاسة دونك مخايل مقدم مشيخة البندقية بعمارة  
 بحرية مركبة من واحد وعشرين مركباً وساروا الى أن وصلوا الى عكا  
 وهناك طلعموا وساروا في البر قاصدين القدس فاحتفل بهم ثم عقد مجلس  
 المشورة وقرر محاربة العساكر الاسلامية فحاصروا مدينة صور وذلك بعد  
 مداوات كثيرة لعدم اتفاقهم على المحاصرة هل تكون على صور أو على مدينة  
 عسقلان فاخيراً اقرروا على محاصرة صور كما تقدم

\* ( استيلاء الصليبيين على مدينة صور ) \*

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر الى سنة ٥٠٦ فلما عزم ملك

الافرنج على محاصرتها خافه اهلها فارسلوا الى اتابك طغتكين صاحب دمشق  
 يطلبون منه ان يرسل اليهم أميراً من عنده يتولى أمرهم ويحميهم وتكون  
 البلد له فسير اليهم عسكرياً وجمل عليهم والياً اسمه مسعود وكان شهماً شجاعاً  
 عارفاً بالحرب ومكايدها وسير اليهم ميرة ومالا فرقه عليهم فطابت نفوس أهل  
 البلد ولم تزل الخطبة للخليفة الأمر وكتب الى الافضل بمصر يعامه بما كان  
 ويقول انه متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب  
 ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك واثنى  
 عليه وصوب رأيه وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقامت احوال اهلها  
 الى سنة ٥١٦ بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا وأمر المقدم على الاسطول  
 أن يقبض على الامير مسعود والى صور ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك  
 ان اهل صور اكثروا من الشكوى منه الى الأمر باحكام الله فسار الاسطول  
 الى ان راعند صور فخرج مسعود اليه للسلام فلما صعد الى مركب المقدم  
 قبض عليه واعتقله ونزل الى المدينة وتسامها وعاد الاسطول الى مصر وفيه  
 الامير مسعود فاكرم واحسن اليه وأعيد الى دمشق واما الوالى المصرى  
 فانه راسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعله هو شكوى  
 اهل صور فاحسن طغتكين الجواب وبذل له نفس المساعدة وفي ربيع أول  
 سنة ٥١٨ قدم الصليبيون تحت رئاسة غويليوم وكييل سلطنة القدس وبطربرك  
 القدس وبونص صاحب طرابلس والدوك مخايل المقدم على أهالى مشيخة  
 البندقيه وحاصروا مدينة صور براً وجاءت مراكب البندقيه وحاصرتها بحراً  
 ولم يكن لاهالى صور من الحمية والنشاط ما كان لسلفائهم أو لمسلمي المدن  
 الاخرى لان الغنى الذى حازته صور من تجارتها قاد اهلها الى التعمات  
 والرخاء فكانوا يصرفون أيامهم بالسرور والملاهي دون الاعتناء بالتمرن على  
 الحرب والقتال ولولا بسالة الجنود الشاميسة والمصرية لما بقيت المدينة أمام



الافرنج يوماً واحداً وكتب أهل المدينة الى خليفة مصر يطلبون منه المدد  
وكذلك طغتكين صاحب دمشق فلم يأتهم أحد فتأبروا على الدفاع وكانت  
الافرنج محيطة بها من كل جانب ونصبوا عليها ابراجاً من خشب ومنجانيقات  
وأخذوا يضربونها ليلاً ونهاراً وأهل المدينة يقاتلون ويدافعون عن أنفسهم  
وأرسلوا نانية يطلبون النجدة من خليفة مصر وملك دمشق فلم ينجدهم لان  
الافرنج أرسلوا أمير البندقية للمحافظة من جهة البحر لمنع خليفة مصر عن  
ارسال النجدة وأرسلوا صاحب طرابلس يترصد طريق البر فجاء طغتكين  
بالجيوش الشامية فصد عن عبور النهر ولازم من بالمدينة القتال فقلت الاقوات  
وكان الجوع قد باغ من المحصورين مبلغاً عظيماً فراسل حينئذ طغتكين أمراء  
الصليبيين في الصلح وقرر الامر علي ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بهامن  
الجند والرعية من الخروج بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وفتحت  
أبواب المدينة وملكها الافرنج بعد حصار خمسة شهور وفارقها أهلها ونصبت  
اعلام الافرنج على المدينة وزينوها باغصان الزيتون والاقشة وكان ذلك في  
سنة ١١٢٤ م

\* محاصرة الصليبيين لمدينة حلب واستيلاء البرسقي عليها \*

بعد استيلاء الصليبيين على مدينة صور كما تقدم طمعوا وقويت نفوسهم  
ورأوا الاستيلاء على بلاد الشام وأكثروا من حشد الجيوش ثم وصل اليهم  
ديس بن صدقه صاحب الحلة فأطمعهم في حلب وقال لهم ان أهلها شيعية  
وهم يميلون الى من أجل المذهب فتي رأوني ساءموا الي البلد وقال لهم اني  
أكون نائباً عنكم ومطيماً لكم فساروا معه اليها وحصرها وقتلوا قتلاً شديداً  
وبنوا لهم بيوتاً تقيمهم من الحر والبرد فلما رأى أهلها ذلك ضعفت  
نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبها تمرناش الوهن والمعجز وقلت

المؤمن عندهم قرأوا ان يكتبوا البرسقي صاحب الموصل لاجل ان يحميهم لما  
وجدوا فيه من القوة فأرسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجيء اليهم ليسلموا  
البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وأرسل الي من بالبلد وهو في الطريق يقول  
انني لا أقدر على الوصول اليكم والافرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابي  
وصار أصحابي فيها لانني لا أدري ما يقدره الله تعالى اذا انالقت الافرنج فان انهز منا  
منهم وليست حلب بيد أصحابي حتي أحتمي انا وعسكري بها لم يبق منا احد وحينئذ  
تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقر وافيها  
واستولوا عايتها سار بعساكره فلما أشرف عليها ونظره الافرنج رحلوا عن البلد  
بدون حرب فاراد من في مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فممنهم وهكذا صارت  
حلب تبعا للبرسقي صاحب الموصل من عمال السلطان محمود وكان ذلك في شهر  
ذي الحجة سنة ٥١٨

\* ( في خلوص بودوين الثاني ملك القدس من الاسر ) \*

وفي هذه السنة أيضاً تم الاتفاق على فك أسر بودوين الثاني ملك القدس  
بمال عظيم دفعه وتوجه الى مملكته وأقامها وكان هو أحسن الافرنج حظاً بهذه  
المملكة لكثرة توافد أهل أوروبا بالمساعدة ضد المسلمين من سكان المانيا والنمسا وبلاد  
البنديقه وأهل يزاوجوى وخصوصاً أهل فرنسا وما قامت به جمعيات الرهبان  
جمعية القديس بوحنا المعمدان التي كان رجالها يلبسون الثياب الحمراء وجمعية  
الهيكلين التي كان رجالها يلبسون الثياب البيضاء

\* ( استيلاء البرسقي على كفر طاب ) \*

في سنة ٥١٩ جمع البرسقي عساكره وسار الى الشام وقصد كفر  
طاب وحصرها فلما كملها من الافرنج وسار الى قلعة عزاز وهي من أعمال

حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصرها فكاتب جوسلين الافرنج  
فاجتمعوا عن آخرهم من فارس وراجل فلقبهم البرسقي واقتتلوا قتلا  
شديداً انهزم فيه المسلمون وقتل منهم ما ينوف عن ألف وأسر كثير وعاد  
البرسقي الى حلب فخلف بها ابنه مسمود وعبر الفرات الى الموصل ليجمع المساكر  
ويعود الى القتال

### ﴿ قتل المأمون بن البطائحي وزير خليفة مصر الأمر ﴾

في رمضان سنة ٥١٩ اتفق المأمون بن البطائحي وزير الخليفة بمصر  
مع الامير جعفر أخي الخليفة الأمر بأحكام الله ليقتل أخاه الأمر ويجعله  
هو خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن  
أبي اسامة وكان خصيصاً بالأمر مقرباً منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح  
فحضر عند الأمر وأعلمه الحال فقبض على وزيره أبا عبد الله البطائحي الملقب  
بالمأمون وصلبه واخوته وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة وكان هذا  
الوزير كريماً واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير  
التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر بلاد مصر والشام والعراق  
وفي أيامه كثر الغمازون

### \* ( اخبار الاسماعيليين وامتلاكهم قلعة بانياس ) \*

في أثناء ذلك نشأت طائفة الباطنيين ويدعوهم بعض المؤرخين بالحشاشين  
لانهم كانوا يكتنون من تدخين الحشيش ويدعوهم البعض بالاسماعيليين نسبة  
الى اسماعيل رئيسهم وهم فئة جمع بينهم التعصب والطمع . وكان اسماعيل  
يترصده فرصة للغزو والنهب فلما رأى الدول القوية مشغلة بالحرب في أنحاء  
المشرق وضع يده على بعض القرى الجبلية بجوار دمشق ثم جعل يناهض الصايبيين

بمجاريتهم تارة ويصالحهم أخرى الى ان انتهى به الامر فاقام حكومته بين  
 ظهرانيتهم وابيتي حصوناً منيعة أرهبت الولاة المسيحيين وخلفاء الاسلام  
 فاجبرهم على دفع جزية معلومة وقاية من فتكهم بجياتهم لانه كان متفتناً في القتل  
 بطرق سرية على يد بعض رجاله الدهاة وفي سنة ٥١٩ كان الرئيس عليهم بهرام  
 ابن أخت الاسد اباذي بعد قتل خاله المذكور وكان طغتكين صاحب دمشق  
 قد أخذه عنده لاجل المعاضدة به وباتباعه حينئذ أعلن عداوته فكثير أتباعه  
 من كل من يريد الشر والفساد وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغيناني قسداً  
 للاعتقاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل أمره وصار أتباعه اضعافاً مما  
 كانوا ثم ان بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم  
 فطلب من طغتكين حصناً يأوي اليه هو ومن اتبعه فإشار الوزير بتسليم قلعة  
 وانباس اليه فسامت له فلما صار اليها اجتمع اليه أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ  
 خطبه وحلت المحنة بظهوره

### ✽ محاربة طغتكين اتابك مع بودوين الثاني ✽

في سنة ٥٢٠ اجتمع بودوين الثاني ملك القدس بجميع عسكره وعساكر  
 الجميات الرهبانية المارذ كرههم وساروا الى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند  
 قرية يقال لها شقحجب بالقرب من دمشق فمظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم  
 وكاتب طغتكين اتابك أمراء التركان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد  
 سار عن دمشق الى جهة الافرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان  
 بها وكما جاءت طائفة أحسن ضيافتها وسيرها الى أبيه فلما اجتمعوا سار بهم  
 طغتكين الى الافرنج فالتقوا واخرذى الحججة واقتلوا واشتد القتال فسقط  
 طغتكين عن فرسه فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه  
 ولحقهم وتبعهم الافرنج وبقي التركان فلم يقدروا ان يلحقوا المسلمين في الهزيمة

فتخلفوا فلما رأوا فرسان الافرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم ورجالهم  
ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسام منهم الا الشريد  
ونهبوا معسكر الافرنج وخيامهم وأموالهم وآلاتهم وجميع ما معهم وعادوا الى  
دمشق سالمين لم يفقد منهم أحد



(صورة من جنائيات لرمي النبال)

ولما رجع فرسان الافرنج من أزمهر ومين وروارجاتهم قتلى وأموالهم  
منهوبة ساروا منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه وكان هذا من أغرب الحروب  
اذان طائفتين تهزمان كل واحدة من صاحبتهما

﴿ في الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله

العباسي والسلطان محمود ﴾

في هذه السنة حصل نفور بين يرتش الزكوى شحنة كية بغداد (محافظة المدينة) وبين نواب الخليفة وتهدده الخليفة فيها تخاف الزكوى على نفسه فنار عن بغداد الى السلطان محمود في رجب وشكا اليه وحثه من الخليفة واعلمه بانه قد قاد المساكر ورأى الحروب وقويت نفسه ومق لم تعاجله زاد قوة وجمعاً وحينئذ يتعذر عليك ما هو سهل الآن فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يخبره بضعف البلاد وأهلها بسبب ديبس وافساد عسكره فيها وان القلاء قد اشتد بالناس لعدم القلات والاقوات ويطاب منه ان يتأخر في هذه المرة الى ان تنصاح حال البلاد ثم يعود اليها وبذل له على ذلك مالا كثيراً فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وأنى ان يتأخر وسار اليها مجدداً فلما باع الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمه ومن عنده من أولاد الخلفاء الى الجانب الغربى في ذى القعدة مظهر الفضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيماً لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه فارسل يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فاعاد الجواب انه لا بد من عودك هذه الدفينة فان الناس هلكوا بشدة القلاء وخراب البلاد وانه لا يرى في دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد الساطان والارحل هوى عن العراق فنضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد واقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفاً خادمه وهو من خواصه في عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل اليه عماد الدين زكي بن اقسنقر فاقتتلوا وانهمزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر منهم وتة فل عماد الدين زكي عن عفيف حتى نجا المودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن وسد بها ابواب دار الخلافة سوي باب النوني وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار

ووصل السلطان بغداد في عشرين الحجة ونزل باب الشماسية ودخل بعض  
 عسكره الى بغداد ونزلوا في دور الناس فشكا الناس الى السلطان فامر بخر وجهم  
 وصارت المخابرة بين السلطان والخليفة بشأن الصلح والعسكران أمام بعضهم  
 ولم يحصل منهم خلاف مناوشات صغيرة ثم ان جماعة من عسكر السلطان  
 دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة ٥٢١ وضح  
 أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا النزاة فاقبلوا من كل ناحية ولمسار آهم  
 الخليفة خرج من السرايق والشمسية فوق رأسه والوزير بين يديه وأمر  
 بضرب الكوسات والبوقات ونادى باعلا صوته ( يالهاسم ) وأمر بتقديم  
 السفن ونصب الجسور عبر الناس دفعة واحدة وكان له في الدار ألف رجل  
 مختفين في السرايب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فاسر منهم جماعة  
 من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار  
 عزيز الدين المستوفي وقتل منهم خلق كثير في الدروب ( الحواري والازقة )  
 ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد  
 وأمر بجفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع  
 الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عند أبواب البلد  
 وعلى شاطئ الدجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان  
 فقدر بهم الامير ابو الهيجاء الكردي صاحب اربل وخرج كانه يريد القتال  
 فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل الى عماد الدين  
 بواسطة بالحضور اليه ومعه جميع المساكر في السفن وعلى الدواب في البر فلما  
 قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بامس السلاح واظهار  
 ما عندهم من الجلود فانتشرت المساكر وملؤوا الارض برأ وبجر أبقابهم السلطان  
 وفرح بعماد الدين وعزم على قتل بغداد والجد في ذلك في البر والبحر فلما  
 رأى الخليفة المسترشد بالله ذلك وخروج أبي الهيجاء من عسكره أجاب الى

الصالح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يماقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال ان الدنيا لا تساوى فعل مثل هذا ولما عزم السلطان على المسير من بغداد نظر فيمن يصلح ان يتولى شحنة العراق يأمن معه من الخليفة فاختر امرائه واعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم بهذا الامر الا عماد الدين زنكي فاستشارهم في ذلك فصدقوا عليه وقالوا ( لا يصالح لذلك واعادة ناموس العراق ولا تقوى نفس احد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين ) فاسند اليه الولاية مضافة الى ماله من الاقطاع وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٥٢١ هجرية

### ﴿ وفاة عز الدين البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل ﴾

( ومحاصرة الصليبيين حلب )

في سنة ٥٢١ توفي الامير عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب الموصل وكان موته بعد محاصرة مدينة الرحبة واستيلاءه عليها بساعة واحدة وقام بعده أخ له صغبر واستولى على البلاد مملوك للبرسقي يعرف بالجاولي ودبر أمر الصبي وأرسل للسلطان يطلب ان يقرر البلاد على ابن البرسقي وبذل الاموال الكثيرة في ذلك وكان الرسول القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد أمير حاجب البرسقي وكانا يخافان جاولي ولا برضيان بطاعته وتصرفه ولما وصلا الى السلطان اجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر النائب عن عماد الدين وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ماورد بخصوصه وافشى سره فخوفه نصير الدين من جاولي وقبح له فعاله وتحدث معه في ولاية عماد الدين ثم توجهوا الى السلطان وبلغوه ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها



فاستولوا على أكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش  
 مصر ماعدا البلاد الباقية بيد المسلمين وكان البرستي مع شجاعته يرتد عليهم على  
 البلاد الاسلامية ومذ قتل ازداد طمهم وان ولده صغير ولا بد للبلاد من  
 شههم شجاع يذب عنها ولذلك قد أنهينا الحال لمنع اللوم عنا خوفاً من حصول  
 خلل فاستشارهما السلطان فيمن يصالح للولاية فذكر اعماد الدين فاجاب  
 السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته فحضره وولاه البلاد كلها وكتب  
 له منشوراً بذلك وسار وامتلك البلاد وفي اثناء ذلك كانت قد ضعفت ولاية  
 حلب بعد البرستي فسمع الافرنج بذلك فسار اليها جوسلين صاحب الرها  
 بعساكره وحاصر حلب فصونع بمال فماد عنها ثم وصل بعهده صاحب  
 انطاكية في جمع من الافرنج فخذق الحلبيون حول القلعة فنع الداخل والخارج  
 اليها من ظاهر البلد وأشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذي الحجة  
 سنة ٥٢١ وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب  
 الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وأقام الامير حسن قراقوش والياً  
 عليها ولاية مستعارة الى ان وصلها عماد الدين زنكي فخرج الى أهل حلب  
 فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل المدينة واستولى عليها ورتب أمورها  
 وكان ذلك في شهر محرم سنة ٥٢٢ وجعل عماد الدين في رئاسة حلب أبا الحسن  
 على بن عبدالرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك أتابك عماد  
 الدين زنكي ببلاد الشام لملكها الافرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية  
 واذا علم ظهر الدين طغتكين بذاك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها  
 وأغار عليها فيضطر الافرنج الى الرحيل للدفاع عن بلادهم فقدر الله تعالى  
 انه توفي هذه السنة في ٨ صفر سنة ٥٢٢ فخلا لهم الشام من جميع جهاته  
 من رجل يقوم بنصرة أهله فلفظ الله بالمسلمين بولاية عماد الدين

﴿ قتل الاسماعيلية بدمشق واتحادهم بالافرنج ﴾

في هذه الاثناء قد زاد أمر الاسماعيليين أو الباطنيين وملك رئيسهم بهرام عدة حصون منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من أعمال بملك أصحاب مذاهب أخر مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة ٥٢٢ وحصرهم وقتلهم فخرج اليه الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام ووضع السيف فيهم وقتل منهم عددا عظيما وقتل بهرام وانهمز الباقون وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلا اسمه اسماعيل فقام بعده وجمع شمل من عاد اليه وعاضده المزدقاني ثم انه أقام بدمشق انسانا اسمه ابو الوفاء بدل بهرام فقوى أمره وعلا شأنه حتي صار نفوذه أكثر من نفوذ صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقاني راسل الافرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم ميعاد لتنفيذ ذلك وهو يوم جمعه ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية ان يحتاطوا ذلك اليوم بابواب الجامع فلا يمكن أحدا أن يخرج منه ليحجى الافرنج وبملكوا البلد فبلغ الخبر تاج الملوك فاستدعى المزدقاني اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك في منتصف رمضان سنة ٥٢٣ وكفى الله المسلمين شرهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسماعيل والى بانياس ان يشور به وبمن معه الناس فيهلكوا فراسل الافرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه الى بلادهم ولقوا ذلا وهوانا وتوفى اسماعيل في أوائل سنة ٥٢٤ وكفى الله المسلمين شرهم

### ﴿ محاصرة الصليبيين دمشق وانهم امهم ﴾

لما بلغ الفرنج قتل المزدقاني والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتأسفوا لعدم تملكهم دمشق وعمتهم المسيبية فاجتمع بودوين الثاني ملك القدس وصاحب طرابلس وصاحب انطاكية وغيرهم ومن وصل اليهم في البحر من التجار والزوار ورهبان الجميات وزحفوا بجيش عظيم على دمشق ليحصرها ولما سمع تاج الملوك صاحبها جمع العرب والتركان ووصل الافرنج الى المدينة ونازلوها وأرسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا سار الى حوران لتهب سيرة اميرا من امرائه اسمه شمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم في ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الافرنج في الصباح فواقعوهم واقتلوا وصبر بعضهم ايمض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم وأربون رجلا وأخذوا مامعهم وهي عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة أسير وعادوا الى دمشق ولم يمسهم جرح فلما علم بذلك بودوين ومن معه اتى الله في قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين واحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثرت قتلاهم وكان نزولهم ورحيلهم في شهر ذي الحجة سنة ٥٢٣

### ﴿ فتح عماد الدين زنكي حصن الاثارب ومحاصرة قلعة حارم ﴾

في سنة ٥٢٤ سار عماد الدين زنكي بمسكره قاصداً حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب ثلاثة فراسخ وكان من به من الافرنج يقاسمون حاب على جميع أعمالها الغربية وكان أهل حلب معهم في ضر وضيق شديدين فقد كانوا يغيرون عليهم وينهبون أموالهم فلما رأى عماد الدين ذلك صمم على حصر هذا الحصن

قسار اليه لينازله فلما علم الافرنج جمعوا فارسهم وراحاهم لما يعرفوه من  
 قوة عماد الدين وشدة بأسه ولم يتركوا مما يطبقون شيئاً الا استنفذوه فلما  
 فرغوا من أمرهم ساروا نحو عماد الدين فاستشار أصحابه فيما يفعل فاشاروا  
 كلهم بالعود عن الحصن لان لقاء الافرنج في بلادهم خطر فقال لهم عماد  
 الدين ان الافرنج متى رأونا قد عدنا من وجههم طمعوا وساروا في أثرنا  
 وخربوا بلادنا ولا بد من لقاءهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم  
 فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لحصمه واشتد الامر بينهم الى ان  
 انهزم الافرنج شر هزيمة ووقع كثير من فرسانهم في الاسر وقتل منهم خاق  
 كثير وظفر المسلمون وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا  
 أول مصاف عملناه معهم فلندقمهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم فنعلموا ما  
 أمرهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة  
 وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين ثم سار منه الى قلعة حارم  
 وهي بالقرب من انطاكية وكانت للافرنج فحصرها فبذل له أهلها نصف  
 دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد فرح المسلمون  
 بتلك الاعمال وضعفت قوى الافرنج وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن  
 لهم في حساب وصار متتهى قصدهم حفظ ما بأيديهم بعد ان كانوا قد طمعوا  
 بتملك جميع البلاد

\*( وفاة الأمر باحكام الله وخلافة الخليفة لدين الله بمصر )\*

في ثاني ذي القعدة سنة ٥٢٤ خرج خليفة مصر الملوي الأمر باحكام  
 الله أبو علي بن المستعلي الى منزله له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه وكانت  
 مدة ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان عمره نيفاً وأربعاً وثلاثين  
 سنة وهو العاشر من الخلفاء الملويين أو المهديين ونسبتهم بذلك لانهم أولاد

المهدي عبيد الله الذي ظهر بسلمجاسه وبني المهديّة بافريقيا ولما قتل لم يكن له أولاد ذكور فكان الحق بالخلافة لابن عمه عبد المجيد بن القاسم بن محمد وبما ان أرملة الخليفة المتوفى كانت حاملا لقب عبد المجيد بنائب الملك الى ان يروا ماذا يكون المولود فوضعت ابنة فبويغ بالخلافة عبد المجيد ولقب بالحافظ لدين الله وكان مولد الحافظ بمسقلان فاستوزر أبا علي أحمد بن الافضل بن بدر الجمالي فاستبد بالامر وتناوب على الحافظ وقام بالوزارة حتى القيام

### \* ( وفاة جوسلين صاحب الرها ) \*

كان جوسلين من الافرنج الذي حاربهم عماد الدين زنكي بحصن الاثارب حتى امتلكه منهم عنوة فاصابه حجر من أحد أبراج الحصن فجرحه ولما عاد الى الرها بلنه ان الامير مسعود أتى بعساكره وحاصر أحد حصونه التابعة له فامر بجمع عساكره وسار بهم محمولا على عربية وقبل ان ينزل على الحصن المحصور بلنه ان الامير مسعود قد رفع الحصار وعاد الى بلاده وبعده نية مات جوسلين وهو بالعربية فارجموه الى الرها ودفنوه هناك وكان ذلك في سنة ٥٢٥ الموافقة سنة ١١٣١ م فحزنوا عليه حزنا شديدا

### \* ( وفاة بودوين الثاني ملك القدس ) \*

وفي تلك السنة أيضاً مرض بودوين الثاني ملك القدس فامر بان ينقل الى جوار قبر المسيح وهناك مات بين ذراعي ابنته ميليسيندا وزوجها فولكه الذي أوصى له بالملك بعده فحزن عليه الصليبيون جميعهم لما كان له من المنزلة العظيمة عندهم وكانوا يحبونه كثيراً لعدله بينهم ولكونه كان آخر الامراء الصليبيين الذين جاؤا فلسطين مع غودافرو من مملكة فرانسوا وكانت

هذا الملك قد حكم الرها مدة ثمانى عشرة سنة وحكم القدس بعد ذلك  
اثنتى عشرة سنة وكان شجاعاً ووقع فى الاسر مرتين

**\* ( فى تملك فولك دى الينو على القدس ) \***

بعد وفاة بودوين الثانى ملك القدس كما تقدم احتفلوا بتويج فولك دى  
الينو ملكا على ولاية القدس حسب وصية حميه المذكور وكان فولك قد قدم  
من بلاد فرنسا على عهد بودوين بعد الزيارة وهو ابن فولك ريشين بارتراد  
دى مونت فورت فى اثناء اقامته فى القدس أنفق على مائة محارب من ماله  
وكان يترأسهم فى اثناء محاربة المسلمين فيظهر فى القتال شجاعة عظيمة فلذلك  
أجبه بودوين الثانى وأزوجه ابنته ميليسيندا ولم يكن لبودوين ولد ذكر يرث  
الملك فوعده بانه بعد مماته يكون هو الوريث الوحيد لملك القدس فحصل  
لهذا الشاب سرور عظيم لزواجه ولو رائته هذا الملك الذى تم له فى سنة  
١١٣١ م سنة ٥٢٥ هـ

**\* وفاة السلطان محمود \***

فى هذه السنة أيضاً توفى السلطان محمود بن محمد بهمدان وكان عمره نحو  
ثمان وعشرين سنة وكانت ولايته أربعة عشر سنة تقريباً وكان حليماً كريماً  
عاقلاً عادلاً كثير الاحتمال وطالب السلطنة بعده ولده داود بن محمود وأخواه  
معهود وسلاجوق شاه ابنا محمد وعمهما سنجر بن ملكشاه ومعه طغرل بن  
السلطان محمد فجرت بينهم حروب واختلافات كثيرة ظفر فيها سنجر بن ملكشاه  
ومعه طغرل بن السلطان وخطب لابن أخيه طغرل بالسلطنة فى همدان واصفهان  
والري وسائر بلاد الحيل

## \* استيلاء شمس الملوك على بانياس \*

في سنة ٥٢٧ طمع الافرنج في شمس الملوك صاحب دمشق ابن تاج الملوك وعزموا على تقص الهدنة التي بينهم فتمرضوا لاموال جماعة من تجار دمشق في مدينة بيروت وأخذوها فشكا التجار الى شمس الملوك فراسلهم في اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئاً فملته الانفة من هذه الحلة والغيط فجمع عسكره وتأهب ولا يعلم أحد مراده ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم ونزل على بانياس أول صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفاً متتابعاً وكانوا غير متأهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فلقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الافرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل في البلد كثيراً من الافرنج وأسرو كثيراً ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتلاً شديداً ليلاً ونهاراً فلما كهار اربع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها في سادسه ولما علم فولك ملك القدس بحصار بانياس أمر بجمع جيشه ليسيروا لنجدتها فأناه خبر فتحها فالغني أمره السالف

## \* محاربة فولك ملك القدس نائب حلب \*

في صفر سنة ٥٢٧ سار فولك ملك القدس بجيوشه الى أطراف حلب فتوجه اليه الامير اسوار نائب حلب فيمن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعات كثيرة وانهمزم المسلمون الى حلب وتردد ملكهم في أعمال حلب فعاد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فوقع بهم وأكثر فيهم القتل والاسر فعاد من سلم منهزماً الى بلاده وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل اسوار حلب ومعه

الاسرى ورؤوس القتلى وكان يوماً مشهوداً ثم خرج بعد ذلك طائفة من الافرنج  
من الرها وقصدوا أعمال حلب للاغارة عليها فسمع بهم اسوار نخرج اليهم ومعه  
الامير حسان البعلبكي فوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم وأسروا من لم يقتل  
ورجموا الى حلب سالمين

✽ استيلاء شمس الملوك على حصن شقيف

تيرون ونهبه بلاد الافرنج ✽

في شهر محرم سنة ٥٢٨ سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دهشق الى  
حصن شقيف تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد  
الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به والضحاك  
المذكور هو رئيس النصيرية والادرعية والمجوسية وكان يلاعب المسلمين  
والافرنج ويحتسبى بكل طائفة على الاخرى فسار شمس الملوك اليه وأخذه  
منه عنوة فمظم أخذه على الافرنج لان الضحاك لا يتعرض لشيء من بلادهم  
المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا الى  
حوران وأخذوا يخربون وينهبون القرى وكان شمس الملوك لما بلغه تجمع  
الافرنج قد جمع الجموع وحشد الجيوش والتف عليه جمع كثير من التركان  
ونزل بازاء الافرنج وجرت مناوشات ثم ان شمس الملوك نهض ببعض عسكره  
وجعل الباقي قبالة الافرنج وهم لا يشرون وقصد بلاد طبرية واتاصره وعكا  
وماجاورها التابعة للافرنج فنهب وخرب واحرق وامتلات ايدي من معه  
من الغنائم واتصل الخبر بالخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا في الحال بقتة وطلبوا بلادهم  
وأما شمس الملوك فانه عاد الى عسكره على غير الطريق الذي سلكه الافرنج فوصل  
سالمًا وأما الافرنج فلما رأوا بلادهم خراباً أرسلوا الى شمس الملوك بتجديد  
الهدنة فهادتهم



﴿ قتل الخليفة المسترشد بالله و خلافة الراشد بالله ﴾

في شهر محرم سنة ٥٢٩ توفي السلطان طغرل بن محمد بن ماكشاه نخرج  
السلطان مسعود بجيشه وخرج الخليفة المسترشد بالله بجيشه والتقىا عاشر رمضان  
وتحاربا فانزمت جيش الخليفة وأخذ هو اسيراً ومعه جماعة كثيرة منهم وزيره  
وقاضي القضاء والامراء وسير السلطان الامير بك ايه المحمودى شحنة الى  
بغداد فوصلها في آخر رمضان واستولى على جميع املاك الخليفة فهاجت عامة  
بغداد ودار بوجههم ثم ترددت الرسل بين الخليفة والسلطان مسعود على تقرير  
قواعد الصلح فصالحا على مال يؤديه الخليفة وان لا يعود الى جمع المساكر وان  
لا يخرج من داره ثم وصل خبر بقدم الامير قزان خوان رسولا من السلطان  
سنجر فتأخر مسير الخليفة وخرج الناس مع السلطان مسعود الى لقاء الامير  
وفارق الخليفة بعض من كان موكله فقصده اربعة وعشرون رجلا من الباطنة  
ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه وطعنوه نحواً من عشرين طعنة وشلوا به  
فجدعوا أنفه وأذنيه وقتل معه نفر من أصحابه كان ذلك في يوم الاحد ١٧ من  
شهر القعدة من السنة المذكورة وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر  
وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً وكان شهماً  
شجاعاً فصيحاً حسن الخط جيد الفكر وبمد و فانه بويغ بالخلافة ابنه الراشد  
بالله أبو جعفر المنصور وكان أبوه قد بايع له بولاية المهدي في حياته ووجدت له  
اليمة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر القعدة المذكور وكتب السلطان  
مسعود الى شحنة بغداد ان يبايع له بالخلافة وحضر الناس البيعة وكان حاضراً  
ببعته واحد وعشرون رجلاً من اولاد الخلفاء وبايع له الشيخ أبو النجيب ووعظه  
وبالغ في المواعظه

## \* غزو العساكر الاتابكية بلاد الافرنج \*

في شعبان سنة ٥٣٠ اجتمعت عساكر اتابك زنكي تحت قيادة الامير اسوار فاشبه بحلب وقصدوا بلاد الافرنج على حين غفلة منهم ففاجؤا اللاذقية ولم يتمكن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز فذهبوا منها ما لا يحيط به الوصف وقتلوا وأسروا وكان الاسرى سبعة آلاف اسير ما بين رجل وامرأة ومائة ألف رأس من الدواب وما بين فرس وبغل وغيره وأما ماسوى ذلك من الاقمشة والحلى فيخرج عن الحد وأحرقوا بلاد اللاذقية وما جاورها ولم يسلم منها الا القليل وخرجوا الى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً ولم يقدروا الافرنج على شيء يأخذون به النار

## \* خلع الخليفة الراشد بالله وخلافة المقتدي لامر الله \*

في سنة ٥٣٠ اجتمع على الخليفة الراشد جماعة وحسنوا له الخروج من بغداد لمحاربة السلطان مسعود فاجابهم الى ذلك وظهر منه تنقل في الاحوال وتلون في الآراء وقبض على جماعة من أعيان أصحابه وخافه الباقون ثم تقدم السلطان مسعود وحاصر بغداد واستنظر عليها فخرج الخليفة الراشد ملتجئاً الى زنكي في البر الغربي فسار به الى الموصل ودخل السلطان مسعود ببغداد واستقر بها وأمر فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلفها الراشد بالله للسلطان مسعود وفيها بخط يده ( انى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خنت نفسى من الامر ) فافتوا بخروجه من الخلافة فعملوا محضراً وذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ الاموال وأشياء تقدح في امامته وكتبوا الفتوى بخلافه واحضروا القاضي أباطاهر الكرخي فشهدوا امامه بذلك فحسبهم بفسقه وخلافته ثم ان شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبى عبدالله محمد بن المستظهر قاصر باحضاره من المكان الذى يسكنه

ولما حضر جلس في الميمنة واتفق معه السلطان والوزير ثم حضر الامراء وارباب  
 المناصب والقضاء والفقهاء وابعوه بالخلافة وكان ذلك في ثامن عشر ذي الحجة  
 ولقب (المقتنى لامر الله) وسبب هذا اللقب انه كان رأى النبي صلى الله عليه وسلم  
 قبل أن يولى الخلافة بستة أيام وهو يقول له ان هذا الامر يصير اليك فاقتنى بي  
 فلقب بذلك

\* استيلاء المسلمين على حصن وادي ابن الاحمر \*

في رجب سنة ٥٣١ سار الامير نزراوش مقدم عسكر دمشق الى طرابلس  
 الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان فلما سمع بهم الدوك  
 يونص صاحب طرابلس سار اليهم في جموعه وحشوده فقاتلهم فانهزم وعاد  
 الفرنج الى طرابلس في حالة سيئة لان فرسانهم وشجعانهم قتلوا بالاعمال وانهب المسلمون  
 من بلادهم أكثرها وحصروا حصن وادي ابن الاحمر وضيقوا عليه فلما كوه عنوة  
 ونهبوا مافيها وقتلوا المقاتلة وأسروا الرجال فأتدوا أنفسهم بمال جزيل وعاد  
 المسلمون الى دمشق

\* استيلاء زنكي على قلعة بعرين \*

في شوال سنة ٥٣١ سار اتابك زنكي من حمص وحصر قلعة بعرين  
 وهي للافرنج تقارب مدينة حماه وهي من أمنع الحصون وأعزها فلما نزل عليها  
 قائما ان جمع الافرنج فارسهم وراجلهم وساروا بقضيمهم وقضيضهم وملوكهم الى اتابك  
 زنكي ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقبهم وقاتلهم  
 أشد نذل رآه الناس وصبرا الفريقان وانجحت انواقمة عن هزيمة الافرنج وأخذتهم  
 سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم  
 فحصرهم المسلمون ومنع اتابك زنكي كل شيء حتى الاخبار فكانوا من داخله

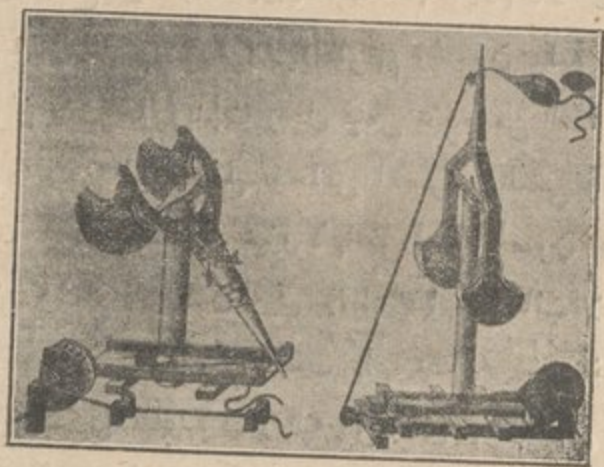
لا يعلمون شيئاً من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده ثم ان القيسيين والرهبان ساروا الى بلاد الروم وجميع بلاد النصرانية مستغفرين على المسلمين واعلموهم ان زنيكي اذا اخذ بعربين ومن فيها من الافرنج ملك جميع بلادهم في أسرع وقت وان المسلمين ليس لهم منه الا قصد البيت المقدس فخرج ملك الروم ( بالقسطنطينية ) ومعه كثير من عساكره ومن النصرانية وساروا على الصعب وقصدوا الشام لتحلص حصن بعربين وأما زنيكي فانه صبر في قتال الافرنج فصبر واوقلت عليهم الميرة والذخيرة لانهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا معتقدين ان أحداً يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقي البلاد الشامية فلما قلت الذخيرة طلبوا الامان والتسليم ولما سمع زنيكي بقرب ملك الروم واجتماعه بمن بقي من الافرنج أعطي لمن في الحصن الامان وقرر عليهم تسليم الحصن ودفع ٥٠ الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فقدموا على التسليم حيث لا ينفهم الندم وكان زنيكي في مدة حصاره فتح المعرة وكفر طاب من الافرنج

### ✽ في مسير ملك الروم يوحنا كومنينوس الى بلاد الشام ✽

في سنة ٥٣١ خرج الملك يوحنا كومنينوس ملك الروم بالقسطنطينية حاصداً بلاد الشام لتجدة الافرنج كما تقدم فسار من البحر الى ان وصل بلاد الارمن التابعة لابن ليون الارمني فاستولى على بعضها ثم صار الى انطاكية فوصلها في شهر القعدة سنة ٥٣١ فحصرها وضيق عليها وبها صاحبها الامير رايونند ثم تردت الرسل بينها فتصالحا ورحل عنها ولما دخلت سنة ٥٣٢ سار الملك يوحنا المذكور الى بلاد الشام وقصد بزاعه فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حاب قضى جماعة من أعيان حلب الى اتابك

زنكي وهو محاصر حصص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم قسما من عساكره  
فدخلوا حلب ليمعروها من الروم ان حاصروها ثم ان ملك الروم قاتل بزاعه  
ونصب عليها المنجانيقات وامتلكتها بالامان في الخامس والعشرين من رجب  
ثم غدر باهلها فقتل منهم وأسرو سبسي وكان عدد من جرح فيها من اهلها  
خمس آلاف وثمانائة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من اهلها عددهم  
نحو اربعمائة نفس واقام ملك الروم عشرة ايام يطلب من اختفى فقبل له ان  
جمعاً كثيراً من الاهالي قد اختبأ بالمغائر فاشمل علي قوهاتها النار واهلكهم  
ضيقاً بالدخان ثم رحلوا الى حلب بخيلهم ورجلهم فخرج اليهم احداث حلب  
فتقاتلوا قتالا شديداً فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل  
القدر عندهم وعادوا خاسرين فرحلوا الى قلعة الانارب نخاف من فيها من  
المسلمين في التاسع من شعبان فهربوا عنها فلكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعه  
والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع  
الامير اسوار نائب حلب بذلك رحل فيمن عنده من العساكر الى الانارب  
فاوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الاسرى والسبي وعاد الى حلب وأما  
الملك يوحنا فانه قصد قلعة شيزر لانها من امنع الحصون وحصرها لعلمه  
بانها لم تكن لزنكي فلا يكون له في حفظها اهتمام لانها كانت للامير ابي العساكر  
سلطان بن علي منقذ الكناني فنصب عليها ثمانية عشر من جنيتاً فارسل  
صاحبها الى زنكي يستجده فصار اليه فنزل على نهر العاصي بينها وبين حماة  
فكان يركب كل يوم في عساكره ويسير الى شيزر بحيث يراه ملك الروم  
ويرسل سرايا تخطف من يخرج من عساكرهم للميرة والنهب ثم يعود آخر  
النهار وكان الروم والافرنج قد نزلوا شرقي شيزر فارسل اليهم زنكي يقول  
لهم انكم قد تحصنتم بهذه الجبال فاخرجوا عنها الى الصحراء حتي نلتقي فانه

ظفرتهم أخذتم شيزر وغيرها وان ظفرت بكم ارحمت المسلمين من شركم وكان  
لم يكن له بهم مطمع لكثرتهم وانما كان يفعل هذا ترهيباً لهم فاشار الافرنج  
على الملك يوحنا بلفاته وقتاله وهونوا أمره فقال لهم الملك اتظنون ان معه  
من العساكر ماترون وله البلاد الكثيرة وانما هو يريدكم قلة من معه لتطمعوا  
وتصحروا له (أى تخرجوا له في الصحراء) فحينئذ ترون من كثرة عسكره  
ما يعجزكم وكان اتابك زنجي مع هذا يرسل افرنج الشام ويحذرهم ملك الروم  
ويعلمهم انه ان ملك بالشام حصناً واحداً اخذ البلاد التي بأيديهم منهم وكان  
يرسل ملك الروم يتهدده ويوهمه ان الافرنج معه فاستشعر كل واحد من  
الافرنج والروم بالخوف من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان سنة ٥٣٢  
وكان مقامه عليها اربعة وعشرين يوماً



(صورة منجانيقات لرمى الحجارة بدل مدافع اليوم)

وترك المنجانيقات وآلات الحصار بحالها فسار زنجي خلفهم وظفر  
بطائفة منهم في ساقه العسكر فغنم منهم وقتل وأسر وأخذ جميع ما  
خلفوه ورفعهم الى قلعة حلب وكفى الله المؤمنين القتال وكان المسلمون بالشام

قد اشد خوفهم و علموا ان الروم ان ملكوا حصن شيزر لا يبق لمسلم معهم  
مقام لاسيا مدينة حماه لقربها ولما يسر الله تعالى هذا الفتح مدح الشعراء  
اتابك زنكي فاكثروا منهم أبو المجد المسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم الحموي  
يقصيدة منها

بعزمك أيها الملك العظيم      تذلك الصعاب وتستقيم  
ألم تر ان كلاب الروم لما      تبين لك الملك الرحيم  
فجاء يطبق القلوات خيلا      كأن الجحفل الليل البهيم  
وقد ترك الزمان على رضاه      فكان لخطبه الخطب الجسيم  
فحين رميته بك في خميس      تبين ان ذلك لا يدوم

ولما عاد ملك الروم الى بلاده نزل اتابك الى حصن عرقه وهو من  
أعمال طرابلس فحصره وفتحته عنوة ونهب ما فيه وأسر حاميته من الافرنج  
وخربه وعاد سالماً غانماً

### \* محاصرة زنكي دمشق واستيلاء الافرنج على بانياس \*

في سنة ٥٣٤ هـ سار عماد الدين اتابك زنكي في ربيع الاول الى دمشق  
فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها يطلب منه تسليم دمشق  
واختيار أي بلد يدها فام يجبه الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على  
داريا في ثالث عشر ربيع الاول فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لمسكر  
زنكي وعاد الدمشقيون منهزمين وقتل كثير منهم ثم تقدم زنكي الى الموصل  
فنزل هناك ولقيه جمع كثير من جندي دمشق فقاتلوه فانهزم الدمشقيون  
وأخذهم السيف فقتل منهم وأكثر وأسر كذلك ومن سلم عاد جريحاً وهدد  
البلد ذلك اليوم بالاخذ وان يملك لكن زنكي أمسك عنه عشرة أيام وتابع  
الراسل الى صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وغيرها مما يختاره من

البلاد فقال الى التسليم فمنعه أصحابه وخوفوه عاقبة فعلمه فلما لم يسلموا عاد  
 القتال والزحف ثم ان جمال الدين مرض وتوفي ثامن شعبان فطمع زنكي  
 حينئذ في البلد وزحف عليه زحفاً شديداً ظاناً وقوع الخلاف بين المقدمين  
 فيبلغ غرضه وكان ما أمله بعيداً وتولى بعد جمال الدين بغير الدين آبق وولده  
 وتولى ترتيب دولته معين الدين انز فاحسن التدبير ولما رأي انز ان زنكي  
 لا يفارقهم راسل فولك ملك القدس واستدعاه الى نصرته لدفع زنكي عن  
 دمشق واعدأ اياه بانه يحصر بانياس ويسلمها للافرنج وخوفه من زنكي اذا  
 ملك دمشق فأيقن بصحة قوله وعلموا ان ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام  
 فلما سمع بذلك زنكي سار الى حوران خامس رمضان عازماً على قتال الافرنج  
 قبل وصولهم دمشق ولما سمعت الافرنج خبره لم يفارقوا بلادهم ولما راهم  
 كذلك عاد الى حصر دمشق ونزل بعذراشاهاليها سادس شوال وأحرق عدة  
 قري من المرج والنوطة ورحل عائداً الى بلاده ثم وصلت الافرنج الى دمشق  
 واجتمعوا بصاحبها فسار معين الدين انز بمسكروه الى قلعة بانياس وهي في  
 طاعة زنكي ليحصرها ويسلمها للافرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها  
 ياسبوع الى مدينة صور للاغارة عليها فنازلها معين الدين وقائما وضيق على  
 من بها ومعه طائفة من الافرنج فاستولى عليها وسلمها الى الافرنج فلما سمع  
 بذلك زنكي فرق عساكره للاغارة على حوران وأعمال دمشق وسار هو  
 فنازل دمشق سحرا ولم يعلم به أحد من أهلها فلما أصبح الناس ورأوا عسكره  
 خافوا وارتجت البلد واجتمع العسكر والعامّة على السور وفتحت الابواب  
 وخرج الجند فقاتلوه فلم يتمكن زنكي بن الافدام في القتال لقلّة جنوده لان  
 عساكره كانت متفرقة ولما اجتمعت عاد بها الى بلاده



\* ( وفاة فولك ملك القدس وتولية ولده بودوين الثالث ) \*

في سنة ٥٣٧ الموافقة سنة ١١٤٢ توفي فولك دي الينو ملك القدس وكانت وفاته في سهل مدينة عكا حيث كان راكباً جواده فسقط عن ظهره عند جماعه فمات وله ولدان أكبرهما اسمه بودوين وعمره ثلاث عشرة سنة والثاني اسمه امورى فاستحق ولده الاكبر الولاية وتسمي بودوين الثالث تحت وصاية والدته ميليسيندا الى ان بلغ الرابعة عشرة سن رشده حسب عادتهم وأصبح بعدئذ بودوين ملكاً حراً

\* ( فتح زنكي مدينة الرها والبلاد الجزرية ) \*

كان صاحب مدينة الرها جوسلين الاول قد توفي فجلس على تختها ولده جوسلين الثاني وكان شجاعاً ما كراً يغير على البلاد الجزرية ويمتلكها فاراد اتابك زنكي محاصرة مدينة الرها ولعلمه بانه متى قصد حصرها اجتمع فيها الافرنج فيمنعوه ويتمذر عليه ملكها لما هي عليه من الحصانة فاشتغل بمحاربة ديار بكر ليوهم الافرنج انه غير متفرغ لقصد بلادهم فلما رآه جوسلين الثاني مشغولاً بمحاربة ملوك ديار بكر اطمأن على بلاده وفارق مدينة الرها وعبر الفرات الى البلاد الغربية فجمعت عيون اتابك اليه وأخبروه بما كان قنادى في معسكره بالرحيل وان لا يتخلف عن الرها أحد من غديومه وسار بالعساكر الى ان وصل الى مدينة الرها فحاصرها ونازلها وقتلها ثمانية عشر يوماً بالآلات الحصار التي كان قد أحضرها من حلب وكان معه أبراج خشبية تملو عن سور المدينة وقدم النقبانين فقبوا سور البلد ولح في القتال خوفاً من اجتماع الافرنج والمسير اليه واستقاذ البلد منه فسقطت البدنة التي نقبها النقبانين وأخذ البلد عنوة وقهر أو حصر ندمتها فلما أيضاً ونهب الناس الاموال وقتلوا الرجال

قلما رأى أتابك البلد أعجيبته ورأى انه لا يجوز تخريب بلد مثلها فأمر بالمنادات  
في المساكر برد ما أخذوه من الاسرى من رجال ونساء الى بيوتهم واعادة  
ماغنموه من ائمانهم وأمتعتهم فردوا جميع ذلك عن آخره ولم يفقد منه شيء  
فعدت البلد على حالها الاول وجعل فيها عسكرياً يحفظها ثم سار اتابك زنكي  
قتل مدينة سروج وسائر الاماكن التي كانت بيد الافرنج شرقي الفرات ماعدا  
البيرة فانها حصينة منيعة وعلى شاطئ النهر فسار اليها وحصرها وكانوا قد أكثروا  
ميرتها ورجالها فبقي على حصارها الى ان وصله خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل  
فرحل عنها وأرسل نائباً الى الموصل وأقام ينتظر الخبر فخاف من بالبيرة من الفرنج  
ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفاً شديداً فأرسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين  
وساموا اليه فملكها المسلمون

\* (قتل اتابك عماد الدين زنكي وتولية اولاده) \*

في سنة ٥٤١ حاصر اتابك زنكي حصن جعبر وهو مطل على الفرات وكان  
بيد سالم مالك العقيلي ففي اليوم الخامس من شهر ربيع آخر قتل الشهيد اتابك  
عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وبلاد الشام ومدينة الرها وبلاد  
الفرات الشرقية قتله جماعة من مماليكه ليل اغيلة وهربوا الى قلعة جعبر فصاحوا  
على من بها من أهلها من العسكر يعلمونهم بقتله وأظهروا الفرح فدخل أصحابه اليه  
فأدركوه وبه رمق وفاضت نفسه رحمه الله وكان حسن الصورة أسمر اللون  
مليح العينين قد وخطه الشيب وكان عمره يزيد عن الستين ودفن بالرقه وكان  
شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة وكان يمنع القوى من ظلم  
الضعيف محباً لعمار البلاد وكان أشجع خلق الله وورثه الحكيم أبي الحكم  
المغربي بقصيدة منها

عين لاتدخرى المدامع وابكي واستهلى دمعاً على فقد زنكي

لم يهب شخصه الردى بعد ان كان له هيبه على كل تركي  
 خير ملك ذي هيبه وبهاء وعظيم بين الانام بزرك  
 يهب المال والجياد لمن يسمه مادحاً بغير تلسي  
 أي فتك جري له في الاعادى بعد ما استفتح الرها أي فتك  
 بعد ما كاد ان تدين له الروم ويجوى البلاد من غير شك  
 وخلف من الاولاد سيف الدين غازى ونور الدين محمود الملك العادل  
 وقطب الدين مودود وهو أبو الملوك وانصره الدين أمير أميران وبنياً وبعد  
 وفاته أخذ خاتمه من يده نور الدين محمود الملك العادل وكان حاضراً معه  
 وسار الى حلب فملكها وكان ذلك بشاره أسد الدين شيركوه وكان حينئذ  
 يتولى ديوان زنكي ويحكم في دولته جمال الدين محمد بن على وهو المنفرد  
 بالحكم ومعه أمير حاجب صلاح الدين محمد الباغديسياني فاتفقا على حفظ الدولة  
 وكان مع الشهيد اتابك الملك الب ارسلان ابن السلطان مسعود فسيره الى  
 الموصل مع جماعة من أكابر دولة أبيه وقال لهم ان وصل أخى سيف الدين  
 غازى الى الموصل فهي له وأنتم في خدمته وان تأخر فانا أقرر أمور الشام  
 وأنوجه اليكم وكان سيف الدين غازى بناحية شهر زور وهي اقطاعه من  
 أبيه وساعده على ذلك جمال الدين واستقر أمر سيف الدين غازى بالموصل  
 وجعل جمال الدين وزيره وأرسلوا الى السلطان مسعود فاستحلفوه لسيف  
 الدين خلف له وأقره على البلاد وأرسل له الخلع وكان سيف الدين هذا قد  
 لازم خدمة السلطان مسعود في أيام أبيه وكان السلطان يحبه ولذلك لم يتوقف  
 في تقرير اليمين له

\*عصيان أهل الرها واستيلاء نور الدين عليها\*

لما قتل اتابك زنكي كان جوسلين الثاني صاحب الرها بناحية تل

بأشر وما يجاورها من ولايته فراسل أهلها وعامتهم وحملهم على العصيان والامتناع من المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم على يوم يصل اليهم فيه وسار في عساكره الى الرها وملك البلد وامتنت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم وأرسل الى جميع الصليبيين بالشام يستنجدهم على المسلمين فباغ الخبر الى نور الدين محمود بن زنكي وهو بحلب فسار مجدداً اليها في عسكره لما قاربها خاف منه جوسلين خصوصاً لعدم ورود احد من الافرنج لنجدة فخرج هارباً عائداً الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها وسبي أهلها ففي هذه الدفعة نهبت وخذت من أهلها ولم يبق بها منهم الا القليل وكان ذلك في سنة ٥٤١ وكان قد باغ خبر عصيانها الى سيف الدين قازي بن الشهيد اتابك زنكي فسير اليها العساكر وفي أثناء مسيرهم اليها بلغتهم خبر استيلاء الملك العادل نور الدين عليها فعادوا

### \* (ابتداء الحروب الصليبية الثانية) \*

( طلب الصليبيين النجدة من البابا ومن ملوك أوروبا )

في سنة ٥٤٢ فتح الملك العادل نور الدين (ارتاج) بالسيف (وحصن باراه وبصرفوت وكفر لانا) وأخذها من الافرنج الذين كانوا قد طعموا قطنوا أنهم بعد قتل الشهيد يستردون ما أخذ منهم فلما رأوا قوة وبطش نور الدين علموا ان ما ملوه بعيد وخافوا منه أن يأخذ جميع بلادهم فلذلك اجتمعت رؤساءهم في مدينة القدس وقرروا طلب الاغاثة والنجدة من البابا ومن ملوك أوروبا جميعاً ثم أرسلوا وفدأ الى البابا أوجانيوس الثالث الذي كان مقياً في مدينة فيناريو ولما وصل اليه الوفد وقبله فأعلمه بما يجري على المسيحيين بالشام وان نور الدين اذا دام على قتالهم أفناهم خصوصاً استيلاء المسلمين على مدينة الرها تلك المدينة عظيمة القدر عندهم فبكى البابا وتذكر

ما فعله سلفه البابا أوربانوس الثاني وبما فاز به من ثمرة أعماله فشرع في تحرير الرسائل الى ملوك أوروبا مملوأة بالتحريض والاستحلاف بان ينهضوا لاجل نجدة اخوتهم المسيحيين الذين في المشرق ويخص بالتحريض ملك فرنسا لويس السابع وكذلك ارسل الى القديس برنردوس معلمه رئيس دير كلار فوكس كامبروسيموس واعلمهم بان مدينة القدس في خطر من سيوف المسلمين فلما وردت رسالة البابا على الملك لويس السابع ملك فرنسا عقد جمعية في مدينة بورغاس من الرؤساء الكنائسيين ومن اشراف المملكة وابلقهم اعتماده على الحرب المقدسة ثم انه عمل بمشورة القديس برنردوس فأرسل وفداً الى روميه لمقابلة البابا الذي قابله بمسرة ودعا للملك لويس بالنصر وأرسل منشوراً رسولياً الى المسيحيين جميعهم يحرضهم فيه ويمنحهم الانعامات والاختصاصات جميعها الممنوحة من سلفه أوربانوس الثاني للصليبيين الاولين وقد اناب عنه معلمه القديم القديس برنردوس فأقامه رئيساً رسولياً للجيوش الصليبية وفوض اليه دعوة جميع المسيحيين الى هزم الحرب المقدسة

### \* (جمعية فينزالاي بفرنسا) \*

أمر الملك لويس بعقد جمعية أخرى في مدينة ( فينزالاي ) الصغيرة من أقليم بورغونيا تحت رياسته ورئاسة القديس برنردوس وحضر هذه الجمعية عدد عظيم من الاكايروس والاشراف والرجال من كل سن ورتبة وكان اجتماع هذه الجمعية في يوم حد الشعانين في سنة ١١٤٦ ميلاديه موافقة سنة ٥٤١ هجرية امام باب المدينة المذكورة وهناك ظهر الملك بالزينة المملكيه وبرنردوس بثوبه الرهباني وجلسا فوق تخت نصب لهذه الغاية ثم انه وقف برنردوس وقرأ بصوت عال المنشور الباباوى وأخبر الشعوب بسقوط امارة الرها بيد المسلمين

فشمّل الحاضرین الكدر وسلوا سيوفهم واعتمدوا على الحرب ولاجل أن  
يوطدهم على هذه العزم ويحميهم بالغيرة الدينية خطب فيهم الخطبة الآتية  
بجروفها قائلاً (أيها السامعون أقوالى لا تلتمسوا بعد الآن بالتهند والدموع صلاح  
الله التماساً باطلاً ولا تلبسوا المسوح بل تدرعوا بالاسلحة التي تغلب فقعة  
آلات الحرب واضامات السفر والمشقات والاضرار الزمنية ومعركات الحرب  
انما هي اعمال التوبة التي يرسمها الله عليكم فاذهبوا افدوا خطاياكم بالانصار  
واسـتـخلـاصكم الا ما كن المقدسة من الاخطار الملمة بها هو ثمن ندامتكم  
وتوبتكم عن زلاتكم فلو اتاكم مخبر قائلاً لكم ان الاعداء قد استولوا على  
مدينتكم أو حصونكم أو اراضيكم واحتطفوا نسائكم وبناتكم للسبي ودنسوا  
معابدكم فمن منكم عند هذا السماع لا يركض متناولاً اسلحته للمحاربة فهذه  
المصائب كلها احقت باخوتكم وشرور اعظم منها زمعة أن تحل على  
الآخرين أيضاً من اخوتكم عليه يسوع المسيح التي هي عينكم فأي شيء  
إذا اتم تنظرون لكي تصالحوا هذا المقدار العظيم من الشرور ولكي تنتقموا  
عن اهانات مثل هذه كلية الانواع فحينما الرب يستدعيكم الى حماية ميراثه  
أفهل تظنون ان ذراعه الالهى اضحى الآن اقل قوة من ذى قبل واضعف  
اقتداراً مما سلف أو انه تعالى لا يستطيع أن يرسل اثني عشر طغمة من  
الملائكة أو يقول كلمة واحدة بها يكرس اعداءه الى التراب وأنتم أيها النبلاء  
الشرفاء المحامون عن الصايب المقدس تذكروا نموذجات آباءكم الذين استنقذوا  
أورشليم من العبودية واسماهم مكتوبة في السماء فاهملوا نظيرهم الخبيرات  
البايدة لكي تأخذوا رايات الغلبة العديمة الفساد وتكتسبوا ملكاً عديم  
النهاية) . اه

فصرخوا جميعاً قائلين . الله يريد هذا . الله يريد هذا . وقد اُثرت فيهم  
هذه الخطبة كما اُثرت خطبة البابا أو ربانوس الثاني في مؤتمر كلا رمون . ثم

انطرح الملك لويس على اقدام هذا القديس ملتصقاً منه صليب الحرب وقد  
 حرض جميع رعاياه الفرنسيين على اتباع اثره فيها وكذلك زوجته  
 (اليونوره) فانها استلمت صليب حرب فاتبعهما كونت دي سان جيلاس  
 وطولوز. وانريكوس بن طيوا كونت دي شامبانيا وتيادي كونت دي  
 فلاندره. وجليوم دي نافار ورائود كونت دي طوتار وانياس كونت دي  
 سواسون وارشامبود دي بوربون وهو كوز دي لوزنيان ثم الكونت دي  
 دروكس أخو السلطان والكونت دي بوربان عمه واساقفة نويون ولانكراس.  
 وأراس وليزيو وآخرون كثيرون من الرؤساء الكنائسيين على محاربة المسلمين  
 وفرح القديس برنردوس من تويج أعماله بالنجاح وصار ينتقل في مملكة  
 فرنسا من مدينة الى أخرى محرضاً على الحروب الصليبية في مدينة  
 شارتراس تجمعت العساكر والاشراف وطلبوا منه أن يكون قائدهم في  
 الحرب ولما تفكر هذا القديس ماجرى لبطرس السائح رفض طلبهم هذا  
 وخوفه ان يلزموه بذلك حرر رسالة الى البابا أوجانيوس يناشده بان يعفيه  
 من ذلك فاتاه الجواب حسب مرغوبه

### ✽ تحريض الملك كونراد ملك المانيا باتحاده مع الصليبيين ✽

ثم ان القديس برنردوس المذكور سافر من مملكة فرانساً قاصداً مملكة  
 النمسا يتجول في كل اقليم منادياً بالحروب الصليبية ثم سار الى سبيريالامانية  
 وكان منعقداً هناك مجلس عام للمملكة بأمر الملك كونراد الثالث فدخل  
 القديس الكنيسة التي بها الملك وعظماؤ دولته وشرع بتقديم الذبيحة الالهية ثم  
 ابتداء في القديس وصور المسيح حاضراً والصليب في يده مخاطب الملك كونراد  
 بتوبيخ صارم على فتوره فحجل الملك وأقسم بان يلبس ثوب الصليبيين منادياً  
 بالحرب المقدسة وكذلك اشراف المملكة ثم اجتمعت جمعية من الرؤساء

الكنائسين في مدينة ( راتيسبون ) فقررُوا قبول الرسائل المحررة لهم من  
 القديس برنردوس بالتحريض على الحروب الصليبية المقدسة وكان من هؤلاء  
 اساقفة ياصاف وراتيسبون وفريزيجان ومن العظماء لاديسلاس دوك دي  
 بوهومبا واودا كر أمير ستريا ورائناد كونت دي كارينتينيا وفريدريكوس  
 تسيب الملك كونراد اما القديس برنردوس فانه عاد من المانيا الى بلاد  
 فرنسا

\* (جمعية مدينة اتاميس بفرنسا والاستعداد لسفر الصليبيين) \*

لما عقد ملك فرنسا النية على السفر أمر باجتماع جمعية المملكة العامة  
 في اتاميس في شهر فبراير سنة ١١٤٧ لانتخاب نائباً عنه يدبر أمور المملكة  
 في غيابه فانتخبوا الانباسوجار رئيس كنيسة القديس ديونيسيوس فرفض  
 سوجار قبول هذه الوظيفة ولكن طاعته للاوامر البابوية والملوكية ألزمته  
 بقبولها ثم انه حضر هذه الجمعية رسل من الملك روجار ملك بوليا وسيسيليا  
 واعدين بان يرسلوا الى الصليبيين مراكب بحرية مع الذخيرة والبنون وان  
 ابن الملك يذهب معهم في المراكب الى الاراضي المقدسة وبناء على هذه المواعيد  
 قرروا بعد تردد السفر براً

\* (سفر الصليبيين واجتماعهم بالقسطنطينية) \*

ثم ارسل القديس برنردوس الاوامر فكانت تلاق في المدن على  
 الجدران وتلي فوق المنابر بالكنائس بخصوص السفر فاجتمع امير مونت  
 قارات والكونت دي مورياما خال لويس السابع وجمعا المساكر الصليبية  
 واجتازا بهم الجبال الاليمية وحدود رونا ولومبارديا ونيومونت وكذلك  
 الصليبيون الانكليز فانهم نزلوا في المراكب من مينامايكا وساروا قاصدين



الشرق واما العساكر الفرنساوية فكان موعده اجتماعهم بمدينة ماطنس  
والعساكر الالمانية والنمساوية بمدينة رايسبون وقد نزل الملك كونراد  
بمساكره في المراكب النهرية مجتازاً نهر الدانوب ذاهباً الى مدينة رايسبون  
لاجل تتويج ابنه بتسمية سلطان الرومانيين وترك تدبير المملكة في غيابه الى  
الانبا كوربي وسارقسم من عساكره في البر لابساً الخوذات مزينة بربيش  
النعام والزررد بالحديد اللامع ومدججون بالاسلحة الذهبية

وأما الملك لويس السابع فانه قبل سفره توجه الى كنيسة القديس  
ديونيسيوس ليستم السنجق الشايح الصيت الذي كان ملوك فرانسيس يسيرونه  
مرفوعاً امامهم في ذهابهم الى الحروب وكان البابا أوجانيوس الثالث قد حضر  
الى فرانسيس وحضر الاحتفال ويده سلم الملك لويس السنجق القديم مع دوس  
وغداره علامة لسفره في الحرب المقدسة ثم ودع سوجار وأوصاه بالمملكة  
وسار هو وزوجته وفريق من بلاطه من باريس متوجهاً نحو مدينة ماطنس  
حيث اجتمع بمساكره ثم سار منها الى بلاد المانيا ومنها قاصداً القسطنطينية  
الحل المعين لاجتماع جميع الصليبيين تحت سناجق الحرب المقدسة لينطلقوا  
منها الى مقابلة الاخطار العظيمة وطلب الانتصار

### ﴿ اخبار الصليبيين في القسطنطينية ﴾

كان جالساً في ذلك الزمان على تخت مملكة الروم التي عاصمتها القسطنطينية  
الملك عمانويل الشاب بن الملك اليكسيوس الاول وأخو الملك يوحنا السابق  
ذكره فجاءته اخبار ورود العساكر الصليبية الثانية فخف منهم على مملكته  
وليس له قوة على ممانعتهم ثم وصل الملك كونراد ملك المانيا والنمسا بمساكره  
وجميع من تبعه من الصليبيين فاتخذ عمانويل كل الطرق والحيل لمنعه  
فحصل بينهما خصام افضى الى الحرب فكانت المحاربة بين مدينة نيكوبولى

ومدينة ادرينوبولى ثم دارت المخابرة بينهما بواسطة معتمدين من الجهتين  
ولكن خوف الملك عمانويل من الصليبيين وكدر كوزراد من خيانة  
الروم جعلت المخابرة بدون فائدة الى ان عقد الصلح فاخذ ملك الروم  
يتدبر حيلة يهلك بها عساكر الصليبيين فامر بخلط الدقيق المطحون وغشه  
بالكلس الابيض ليبيع الى الصليبيين ثم ضرب نقوداً مغشوشة تشبه الذهب والفضة  
وأمر ان يشتري بها من عساكر كوزراد جميع ما يرغبون ببيعه اما الملك كوزراد  
وعساكره فانهم كانوا ناصيين خيامهم في سهول (ساليفريا) بالقرب من  
القسطنطينية فهبت عواصف شديدة واعقتها امطار غزيرة فجرت المياه  
من الجبال على المعسكر حتى غرقت خيامهم وامتعهم ورحلوا قاصدين اراضى  
اسيا

ثم وردت الاخبار الى الملك عمانويل بقدم الملك لويس السابع ملك  
فرنسا فخرج لملاقاه وفد من عند ملك الروم وقدموا له الاحترام اللائق  
بقامه فتوجه معهم الى قصر الملك بالقسطنطينية ثم تبعه قواده وكان ملك  
الروم يقدم كل يوم للصليبيين عهوداً وموائيق في الظاهر ويرسل الى ملك  
ايقونية ببلاد الاسلام يحرضه عليهم مبيئاً له نوايا الصليبيين وانهم قادمون لاخذ  
باقي البلاد من المسلمين فשמروا بذلك فقرر مجلس شورا هم بان البلاد التي  
يملكونها وتكون من مملكة الروم لا يسلموها الى ذلك الملك ولكنة خوف  
الملك عمانويل من الصليبيين ومن اقامتهم ببلادهم اشاع في مدينته بان  
الصليبيين الذين بصحبة الملك كوزراد قد انتصروا على المسلمين فاتباعاً  
لهذه الاشاعة الكاذبة فرح الصليبيون وامروا جيشهم بالمسير حالاً لمشاركة  
اخوانهم ثم ساروا الى ان وصلوا الى بحيرة اسكانوس بقرب مدينة نيقية  
وانشاء اقامتهم هناك انكسفت الشمس فتشاءموا وخافوا واتفق ان خوفهم هذا  
صادف محله لانه وردت لهم الاخبار بان الملك كوزراد وعساكره كسرهم المسلمون

## \* (مسير العساكر النمساوية والالمانية) \*

وكان الملك كونراد من معه من الصليبيين قد استصحب من الروم من يده على الطريق في بلاد آسيا فسار الروم أمامهم وأرادوا توصيلهم من نيقية الى ايقونيا فساروا بهم في الجبال بغير الطريق الحقيقي حتى فرغ مامعهم من الزاد وحينئذ علمت الافرنج بان الروم قد خانوهم ومكروا بهم وأضلوهم بطريق وعرة المسلك بدون زاد ولأما فقر الروم وتركوهم عند جبل طاوروس فسار الافرنج بعد ذلك ثلاثة ايام بحال يرثى لها من التعب والمشقات وعدم الاكل والشرب فطلمت عليهم العساكر الالمانية وكانوا كامنين لهم بالجبل وانقضوا عليهم كالصواعق من كل ناحية فاحتارت العساكر الصليبية وهي لا تقدر لاعلى الرجوع ولا على التقدم وبعد قتل أكثرهم هرب الملك كونراد وتبعه باقي عساكره ومن سلم من الصليبيين الاخر الى مدينة نيقية فتبعهم المسلمون وقتلوا معظمهم وهم منهزمون ولما وصلوا الى مدينة نيقية قابلهم الملك لويس ملك فرنسا بجيشه ثم جددا التحالف بمحاربة المسلمين ولكون الملك كونراد لم يكن له قوة بالمسير صحبة ملك فرنسا فرجع الى القسطنطينية وطلب من ملك الروم مساعدته بمراكبه الى القدس كما يأتي

## \* (سفر العساكر الفرنسية) \*

سار الملك لويس بعسكره حتى بلغ أراضي برغاما وازمير حيث وردت اليه رسل ملك الروم فلم يأنفت اليهم وسار بعسكره نحو المشرق وضرب خيامه في واد بالقرب من كابسترا (وهو الآن وادي الغزلان) واحتفلوا هناك بعيد ميلاد المسيح ثم ساروا بطريق اللاذقية الى ان بلغوا فم نهر ليكوس

وهناك أرادت العساكر الاسلامية منهم من عبور النهر ولكن الملك لويس  
شجع عساكره ورتبهم وسار بهم بدون مبالاة الى ان وجدوا سهلا فيه اجتياز  
النهر فدفعوا أنفسهم برئاسة الكونت افريكوس وتادوريكوس فعبروا النهر  
وكذلك اجتاز النهر الملك لويس وهجموا على العساكر الاسلامية فانهمزوا  
من امامهم وسمع بذلك أهل اللاذقية القريبة من محل الواقعة فخافوا وأخلو  
المدينة ثم سار الملك لويس وعسكره الى ان وصل الى مدينة ساطاليا مجتازين  
في طرقات جبل كادموس مع جبال أخر مخيفه (التي سموها جبال اللعنه) وهناك  
وجدوا العساكر الاسلامية واقفة لهم بالمرصاد فخاف الملك لويس وارسل قسما  
من عسكره تحت رئاسة عمه كونت دي مورباننا مع جو فرودي رنكوت  
فانتمت العساكر الاسلامية فرصة انقسام الصليبين وانقضوا على الباقين في  
الجبل بصرخات مهيلة ورموهم بالنبال فالتجأوا الى قمة جبل تحتها واد عميق  
فضايقتهم العساكر الاسلامية وأخذوا يقتلونهم ويكردسونهم في هذا الوادي  
أما الملك لويس وباني عسكره فانه هجم على الاسلام وسبر جيشه أمامه  
فهجمت عليه العساكر الاسلامية وفرقت بين جيشه وبين فرسانه وأوقعوا بهم  
ففر الملك لويس من هذه الموقمة ولحق بمن نجا من جيشه وساروا الى ان  
وصلوا الى سور مدينة ساطاليا عند فم نهر جاسنيوس وعند مشاهدتهم هذه  
المدينة ظنوا بانهم سيحتموا فيها لعلمهم بانها تابعة لملك الروم ولكن انهم  
خاب فوالى المدينة الرومي أمر بقفلها في وجوههم مع انهم كانوا في غاية لشدة  
والجوع ووجدوا أنفسهم ملتزمين بالاستمرار على المسير في البراري وأخيراً  
طلبوا منه ان يرسل لهم مرابته ليسيروا بها الى انطاكية فامرهم بالمرابك ولما  
وجدوها غير كافية لملهم انقسموا قسمين قسم ركب البحر ومعه الملك لويس  
وقسم سار في البر تحت رئاسة كونت دي فلاندر وارشامبوددي بوربون  
ودفع الملك لويس الى والى ساطاليا خمسين وزنة من الفضة ليوصل العساكر

المسافرة براً الى طرسوس ولكن هذا الوالى أهملهم ولم يرسل أحداً يدهم  
على الطريق السهل وسار الملك لويس بجرأاً الى ان وصل انطاكية فخرج  
يراي بوند دى بوانيارس صاحبها وقابل الملك بالاحتفال والاكرام وقد فرح به  
وطلب الاشتراك معه فى الحرب وقال له الافضل ان نحارب مدينتى حلب  
وقيساريه لان امتلاكهما يوطد الامان لجميع الصليبيين ويضعف قوة نورالدين  
ولكن ملك فرنسا وقواده رفضوا هذا العلب وقالوا لانحارب الابد زيارة  
القدس ثم بعد اقامته بانطاكية أياماً قليلة عزم على المسير الى القدس فسار هو  
وقواده الى ان وصلوها فخرج بودوين الثالث ملكهم مع الاكلروس والامراء  
والشعب حاملين أغصان الزيتون فدخل المدينة بين هتاف وتهليل وذلك سنة  
١١٤٧ الموافق سنة ٥٤٢ هـ وأقام بها الى ان وصل الملك كونراد ملك النمسا  
والمانيا فتوجهوا الى كنيسة القيامة فشكروا الله على نجاتهما

### ✽ المشورة بالحروب الصليبية الثانية ✽

بعد اقامة الملوك الصليبيين بالقدس عقد بودوين الثالث ملك القدس مجلساً  
للمشورة على محاربة الاسلام حضره الملك المذكوران واعضاء مملكة اقدس  
والرؤساء الكنائسيون وكان ذلك المجلس بمدينة عكا فقرروا محاصرة مدينة  
دمشق الشام ظانين بانهم اذا فازوا بهذه المدينة وامتلكوها وايانها المحضة لم يبق  
عليهم خوف من حروب جديدة تضايقهم فيها المسلمون وتصير مدينة القدس  
محمية بدمشق وفي شهر مايو سنة ١١٤٨ سار كل من الملك كونراد ملك النمسا  
والمانيا والملك لويس السابع ملك فرنسا والملك بودوين الثالث ملك القدس  
بجميع عساكرهم وكذلك رهبان جمعية القديس يوحنا المعمدان ورهبان جمعية  
الهيكلين مقدسين امامهم البطريرك حاملا الصليب الخلاصى الحقيقى وساروا

الى ان وصلوا الى سهل مدينة دمشق

\* محاصرة الصليبيين مدينة دمشق \*

في سنة ٥٤٣ هجرية حاصر الصليبيون مدينة دمشق وفيها صاحبها محجر الدين  
 آبق بن محمد بن بوري بن طفتكين وليس له من الامر شيء وانما كان الامر الى  
 مملوك جده طفتكين وهو معين الدين انز فهو كان الحاكم والمدير للبلد والعسكر  
 وكان عاقلاً دينا خيراً حسن السيرة فجمع العسكر وحفظ البلد وحصرهم  
 الصليبيون فزحفوا اليهم سادس ربيع اول فخرج العسكر وأهل البلد لمنعهم  
 وكان في من خرج الشيخ حجة الدين أبو الحجاج يوسف بن دوناس المغربي  
 الفندلاوي شيخ السادة المالكية بدمشق وكان شيخاً كبيراً زاهداً عابداً  
 خرج راجلاً فرآه معين الدين فقصدته وسلم عليه وقال له يا شيخ أنت معذور  
 ونحن نكفيك وليس بك قوة على القتال فنال قد بعث واشترى فلانقيه ولا  
 نستقيه يعني قول الله تعالى ( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ان لهم  
 الجنة ) الآية وتقدم وخرج معه أيضاً الشيخ الزاهد عبدالرحمن الخاحول  
 فقاتل حتى قتلا رحمهما الله وقوى امر الصليبيين وتقدموا وضمف أهل البلد عن  
 ردهم وتقدم الملك كوزراد فنزل بالميدان الاخضر فايقن الناس بانه يملك البلد  
 وكان معين الدين قد أرسل الى سيف الدين غازي يستقيث به ويستجده فجمع  
 عساكره وسار الى الشام واستصحب معه أخاه نور الدين محمود من حلب فنزلوا  
 بمدينة حمص وأرسل الى معين الدين يقول له قد حضرت ومعي كل من يحمل  
 السلاح من بلادى فاريدان يكون نوابى بمدينة دمشق لاحضر واتى الافرنج  
 فان انهزمت دخلت انا وعسكري البلد واحتمينا به وان ظفرنا فالبلد لكم  
 لأننا زعكم فيه فارسل معين الدين الى الصليبيين يهددهم ان لم يرحلوا عن البلد  
 وكان قد حصل بينهم انقسام لانهم ظنوا امتلاك المدينة فتشاحنوا على من يكون

ملكها فلما سمعوا بمجيء سيف الدين ضعف قلبهم وأرسل اليهم معين الدين  
يهددهم ويقول لهم ان ملك المشرق قد حضر فن رحلتم والا سلمت البلد  
اليه وحينئذ تندمون وارسل أيضا الى افرنج الشام يقول لهم باى عقل  
تساعدون هؤلاء الصليبيين الغرباء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا  
دمشق أخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية وأما انا فان رأيت الضعف  
عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق  
لا يبقى لكم معه مقام في الشام فاجابوه الى التخلي عن الصليبيين وبذل لهم تسليم  
حصن بانياس اليهم فاجتمع الملك بودوين وأرباب مملكته بالملك كونراد والملك  
لويس وخوفهم من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانه  
ربما أخذ دمشق ونضمف عن مقاومته فباكرهم المسلمون وقد قويت شوكتهم  
ونفوسهم وزال عنهم روعهم وتبينوا بازانهم وأطلقوا فيهم السهام وفي الغد أحاطوا  
بهم في مخيمهم وقد تحصنوا باشجار البساتين فاحجم الافرنج عن البروز وخافوا  
وفشلوا ولم يظهر منهم أحد ووطن المسلمون انهم يدبرون مكيمة أو حيلة ولم يظهر  
منهم الا الفرار اليسير من الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناوشة خوفا من  
المهاجمة الى ان يجدوا الحلمهم مجالا وليس بدنوا منهم أحد الاصرع رشقة أو طعنة وطمع  
فيهم نفر كثير من رجالة الاحداث وجعلوا يتصدونهم في المسالك فيقتلون من ظفروا  
به ويحضرون رؤسهم لطلب الجوائز عليها فرحلوا في سحر يوم الاربعاء عشر ربيع  
الاول فبعد رحيلهم عن دمشق أشار بعض المقدمين محصار مدينة عسقلان ولكن  
جميع الصليبيين ضفت قلوبهم وذهبت شجاعتهم ولذلك رفضوا هذه الشورة وعاد  
كل منهم الى بلاده

### ﴿ استيلاء نور الدين على حصن العزيمة ﴾

بعد رحيل الصليبيين عن دمشق سار معين الدين انزالي بعلي بك وأرسل

الى نور الدين وهو مع أخيه سيف الدين يسأله ان يحضر اليه فاجتمعا فوصلهما  
 كتاب القمص بونص صاحب طرابلس يشير عليهما بقصد حصن الزبيمة وأخذه  
 عن فيه من الافرنج وكان سبب ذلك ان ابن الملك روجار صاحب صقايه خرج مع  
 الملك كونراد ملك المانيا الي الشام وتغلب على الحصن المذكور وأخذه من  
 القمص وأظهر له انه يريد أخذ طرابلس أيضاً وكان روجار صاحب صقايه قد غزا  
 افريقيه وفتح مدينة طرابلس الغرب فلما استولى ابنه على حصن الزبيمة كاتب  
 القمص نور الدين ومعين الدين في قصده فسارا اليه بمجدين فصباحاه وكتبا الي  
 سيف الدين يستجداه ويطلبان منه المدد فامدهما فحصر والحصن وتقبوا السور  
 فاذعن الافرنج راسدسماوا والقوا بايديهم فلك المسلمون الحصن وأخذوا كل من  
 فيه من رجل وصبي وامرأة وفيهم ابن روجار وأخربوا الحصن وعادوا الي سيف  
 الدين وعاد نور الدين الي حلب ومعه ابن روجار وأمه ومن أسر معهم وعاد معين  
 الدين الي دمشق

\* (انهزام الافرنج بيغري) \*

في سنة ٥٤٣ هـ أيضاً هزم نور الدين محمود بن زنكي الافرنج بمكان اسمه  
 بيغري من أرض الشام وكانوا قد تجتمعوا ليقصدوا أعمال حلب ليغيروا عليها  
 بقيادة رايوند صاحب انطاكية فلم نور الدين فيهم اليهم في عسكره فالتقوا بيغري  
 واقتتلوا قتالا شديداً فانهم الافرنج وقتل كثير منهم وأسر جماعة من مقدمهم  
 ولم ينج من ذلك الجمع الا القليل وأرسل من الغنيمة والاسرى الي أخيه سيف الدين  
 والي الخليفة ببغداد والي السلطان مسعود وفي هذه الواقعة يقول ابن القيسراني  
 بقصيدته التي أولها

يأبى ان الصد مصدود      أولا فليت النوم مردود

ومنها في ذكر نور الدين



وكيف لا يثنى على عيشنا الـ محمود والملكطان محمود  
 وصارم الاسلام لا يثنى الاوشلو الكفر مقدود  
 مكارم لم تك موجودة الاونور الدين موجود  
 وكم له من وقعة يومها عند ملوك الكفر مشهود

\* ( قتل راييموند صاحب انطاكيه ) \*

في صفر سنة ٥٤٤ سار نورالدين بساكره الى حصن حارم وهو للافرنج  
 فحصره وخرب رايضه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن آنب فحصره فاجتمعت  
 الافرنج مع راييموند صاحب انطاكيه وساروا اليه ليرحلوه عن آنب فلم يرحل  
 بل لقيهم وتضاف الفريقان واقتتلوا وصبروا وظهر من نورالدين من الشجاعة  
 والصبر في الحرب على حدائة سنة ما تجب منه الناس وانجبت الحرب عن هزيمة  
 الافرنج وقتل المسامون منهم خلقاً كثيراً وقتل أيضاً راييموند صاحب انطاكيه  
 ثم تخلف بعده على انطاكيه ولده الصغير المدعو بوهيموند فتزوجت أمه  
 قسطنانسا رانود دى شاتيلون أحد الافرنج ليدير شؤون البلاد الى ان يبالغ ولدها  
 ويستلم الحكم

ثم سار نورالدين الى حصن قاميه وهو للافرنج أيضاً وقريب من مدينة حماه  
 وهو حصن منيع على تل مرتفع من أحسن القلاع وامن بها وكان من فيه من  
 الافرنج يغيرون على أعمال حماه وشبزر وينهبونها فكان أهل تلك الاعمال  
 معهم تحت الذل والصغار فسار نورالدين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من فيه  
 عن الفرار ليلا ونهاراً وتابع عليهم القتال ومنهمم الاستراحة فاجتمعت الافرنج  
 من سائر بلادهم وساروا نحو ليز حز حوه عنها فلم يصلوا اليه الا وقده ملك الحصن  
 وملاءة ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه قرب  
 الافرنج سار نحوهم فحين راوا جده في لقاهم رجموا واجتمعوا ببلادهم وصالحوه

على ما أخذه

﴿ وفاة الحافظ لدين الله خليفة مصر وولاية الظافر بامر الله ﴾

في اليوم الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم العلوي بمصر بعلّة القوانج وكان كثير الإصابة بها فعمل له موسى النصراني طبّل القوانج وهو عبارة عن طبّل مركب من سبعة مادن عليه الكواكب السبعة وكان من خاصته ان الانسان اذا ضربه يخرج الريح من مخرجه ولهذا الخاصة كان ينفع في القوانج وكان سن الحافظ عند وفاته ثمانين سنة ومدة حكمه ١٩ سنة و ٧ أشهر ولم يكن من التدبير والحكمة على شئ فكان يعهد ادارة الاحكام لوزرائه مكتفياً بالسلطة الدينية المحصورة في كل خليفة ولم يكن لديه من الساطة الياسية الا الامضاء على الاوامر في تثبيت الامراء على اماراتهم شأن الدول عند قرب انحلال ملكها الا ان تغيير الوزراء جعل فيه بعض الاهتمام في الاحكام واستخلف ابنه اسماعيل ابا المنصور فبويع له ولقب بالظافر بامر الله ولكن هذا الاسم لم ينطبق على المسمى وكان سنه ١٧ سنة وهو اصغر اولاد ابيه سنّاً وكان كثير اللهو والتفرد بالجوارى واستماع الاغاني فكان ينظر الى الدسائس الجارية في قصره الايلة الى خراب ملكته بعين المتردد المتهامل وبمثل ذلك كان ينظر الى تهدد جنود الملك روجار صاحب سيسليا بعد استيلاءه على أكثر بلاد المغرب ولولا لطف الله ووقوع الخلاف بين ملك سيسليا المذكور والملك عثمانوبل ملك الروم وحصول الحرب بينهما وموت جورجى وزير روجار بعد اصابته بمرض البواسير والحصا لكان حاصر مصر

﴿ أسر جوسلين ﴾

في سنة ٥٤٥ سار نور الدين الى بلاد جوسلين وهى القلاع التى شمال حلب

منها تل باشر. وعين تاب. وعزاز. وغيرها من الحصون فجمع جوسلين الفرنج  
 فارسهم وراجلهم وبقي نور الدين فكان بينهما حرب شديدة انجحت عن اهزام  
 المسلمين وظفر الفرنج وأخذ جوسلين سلاح دارنور الدين أسيراً وأخذ مامعه  
 من السلاح فارسله الى السلطان مسعود بن قايسج ارسلان صاحب قونية وكان نور  
 الدين قد تزوج ابنته وارسل مع السلاح اليه يقول قد انفذت لك بسلاح صهرك  
 وسيأتيك بعدها غير مضمومة الحادثة على نور الدين وأعمل الحيلة على جوسلين  
 وعلم ان هو جمع العساكر الاسلامية لقصد جمع جوسلين الافرنج وحذر وامتنع  
 فاحضر نور الدين جماعة من التركان وبذل لهم الرغائب من الاقطاع والاموال  
 انهم ظفروا بجوسلين اباقتلا واما اسراً فاتفق ان جوسلين خرج من عسكره  
 وأغار على طائفة من التركان فذهب وسبي فاستحسن من السبي امرأة منهم خلا  
 معها تحت شجرة فعاجله التركان فركب فرسه ليقاتلهم فاخذوه أسيراً فصانهم على  
 مال بذله لهم فرغبوا فيه وأجابوه الى ذلك وأخفوا أمره عن نور الدين فارسل  
 جوسلين في احضار المال فاتي بعض التركان الى نائب نور الدين بحلب  
 فاعلمه بما كان فسير معه عسكراً أخذوا جوسلين من التركان قهراً وكان  
 نور الدين حينئذ يحمص وفرح المسلمون لاسره وعظمت المصيبة على الافرنج  
 وختت بلادهم من حاميتها وسهل أمرهم على المسلمين بعده وكان كثير القدر  
 والمكر لا يقف على يمين ولا يفتي بيهد وطالما صالحه نور الدين وهادته فاذا  
 آمن جانبه بالمهود والمواثيق نكث وغدر فلقية غدرة وحاقيه مكره وبعد اسره  
 فتح كثيراً من بلادهم وقلاعهم فمنها عين تاب. وعزاز. وفورس. والراوندون  
 وحصن البان وتل خالد وكفر لانا وكفر سوب وحصن لسرفوب بجبل بني  
 عليم ودلوك ومرعش ونهر الجوز وبرج الرصاص وكان نور الدين اذا فتح  
 حصناً لا يرحل عنه حتى يملاؤه رجلاً وذخائر تكفيه عشر سنين خوفاً من  
 نصرة تنجدد للافرنج على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة

﴿ قتل ابن السلار وزير الخليفة الظافر ووزارة عباس ﴾

في شهر محرم سنة ٥٤٨ قتل العادل بن السلار وزير الظافر بالله الخليفة العلوي بمصر قتله ربيه عباس بن أبي الفتوح بن يحيى الصنهاجي أشار اليه بذلك الامير اسامه بن منقذ ووافق عليه الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصر أودخل على العادل وهو عند جدته أم عباس فقتله وولى الوزارة بعده ربيه عباس وكان عباس قد قدم من المغرب الى مصر فتزوج ابن السلار بامه وأحبه وأحسن تربيته فجازاه بان قتله وولى بعده وكانت الوزارة في مصر لمن غلب والخلفاء وراء الحجاب والوزراء كالمتملكين

﴿ امتلاك الصليبيين مدينة عسقلان ﴾

كانت مدينة عسقلان تابعة لاديار المصرية وكان الوزراء في كل سنة يرسلون اليها من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها وكانت حصينة منيعة وطالما حاربها الافرنج وارتدوا عنها خائبين وفي سنة ٥٤٨ لماعلم بودوين الثالث ملك القدس ما حصل بمصر من اختلاف الوزراء انتهز الفرصة وراسل جميع الافرنج المقيمين بالشام بمساعدته وسار من القدس وصحبه افرنج الشام وراهبان جمعية الهيكلين وراهبان جمعية القديس يوحنا المعمدان الى ان وصل الى اسوار مدينة عسقلان من البر وحصرها وكان سير اليها خمسة عشر مركباً في البحر برئاسة جيرا صاحب صيدا وحاصرها بجرأ ثم تصادف ورود جموع من الصليبيين لمساعدة الافرنج وكذلك ورود مراكب أوروبا وبويه فانضافوا الى العمارة البحرية تحت رئاسة جيرا المذكور وكان مع بودوين برج كبير من الخشب أعلى من اسوار المدينة مركب على دواليب سهل النقل وركبوا منجانيقات وكبوشاً

ونازلوا المدينة وأخذوا يقاتلونها ويرمونها بالمنجنيقات وكذلك أهل عسقلان  
يرمونهم بالنبال والمجانيقات حتى أشرفوا على الهلاك من داخل المدينة ثم  
وردت عمارة مصرية لنجدة المدينة فاستبشر أهلها وقويت نفوسهم واشتدوا  
في القتال فرموا على الأخشاب الحربية التي مع الصليبيين ناراً من أعلى السور  
فانقدت بسرعة عظيمة ولكن الريح عكست النار فارمتها على سور المدينة فظلت  
مشتعلة أربعين ساعة حتى وقع من السور جزء فافتتح مجال للصليبيين يدخلون  
منه المدينة وكان بالقرب من هذه الجهة رهبان جمعية الهيكلين الذين طلبوا الدخول  
إلى المدينة وحدهم وامتلاكهم ولما دخلوا من هذا الجزء المهديم وجدهم المسلمون  
قليلين فأنقضوا عليهم وقتلوهم فهرب باقيهم إلى خارج السور فانكسرت قلوب  
الافرنج ثم إن المسلمين أخذوا يقاتلون بشدة ولما وجدوا عجزهم عن المقاومة أرسلوا  
إلى بودوين بتسليم المدينة بشرط أن يخرجوا مسلمين بمائاتهم وامتعتهم فاجابهم إلى  
ذلك وأعطاهم ميعاداً ثلاثة أيام وبعد أسلموا المدينة إليهم وخرجوا منها مسلمين  
وكانت مدة الحصار خمسة أشهر

### ﴿ استيلاء نور الدين على مدينة دمشق ﴾

بينما كان الافرنج محاصرين عسقلان كما تقدم كان نور الدين ينهض ولا يقدر  
على الوصول إلى عسقلان لنجدة أهلها وكان السبب في ذلك أن عسقلان واقعة  
بين بلاد مصر وبلاد الافرنج ومدينة دمشق وكان بدمشق مجير الدين فلما علم  
الافرنج ضعفه صاروا يغيرون عليه وينهبون الأهالي حتى جعلوا على المدينة اتاوة  
سنوية يأخذونها فلذلك لم يكن نور الدين من العبور منها فعزم أن يستولى عليها  
وقال أنا الحق بحمايتها فارسل الأمير أسد الدين شيركوه في العشر الثاني من  
محرم سنة ٥٤٩ فوصل إلى ظاهر دمشق وخيم بناحية القصب من المرج في  
عسكر يناهز الألف فانكر ذلك مجير الدين وخاف منه فلم يخرج لتأقيمه والاختلاط

اليه وتراسلا فلم تسفر المراسلات عن سداد ولا نيل مراد وغلا سعر الاقوات  
 لانقطاع الواصلين بالغلات ووصل نور الدين في عسكره الى شيركوه ثالث صفر  
 وخيم ببيتون الفاسريا عند دومه ورحل في الغد ونزل بيت الابار من الغوطة  
 وزحف الى البلد من شرقيه وزحف اليه من عسكر البلد واحداه الخلق  
 الكثير ووقع العاراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين الى مكانه ثم زحف يوماً  
 بعد يوم وتأكد الزحف يوم الاحد عاشر صفر وظهر اليه العسكر  
 الدمشقي فاندفع بين ايديهم الى سور قبلي البلد وتولي القتال أسد الدين  
 شيركوه وأبلى الجهد فكسر عساكر دمشق الى الاسوار من قبلي البلد ولم  
 يكن احدهم المقتلة على السور من ذلك الجانب لان نور الدين كان من شرقها  
 وجل العسكر مقابله ورأى من كان مع نور الدين من الجانداريه والحلبيين خلوا  
 السور من المقاتلة فأسرعوا الى السور وتملقوا به وطلعوا في الحال الى أعلاه  
 ويقال ان امرأة كانت على السور فدلّت حبلاً فصعدوا عليه ونصبوا علما  
 وصاحوا بشعار نور الدين وامتنع الاجناد والرعية من الممانعة لماسهم عليه من  
 المحبة لنور الدين وكسروا الباب ودخلت منه العساكر وفتح باب توما أيضاً  
 وكان مجير لدين لما احس بالغلبة قد انهزم من ضواحيه الى القلعة فانفذ اليه  
 نور الدين امنه على ماله ونفسه وخرج الى نور لدين فطيب خاطره وكان مجير  
 الدين قد راسل الافرنج وطلب منهم المساعدة على نور الدين فلما حضروا وجدوا  
 نور الدين قد استلم البلد فخافوا منه ورجعوا الى بلادهم

### ﴿ قتل الخليفة الظافر وولاية ابنه الفائز ﴾

لما ورد خبر اتيلاك الافرنج مدينة عسقلان جاء خبر آخر أشد وطأة  
 وهو ان العمارة السيسيلية نزلت على سواحل مصر وأحرقت مدينة تانس في  
 منتصف بحيرة المنزلة ونهبت الفرما الا انها لم تتقدم فاخذت ما أمكنها حمله من

الفنم وعادت من حيث أتت

كان ذلك والخليفة الظافر غارق في الشهوات الوحشية مشتغلا عن مهام الدولة فشق ذلك على وزيره العباس فاوعز الى ابنه نصر ان يقتله وينجى البلاد من شره ويتخاص مما كان يقوله الناس في عرضهما من معاشرته فاستدعا الى دار ابيه سرا بحيث لم يعلم به أحد وتلك الدار هي المدرسة الخيفية التي تعرف بالسيوفية فقتله بها وأخفى قتله في منتصف محرم سنة ٥٤٩ قاتي نصر الى ابيه العباس وأعلمه بذلك من ليلته. ولما كان الصباح اقبل عباس الى القصر على جاري عادته في الخدمة وأظهر عدم الاطلاع على قضيته وطلب الاجتماع به ولم يكن أهل القصر قد علموا بقتله لانه خرج من عندهم خفية وما علم أحد بخروجه فدخل الخدم لموضعه ليستأذنوا للعباس فام يجدوه فدخلوا الى قاعة الحرم فقيل انه لم يبت هنا فتطلبوه في جميع مظانه في القصر فام يقفوا له على خبر فتحققوا قتله فاخرج عباس اخوى الظافر وهما جبريل ويوسف وقال لهما انما قتلتا امامنا وما نعرف حاله الا منكما فاصرا على الانكار وكنا صادقين في ذلك فقتلتهما في الوقت لينفي عن نفسه وابنه التهمة. فاستدعي العباس الفائز ابن الظافر وكان عمره خمس سنوات وقيل سنتين فخمله على كتفه ووقف في صحن الدار وامر ان تدخل الامراء فدخلوا فقال لهم هذا ولدكم ولاكم وتتل عماء اباة وقد قتلتها به كما ترون والواجب اخلاص الطاعة لهذا الطفل فقالوا باجمعهم سمعنا وأطعنا وصاحوا صيحة واحدة اضطرب منها الطفل وبال على كتف عباس وسماه الفائز وسيروه الى أمه وقد اختل من تلك الصيحة فصار يصرع في كل وقت ويخلى فاحخذ عباس من ذلك الحين يدبر الامور وانفرد بالتصرف ولم يبق على يده يد وأما أهل القصر فانهم اظلموا على باطن الامر واخذوا في اعمال الحيلة في قتل عباس وابنه فكتبوا بذلك الصالح طلائع ابن رزيك الارمني وهو أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير

الدين كان قد سار الى زيارة مشهد الامام علي بن ابي طالب بارض النجف  
من العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية فنبأه الامام انه سيتولى  
مصر بناء على رؤية رآها في منامه فسار من ساعته الى مصر وصار يترقى في  
الخدم حتى ولي منية ابن خصيب

فلما صار أهل القصر الى ما صاروا اليه كتبوا الى طلائع وسألوه الانتصار  
لهم ولمولاهم والخروج علي عباس وقطعوا شعورهم وسيروها في طي الكتاب  
وسودوا الكتاب فلما وقف الصالح عليه أطاع من حوله من الاجناد عليه  
وتحدث معهم في المعنى فاجابوا الى الخروج واستمال جمعا من العرب وساروا  
قاصدين القاهرة وقد لبسوا السواد فلما قاربوها خرج اليهم جميع من بها  
من الامراء والاجناد والسودان وتركوا عباساً وحده فخرج عباس من ساعته  
من القاهرة وخرج معه ولده نصر ومعهما شيء من المال وجماعة يسيرة من  
اتباعهم وقصدوا طريق الشام على ابيه وذلك في ١٤ ربيع أول سنة ٥٤٩ أما  
الصالح بن رزيق فانه دخل القاهرة بدون قتال وما قدم شيئاً على النزول بدار  
عباس المتقدم ذكره . واستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر ساعة قتله  
وسأله عن الموضع الذي دفن فيه فعرّفه به وقاع البلاطه التي كانت عليه وأخرج  
الظافر ومن معه من المقتولين فحملوا وقطعت لهم الشعور وانتشر البكاء  
والنواح في البلد ومشي الصالح والخلق قدام الجنازة وتكفل الصالح بالخليفة  
الصغير ودبر أحواله . وأما عباس فأخت الظافر كاتبت افرنج عسقلان بشأنه  
واشترطت لهم مالا جزيلاً اذا امسكوه فخرجوا عليه وصادفوه فتوافقوا وقتلوا  
عباساً وأخذوا ماله وولده وانهمز بهض أمجابه وسيرت افرنج نصر بن عباس  
الى القاهرة تحت الحفظ في قفص من حديد فلما وصل تسلم رسوله ثم ما شرطته  
لهم من المال فاخذوا نصرأ وضربوه بالسياط ومثلوا به وضابوه بعد ذلك على  
باب زويله ثم انزلوه وأحرقوه



### ﴿محاصرة نور الدين حصن حارم﴾

في سنة ٥٥١ حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي حلب بالقرب من انطاكية وضيق على أهلها وهي من أمنع الحصون واحصنها في نحو المسلمين فاجتمعت الافرنج من قرب منها ومن بعدوساروا نحوه لمنعه وكان بالحصن مقدم كبير منهم فارس اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من المدد والعدد وحصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاوله وترك اللقاء وقال لهم ان تقيتموهم هزموكم وأخذوا حارم وغيرها وان حفظتم انفسكم منه اطقنا الامتناع عليه ففعلوا ماأشار به عليهم وراسلوا نور الدين في الصلح علي ان يعطوه حصه من حارم فابى ان يجيبهم الاعلي مناصفة الولاية فاجابوه الى ذلك فصالحهم وعاد

### ﴿انتصار العساكر النورية على الافرنج﴾

في أوائل سنة ٥٥٢ حصلت زلازل كثيرة باراضى الشام وهدمت كثيرا من الحصون والقلاع والبيوت وجميع المباني وفي شهر ربيع أول كان نور الدين بناحية بلبك فاتته الاخبار من ناحية حمص وحماء باغارة الافرنج على تلك الاعمال وفي ١٥ منه ورد المبشر من المعسكر المنصور برأس الماء بان ناصر الدين أمير أميران لما انتهى اليه خبر الافرنج وانهم قد أنهضوا سرية وافرة العدد الى ناحية بانياس اتقويتها أسرع اليهم وعدتهم سبعمائة فارس سوى الرجاله فأدركهم قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من حماها فواقع بهم وكان قد كمن لهم في مواضع كمناً من شجمان الازراك واندفع المسلمون بين أيديهم في أول المجال وظهر عليهم الكمائن فانزل الله نصره على المسلمين وقتلت الافرنج وأسر باقيهم وحصل في أيدي المسلمين من خيولهم

وسلاحهم وأموالهم وأسراهم ورؤوس قتلاهم ومحقت السيوف عامة رجالهم  
 ووصلت الاسرى والغنائم الى دمشق ثم وردت بشرى ثانية من اسد الدين  
 شيركوه باجتماع عدد كثير اليه من شجعان التركان وأنه قد ظفر بسرية وافرة  
 من الافرنج ظهرت في معاقلمهم من الشمال فانهمزمت وتخطفوا من ظفروا به  
 ووصل اسد الدين الى بعلبك ومن معه من الشجيمان واجتمعوا بنور الدين  
 وقرروا قصد بلاد الافرنج لتدوينها والابتداء بالنزول على بانياس وقدم نور  
 الدين دمشق في الاستعداد وتجهيز العساكر فخرج وتبسمه كثير من الاحداس  
 والمتطوعة والفقهاء والصوفية في آخر شهر ربيع اول ونزل على حصن بانياس  
 وضايقه بالمنجانيقات وفي أثناء ذلك الحصار ورد خبر انتصار اسد الدين شيركوه  
 بناحية هونين على سرية من الافرنج ثم ان نور الدين قوى الحصار والحرب ففتح  
 الحصن المذكور بالسيف قهراً بعد مضي اربع ساعات بعد انتهاء النقب وسقوط  
 البرج فأخذوا الحصن وهرب بعضهم الى القلعة فحاصرها أيضاً فطلبوا الامان ثم  
 بلغه خبر جمع ملك الافرنج عسكره بين طبريه وبانياس بتصد استخلاصها فسار  
 اليه فلما شارفهم وهم غارون ورأوا اياته قد اظلمت بادروا بلبس السلاح والركوب  
 واقتربوا اربع فرج وحملوا على المسلمين فند ذلك ترجل الملك العادل نور الدين  
 فترجلت معه الابطال وأرهقوهم بالسهم وخرصان الرماح حتى تزلزلت  
 بهم الاقدام ودهمهم البوار والحمام وانتصر المسلمون وتمكنوا من فرسانهم  
 قتلاً وأسراً واستأصلت السبوق الرجال وهم العدد الكثير فلم يفلت منهم  
 غير عشرة انفار

\* محاربة المصريين غزه وعسقلان \*

في أوائل سنة ٥٥٣ أرسل الملك الصالح بن زيك وزير الخليفة الفاضل بنصر  
 الله تجريدة عسكرية في البر ومثلها في البحر باسطول كبير يقصد محاربة أهل غزة

وعسقلان فسارت العساكر المصرية بقيادة الامير ضرغام وأغارت على أعمال غزة  
وعسقلان وخرج الافرنج الذين بعسقلان تحت رياسة صاحبها موري واقتتلوا معاً  
فظفر المسلمون بهم قتلاً وأسراً فلم يفلت منهم الا اليسير وغنموا غنائم كثيرة وعادوا  
سالمين وكان مقدم العساكر البحرية قد ظفر بعدة سراكب مشجونة بالافرنج فقتل  
وأسر منهم العدد الكثير وحاز من أموالهم وعددهم وأناتهم ما لا يكاد يحصى وعاد  
ظافراً غانماً وقد أرسل مؤيد الدولة اسامة بن منقذ قصيدة يشرح فيها حال  
هذه النزوة ويحرض فيها نور الدين على قتال الافرنج ويذكره بما امن الله عليه  
من العافية والسلامة من المرض الذي كان قد ألم به في رمضان في السنة الماضية  
ومن القصيدة ما يأتي

ألا هكذا في الله تمضي الزائم

وتنضي لدى الحرب السيوف الصوارم

وتستنزل الاعداء من طول عزمهم وليس سوى سمر الرماح سلام

ويوفي الكرام الناذرون بنذرهم وان بذلت فيهم النفوس الكرائم

نذرنا مسير الجيش في صفر فانا اني نصفه حتى اني وهو غانم

ببثناه من مصر الى الشام قاطماً مفارز وجد العيش فيهن دائم

فما هاله بعد الديار ولا اني عزيمته جهد الظما والسمام

يباري خيولاً ما تزال كأنها اذا ما انقضت في السور القشاعم

يسير بها ضرغام في كل مارق وما يصحب الضرغام الا الضرغام

ورفته عـين الزمان وحاتم ويحبي وان لاقني النية حاتم

وواجههم جمع الفرنج بحملة يهون على الشجعان فيها الهزائم

فلقوهم زرق الاسنة وانطوا عليهم فلم يرجع من الكفرناجم

وما زالت الحرب العوان أشدها اذا ما تلاقى المسكر المتضاجم

وعادوا الى حز السيوف فقطعت رؤوس وحزت للفرنج غلاصم

قلمينج منهم يوم ذاك مخبر  
 تقتلهم بالرأى طورا وتارة  
 فقولوا لنور الدين لافل حده  
 تجهز الى أرض العدو ولا تن  
 فغندك من الطاف ربك مابه  
 أعادك حياً بعد ان زعم الوري  
 بوقت أصاب الارض ما قد أصابها  
 وخيم جيش الكفر في أرض شيزر  
 وقد كان ناربخ الشام وهاك  
 فقم واشكر الله الكريم بنهضة  
 فحن على ما قد عهدت زوعهم  
 وغاراتنا ليست تفتت عنهم  
 فاسطولنا اضعاف ما كان سائراً  
 ونرجو بان يحتاج باقيهم به

ولا قبل هذا اليوم واحد سالم  
 تدوسهم منا المذاكي الصلادم  
 ولا حكمت فيه الليالي الغواشم  
 وتظهر فتوراً أن مضت منك حارم  
 علمنا يقيناً انه بك راحم  
 بانك قد لاقت ما لله حاتم  
 رحلت به تلك الدواهي العظام  
 فسيقت سبائاً واستحلت محارم  
 ومن يحتويه انه لك عادم  
 اليهم فشكر الله لا خلق لازم  
 ونحلف جهداً أننا لانسلم  
 وليس ينجي القوم منا الهزائم  
 اليهم فلا حصن لهم منه عاصم  
 ونحوي الاسارى منهم والغنائم

\* ( وفاة الخليفة الفائز بنصر الله وولاية العاضد لدين الله العلوي ) \*

في سنة ٥٥٥ توفى الخليفة الفائز بنصر الله العلوي صاحب مصر ولم يحكم  
 الامدة ستة سنوات وكانت مصر قد انحطت في ايامه الى مهاوى الضعف وبعد  
 وفاة الخليفة الفائز أخذ الملك الصالح يهتم في اقامة من يخلفه فتقدم السراي  
 فقدموا له شيخ من العائلة الفاطمية لم يكن ثم أحق منه للخلافة فهم الى  
 مبايعته فجاء أحد اصدقائه وهمس في أذنه قائلاً ( ان سلفك في الوزارة  
 كان أحسن تدبيراً منك لانه لم يسلم نفسه لخليفة سنة أكثر من خمس  
 سنوات ) فوعدت هذه العبارة في اذن الوزير فعدل عن تنصيب هذا الشيخ

وعمد الى عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ولم يكن بالفار شهده فبايعه  
ولقبه بالعاذل لدين الله وهو الخليفة الرابع عشر للدولة الفاطمية العلوية ثم زوجته  
ابنته وممها روة عظيمة

### ﴿ وفاة الخليفة المقتدي لامر الله العباسي وخلافة المستنجد بالله ﴾

وفي هذه السنة أيضاً توفي أمير المؤمنين المقتدي لامر الله أبو عبد الله أحمد  
ابن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بامر الله وكانت خلافته اربعمائة  
وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً ومات في ٢ ربيع الاول وكان  
حليماً كريماً عادلاً حسن السيرة وهو أول من استبد بالمعراق منفرداً عن  
سلطان يكون معه وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وكان  
شجاعاً مقداماً مباشراً للحروب بنفسه ثم بويع للمستنجد بالله أمير المؤمنين  
واسمه يوسف بدموت والده وكان للمقتدي حظية وهي أم ولده علي فلما اشتد  
مرض المقتدي ويشت منه أرسلت الى جماعة من الامراء وبذلت لهم الاقطاعات  
الكثيرة والاموال الجزيلة ليساعدوها على ان يكون ولدها خليفة فقالوا كيف  
التيمة مع ولي العهد فقالت اذا دخل علي والده قبضت عليه وكان كل يوم  
يدخل علي أبيه فلما استقرت القاعدة بينهم استحضرت أم علي بعض جوار  
وأعطتهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولي العهد المستنجد بالله وكان له خصي صغير  
يرسله كل وقت يتعرف اخبار والده فرأى الجوارى بايديهن السكاكين ورأى  
بيده علي ووالده سيفين فعاد الى المستنجد وأخبره وأرسلت هي الى المستنجد  
تقول له ان والده قد حضره الموت ليحضر ويشاهده فاستدعى أستاذ دار  
عضد الدولة وأخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع  
وأخذ بيده السيف فلما دخل ثاربه الجوارى فضرب واحدة منهم فجرحها

وكذلك اخرى وصاح ودخل استاذ الدارومه الفراشون فهربت الجوارى  
 وأخذ أخاه أبا علي وأمه فسجنهما وأخذ الجوارى قتل منهن وغرق منهن  
 ودفع الله عنه . ولما توفي المقتدى جلس للبيعة فبايعه أهله وأقاربه وأولم عمه  
 أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر وكان أكبر من المستجدم بايعه الوزير ابن  
 هبيرة والقاضي وأرباب الدولة والعلماء

### ✽ تاريخ جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه ✽

كان أمير الحيوش أثناء حروبه في سوريا قد ظفر بمدفن رأس الامام  
 الحسين في عسقلان فابتنى عليه مشهداً عظيماً فن أعمال الملك الصالح طلائع بن  
 رزيك وزير مصر انه لما علم بوجود مشهد سيدنا الحسين رضي الله عنه  
 بتلك الجهة خاف عليه من هجمات الافرنج فمزم على نقله الى مصر فابتنى له  
 جامعاً مخصوصاً خارج باب زويلة دعاه جامع الصالح نسبة اليه (ولم يزل موجوداً  
 الآن باول قصبه رضوان) بنية ان يجعل فيه الرأس الشريفه فلما فرغ من  
 بنائه لم يمكنه الخليفة من ذلك بدعوى انه لا يليق ان يكون ذلك الاثر الشريف  
 خارج سور المدينة فكانت حجته حقاً وأبي الا ان يجعله في بعض اجزاء  
 قصره المدعو قصر الزمرد فاقام له مشهداً هناك . ثم في سنة ٧٤٠ هجرية  
 احترق المشهد في ولاية السلطان الناصر محمد بن قلاوون الثالثة فاعيد بناءه  
 وقد اعتنى به السلاطين والامراء في كل عصر بعمارته وزخرفته وتجليته واعلاء  
 شأنه وأخيراً أقيم في جواره جامع حتى اذا كانت أيام الامير عبد الرحمن  
 كتحذا أحد أمراء المماليك أعيد بناء المشهد الحسيني في سنة ١١٧٥ وبعد  
 ذلك أعيد بناءه برمته في أيام الخديوي الاسبق اسماعيل باشا سنة ١٢٨٢ وكان  
 الناظر على الاوقاف المصريه الامير راتب باشا وتمت عمارة في ٢٨ محرم  
 سنة ١٢٩٠ الا المآذنه فتمت في سنة ١٢٩٥ وادخل في الجامع عدة بيوت

ولم يبق من البناء القديم الا القبة المنطوية لمقام الامام التي جرى تصليحها في سنة  
١٣١٦ بامر افندينا الحالى عباس باشا الثانى فاصبح على ما نشاهده الآن  
وهو الجامع المعروف بجامع سيدنا الحسين بالسكة الجديدة بالقاهرة تجاه خان  
الخليلي

### ✽ قتل الصالح بن رزيك وزير مصر ✽

كانت ادارة الاحكام بمصر منوطة بالوزير ولذلك كان النفوذ الاكبر  
للملك الصالح طلائع بن رزيك ولم يكن الخليفة العاضد لدين الله اقل استعباداً  
من سلفه ولقب الصالح بلقب ملك ثم لقب بالسلطان ففتحت عين الاعضاء  
عليه وفي جانبهم عمه الخليفة فزمت على قتله فارسلت اولاد الداعي فكمنوا  
له في دهليز القصر وضربوه حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحاً  
لايحي الى داره وفيه حياة فارسل الى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع اثره  
في خلافته فاقسم العاضد انه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال ان كنت بريئاً فسلم  
عمتك الى حتى انتقم منها فامر باخذها فارسل اليها فاخذها قهراً وأحضرت  
عنده فقتلها ووصى بالوزارة لابنه محيي الدين رزيك ولقبه بالملك العادل  
وكيته أبو شعجاع ومات يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ وكان شجاعاً كريماً  
فاضلاً محبباً لاهل الادب جيد الشعر وفيه عقل وسياسة وتديب وكان مهاجراً في  
شكاه عظيم في سطوته وغناه وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد  
الغالات في التشيع صنف كتاباً سماه الاعتماد في الرد على اهل العناد جمع له  
المفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة على بن ابي طالب والكلام على الاحاديث  
الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين

### ✽ وفاة بودوين الثالث وولاية اخيه امورى ✽

كان الملك بودوين الثالث ملك القدس مقبلاً بمدينة انطاكية فاعتزته الحمي

ظافر بنقله الى مدينة طرابلس ومنها الى مدينة بيروت وهناك فاجأته الوفاة  
 وكان ذلك سنة ١١٦٢ أفرنجية لموافقه لسنة ٥٥٨ هجرية فقل جسمه الى  
 القدس لكي يدفن تحت جبل الجحش فحزنت عليه الافرنج لما كان معروفه  
 بينهم من العدل وكرم الاخلاق والشجاعة ولم يكن له ولي يرث ملكه بعده والذي  
 يستحق الملك هو أخوه أموري صاحب عسقلان ويافا



ولما كانت صفات وأخلاق أموري المذكور بعكس أخيه عارض رؤساء  
 المملكة بتوليته وأخيراً توجه ملكا عليهم وكان متصفاً بالسكبر والبخل  
 والطمع

\* (وزارة شاور ووزارة ضرغام بعده) \*

كان شاور في ابتداء أمره يخدم الصالح بن رزيك ثم ولاء الصالح حكم



الصعيد وهو أكبر وظيفة بعد الوزارة فظهرت منه كفاية عظيمة وتقدم زائد واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فمسر أمره علي الصالح ولم يمكنه عزله فادام استعماله خوفاً من الخروج عن طاعته فلما جرح الصالح أوصي ابنه ان لا يتعرض لشاور قائلاً له اني انا أقوي منك وقد ندمت علي استعماله ولم يمكنني عزله فلما توفي الصالح ووفى ابنه العادل الوزارة حسن له أهله عزل شاور واستخدم بعضهم مكانه فارسل اليه بالزل فجمع جموعاً كثيرة وسار الي القاهرة بهم فهرب منه العادل بن الصالح فاخذ وقتل وصار شاور وزيراً للخليفة العاضد لدين الله وكان ذلك في صفر سنة ٥٥٨ وتلقب بامير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك وودائعهم وذخائرهم . وكان الملك الصالح قد رتب في عهد وزارته الامراء البرقية وجعل في مقدمتهم ضرغام أبا الاشبال فترقي هذا الرجل حتى صار صاحب الباب فلما تولى شاور الوزارة طمع ضرغام في سلبها منه فجمع رفقته فخاف شاور وجمع اليه رجاله فاصبح الجيش فرقتين فرقة مع ضرغام واخرى مع شاور وفي شهر رمضان من السنة المذكورة ثار ضرغام علي شاور فاخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسحى بطى وبقي شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور من القاهرة يريد الشام واستقر ضرغام في وزارة العاضد لدين الله وتلقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته وكان فارس عصره كاتباً جميل الصورة عاقلاً كريماً

**\* ( في دخول أسد الدين شيركوه مصر أول مرة ) \***

لما خرج شاور من مصر سار الي نور الدين بدمشق الشام يستجده ليعيده الي الوزارة فاحسن وقادته وأكرم مثواه فطلب منه ارسال العساكر الي مصر ليعيده اليها ويكون له فيها ملك دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر وانه يتصرف طبق أمره ونهيه فاخذ نور الدين يقدم في ذلك رجلاً وياخر أخرى تارة

تحمله رعاية شاور وطلب الزيادة في الملك والتقوى على الافرنج وتارة يمنعه خطر الطريق ووجود الافرنج فيه الى ان قرر العمل واستخار الله تعالى وأمر أسد الدين شيركوه أحدر جاله بالتأهب للمسير معه قضاء لحق الوافد المستصرخ وجباً بالبلاد والوقوف على أحوالها وكان ذلك موافقاً لهوى أسد الدين اذ كان في صدره من الشجاعة وقوة النفس مالا يبالي معه بمخافة فتجهز وسار مع شاور في جماد الاولى سنة ٥٥٩ وساروا جميعاً وسار معهم نور الدين الى أطراف بلاد المسلمين مهتدداً الافرنج بمساكره ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فكان قسارى هم الافرنج حفظ بلادهم من نور الدين وفي أثناء ذلك قصد الملك أموري ملك القدس بلاده مصر لاخذ مال الهدنة المقرر على مصر دفعه للافرنج من يوم أخذوا عسقلان وهو ثلاث وثلاثون الف دينار فلما وصلت الافرنج الى حصن بليس وملكوا بعض السور خرج اليهم همام أخو ضرغام وحاربهم فغلبوه ثم عادوا الى بلادهم وعاد همام عاداً رديثاً فما هو الا ان قدم رسل الافرنج على ضرغام في طلب مال الهدنة المقررة ثم وصل أسد الدين شيركوه الى مصر سالماً ومعه شاور ولما علم ضرغام بذلك اضطرب وأصبح الناس خائفين على أنفسهم وأموالهم فجمعوا الاقوات والماء وتحولوا من مساكنهم وخرج همام بالعسكر في أول جماد الآخرة سنة ٥٥٩ فسار الى بليس فقابل أسد الدين وشاور وحصات بينهم وقعة انهزم فيها همام وامتلك أسد الدين وشاور جميع ما كان مع عساكره وأسروا عدة ونزلوا الى التاج (قليوب) ظاهراً القاهرة يوم الخميس ٦ جماد الآخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريمانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة وأسد الدين وشاور مقيمان في التاج مدة أيام ثم ساروا ونزلوا في المقس (الازبكية) فخرج اليهم عسكر ضرغام فقاتلوه فانهزم ضرغام هزيمة قبيحة وساروا الى بركة الحبش ونزلوا بالشرف الذي عرف بعد ذلك بالرصد وملك أسد الدين مدينة مصر القديمة وأقام فيها أيام فاخذ ضرغام مال اليتامى

المودع عند الحاكم فكرهه الناس واستعجزوه ومالوا الى شاور فتسكر منهم  
 ضرغام وتحدث بايقاع العقوبة بهم فزاد بعضهم له ونزل أسد الدين وشاور في  
 أرض اللوق خارج باب زويله وطارد أسد الدين رجال ضرغام وزحف الى  
 باب سعاده وباب القنطرة واضرم النار في اللؤلؤة وماحولها من الدور وعظمت  
 الحروب بينهم وفي كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا الى شاور ووعدوه بان  
 يكونوا اعواناً له فأنحل أمر ضرغام فارسل العاضد الى الرماة يأمرهم بالكف  
 عن الرمي فخرج الرجال الى شاور وصاروا من جنته وفترت همة أهل  
 القاهرة وأخذ كل منهم يعمل الحيلة في الخروج الى شاور فامر ضرغام بضرب  
 الابواق والطبول من فوق الاسوار فلم يخرج اليه أحد وانفك عنه الناس  
 وسار الى باب الذهب من أبواب القصر ومعه ٥٠٠ فارس فوقف وطلب من  
 الخليفة ان يشرف عليه من الطاق وتضرع اليه وأقسم عليه بأنه فلم يجبه أحد  
 واستمر واقفاً الى العصر والناس تنحل عنه حتى بقي في نحو ٣٠ فارساً فوردت  
 عليه رقعة مكتوب فيها ( خذ نفسك وانج بها ) واذا بالابواق والطبول قد  
 دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر أسد الدين وشاور فر ضرغام الى باب  
 زويله فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه وأدركه القوم فرموه عن فرسه  
 قريباً من الجسر الاعظم من القاهرة ومصر القديمة قرب جامع السيده نفيسه  
 وجزوا رأسه في غاية جمادي الآخر وفر منهم أخوه الى جهة المطرية  
 فادركه الطلب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل أخوه الآخر عند  
 بركة الفيل وبقي ضرغام ملقى على الأرض يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها  
 واعيدت وزارة مصر الى شاور فاستلم زمامها وصار يدفع الى اتابك نور الدين  
 ثلث الدخل مقابلة لما بذله في اعادته اليها وأقام أسد الدين بظهر القاهرة  
 حسب الاتفاق الذي عمل مع نور الدين بان يكون أسد الدين موجوداً بمصر  
 فاستاء من ذلك شاور وأراد ان يغدر به . وعاد عما كان قرره لنور الدين

من البلاد المصرية ولاسد الدين أيضاً وارسل اليه يأمره بالعود الى الشام  
فاتق أسد الدين من هذا الحال وأعاد الجواب بطلب ما كان استقر فلم يجبه  
شاور اليه فلما رأى ذلك أرسل أسد الدين نوابه فاستولوا على بليس وباقي  
الحواف الشرقي فإرسل شاور الى الملك أموري ملك القدس يستمده ويخوفه  
من نور الدين ان ملك مصر وكان الافرنج قد أيقنوا باهلاك ان ملكها نور الدين  
فلما أرسل شاور اليهم يستنجدهم ويطلب منهم ان يساعده على اخراج أسد  
الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحسبوه واسرعوا ما بين دعوته وبادروا الى نصرته  
وطمعوا في ملك ديار مصر وكان قد بذل لهم ما على المسير اليه فتجهزوا وساروا  
فلما بلغ نور الدين خبر تجهيزهم للمسير سار بعسكره في اطراف بلاده مما يلي  
بلاد الافرنج ليمتنعوا من المسير فلم يمتنعوا لعلمهم ان الخطر في مقامهم اذا ملك  
أسد الدين مصر أشد من الخطر في مسيرهم فتركوا في بلادهم من يحفظها وسار  
الملك أموري في باقي عسكره وكان قد وصل الى ساحل الشام جمع كثير من  
الافرنج في البحر لزيارة بيت المقدس فاستعان بهم الملك أموري فاعانوه وساروا  
معه فلما دنا الافرنج من مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة بليس وأقام بها  
هو وعسكره وجعلها ظهراً ينحصر به فاجتمعت العساكر المصرية والافرنجية  
ونازلت أسد الدين بمدينة بليس وحصروه بها ثلاثة أشهر فامتنع بها وسورها  
من طين قصير جداً وليس له خندق ولا جبل يحميها وهو يقاتلهم القنال ويرأوهم  
فلم يبالغوا منه غرضاً ولانوا منه مأرباً فينتاهم كذلك اذا تاهم الخبر بهزيمة  
الافرنج بحارم واستيلاء نور الدين على الحصن ومسيره الى بانياس فحينئذ  
ارادوا العود الى بلادهم ليحفظوها ولعلمهم يدركون بانياس قبل أخذها فلم  
يدركوها الا وقد ملكها على ماسياني وراسلوا أسد الدين في الصباح والعود الى  
الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده فيها الى المصريين فاجابهم الى ذلك لانه لم يعلم  
بما فعله نور الدين بالافرنج في الساحل فاخرج أسد الدين أصحابه بين يديه من

بليس وبقى في آخرهم وبيدهت من حديد يحمي ساقهم والمصريون والافرنج  
 ينظرون فاتاه افرنجي فقال له اما تخاف ان يغدر بك هؤلاء المصريون والافرنج  
 وقد احاطوا بك وباصحابك فلا يبقى لك معهم بقية فقال شيركوه ياليتهم فعلوا  
 حتى كنت ترى ما لم تر مثله كنت والله اضع فيهم السيف فلاقتل حتى اقتل  
 رجالا وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفي ابطالهم فيملك  
 بلادهم ويفنى من بقي منهم ووالله لو اطاعني هؤلاء يعني اصحابه لخرجت اليكم  
 اول يوم لكنهم امتنعوا فاصاب الافرنجي على وجهه وقال كنا نستعجب من افرنج  
 الشام ومباغتهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرتناهم ثم رجع عنه  
 وسار شيركوه الى الشام وعاد سالماً وفي قلبه من شرشاور الاحن وكيف تمت  
 بقدره تلك الحن

\* (فتح حارم) \*

في سنة ٥٥٩ اغتتم نور الدين خلو الشام من الافرنج فراسل اخيه قطب  
 الدين بالموصل ونجر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين البي بماردین  
 وطلب منهم مساعدته بالجيوش في حرب الافرنج فوردت اليه الامداد من كل  
 جهة وسار نحو حارم فنزل عليها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقي من الافرنج  
 بالساحل فخشدوا جيوشهم وجاؤا وفي مقدمتهم رايمند صاحب طرابلس  
 وبوهيموند الثالث أمير انطاكية ودوك الروم ومقدمتها وجمعوا معهم من  
 الجيوش ما لا يقع عليه احصاء وقد ملؤوا الارض فخرض نور الدين اصحابه  
 وفرق نقائس الاموال على شجيمان الرجال فلما قارب الافرنج رحل عن حارم  
 الى ارتاح طمعاً ان يتبعوه ويتمكن منهم اذا لاقوه فساروا حتى نزلوا وتيقنوا  
 انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاله فمادوا الى حارم وتبعهم نور الدين فلما  
 تقاربوا اصطفوا للقتال وبدأت الافرنج بالحملة على ميمنة المسامين وبه عسكر

حلب فبددوا نظامهم وزلزلوا اقدامهم وولوا الادبار وتبعهم الافرنج وكان ذلك باتفاق ورأى دبروه ومكر مكره وهو ان يبعثوا عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيوف فاذا عادت فرسانهم من اثر المنهزمين لم يلقوا راجلا يلجؤون اليه ويعود المنهزمون في اثارهم وتأخذهم سيوف المسلمين من بين ايديهم ومن خلفهم فكان الامر كذلك . لان الافرنج لما تبعوا المنهزمين عطف زين الدين في عسكر الموصل على راجلهم فافتاهم قتلا واسرا وعادت فرسانهم فلم يجد غير جثث القتلى ورأوا انهم قد ضلوا وارتد عليهم عسكر حلب المنهزمون فاخذ الافرنج في الوسط وقد احاط بهم المسلمون من كل جانب فحينئذ حمى الوطيس وباشر الحرب المرؤوس والرئيس وقاتل الافرنج قتال من يرجو النجاة وحاربوا حرب من آيس من الحياة وانقضت المساكر الاسلامية عليهم فزقوهم وقد أوقفوا فيهم القتل والاسر بكثرة فاسروا البرنس بوهيموند الثالث صاحب انطاكية ورايمند صاحب طرابلس ودوك الروم وغيرهم من قوادهم وسار نور الدين بعد ذلك الى حارم فملكها في ٢١ رمضان من تلك السنة وبث سراياه في تلك الاعمال والولايات فنهبوا وسبوا وأوغلوا في البلاد حتى بلغوا اللاذقية والسويدا وعادوا سالمين ثم ان نور الدين أطلق بوهيموند صاحب انطاكية بمال جزيل أخذه منه وأسرى كثيرة من المسلمين أطلقهم

### \* (فتح بانياس) \*

لما فتح حارم نور الدين كما تقدم أمر عساكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم وأظهرانه يريد محاربة طبريه فجعل من بقي من الافرنج همهم في حفظها وتقويتها فسار نور الدين الى بانياس لعله بقلعة من فيها من الحماة للمدافعين عنها ونازلها وضيق عليها وقتلها وكان في جملة عسكره أخوه نصر

الدين أمير أميران فاصابه سهم فذهب احدي عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشف الله لك عن الاجر الذي أعدتلك لتميت ذهاب الاخرى ثم جردني حصارها فسمع الافرنج فجمع معوار جاهلهم ولم تكامل عدتهم حتى فتحها على ان الافرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بواقعة حارم وأسره ثم ملك القلعة وملاها ذخائر وعدة ورجالا وشاطر الافرنج في أعمال طبرية وقرروا له على الاعمال التي لم يشاطروهم عليها مالا في كل سنة ثم عاد نور الدين منها الى دمشق وكان بيده خاتم بفص ياقوت من أحسن الجوهر يسمى الحيل لكبره وحسنه وفي أثناء مسيره سقط من يده في جهة كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان ولما بعد عن هذا المحل تذكره فأرجع بمضرجاله للبحث عنه ودلهم على الموقع الذي كان آخر عهده به فوجدوه

### \* (في دخول أسد الدين شيركوه مصر المرة الثانية) \*

بمخرج أسد الدين من بليس التقي بنور الدين فحارب معه الصليبيين وانتصرا الا ان انتصارهما لم يقلل شيئاً من رغبة أسد الدين في افتتاح مصر فكان من وقت الى آخر يحث نور الدين على ذلك وكان مما يهيجه على المود الى مصر زيادة حقه على شاور فاذن له نور الدين بالمسير ومعه جماعة من الامراء وابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب فلما علم شاور وزير مصر وتأكده ان لا يسارع الى ملاقاته الحطبت لانتبث مصر حتى تصير في يد نور الدين على ان الصليبيين من الجهة الاخرى لا ينفكون ليالهم ونهارهم ساعين الى افتتاح مصر وقد قطعوا السبيل على جيوش أسد الدين في سيرها الى مصر فساروا بجيش عظيم تحت قيادة الملك أموري حتى لم يبق صليبي الاسار في ذلك الجيش أما أسد الدين فقطع سوريا حتى بلغ حدود مصر ودخلها في ربيع أول سنة ٥٦٢ وكان الصليبيون قد ساروا بقيادة

ملكهم في الصحراء فلم يظفروا باحد ثم عادوا الى غزوة فالعريش ثم الى بليس  
أما جيش أسد الدين فكان قد تجاوز بليس حتى بلغ عطاس فعسكر قرب  
القاهرة وتهدها

نخاف شاور من قدوم الجيشين المذكورين وكل منهما يحاول الفوز لنفسه  
ففضل ان يسلم القاهرة للصليبيين ويحملهم على قتال أسد الدين الذي كان على  
بعد ١٢ ميلا من تلك العاصمة فرأى أسد الدين شيركوه ان جيشه بعد ان  
قاسى الاهوال في عبور الصحراء لايسهل عليه الهجوم على هذه المدينة  
فاجتاز النيل الى البر الغربي بقرب اطفيح ونزل بالجيزة نجاه مصر وبني له  
استحكامات تقيه من العدو

فدخل الصليبيون القاهرة ولكنهم لم يوافقوا شاور على ما أراد الا بعد ان  
تعهد لهم بزيادة الجزية السنوية عما كان يدفعه للملك أموري قائد تلك الحملة  
فعين متمدنين من قبله لعقد المعاهدة بذلك فأهوها على ما أراد  
الصليبيون فقبضوا منه مبلغ مائتي ألف دينار تقدأعلى وعد ان يقبضوا مثله بعد  
مدة يسيرة

ثم اراد الملك أموري مهاجمة أسد الدين شيركوه على جسر يصنعه من  
القوارب فجعل شيركوه كلما ابتدأوا في بناء الجسر يشغلهم عن اتمامه فبقي  
الجيشان في مثل ذلك نحو ٥٠ يوماً أو أكثر تمكن أثناءها شيركوه من تملك  
الضفة الغربية للنيل

\* محاربة أسد الدين شيركوه المصريين والصليبيين \*

فبعد تملك أسد الدين البلاد الغربية للنيل سار الى الصعيد حتى بلغ مكانا يعرف  
بالباين أما الصليبيون فانهم اجتازوا الى البر الغربي عند رأس الدلتا ومعهم العساكر  
المصرية فأدر كوه هناك في ٢٥ جماد أول سنة ٥٦٢ وكان قد أرسل اليهم جواسيس



فمادوا وأخبروه بكثرتهم وجدهم في طلبه فمزم على قتالهم ولقائهم وان يحكم  
 السيوف بينه وبينهم الا انه خاف ان تضمف نفوس اصحابه عن الثبات في هذا المقام  
 الخطير الذي عطيهم فيه اقرب من السلامة لقله عددهم وبعدهم عن بلادهم  
 فاستشارهم فكلهم أشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقي والعود الى  
 الشام وقالوا له ان نحن انهزمتنا وهو الذي لاشك فيه فالى أين نلجئ وبمن  
 نحتمي وكل من في هذه الديار من جندي وعامى وفلاح عدوانا ويودون لو شربوا  
 من دماننا (وحق لمسكر عدده الف فارس قد بمدوا عن ديارهم وقل ناصرهم  
 ان يرتاعوا من لقاء عشرات الالوف مع ان كل فرد من أهل البلاد عدو  
 لهم ) فلما قالوا ذلك قام رجل من المماليك النورية يقال له شرف الدين برغش  
 وكان مشهوراً بالشجاعة وقال من يخاف القتل والجراح والاسر فلا يخدم  
 الملوك بل يكون فلاحاً أو مع النساء في بيته والله لئن عدتم الى الملك العادل  
 نور الدين من غير غلبة وبلاء تعذرون فيه لياخذن اقطاعكم وليعودن عليكم  
 بجميع ما أخذتموه الى يومنا هذا ويقول لكم اناخذون أموال المسلمين وتفرون  
 من عدوهم وتسلمون مثل هذه الديار المصرية يتصرف فيها الكفار فقال أسد  
 الدين هذا رأيي وبه أعمل ووافتهما صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم كثر  
 الموافقون لهم علي القتال فاجتمعت الكلمة على اللقاء فاقام بمكانه حتى أدركه  
 المصريون والصليبيون وهو على تعبته وقد جعل الانتقال في القلب يتكثر بها  
 ولانه لم يمكنه ان يتر كما يمكن آخر فينهبها أهل البلاد ثم انه جعل صلاح الدين  
 ابن أخيه في القلب وقال له ولمن معه ان الصليبيين والمصريين يظنون اني في  
 القلب فهم يعملون كل قوتهم بازائه وحمائهم عليه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم  
 القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندمعوا بين أيديهم فاذا عادوا عنكم فارجموا  
 في أعقابهم واختار من شجعان اصحابه جمعاً يشق اليهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم  
 ووقف بهم في الميمنة فلما تقابل الطائفتان فعل الصليبيون ما ذكره أسد الدين

وحملوا على القلب ظانين انه فيه فقاتلهم من به قتالا يسيراً ثم انهزموا من امامهم  
 فقبضوهم فيئذ حمل أسد الدين في من معه على من تخاف من الصليبيين الذين  
 حملوا على القلب فهزمهم ووضع السيف فيهم فأخذوا أكثر القتل والأسر  
 وانهمز الباقون فلما عاد الصليبيون من أتر المنهزمين الذين كانوا في القلب رأوا  
 مكان المعركة من أصحابهم بلقماً ليس فيه منهم مقاتل فانهزموا أيضاً وكان هذا  
 من أعجب ما يؤرخ (ان النى فارس تهزم عساكر مصر والصليبيين)

\* (استيلاء أسد الدين على الاسكندرية ومحاربة المصريين والصليبيين) \*

بعد الواقعة المذكورة سار أسد الدين الى ثغر الاسكندرية وجيبي الاموال  
 من القرى التي في طريقها فلما وصل سلمت من غير قتال فاستتاب بها صلاح  
 الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد وتملكه وجيبي أمواله وأقام فيه حتى صام  
 رمضان أما المصريون والصليبيون فانهزم عادوا الى القاهرة وجمعوا أصحابهم  
 فاستعاضوا عن قتل منهم واستكثروا وحشدوا وساروا الى الاسكندرية وبها  
 صلاح الدين في عسكر يمنعها منهم وقد أعانه أهلها خوفاً من الصليبيين الذين  
 حاصروها وضيقوا عليها فصبر أهل الاسكندرية وصدقوا مع صلاح الدين في  
 الجهاد وقتل الطعام بالبلد فصبر أهله على ذلك ثم ان أسد الدين سار من الصعيد  
 نحوهم وكان قد استمال شاور بعض من معه من التركان بالمال ووصله رسول  
 المصريين والصليبيين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذ  
 من البلاد فأجابهم الى ذلك

\* (في رجوع أسد الدين والصليبيين من مصر) \*

لمعارض الصليبيون والمصريون على أسد الدين كما تقدم أجابهم بشرط  
 ان ينسحب الصليبيون وأسد الدين من الديار المصرية بسلام وترجع الاسكندرية

الى شاور وان الصليبيين لا يملكون من مصر ولا قرية فقبل الفريقان هذه  
الشروط وسام مدينة الاسكندرية الى شاور في منتصف شهر شوال سنة ٥٦٢  
وعاد أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف الى دمشق في  
١٨ القعدة وعادوا الى الخدمة النورية فامتدحه الشعراء والافاضل ومنهم  
العماد امتدحه بقصيدة طويلة منها

بلغت بالجد ما لا يبلغ البشر	ونلت ما عجزت عن نبيله القدر
من يهتدى للذي أنت اهتديت له	ومن له مثل ما أثرته اثر
أسرت أم بسرك الارض قد طويت	فأنت اسكندر في السير أم خضر
تناقلت ذكرك الدنيا فليس لها	الاحديثك ما بين الوري سمر
فانت من زانت الايام سيرته	وزاد فوق الذي جاءت به السير
لو في زمان رسول الله كنت أنت	في هذه السيرة المحمودة السور
اصبحت بالعدل والاقدام منفرداً	فتمل لنا أعلى أنت أم عمر
اسكندر ذكروا اخبار حكمته	ونحن فيك رأينا كل ما ذكروا
ورسم خبرونا عن شجاعته	وصار فيك عياناً ذلك الخبر
انخر فان ملوك الارض اذ لهم	ما قد قبلت فكل فيك مفتكر
سهرت اذ قد وابل هجت اذ سكنوا	وصلت اذ جنبوا بل طلت اذ قصروا

وأما الصليبيون فلم يريدوا مبارحة القاهرة حتي استقر بينهم وبين شاور  
ان يكون لهم بالقاهرة حامية ويكون أبوابها بيد فرسانهم لينع الملك العادل  
نور الدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون للصليبيين من دخل مصر كل سنة مائة  
ألف دينار وجرى هذا كله بين الصليبيين وشاور بدون علم خليفة مصر  
الماض لان شاور حكم عليه وحجبه وعاد الصليبيون الى بلادهم بعد ما تركوا  
جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم وأعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة  
المذكورة

## \* (في محاربة نور الدين بلاد الافرنج) \*

في هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار اليه أخوه قطب الدين من الموصل وغيره فاجتمعوا على حصر نور الدين بالعاكر بلاد الافرنج فاجتازوا على حصن الاكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقه فنازلوها وحصروها وحصروا حلية وأخذوها وخربوها وسارت عساكر المسلمين في بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرّب البلاد وفتحوا العربيه وصافينا وعادوا الى حصر فساموا بهارمضان ثم ساروا الى باناس وقصدوا حصن هوزين وهو الافرنج ومن أمنع حصونهم ومعانقهم فانهزم الافرنج عنه وأحرقوه فوصل نور الدين في الغد فهدم سورته جميعه وأراد الدخول في بيروت فتجدد في العسكر خلفه أوجب التفرق فعاد قطب الدين الى الموصل وأعطاه نور الدين مدينة الرقة على الفرات فاخذها في طريقه وهو عائد

## \* (في تجهيز الملك امورى عسكره للاستيلاء على الديار المصرية) \*

لما رجع الملك امورى الى القدس تزوج بابنة أخي الملك عثمانويل ملك الروم بالقسطنطينية وقد زاد طمعه وأخذ رجاله المقيمون بمصر والقاهرة يكتبونه ويطلبون منه القدوم الى مصر لاستلامها قائلين له انها خالية من حام يحميها أو يدافع عنها ومتى حضرت تستلمها بدون حرب وقتال فجمع مجلس شورا بمدينة القدس وأعلمهم بالمكاتبات الواردة اليه من مصر وعزمه على المسير اليها واستيلائه عليها فعارضوه خصوصا رئيس جمعية الرهبان الهيكلين وجمعية ضيوف القربا (ماري يوحنا المعدان) قائلين انه لا يصح نقض المعاهدة المحررة بينه وبين شاور وزير مصر واننا لا نقصدها فانها طعمة لنا وأموالها تساق اليها لتقوى بها على نور الدين وربما اذا قصدناها لملكها لا يسلمها صاحبها

وعساكره وأهلها اليها ويقاتلونا دونها ويسلمونها الى نور الدين فلم يصغ الى  
 قولهم وظل مصمماً على الدخول اليها والاستيلاء عليها وذلك لما انكشف  
 له من عوارها وظهر له من ضعف من بقي فيها. وكان يوجد في مصر بعض  
 الامراء الذين يكرهون شاور فارسلوا اليه وطلبوا قدومه ليسلموه مصر  
 مكيدة في شاور فلما سار الملك امورى ووصل الى الداروم كتب الى شاور  
 يقول له اني قد قصرت الخدمة على ما قررت لي من العطا في كل عام فاجابه  
 شاور ان الذي قررت لك انما جليلته متى احتجت اليك أو اذا قدم على عدو  
 فالما مع خلو بالي من الاعداء فلا حاجة لي بك وليس لك عندي مقرر. فاجابه  
 امورى ان لا بد من حضورى وأخذى المقرر فلم شاور انه غدر بالمهد  
 وتقص الايمان وانه قد طمع في البلاد

### ❖ استيلاء الصليبيين على بليس ❖

لما علم شاور بقدر الصليبيين كما تقدم أخذ في تجنيد الرجال وحشد  
 العساكر الى القاهرة وانفذ الى بليس فرقة من الجيش بقيادة طي ولده اما  
 الملك امورى فانه سار يجرد الى ان وصل الى بليس في أول صفر سنة ٥٦٤  
 نجيم عليها وكان معه جماعة من المصريين منهم علم الملك بن النحاس وابن  
 الخياط يحيى وابن قرجه وهم الذين كانوا قد كاتبوه وطلبوا قدومه فارسل  
 الى طي بن شاور وقال له أين تنزل فقال على أسنة الرماح وقال له اتحسب ان  
 بليس جينة تأكلها فارسل اليه امورى يقول نعم هي جينة والقاهرة زبدة  
 ثم قاتل بليس ليلاً ونهاراً حتى افتحها بالسيف قهراً وقتل من أهلها خلقاً  
 عظيماً وخرّب اكثرها وأحرق حلال أدرها ثم اخرج الاسرى الى ظاهر  
 البلد وحشرهم في مكان واحد وحمل في وسطهم برمحهم فرقتين فأخذ

الفرقة التي كانت عن يمينه لنفسه وأطلق الفرقة التي كانت عن يساره لعسكره  
وقال لفرقة قد أطاقتكم شكر الله تعالى على ما أولاني من فتح بلاد مصر فاني  
قد ملكتها بلاشك ووقف الى ان عدى أكثرهم النيل الى جهة منية حمل  
وأخذ العسكر نصيبهم من الاسرى فاقتسموهم وبقى أهل بليس الذين أسروا  
أكثر من أربعين سنة في أسر الصليبيين وهلك أكثرهم في أيديهم وافلت منهم  
اليسير لان الملك الناصر لم يملك ديار مصر ووقف مقل بليس على كثيره على  
فكك الاسرى منهم وسأح أهل بليس بخراجهم الى آخر أيامه

### ﴿ محاربة الصليبيين مدينة القاهرة ﴾

لما اتصل بشاور ماجرى على أهمل بليس من القتل والاسر وان  
الصليبيين شحنوها بالرجال والعدد وجعلوها لهم ظهراً اشفق من ذلك وطلب  
الاذن بالدخول على الخليفة العاضد فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال اعلم ان  
البلاد قد ملكت ولم يبق الا ان تكتب الى نور الدين وتشرح له ماجرى  
وتصاب نصرته ومعاونته فكتب جميع ذلك وسود أعاليها بالمداد وقيل ان الذي  
أشار بكتابة ذلك هو شمس الخلافة محمد بن مختار لانه لما رجع من مقابلة  
الملك أمورى اجتمع بالكامل بن شاور وقال له عندي أمر لا يمكنني أن اخبرك  
به الا بعد أن تحاف لي بانك لا تطاع أبك عليه فلما حلف له قال له ان أبك قد  
وطن نفسه على المصابرة وآخر أمره يسلم البلاد الى الصليبيين ولا يكاتب نور  
الدين وهذا عين الفساد فاصعد أنت الى الخليفة والزمه بان يكتب الي نور الدين  
فليس لهذا الامر غيره . وأما الصليبيون فانهم ساروا الى مصر ولما قربوا من  
المدينة أمر شاور باحراقها وانذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وتشتموا  
في جميع الانحاء وترك الناس أكثر أموالهم فنهبت وأحرقت مصر في تاسع صفر  
سنة ٥٦٤ وأقامت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً ( ومدينة مصر المذكورة

هي مصر القديمة الآن التي على ساحل النيل ) ثم نزلوا الصليبيون في بركة الحبش  
وانبتت أخبارهم في الاطراف وتحفظوا من ظفروا به فانفذ شاور الى أموري  
شمس الخلافة فلما دخل عليه سأله أن يخرج معه الى باب الخيمة ففعل فراه شمس  
الخلافة جهة مصر وقال له أتري دخانا في السماء قال نعم قال هذا دخان مصر  
فاني ما أتيت الا وقد احرقت بعشرين الف قارورة نفضت وقرقت فيها عشرة  
آلاف مشعل وما بقي فيها ما يؤمل بقاءه ونفمه نخل الآن عنك مدافعتي وكن  
كلما قلت لك انزل في مكان تقدمت الي غيره وما بقي لك الا ان تنزل القاهرة  
فقال هو كما تقول ولا بد من نزول القاهرة وهي افرنج من وراء البحر قد  
طمعوا في أخذها ثم رحل فنزل على القاهرة ثم ساء لي باب البرقية نزولا قارب  
به البلد حتى صارت سهام البرج تقع في خيمته فقاتلوا أياماً ولما تيقن شاور  
الضعف عدل الى طريق الخنازعة والخاتلة والمغاررة والمدافعة الى أن تصل  
عساكر الشام فنقد شمس الخلافة الى أموري برسالة طويلة وفي ضمنها ( ان  
هذا بلد عظيم وفيه خلق كثير ولا يمكن تسليمه البتة ولا أخذه الا بعد ان  
يقتل من الفريقين عالم عظيم وما تعلم أنت ولا انا لمن الدائرة والرأى ان تحقن  
دماء اصحابك ودماء اصحابي وتحصل شيئاً أدفمه لك فيحصل لك عفواً ) فاستقرت  
المصانعة على أربع مائة ألف دينار وقيل مليوناً يجعل له منها مائة ألف دينار  
فاجاب أموري الى ذلك وانهقدت الهدنة وحلف أموري ورحل الى بركة  
الحبش وحمل شاور اليه مائة ألف دينار في عدة دفعات سوف فيها الاوقات  
ثم أخذ يماطله بالباقي انتظاراً لقدوم العساكر ويوهم انه يجمع لهم  
الاموال

﴿ دخول أسد الدين شيركوه مصر ثالث مره ﴾

لمسا وصل كتاب الخليفة العاضد الى نور الدين انزعج انزعاجاً عظيماً

وانفذ أسد الدين وكان ذلك غاية مناه وأرسل معه الفقيه عيس الهكاري الى  
 مصر برسالة ظاهرة الى شاور يعلمه بقدم المساكر ورسالة سرية الى الخليفة  
 العاضد وأمره ان يستحلفه على أشياء عينا وان يكتم ذلك عن شاور فلما وصل  
 أسد الدين شيركوه الى القاهرة نزل بارض اللوق وأخرج اليه شاور الاقامات  
 الحسنة والخدم الكثيرة ثم أرسل شمس الخلافة الى الملك أموري يستطلق منه  
 بعض المال فصار اليه واجتمع به وقال قد قيل علينا المال فقال أموري  
 اطلب منه شيئاً قال انتهى ان تهب لي النصف قال قد فعلت فقال شمس  
 الخلافة ما بلنتي ان ملكا مثلك وهب مثل هذه الهبة فقال أموري انا أعلم انك  
 رجلا عاقلا وان شاور ملك وانكما ماسألتماني هذا المال الا لامر حدث فقال له  
 صدقت هذا أسد الدين قد وصل نصره لنا وما بقي لك مقام وشاور يقول لك  
 ان ترحل ونحن باقون على الهدنة فانه أوفق لك ولنا ونحن نراضى هذا الرجل  
 بشيء من هذا المال ونحمل الباقي اليك متى قدرنا وان راضيناه باكثر من  
 هذا المال عدنا عليك بما يبقى علينا من المقدار فقال أموري انا راض بذلك  
 وان بقي على شيء حماله اليكم وعول على الرحيل فقال له بعد ان تطلق طي بن  
 شاور ومن بقي من اسري بليس معكم ولا تأخذ من بليس بعد انصرافك  
 شيئاً فاجابه الى جميع ذلك ورحل الصليبيون عن مصر ولما نزل أسد الدين  
 بارض اللوق كما تقدم ارسل له العاضد هدية عظيمة وخلماً كثيرة واخرج الى  
 خدمته اكبر اصحابه ثم انه خرج اليه في الليل سراً متنكراً واجتمع به في خيمته  
 وافضى اليه بامور كثيرة منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور قد  
 رأى ليلة نزل أسد الدين على القاهرة كانه دخل دار الوزارة فوجد على سرير  
 ملكه رجلا وبين يديه دواة الوزارة وهو يوقع منها باقلامه فسأل عنه فقيل  
 هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أقام أسد الدين بالديار المصرية  
 ورحل عنها الا فرنج أمنت البلاد وتراجع الناس الى بيوتهم واخذوا في اصلاح



ما شتمه الصليبيون وأفسدوه وتقاطر الناس الى خدمة أسد الدين فتلقتهم  
بالرحب والسعة واحسن اليهم وكذلك شاور فانه أخذ في التودد الي الاسد  
والتقرب اليه بجميع ما وجد السبيل اليه وأقام له ولعسكره الميرة الكثيرة  
والنفقات الغزيرة حتى استحوذ على قلبه وقوى تقيته في ملكه وصفا له قلبه

### ﴿ قتل شاور ووزارة أسد الدين شيركوه ﴾

لما أقامت عسكر الشام بمصر تحت رئاسة أسد الدين شيركوه ورأوا  
طيب بلادها وكثرة خيرها وسعة أموالها تآقت أنفسهم الى الإقامة بها واختاروا  
سكنائها ورغبوا فيها رغبة عظيمة وقوى طمع أسد الدين في الاستيلاء عليها  
والاستبداد بملكها ثم علم انه لا يتم له ذلك وشاور باق فيها فاخذ في اعمال  
الحيلة عليه فجمع أصحابه وشاورهم في أمر شاور وقال لهم قد علمتم رغبتي  
في هذه البلاد ومحبتني لها وحرصى عليها لاسيا وقد تحققت ان عند الصليبيين  
ما عندي وعلمت انهم كشفوا عورتها وعلموا مسالكها وتيقنت اني متى خرجت  
منها عادوا اليها وملكوها وهي معظم دار الاسلام وحلوبة بيت ما لهم وقد قوى  
عندي ان أثب عليها قبل وثوبهم وأملكها قبل ان يملكوها وأنخلص من شاور  
الذي يلعب بناوبهم ويضرب بناوبهم وقد ضيع صنيع أموال هذه البلاد  
في غير وجهها وقوي بها الصليبيين علينا وما كل وقت ندرك الصليبيين ونسبقهم  
الى هذه البلاد التي قلت رجالها وهلكت أبطالها فقالوا جميعاً لا يتم أمر الابد  
قتل شاور وتفرقوا على ايقاع القبض عليه. وكان شاور يركب في الابهة العظيمة  
والعدة الحسنة على عادة الوزراء لانه كان الوزير اذا ركب سار في موكبه الطبل  
والبوق وكان شاور قايل الركوب فاخذ الامراء يترصده الى ان ركب يوماً في  
ابهته وجلالته فلما عاينه الامراء هابوه وأحجموا عنه وكان يوماً عظيم الضباب  
وكان خروج شاور من باب القنطرة للسلام على أسد الدين فتقدم صلاح الدين

فسلم عليه ودخل في وسط موكبه ثم ساره ثم مد يده الى تلايبه وصاح عليه  
فرجله ولمس رأسي ذلك عسكر الشام قويت عزائمهم ووقعوا في عسكر شاور  
فهبوا ما كان مع رجاله وقتلوا منهم جماعة وحمل الملك الناصر شاوراً راجلاً  
الى خيمة لطيفة وأراد قتله فلم يقدر من غير مشاورة اسد الدين وفي الحال ورد  
على اسد الدين توقيع من العاضد على يد خادم يأمره فيه بقتل شاور فانفذ  
التوقيع الى صلاح الدين فقتله في الحال وأنفذ رأسه الى القصر فخلع الخليفة  
العاضد على اسد الدين وقلده الوزارة بدل شاور وذلك في ١٧ ربيع أول  
سنة ٥٦٤ فسار اسد الدين ودخل القصر وترتب وزيراً ولقب بالملك المنصور  
أمير الجيوش وقصد دار الوزارة فنزلها وهي التي كان بها شاور وسلفاؤه  
وكتب له منشوراً بالوزارة من القصر كتب العاضد في طرته بخطه (هذا عهد  
لا عهد لوزير بمثله وتقلد امانت آك أمير المؤمنين أهلاً لحمله والحجة عليك عند  
الله بما أوضحه لك من مرشد سبيله فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب  
ذيل الفخار بان اعترت خدمتك الى نبوة النبوة واتخذ للفور سيلاً ولا تنقض  
الايمان بعد توكيدها وقد جعلت الله عليكم وكيلاً) وجاء في المنشور ما يأتي  
(من عبد الله ووليه أبي محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الاجل  
الملك المنصور سلطان الجيوش ولى الائمة مجير الامة اسد الدين كافي قضاة  
المسامين وهادي دعاة المؤمنين أبي الحارس شيركوه العاضدى عضد الله به  
الدين وامتح بطول بقاءه أمير المؤمنين وادام قدرته وأعلى كتابه سلام عليك  
خانم يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على محمد خاتم النبيين  
وسيد المرسلين وعلي آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليماً) فامر بقراءته  
على رؤوس الاشهاد وفرح به غاية الفرح وأعيدت قراءته عليه عدة مرات  
استحساناً لمعانيه . ثم ان الخليفة العاضد أرسل الى اسد الدين طبقاً من الفضة  
فيه رأس الكامل بن شاور ورؤوس أولاد اخوته وكان الكامل لما سمع بقتله

أبيه قد اتجا إلى القصر فقتله الخليفة

﴿ حكم الملك المنصور أسد الدين شيركوه ووفاته ﴾

لما استقر أسد الدين بالوزارة ولم يبق له منازع ولى الاعمال من  
يثق اليه واستبد بالولاية فاقطع البلاد للعساكر التي قدمت معه وصلاح الدين  
مباشراً للامور مقرر لها وزمام الامر والنهي مفوض اليه لكفايته ودرايته  
وحسن تأنيه وسياسته وطلب أسد الدين من القصر كاتب انشاء للوزارة  
فارسل اليه عبدالرحيم اليبساني ومدحه الشعراء ومنهم العماد بقصيدة طويلة  
منها

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب	كم راحة جنيت من دوحة التعب
يا شيركوه بن شاذي الملك دعوة من	نادى فعرف خير ابن بخير أب
جری الملوك وما حازوا بر كضهم	من المدى في العلاما حزت بالخب
تمل من ملك مصر رتبة قصر	عنها الملوك فطالت سائر الرتب
فتحت مصر وأرجو أن تصيرها	ميسرا فتح بيت القدس عن كذب
قد أمكنت أسد الدين الفريسة من	فتح البلاد فبادر نحوها وثب
أنت الذي هو فرد من بسالته	والدين من عزمه في جحفل لب

وفي حكمه شدد على النصارى وأمرهم بشد الزنا نير على أواسطهم ومنعهم  
من ارخاء الذؤابة التي تسمى بالزبه فدكتب المهذب ابن أبي الميخ زكريا  
وكان مسيحيًا إلى أسد الدين بقوله

يا أسد الدين ومن عدله	يحفظ فينا سنة المصطفى
كفي غياراً شد أو ساطنا	فما الذي أوجب كشف القفا

فلم يسمعفه بطلبه ولا مكنه من ارخاء الذؤابة وعند ما يس من ذلك أسلم  
وكان شيركوه يعتبر نفسه نائباً لنور الدين في مصر وانه قائم بمنصب الوزارة

باسمه ولكن لم تطل مدته لانه كان مواظباً علي تناول الاحوم السمينة وكانت تتواتر عليه التخم والخوانيق فاعتراه خانوق عظيم ذهب بحياته في ٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٦٤ ولم يمكث في منصبه الا شهرين وخمسة ايام ودفن في القاهرة ثم نقل الى مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم وكان شجاعاً بارعاً قويا ذا صولة عفيفاً دينياً كثير الخير وكان يحب اهل الدين والعلم كثير الايثار حسداً على اهله واقاربه وخلف مالا كثيراً وترك كثيراً من الخيل والدواب وخسمائة مملوك وهم الاسديه وهو مشيد قواعد الدولة الشاذية والمملكة الناصرية وكان ابتداء امره يخدم مع صاحب تكريت على اقطاع يبلغه تسعمائة دينار وتقل في خدمة الملك العادل محمود نور الدين الى ان ملك الديار المصرية وعقد له العزاء بالقاهرة ثلاثة ايام

### ✽ وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف ✽

لما توفي أسد الدين كما تقدم أصبح كل من الامراء النورية الذين كانوا قد صحبوا أسد الدين يطلب التقدم على العساكرو ولاية الوزارة منهم الامير عين الدولة الباروقى وقطب الدين خسرو بن تليل وهو ابن أخي أبو الهيجاء وسيف الدين على ابن أحمد الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين ومات الاسدية الى صلاح الدين فانفذ الخليفة العاضد يسأل عن يصلح للوزارة فارشد من جماعة من الامراء على شهاب الدين الحارمي فانفذ اليه وأحضره وخاطبه في تولى الوزارة فامتنع من ذلك وأشار بولاية صلاح الدين وكان الحارمي اولاً قد رغب في الوزارة وتحدث فيها فلما رأى مزاحمة عين الدولة بن ياروق وغيره عليها خاف ان يشتغل بطلبها فتفوتته ورما تفوت صلاح الدين فإشار عليه لانها اذا كانت لابن اخته كانت في بيته وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد بموقع وأعجبه عقله وسداد رأيه وشجاعته واقدامه على شاور في موآبه وقتله حين جاءه أمره مع صغر سنه

فسارع الى تقليده الوزارة وماخرج شهاب الدين من حضرة العاضد الا وخلصه  
الوزارة قد أرسلت الى صلاح الدين



صلاح الدين يوسف الربيحي

وتلقب بالملك الناصر وكانت خلة الوزارة عمامة بيضاء تسمى بطارز ذهب وثوب  
ديقي بطرازي ذهب وجية تحتها سقلاطون بطرازي ذهب وطيلسان ديقي بطراز  
ديقي ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة آلاف دينار وسيف محلي مجوهر قيمته خمسة  
آلاف دينار وقرص حجر صفراء من مراب العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار  
لم يكن بالديار المصرية أسبق منها وطوق وتخت وسرفسار ذهب مجوهر وفي رقبة

الحجر مشدة بيضاء وفي رأسها مائتا حبة جوهر وفي أربع قوائم الفرس أربع عقود  
 جوهر وقصبة ذهب في رأسها طالعة مجوهرة وفي رأسها مشدة بيضاء باعلام ذهب  
 ومع الخلعة عدة بقج وعدة من الخيل وأشياء أخرى ومنشور الوزارة ملفوف في  
 ثوب أطلس أبيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة  
 سنة ٥٦٤ وقرىء المنشور بين يدي الملك الناصر يوم جلوسه في دار الوزارة وحضر  
 جميع أرباب الدولتين المصرية والنورية وكان يوماً عظيماً وخاع الملك الناصر على  
 جميع الأمراء والكبراء ووجوه البلد وأرباب دولة العاضد وعم الناس جميعهم  
 بالهبات مع أنه قبل هذا المنصب كرهاً وكان جاء إلى مصر صحبة عمه أسد الدين كرهاً  
 أيضاً ( إن الله ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بسلاسل ) وأما الأمراء فأنهم لم يلتفتوا  
 إليه ولا خدموه وكان الفقيه ضياء لدين عيسى الطبركي معه فسعى عند سيف  
 الدين علي ابن أحمد حتى أماله إليه قائلاً له ان هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين  
 الدولة والحارمي وابن تليل فقل إلى صلاح الدين ثم قصداً أيضاً إلى قطب الدين  
 وقال له ان صلاح الدين قد أطاعه باقي الأمراء ولم يبق سواك فالاحسن ان تعينه  
 وهكذا حتى أماله وسار إلى عين الدلة الباروقى وفعل معه كما فعل مع سلفائه فلم  
 يقبل منه ذلك وسار بعسكره إلى نور الدين بالشام

وأما صلاح الدين فإنه كان بصفته نائب عن الملك العادل محمود نور الدين  
 وقائمقامه بالديار المصرية وكانت الخطبة في جميع البلاد باسم الملك العادل بمدد كرم  
 الخليفة العاضد وكان الملك العادل نور الدين يكتب الملك الناصر صلاح الدين  
 بالامير الاسفهلار وصار يحكم في الرعية بالعدل المملوء حليماً حتى أحبته الرعية  
 واستمال قلوبهم وبذل لهم المال فنويت نفسه على ذلك رضى من أمر الخليفة العاضد  
 وطلب صلاح الدين من نور الدين ارسال اخوته فلم يجبه إلى ذلك وقال أخاف  
 أن يخالف احد منهم أو امرك فتفسد البلاد. وبعدهم سار نور الدين إلى مصر  
 اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب وهو أكبر من صلاح

الدين وقال له ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى أخيك يوسف الذي كان يخدمك  
فلا تسر فانك تفسد البلاد فأعقبك وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم  
فيها مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر اليه واشدد ازره وساعده على ما هو  
بصدده فقال أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل اليك فكان كما قال . وكان نور  
الدين قد أثر عنده تصيب صلاح الدين على الديار المصرية حتى قال ما أخطأت الا  
في نفاذي اسد الدين الى مصر بعد علمي برغبته فيها وكان يباغ انك الناصر  
صلاح الدين من اقوال نور الدين وبعض اصحابه اشياء تؤلمه غير انه يلقاها  
بصدر رحب وخلق عذب . وصر صلاح الدين بابطال المكوس والمظالم ما يقدر  
من ذلك بديوان صناعة مصر مائة الف دينار وما يستخرج بالاعمال البحرية  
والقبلية بمائة الف دينار فسامح بجميع ذلك واصدر بهم منشوراً يقرأ على المنابر  
وسامح أيضاً في كثير غير ذلك وامتدحه الشعراء وقال احدهم شعر

فالشام يعبط مصر امدحلت بها كما الفرات تليكم يحسد النيل  
نتم من الملك عفواً ما الملوك به عنوا قديماً وراموه فما نيلا

وقال بعضهم

لك الحسب الباقي على عقب الدهر بل الشرف الراقى الى قمة النسر  
كذا فليكن سمي الملوك اذا سعت بها الهمم العليا الى شرف الذكر  
نهضتم باعباء الوزارة نهضة أقلمت بها الاقدام من زلة العثر  
كشفتهم عن الاقليم غمته كما كسفتهم بانوار الغنى ظلمة النقر  
حميتهم من الافرنج سرب خلافة جريتم لها مجرى الامان من الذعر  
ولما استغاث ابن النبي بنصركم ودائرة الانصار اضيق من شبر  
جلبتم اليه النصر اوسا وخزرجاً وما اشتقت الانصار الامن النصر  
كثائب في جبرون منها اواخر وأولها بالنيل من شاطيء مصر  
طلعتهم فاطلعتهم كواكب نصره أضاءت وكان الدين ليلا بلا فجر

وأبت اليكم يا ابن أبوب دولة تراسلكم في كل يوم مع السفر  
 حمي الله فيكم عزيمة أسدية فكفكم بها الاسلام من ربة الاسر

(\* قتل جوهر مؤتمن الخلافة وواقعة العبيد \*)

لما استقام صلاح الدين بالوزارة وعظم نفوذه وكثرت نصراته داخل  
 الحسد مؤتمن الخلافة جوهر الخصى وحدثته نفسه بخلع صلاح الدين وواقعه  
 كثير من الامراء المصريين والجنود وافق رأيهم ان يبعثوا الى الصليبيين ببلاد  
 الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بمسكرة ثاروا  
 وهم في القاهرة واجتمعوا مع الصليبيين على اخراجه من مصر . فسيروا رجلا  
 الى الصليبيين وجعلوا كتبهم معه في نعل فسار الرجل الى ان وصل الى  
 الير البيضا قريبا من بليس فاذا ببعض اصحاب صلاح الدين قابل الرجل  
 هناك فانكر امره لانه حمل نعله في يده وليس فيها اثر مشى والرجل رث الهيئة  
 فارتاب فيه واخذ النملين وشقهما فوجد الكتب بداخلهما فحمل الرجل  
 والكتب الى صلاح الدين فتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذي كتبها  
 من اليهود الكتاب فلما احضروه ليسألوه ويعاقبوه على خطه نطق بالشهادة  
 قبل كلامه ودخل في عصمة اسلامه ثم اعترف بما جناه وان الذي امره هو  
 مؤتمن الخلافة جوهر فبلغ ذلك الى جوهر فخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من  
 الخروج فاعرض صلاح الدين عن ذلك جملة وطال الامد فظن الخصى انه قد  
 أهمل امره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظره بناها بناحية الخرقانية  
 بقرب قلوب في بستان فخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فانفض اليه  
 عدة هجموا عليه وقتلوه في يوم الاربعاء ٢٥ ذي القعدة سنة ٥٦٤ واحتزوا  
 رأسه وأنوا به الى صلاح الدين فاشتهر ذلك في القاهرة وأشيع فنضب العسكر  
 المصري وساروا باجمعهم وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى



أصبح عددهم نيفاً و ٥٠ الفاً وساروا الى دار الوزارة وفيها صلاح الدين وقد  
 استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة نحر الدين توارنشا أخو صلاح الدين  
 ونادى بالعساكر الغز (الشاميه) ورتبهم ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة  
 الجيوشية والطائفة القرنجية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم  
 في محلة بين القصرين فثارت الحرب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر  
 وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين وأصحابه وعند ذلك أمر توارنشا  
 بالحملة على السودانيين فقتل منهم أحد مقدميهم فانكسرت شوكتهم قليلاً وعظمت  
 حملة الغز عليهم فانكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الدهومة وقتل حينئذ  
 عدة من أمراء المصريين وكثير من سواهم . وكان العاضد في هذه الواقعة  
 يشرف من المنظرة فلما رأى أهل القصر كسرة السودانيين وعساكر مصر رموا  
 الغز . اعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى انكروا فيهم وكفوهم عن القتال وكاد  
 هؤلاء يمكنهم من فامر حينئذ صلاح الدين باحراق المنظرة فاحضر شمس الدولة  
 النفاطين وأخذوا في اعداد قارورة النفط وصوبوها الى المنظرة حيث يقم العاضد  
 فخاف على نفسه وفتح زعيم الخلافة باب المنظرة وقال بصوت عال ( أمير المؤمنين  
 يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والبيد الكلاب أخر جوهم من بلادكم )  
 فلما سمع السودانيون ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا  
 وركب القوم أقتيتهم الى ان وصلوا الى سوق السيوفيين فقتل منهم كثير وأسر  
 منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان فاحرق بهم وكان في دار الارمن قريباً  
 من بين القصرين كثير من هذه الطائفة وكلهم رماة ولهم جارية في الدولة تجري  
 عليهم فمئذ ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن ان يسيروا  
 الى العبيد فاحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقاً وقبلاً ومروا الى العبيد  
 فصاروا كلما دخلوا مكاناً أحرقت عليهم وقتلوا فيه الى ان وصلوا الى باب زويله  
 وكان مغلقاً فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين وكان صلاح الدين

قد أحرق المنصوره وهي حارة لهم بجهة باب زويله وأعظم حاراتهم وأخذت عليهم  
 أفواه السكك فيقتنوا انهم قد أخذوا لالمحالة وطلبوا الامان فامنوا وذلك يوم  
 السبت ٢٨ ذى القعدة وفتح لهم باب زويله فخرجوا الى الجيزة فمضى عليهم  
 شمس الدولة في العسكر وقد قوا باموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم  
 السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشي بعده هذه الواقعة أمر العاضد ودعيت  
 بواقعة العبيد . ومن غرائب الاتفاق ان الذي فتح مصر للدولة الفاطمية وبني  
 القاهرة يدعى جوهرراً والذي كان سبباً في زوال هذه الدولة وخراب القاهرة  
 يدعى أيضاً جوهر الملقب بمؤمن الخلافة . فلما انتهت هذه الواقعة واستئصلت  
 جرثومة الفساد عاد صلاح الدين الى السكون فولى أخاه تورانشاه قوص واصوان  
 وعيناب مكافأة لما أظهره من البسالة في هذه الواقعة وجعل البلاد المذكورة  
 له اقطاعا فكان دخلها في تلك السنة (٢٦٦٠٠٠) دينار

رجل

\* محاصرة الصليبيين ثغر دمياط \*

لما علم الملك أموري ملك القدس خبر تمكك اسد الدين شيركوه مصر خاف  
 على بلاده لانه صار بين عدوين نور الدين من الشام وأسد الدين من مصر فجمع  
 مجلس شورا وقرر رأيهم على ارسال فريدريك بطريك صور ومعه يوحنا  
 اسقف عكا للانجاء بملوك فرانسوا وانكلترا وسيسيليا وغيرهم من ملوك أوروبا  
 فلم تجح مسعاهم ثم أرسل الى عم زوجته ملك الروم بالقسطنطينية فإرسل اليه  
 عمارة بحرية مؤلفة من مائة وخمسين مركباً ملاً بالزخائر والمؤن والعدة والرجال  
 فاتحدت بباقي الصليبيين الموجودين بالشام وساروا براً وبحراً الى مصر حتى اذا  
 بلغوا الفرما ساروا الى دمياط فمسكروا بينها وبين البحر في أول صفر سنة ٥٦٥  
 وكانت هذه الحملة بقيادة الملك أموري أيضاً فظن انه يقدر على أخذ دمياط  
 بالهجوم ويملكونها ليجعلونها ظهراً لهم بما يكون به ديار مصر الا انه رأى منها

مقاومة ودفاعاً اضطره لاقامة الحصار فاقامه . فارسل اليها صلاح الدين العساكر  
 في النيل وحشر فيها كل من عنده وامدهم بالمال والسلاح والذخائر وارسل الى  
 نور الدين يشكوا ما هو فيه من المخاوف ويقول انه اذا تخلف عن دمياط ملكها  
 الصليبيون وان سار اليها واخلى القاهرة خاف من غدر المصريين به وطلب منه  
 المدد فجهد نور الدين اليه العساكر ارسالاً كلما تجهزت طائفة ارسلها ثم سار نور  
 الدين الى بلاد الصليبيين بالشام فنها وَاغار عليها واستباحها ووصلت غاراته  
 الى ما لم تبلغه نخلو البلاد من ممانع وكذلك الخليفة العاضد فانه امد صلاح الدين  
 بمليون دينار مصري سوى اثياب وغيرها وارسل صلاح الدين ابن اخيه تقي  
 الدين وخاله شهاب الدين الحارمي الى دمياط وطال امد الحصار حتى نفذت  
 مؤونة الصليبيين فارادوا العبور في النيل لياتوا بالزاد فاقفهم حاجز اقامه  
 المسلمون في عرض النهر وهو عبارة عن سلسلة قوية من الحديد طرفها الواحد  
 ممكن بتاريس دمياط والطرف الآخر ببرج هائل منيع الجانب وكانت ترد  
 الامداد الى حامية دمياط من القاهرة بكل سهولة . اما الصليبيون فكان  
 انتظارهم للمدد من سوريا عبثاً فانتشر الجوع في معسكرهم فحدث الشقاق  
 بين الفرنسيين وهم الذين كانوا في سوريا واليونانيين الذين اتوا بالمدد من  
 القسطنطينية واشتد حتى افضى الى الانفصال التام بعد ان بلغ منهم الجوع  
 مبلغاً عظيماً فكانوا يتخاصمون على كسرة خبز وبمضغون اقلان التخيل ومما  
 زاد تعاستهم تسائر الامطار والذوابع على معسكرهم بدون انقطاع حتى اصبحوا  
 كأنهم في طوفان عظيم وحصل من هياج الاعصار نوء في النيل اسرع جريه  
 فتزاحمت مراكب الصليبيين وتلاطمت فلم يعد استخدامها ممكناً لوقوعها بين  
 قوتين متضادتين الريح ومجرى النيل فتكسر معظمها . وكان نور الدين قد  
 ارسل حملة بقيادة الامير قطب الدين خسرو الهمداني فنزل دمياط في ١٥  
 ربيع أول سنة ٥٦٥ واحرقت العساكر الاسلامية باقى مراكب الصليبيين

ومن جانبيقاتهم وآلات حريمهم وقتلوا منهم كثيراً . فلما حل بالصليبين ذلك  
لم يروا بدأ من العود على اعقابهم الى سوريا صفر الايدي بعدان تعاهدوا مع  
المسلمين ان لا يعارضهم معارض في سيرهم فرجعوا خائينين في ٢١ ربيع أول  
وصدق فيهم المثل (ذهبت النعامه تطلب قرنين فعادت بلااذنين) وكان صلاح  
الدين قد أعد في القاهرة جيوشاً ليسير بها مدداً الى دمياط لكنها لم تبلغها  
حتى فارقت الجيوش الصليبية مراكزها فشق عليه ذلك ووبخ الامراء  
الذين سمحوا لهم بالانسحاب ثم عاد الى القاهرة وامتدحه عمارة اليمنى  
بقصيدة منها

من شاكر والله أعظم شاكر	ما كان من نعمى بنى أيوب
طلب الهدى نصر أفعال وقد أتوا	حسبى فاتم غاية المطلوب
جلبوا الى دمياط عند حصارها	عز القوى وذلة المغلوب
وجلوا عن الاسلام فيها كربة	لولم يجلوها أتت بكروب
فالناس من أعمال مصر كلها	عتقاء لهم من نازح وقريب
ان لم تظن الناس قشراً فارغا	وهم اللباب فانت غير لبيب

\* (مسير نجم الدين أيوب وباقي عائلته الى مصر) \*

ثم أرسل صلاح الدين الى نور الدين يطلب قدوم والده وباقي عائلته وكان  
الخليفة المستنجد بالله العباسى ببغداد قد أرسل الى نور الدين يعاتبه من تأخير  
اقامة الدعوة له بمصر فانتمت هذه الفرصة وأحضر الامير نجم الدين أيوب  
والزمه الخروج الى ولده بمصر وسامه رسالة منها (وهذا أمر تجب المبادرة اليه  
لنحظي بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت  
لاسيما وامام الوقت متطلع الى ذلك بكلية وهو عنده من أهم أمنيته ) ثم ان  
الامير نجم الدين جهز حاله للمسير الى مصر وسار معه نور الدين مشيعا الى

رأس الماء وعادنور الدين بعد توديمه وسار نجم الدين الى ان وصل بالسلامة  
الى مصر في ٢٧ رجب سنة ٥٦٥ فخرج الخليفة العاضد من قصره لاستقباله  
وكذلك جميع الامراء والاعيان وباقي ارباب الدولة المصرية الى ظاهر  
باب الفتوح عند شجرة الاهلياج ولم يجر بذلك عادة لهم وكان من  
أعجب يوم شهدته الناس وخلع الخليفة العاضد عليه ولقبه الملك الافضل  
وحمل اليه من القصر الالطاف والتحف والهدايا وأظهر صلاح الدين من  
بره وتمظيم أمره ما أحرز به الشكر والاجر وأفرد له داراً بجانب داره وأقطعه  
الاسكندرية ودمياط والبحيره ومدح صلاح الدين عمارة اليمن بقصيدة منها

صحبت به مصر وكانت قبله	تشكو سقاماً لم يمن بطيب
عجياً لمجزأة أتت في عصره	والدهر ولاد لكل عجيب
رد الاله به قضية يوسف	نسقا على ضرب من التقريب
جاءته اخوته ووالده الى	مصر على التدرج والترتيب
فاسعد بأكرم قادم وبدولة	قد ساعدتك رياحها بهبوب

ومن قصيدة للحكيم عبد المنعم

في مشرق المجد نجم الدين مطالعه وكل ابنائه شهب فلا أفلوا  
جاءوا كيعقوب والاسباط اذوردوا

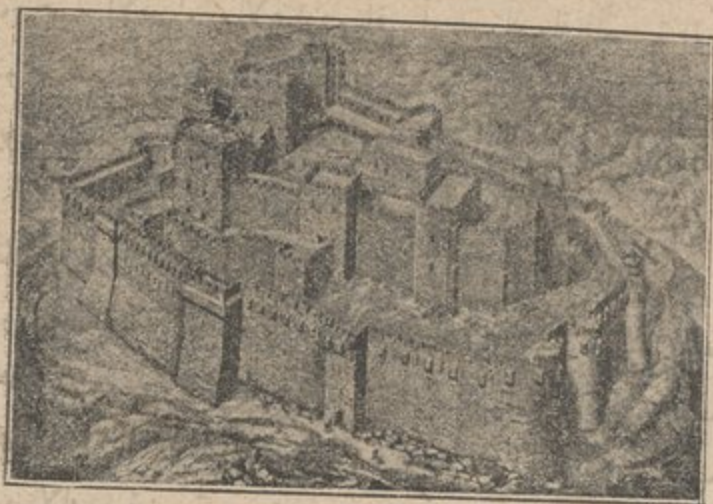
على العزيز من أرض الشام واشتملوا  
لكن يوسف هذا جاء اخوته ولم يكن بينهم نزع ولازل  
وملكوا أرض مصر في شماخته ومثلها رجال مثلهم نزل

\* محاربة نور الدين حصن الكرك والزلزله الكبرى \*

بمداودع نور الدين الامير نجم الدين سار بمسكروه الى بلاد الكرك في

(١٤٦)

مستهل شعبان سنة ٥٦٥ ونزل أياماً بالبقاء على عمان وأقام على الكرك اربعة  
أيام فحاصرها



(صورة قلعة الكرك)

ونصب عليها منجانيقين فورد اليه الخبر بان الصليبيين قد تجمعوا ووصلوا  
الى ماء عين فرحل اليهم نور الدين فلما سمعوا بارتداده عليهم ولوا مدبرين  
وعاد نور الدين الى حوران فخيم بعشيرا وأقام ينتظر حركتهم ليلقاهم فلم  
يرحوا من مكانهم خوفاً منه وقصد نور الدين بلادهم حتى توسطها فذهب  
ماكان على طريقه وفي هذه السنة أيضاً في ١٢ شوال حصلت زلزلة عظيمة لم ير  
الناس مثلاً اعمت أكثر البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق الا ان  
أشدها وأعظمها كان بالشام فخرت ببلدك وحصن وحماء وشيزرو وبيروين وغيرها  
وتهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها وهلك من الناس كثير فسار  
نور الدين الى بلدك لتعمير سورها فرتب من يحمها ويعمرها وسار الى حصن ففعل  
مثل ذلك وسار منها الى غيرها ماراً بجميع البلاد اخوفه من هجوم الصليبيين  
الى ان وصل الى حلب فوجدوا كثيراً متهدماً فأقام بنفسه على عمارتها وأما

بلاد الصليبيين فان الزلزلة اضررت بها أكثر من سواها وهدمت أسوار  
مدنها فاجتهدوا في تميرها خوفاً من نور الدين وهكذا فان كلا من الفريقين  
انشغل عن الآخر وكانت هذه الزلزلة قد حصلت في يوم عيدهم وهم في الكنائس  
فوقعت عروشها عليهم

\* محاربة صلاح الدين بلاد الصليبيين \*

في السنة التالية للزلزال سار صلاح الدين في جيش عظيم الى سوريا لمحاربة  
الذين ضافوه في السنة الماضية فدخل فلسطين سنة ٥٦٦ فعلم الملك أمورى وهو في  
عسقلان ان صلاح الدين قد حاصر قلعة دارون وهو دير قديم لانصارى  
وموقعه على قمة جبل وعمر على أربعة أميال من غزه اتخذ الصليبيون حصناً  
فاسرع لمهاجمة صلاح الدين في ذلك المكان وكان قد علم صلاح الدين بقدمه  
فسار لملاقاته فلاقاه في منتصف الطريق وحاربه وغلبه ونزل على غزه فاستولى  
عليها واستبشر المسلمون بهذه الانتصارات ولكنهم اكتفوا بها أخذاً بالنار  
فتركوا في غزه حامية كافية وعادوا الى مصر ثم بلغ صلاح الدين بان الصليبيين  
قد احتلوا آيبله وتحصنوا فيها وهي قلعة على البحر الاحمر فسار اليها ومعه عصبة  
من رجاله الاقوياء وحمل معه مراكب مفككة نقلها على الجمل ولما وصل الى البحر  
عند آيبله ركب تلك المراكب وانزلها الى البحر وهاجم آيبله في ربيع أول سنة  
٥٦٦ برأوبجرا وظل عليها حتى فتحها رجاله وقتلوا من كان فيها من الصليبيين  
وجعل فيها صلاح الدين جماعة من ثقافته وقوامهم بما يحتاجون اليه من سلاح  
وغيره وعاد الى مصر

\* (وفاة الخليفة المستنجد بالله وخلافة المستضيء بالله)

في يوم السبت تاسع ربيع آخر سنة ٥٦٦ توفي الامام المستنجد بالله أبي  
المظفر يوسف بن المقتدي بالله وكانت خلافته احدى عشر سنة و٦ أيام وهو الثاني

والتلاثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والباء وفيه  
يقول بعض الادباء

أصبحت ابني العباس كلهم ان عددوا بحساب الجمل الخلفاء  
وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلا فيهم كثير الرفق بهم ثم يوسع  
بالخلافة ابنه المستضيء بامر الله أبو محمد الحسن

\*(وفاة الخليفة العاضد لدين الله بمصر والخطبة فيها لبني العباس)\*

كان نور الدين قد أرسل الى صلاح الدين يطلب منه الخطبة للعباسين بمصر كما  
تقدم فاعتذر اليه صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم عن  
الاجابة الى ذلك لميلهم الى العلويين فلم يصغ نور الدين الى قوله وأرسل اليه  
يلزمه بذلك الزاماً لافسحة فيه واتفق ان الخليفة العاضد مرض وكان صلاح  
الدين قد عزم على قطع الخطبة له فاستشار الامراء كيف يكون الابتداء بالخطبة  
العباسية فنهم من اقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من خاف ذلك الا انه لم  
يمكنه الامتثال أمر نور الدين وكان قد دخل مصر انسان أعجمي اسمه أمير  
عالم فلما رأى ما هم فيه من الاحجام قال أنا ابدي بها . فلما كان أول جمعة  
من المحرم سنة ٥٦٧ صعد المنبر في أكبر جامع وخطب بالناس ودعا للخليفة  
المستضيء بامر الله فلم ينكر ذلك أحد عليه وكان موجوداً بالمسجد الامير نجم  
الدين وجماعة من الامراء خوفاً من حصول حادث لكي يعتذر صلاح الدين  
عن نفسه وفي الجمعة الثانية أمر صلاح الدين جميع خطباء القاهرة ومصر بقطع  
خطبة العاضد وان يخطب للمستضيء العباسي ففعلوا ولم يمارضهم أحد وكتب  
بذلك الى سائر الديار المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله  
وأصحابه بذلك وقالوا ان سلم فهو يلم وان توفي فلا ينبغي ان تنص عليه هذه  
الايام الباقية من عمره فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم بشيء من ذلك وبعد وفاته



جالس صلاح الدين للعرزاء واستولى على قصره وعلى جميع ما فيه وكان قد رتب فيه  
 قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصيه لحفظه وجعله كاستاذ دار العاضد  
 بعد قتل جوهر مؤتمن الخلافة وكان لا يدخل القصر شيء أو يخرج منه الا  
 بأمر صلاح الدين فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد الى  
 مكان منفرد و وكل لحفظهم وجمال اولاده وعمومته وأبناءهم في القصر الكبير  
 الكائن بمحارة بير جوان وكان عيشهم فيها طيباً ثم نقلوا بعد الدولة الايوبية منها وجمال  
 عندهم من محفظهم وأبعد عنهم النساء وأخرج من كان بالقصر من العبيد والجواري  
 فاعتق البعض ووهب البعض وباع البعض وأخذ القصر من أهله وسكانه ودخلت  
 مصر في حماية الخلافة العباسية الدينية في بغداد بعد خروجهما منها مدة مائتين  
 وثمان وستين سنة ولما اشتد مرض العاضد أرسل الى صلاح الدين يستدعيه  
 فظنها مكيدة فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه وندم صلاح الدين على استعجاله  
 بقطع خطبته وهو مريض وقال لو علمت انه يموت من هذا المرض ما قطعته الي  
 ان يموت . وفتح الخزائن التي بالقصر وأخذ كل ما صالح له ولاهله ولامرائه  
 ولخواص مماليكه من الذخائر وزواهر الجواهر ونفائس الملابس ومحاسن  
 العرائس وقلائد الفرائد والدررة اليتيمة والياقوتة العالية غالية القيمة والمصوغات الثمينة  
 والمصنوعات العنبرية والاواني الفضية والصواني الصينيه والمنسوجات المغربية  
 والكرائم والبنائم والمسعود والتمائم والنقود والمنظوم والمنضود والدر والياقوت  
 والبسط والفرش وما لا يعد احصاءه ولا يحدا استقصاءه واسرف في العطاء وأطلق  
 البيع في كل حديث وعتيق وليس وسحق ورخيص وغال واستمر البيع فيه عشر  
 سنين ومن أعجب ما وجد فيه قضيب زمرد طوله شبر ونيف قطعة واحدة  
 وكان حجمه مقدار الايهام ووجد فيه طبل للقولنج فانه دفع الى بعض الاكراد  
 فام يد رماه فكسره لانه ضرب عليه فحرق ووجد ابريقاً عظيماً من الحجر  
 المانع . وان القضيب الزمرد فان صلاح الدين أحضر صانع ليقطعه فابى الصانع

قطعه فرماه بنفسه فانقطع ثلاث قطع ففرقه على نسائه وأما الابريق فانفذه الى  
 الخليفة ببغداد ومن جملة ما باعه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا لانه لم يكن  
 في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة داخل القصر ويقال  
 انها كانت تحتوي على مليوني كتاب واقتسم الناس بعد ذلك القصر وامتدحه الناس  
 وقال العرقله

أصبح الملك بعد آل على مشرفاً بالملوك من آل شاذي  
 وغدا الشرق يحسد الغرب للقو م ومصر تزهو على بغداد  
 ماحووها الا بحزم وعزم وصليل الفولاذ في الفولاذ  
 لا كفرعون والزز ومن كا ن بها كالحصيب والاستاذ

ثم أرسل صلاح الدين البشار الى نور الدين بالخطبة للعباسيين بمصر وعمل  
 نور الدين قصيدة لتلى امام الخليفة ببغداد وأرسل شهاب الدين أبو المعالي المطهر بهذه  
 البشارة فيها

قد خطبنا للمستضى بمصر نائب المصطفى امام مصر  
 وخذ لنا نصرة المضد العا ضد والقاصر الذي بالقصر  
 وأشعنا بها شعاع نبي العبا س فاستبشرت وجوه النصر  
 وتركنا الدعى يدعوا نبوراً وهو بالذل تحت حجر وحصر  
 وتباهت منابر الدين للخطبة للهاشمي في أرض مصر  
 واستنارت عزائم الملك العا دل نور الدين الكريم الاغر

فلما وصل شهاب الدين الى بغداد خرجوا بموكب لمقابلته وكذلك خرج  
 أهل بغداد وكان يوماً مشهوداً وأنعم الخليفة على الملك العادل محمود نور الدين  
 بتشريف عظيم القدر ومعه سيفان إشارة الى تملكه مصر والشام وعلى صلاح  
 الدين بتشريف آخر ولما وصل التشريفان الى الملك العادل أخذ تشريفه  
 وأرسل الى صلاح الدين تشريفه بمصر مع جملة خلع عظيمة من عنده ليفرقها

على أرباب الدولة المصرية وكذلك جملة أعلام ورايات سود للاخطباء بمصر  
وانتهت مدة الدولة الفاطمية أو العلوية التي حكمت البلاد من سنة ٢٩٩ الى  
سنة ٥٦٧ وكانوا أربعة عشر خليفة ثلاثة منهم نأفريقيه بالمغرب وهم الملقبون  
بالمهدي والقائم والمنصور وأحد عشر بمصر وهم الملقبون بالمعز والعزير  
والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز  
والعاضد وكان يدعون الشرف والنسبة الى الامام علي والحقيقة انهم ينسبون الى  
مجوسى أو يهودى كما ذكر ذلك بكتب العلماء الاعلام وكانوا يسبون الصحابة  
ويقتلوا من يحبهم

\* محاربة نور الدين الصليبيين بناحية حصن عرقه وغيره \*

فى سنة ٥٦٧ أيضاً خرجت مراكب تجاربه من مصر قاصدة الشام فاخذ  
افرنج اللاذقية مركبين منها مملوأتين بالامنة والتجار وغدروا بالمسلمين وكان  
نور الدين قد هادنهم فنكشوا فلما سمع بمعلمهم استعظمه وراسل الصليبيين فى  
ذلك وأمرهم باعادة ما أخذوه فة لظوه واحتجوا بامور منها ان المركبين كانا  
قد دخلهما ماء البحر لكسرفيهما وكانت المادة بينهم أخذ كل مركب يدخله  
الماء ولكنهم كانوا كاذبين فلم يقبل مغالطتهم وهو لايهمل أمراً من أمور رعيته  
فلما لم يردوا شيئاً جمع المساكر من الشام والموصل وبث السرايا فى بلادهم  
بعضهم نحو انطاكية وبعضهم نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقه وأخرب  
ربضه وأرسل طائفة من المسكر الى حصن صافينا وعريمه فأخذها عنوة  
وكذلك غيرها ونهب وخرب وغنم المسلمون كثيراً وعادوا اليه وهو فى عرقه  
فسار فى المساكر جميعها الى قريب من طرابلس بخرب ويحرق وينهب وأما الذين  
ساروا الى انطاكية فانهم فعلوا فى ولايتهم مثل ما فعل من النهب والتحريق والتخريب  
بولاية طرابلس فراسله الصليبيون وطالبوا منه الهدنة واعادة ما أخذوه من المركبين

فاجابهم الى ذلك وصح فيهم المثل (اليهودى لا يعطي الجزية حتى يلبطم) وكذلك الصليبيون فانهم لم يعيدوا اموال التجار باقى هي أحسن حتى نهبت بلادهم وخربت

### ﴿ بريد الحمام ﴾

لما سمعت بلاد نور الدين وطالت مملكته حتى أصبحت من حدود النوبة الى همدان لا يتخللها سوى بلاد الصليبيين الذين ربما نزلوا بهض الثغور فلا يبلغه الخبر ليسير اليهم الا بعد ان يبلغوا اغرض فلذلك أمر في سنة ٥٦٧ بتأخذ الحمام الهوادى وهى المناسب التي تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها فتأخذت في سائر بلاده وترتب لها جريات ورجال لتربيتها فوجد بها راحة كبيرة وكانت الاخبار تأتيه في حينها لانه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا أو سمعوا أمراً كتبوه بورقة علموها بالبطائر وأطلقوه الى المدينة التي هو منها فيصلها في ساعته فتقل الرقعة منه الى طائر المدينة الثانية وهكذا الى المدينة المقيم فيها الملك العادل فانحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الصليبيين نزلوا تفرأ له فاتاه الخبر في أول يوم فكتب نور الدين الى العساكر المجاورة الى ذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو وأرسله على طائر الحمام ففعلوا ذلك فظفروا فما كان أحسن نظره لارعايا والبلاد

### ﴿ النفور بين صلاح الدين ونور الدين ﴾

كان صلاح الدين مع تظاهره في تأييد سلطة الخلفاء العباسيين لا يفتقر ساعياً الى اتمام مقاصده التي كانت لا تنزل تحت طى الخفاء وهى استقلاله بمصر فاخذ في تربية الاحزاب واعداد القوات الى ما يمكنه من الاستقلال بمصر ومقاومة نور الدين اذا عارضه بذلك فاحس بذلك نور الدين فبعث اليه

يستقدمه ومعه فرقة من رجاله مظهراً استنجاده في حربه مع الصليبيين عند  
 الكرك وإنما كان قصده الحقيقي ان يخرج من مصر ويبقيه عنده تحت ملاحظته  
 فيأمن من غائلته . فادرك صلاح الدين مقصده هذا لكنه لم يستصوب مخالفة  
 أوامره لثلاث تنافر القلوب فتعرقل مساعيه فكتب اليه انه اذعانا لامره قد برح  
 القاهرة بفرقة من الجند في ٢٠ محرم سنة ٥٦٨ للاقاة جيوش نور الدين في  
 الكرك . فلما وصل نور الدين اليها لم يجد فيها أحداً فانتظر فلم يقدموا ثم ورد  
 اليه كتاب نان من صلاح الدين يخبره انه برح القاهرة بجنده الى الكرك فعرض  
 له في الطريق ما لجاء الى العود حالا الى مصر وكان رجوعه في منتصف ربيع  
 أول فعلم نور الدين انها مماثلة مقصودة فاقر على المسير بنفسه الى مصر  
 والاشتغال بصلاح الدين عن الصليبيين ولكنه قبل ذهابه بعث الى صلاح الدين  
 يتهدده بالزل اذا لم يبادر الى ما أمر به فاستدعى صلاح الدين رجال عائلته  
 وفيهم أبوه نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامراء  
 فلما تكامل الجمع اعلمهم بما كان بينه وبين نور الدين وما بلغه من عزمه  
 على الحجيء اليه واستشارهم فلم يجبه أحد بكلمة فتقى الدين تقي الدين غمروبن  
 شاهنشاه أخو صلاح الدين فقال ( الرأي اذا جاءنا نور الدين قاتلناه ومنعناه  
 عن البلاد ) ووافقه غيره من أهلهم . فشتهم نجم الدين أيوب والد صلاح  
 الدين واستعظم أقوالهم وشم تقي الدين وأقدمه وقال لصلاح الدين ( ها أنا بؤك  
 وهذا شهاب الدين خالك وهل تظن بين هذا الجمع من ينجيك ويخلص لك  
 أكثر منا قال لا فقال اعلم يا يوسف اننا والله لوراينا نور الدين لم نملك الا ان  
 نقبل ركابه ونقتل بين يديه ولو أمرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفلما فاذا كنا  
 نحن هكذا فما ظنك بغيرنا . وكل الذين تراهم عندك من الامراء لوراوا  
 نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن  
 مبيك ونوابه فيها فان أراد سمعنا وأطعنا والرأي ان تكتب كتاباً مع نجاب

تقول فيه بلغني انك تريد الحركة الى هذه البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل  
المولى نجاباً يضع في رقبتي منديلاً ويأخذني اليك وما هنا من يمنع ) ثم قام  
الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا وأكثرهم أرسل الى نور الدين بمسانم  
ثم خلا نجم الدين أيوب بولده صلاح الدين فقال له (أنت جاهل قليل المعرفة  
تجمع هذا الجمع العظيم وتطلعهم على ما في نفسك فاذا سمع نور الدين انك  
عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الامور اليه ويقصدك فلم ترمك من  
هذا العسكر أحداً وكانوا أسلموك اليه أما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون  
اليه ويعرفونه قولي وما أظهرنا من الطاعة له تركنا واشتغل بغيرنا والافدار  
تعمل عملها ووالله لو أراد نور الدين قصبية من قصب السكر لقاتلنا أنا عليها  
حتى أمنعه أو اقتل ) ففعل صلاح الدين ما أشار به أبوه . فلما وصل كتاب  
صلاح الدين الى نور الدين كما قصه أبوه سكن روعه وتوقف عن المسير الى  
مصر ثم أرسل صلاح الدين الى نور الدين ستين ألف دينار ومعها جملة  
من الهدايا فقال نور الدين ما كانت بنا حاجة الى هذا المال ولا نسد به خلة  
الافتال فهو يعلم انا ما أنفقنا الذهب في ملك مصر وبنا الى الذهب فقر وتمثل  
بقول أبي تمام

لم ينفق الذهب المرابي بكثرة على الحصاوبه فقر الى الذهب  
وقال انه يعلم ان ثغور الشام مفتقرة الى السداد ووفور الاعداد من الاجناد  
ويجب عليه المعونة بالامداد وأرسل الموافق القيسراني وزيره الى مصر وأمره بعمل  
حساب البلاد وايرادها ومصرفها لاجل تقرير شيء على صلاح الدين يدفعه في  
كل سنة

\* ( محاربة نور الدين وصلاح الدين الصليبيين ) \*

في سنة ٥٦٨ سار كل من نور الدين بجيشه وصلاح الدين بجيشه لمحاربة الافرنج

فسار نور الدين الى مرعش فحاصرها وفتحها في شهر القعدة ثم سار الى حـ في  
 قنازها وأخذها في شهر الحجة واتفق خروج الملك أموري الاغارة على رواد  
 من ناحية حوران وهو في جمع كثير من عساكره فنزلوا في قرية تعرف بـ سـ  
 فركب نور الدين اليهم وأقبل بعساكره عليهم فلما عرفوا وصوله رحلوا الى الفوار  
 ثم الى السواد ثم نزلوا بالشلالة ونزل نور الدين في عشترا فارسلى سرية الى  
 أعمال طبرية واغتم خلوها فتوجهت اليها السرية وأغارت عليها ونهبها فلما  
 عادت لحقها الصليبيون عند المخاضه فوقفت الشجعان حتى عبرت السرية بـ  
 معها من الغنائم ولم يلحق بها ضرراً ما صلاح الدين فانه سار قاصداً بلاد الكرك  
 والشوبك لانها أقرب اليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ولا  
 يمكن ان تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه بغيرها بلاد العدو فراد توسيع الطريق  
 وتسهيله لتصل البلاد بعضها ببعض وتسهل على السابلة فخرج الى الكرك  
 وحاصرها وجرى بينه وبين الصليبيين وقعات كثيرة فبرح بهم وفرق عنهم  
 عربها وخرّب عماراتها وفرق على أعمالها سراياه بغاراته فامتعت عنها العرب  
 بعد ما كانت تتجدمع الا فرج دائماً .

### ﴿ فتح بلاد النوبة ﴾

اجتمع السودانيون ببلاد النوبة وخرجوا في أمم عظيمة قاصدين  
 ملك بلاد مصر وصاروا الى أعمال أصوان وكان بها الامير كنز الدولة فانفذ  
 يعلم الملك الناصر صلاح الدين وطلب منه نجدة فانفذ فرقة من جيشه مع الشجاع  
 البعلبكي فلما وصل الى أصوان وجد العبيد قد عادوا عنها بعد ان أخرجوا أرضها  
 فاتبعهم الشجاع والكنز فحرت بينهم حرب عظيمة نزل فيها كثير من الفريقين  
 ورجع الشجاع الى القاهرة واخبر بفعال العبيد وتمكنهم من بلاد اصوان فانفذ  
 الملك الناصر أخاه شمس الدولة في عسكر كثيف فوجدهم قد دخلوا بلاد

التوبة فسار قاصداً بلادهم وشحن مرابك كثيرة في البحر بالرجال والميرة وأمرها بالحاقه الى بلاد التوبة فلما وصل نزل على قلعة ابريم وافتتحها بعد ثلاثة أيام وغنم جميع ما كان فيها من المال والميرة وخلص جماعة من الاسرى وأسر من وجدته فيها وهرب صاحبها . ثم رجع شمس الدولة الى اصوان ثم الى قوص وكان في صحبته أمير يقال له ابراهيم الكردي فطلب من شمس الدولة قلعة ابريم فاقطعه اياها وانفذ معه جماعة من الاكراد البطالين فلما وصلوها تفرقوا فرقاً وكانوا يشنون الغارة على بلاد التوبة حتى رحوا بها واكتسبوا أموالاً كثيرة فتمت أرزاقهم وكثرت مواشيهم واتفق انهم عدوا الى جزيرة من بلاد التوبة تعرف بجزيرة زيدان ففرق أميرهم ابراهيم وجماعة من أصحابه ورجع من بقي منهم الى قلعة ابريم وأخذوا جميع ما كان فيها واخلوها فعاد السودانيون اليها وملكوها وانفذ ملك التوبة رسولا الى شمس الدولة وهو مقيم بقوص ومعه كتاب يطلب الصلح ومع الرسول هديه جازبة وعبد فكتب اليه الجواب وأعطاه زوجي نشاب وقال مالك عندي جواب الا هذا وجهز معه رسولا يعرف بمسعود الحلبي وأوصاه ان يكشف له خبر البلاد ليدخلها فسار الحلبي مع الرسول حتى وصل دنقله وهي مدينة الملك فوجدها بلاداً ضيقة ليس بها ذرع الا الادره وعندهم نخل صغار وليس بالمدينة عمارة الا دار الملك فتقط وباقيها أخصاص ولما مثل امام الملك أمران تكوي يده فكوي عليها هيئة صليب وأمر له بنحسين رطل من الدقيق وصرفه

### ﴿ وفاة نجم الدين أيوب وبعض سيرته ﴾

في اثناء محاصرة صلاح الدين الكرك والشوبك توفي والده نجم الدين أيوب بمصر وكان راكباً فرسه بالقاهرة فشب به عند باب النصر يوم الاثنين ١٨ ذى الحجة سنة ٥٦٨ وحمل الى منزله وعاش ثمانية أيام وتوفي الى رحمة



ربه في ٢٧ منه فدفن بالقاهرة الى جانب اخيه أسد الدين بالدار السلطانية الى  
أن نقلا الى المدينة المنورة وكان كريماً رحيماً عطوفاً حليماً وبابه مزدهم  
الوفود وهو متائف الموجود ببذل الجود وكان شديد الركض ولما بلب الكرة  
فلما وصل خبره الى ولده صلاح الدين اشتد روعه وحزن عليه حزناً شديداً  
وتجلد بالصبر وقال

ونحطفته يد الردى في غيبي هبني حضرت فكنت ماذا أصنع  
وهو الامير نجم الدين أيوب بن شاذي ولا يعرف في نسبه أكثر من والده  
شاذي وكان مولده ببلد شبختان وقيل بجبل جور وربني في بلد الموصل ونشأ  
شجاعاً باذلاً وخدم السلطان محمد بن ملكشاه فرأى منه أمانة وعقلاً وسداداً  
وشهامة فولاه قلعة تكريت فقام في ولايتها أحسن قيام وضبطها أعظم ضبط وأجلى  
عن أرضها المفسدين وقطاع الطريق حتى عمرت وحسن حال أهلها فلمساوي  
السلطان مسعود الملك اقطع قلعة تكريت لمجاهد الدين بهروز خادم شحنة بغداد  
ومتولى العراق فامر الامير نجم الدين في ولاية تكريت وأضاف اليه النظر في جميع  
الولاية المتاخمة له وجعل بهروز قلعة تكريت خزنة أمواله وبيت عقائله وجعل  
جميع ذلك منوطاً بالامير نجم الدين وكان السلطان مسعود واتبك زنكي قد طمعا  
ببغداد فسار الى أن وصلا تكريت فتقابلوا مع قراجه الساقى وهو أتابك بن  
السلطان محمود فجرد الف فارس عليهم ثم اردفهم بعسكر كثير فانهزم زنكي  
وقتل جماعته من أصحابه وجملة ممن كان في عسكره ولجأ الى سور تكريت وبه عدة  
جراحات وعلم به الامير نجم الدين وأخوه شيركوه فاصعداه القلعة بجبال وداويا  
جراحاته وخدماه أحسن خدمة فاقام عندهم بتكريت خمسة عشر يوماً ثم سار  
الى الموصل وأعوزه الدهر فأعطياه جميع ما كان عندهما من الدواب حتى انهما  
أعطياه جملة من البقر حمل عليها ما سلم معه من امتته فكان زنكي يرى  
لايوب هذه اليد ويرى له هذه الصنعة ويواصله بالهدايا والالطاف مدة اقامته

في تكريت وفي ذات يوم نزل أسد الدين من القلعة ليمض أشغاله ثم عاذ إليها  
 وكان بينه وبين كاتب صاحب القلعة وهو نصراني ضغائن فاتفق في ذلك اليوم ان  
 النصراني صادف أسد الدين صاعداً الى القلعة فعبث به بكلمة ممضة فجرد أسد  
 الدين سيفه وقتل النصراني وصعد الى القلعة وكان مهيباً فلم يتجاسر أحد على  
 معارضته وأخذ النصراني برجله وألقاه من القلعة فباع بهروز صاحب القلعة ما  
 جرى وحضر عنده من خوفه جراءة اسد الدين لانه ذو عشيرة كبيرة ولان أخاه  
 نجم الدين استحوذ على قلوب الرعايا روعا كان منهما امر تحشي عاقبه ويصعب  
 استدراكه فكتب الي نجم الدين ينكر عليه ما جرى من أخيه ويأمره بتسليم القلعة  
 الى نائب سيره صحيفة الكتاب فاجاب نجم الدين الى ذلك بالسمع والطاعة وانزل  
 من القلعة جميع ما كان له فيها من أهل ومال واجتمع هو وأخيه اسد الدين  
 وصحبا على قصد عماد الدين زنجي بالموصل وعظم على أهل تكريت خروج  
 نجم الدين من القلعة وخرجوا جميعاً لنوديعة وبكوا واسفوا على مفارقتها ولما  
 اتصل بعماد الدين زنجي خبر قدومهما فرح لذلك وأمر الموكب بلقائهما واكرمهما  
 اكراماً عظيماً وانطعمهما في بلد شهر زور اقطاعاً سنياً وقيل انه اقطع أسد الدين  
 بالموزر وجرى بين أسد الدين وجمال الدين الوزير مودة عظيمة وساعد أسد  
 الدين وأخاه نجم الدين حتى قر بهما من قلب أتاك وجعلهما عنده في منزلة عالية  
 وخرجوا معه الى الشام وشهدا معه حروب الصليبيين وكان لاسد الدين في تلك  
 المواقع اليد البيضاء واقام في خدمة ولده الملك العادل محمود نور الدين الى أن  
 أرسل أسد الدين لفتح مصر كما تقدم وأرسل نجم الدين الى ولده صلاح الدين  
 بشأن قطع خطبة الفاطميين والخطبة للعباسيين ومما يحكى عن نجم الدين انه  
 بينما كان جالسا مع ولده صلاح الدين في دار الوزارة وحوطهما ارباب الدولة اذ  
 تقدم كاتب نصراني كان في خدمة الامير نجم الدين فقبل الارض بين يدي السلطان  
 الملك الناصر ووالده نجم الدين والتفت الى نجم الدين وقال له يا مولاي هذا تأويل

مقاتي لك حين ولد هذا السلطان فضحك نجم الدين وقال صدقت والله ثم حمد الله  
 وشكره والتفت الى الحاضرين الذين حوله من قضاة وأمرأء وقال اكلام هذا  
 النصراني حكاية عجيبة وذلك اني ليلة رزقت هذا الولد يعني السلطان الملك الناصر  
 امرني صاحب قلعة تكريت بالرحلة عنها بسبب الفعلة التي كانت من أخي أسد الدين  
 وقتله النصراني وكنت قد اذقت القلعة وصارت لي كالوطن ثم نزل على الخروج منها  
 والتحول عنها واغتممت لذلك وفي ذلك الوقت جاني البشير بولادته فتشاهمت به  
 وتطيرت لما جرى علي ولم أفرح به ولم استبشر وخر جنبا من القلعة وانا على طيرتي  
 به لا أكاد اذكره ولا أسميه وكان هذا النصراني ممي كاتباً فلما رأى ما نزل بي  
 من كراهية الطفل والتشاهم به طلب مني أن أذن له في الكلام فاذنت له فقال  
 يا مولاي قد رأيت ما حدث عندك من الطيرة بهذا الصبي وأي شيء له من الذنب  
 وبما استحق ذلك وهو لا ينفع ولا يضر ولا يفتني شيئاً وهذا الذي جرى  
 عليك قضاء من الله ثم ما يدريك ان هذا الطفل يكون ملكاً عظيماً الصيت  
 جليل القدر فمطفتني كلامه عليه وهاهو قد أوقفني على ما كان قاله فتمعجب  
 الجماعة من هذا الاتفاق

\* (استيلاء بهاء الدين قراقوش على طرابلس الغرب وغيرها) \*

في سنة ٥٦٨ هجرية أيضاً سار طائفة من الترك بقيادة بهاء الدين  
 قراقوش من الديار المصرية الى حبال نفوسه واجتمع به مسعود بن زمام  
 المعروف بمسعود البلاط وهو من أعيان الامراء هناك وكان خارجاً عن طاعة  
 عبد المؤمن صاحب الغرب فاتفقا وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب  
 فحاصرها وضيقا على أهلها وفتحها بالقوة فاستولى عليها قراقوش وأسكن  
 أهلها قصرها وملك كثيراً من بلاد الغرب ما خلا المهدي وسفاقس وقفصه  
 وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش بعسكر

كثير فحكم على تلك البلاد باسم الديار المصرية وجمع منها أموالاً عظيمة خزنها في مدينة قابس وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع بلاد المغرب

\* (استيلاء شمس الدولة تورانشاه على بلاد اليمن) \*

جرت في مصر مؤامرة سرية بالانتقام من الدولة الايوبية لم ينفذها أصحابها خوفاً من عقابها عليهم وخصوصاً من قوة تورانشاه فلذلك أخذ أحد المتآمرين المدعو عمارة اليمني الشاعر يصف في بلاد اليمن لتورانشاه ويظمها في عينه ويطلب منه الخروج اليها للاستيلاء عليها ففي شهر رجب سنة ٥٦٩ أمر صلاح الدين أخاه شمس الدولة تورانشاه بالمسير فسار بعدان جند الاجناد وتجهز بالآلات الحرب قاصداً اليمن فوصل الى مكة المكرمة وسار منها الى زبيد فلما قرب منها خرج اليه صاحبها عبد النبي ومعه رجاله وتقاتلوا فانهزم أهل زبيد فقبضهم شمس الدولة بعسكره الى ان وصل الى سور المدينة فلم يجدوا من ينعهم فنصبوا السلم وصعدوا على السور وملكوا المدينة عنوة ونهبوها وأخذ عبد النبي وزوجته أسيرين وولى على المدينة سيف الدين مبارك ابن منقذ ثم سار الى عدن وهي محصنة من جهة البر تحصيناً عظيماً وصاحبها اسمه ياسر فخرج بعسكره الى شمس الدولة لمحاربه فانهزم ياسر ومن معه وسبقهم بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل أهله فملكوه وأخذوا صاحبه ياسر أسيراً وأرادوا نهب البلد فنعهم شمس الدولة وقال ماجئنا لنخرب البلاد وانما جئنا للملكها ونعمرها فاستتاب فيها عز الدين عثمان الزنجي ثم فتح حصن تيز وغيره واستولى على مدينة الجند وصنعاء التي حرقت قبل دخوله ثم عاد الى زبيد فوجد ابن منقذاً قتل عبد النبي بعدان ووقف منه على معرفة جميع كنوزه المدفونة وأرسل الى شمس الدولة صاحب طمار وباقى الملوك وصالحوه على أداء المال فكتب

شمس الدولة تور انشاء الى أخيه صلاح الدين بمصر يعلمه بما من الله عليه من الفتح  
وانه أبطل الخطبة المهديّة (التي كانت لعبد النبي لانه كان يدعي الامامة)  
وخطب لالعباسيين

### ﴿ ظهور المؤامرة وصلب اعضائها ﴾

بعد مسير شمس الدولة الى البلاد اليمنية اجتمع جماعة منهم همارة بن أبي  
الحسن اليمني الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضي العوريس وداعي الدعاة  
وغيرهم من جند المصريين والسودانيين وحاشية القصر وواقفهم جماعة من  
أمراء صلاح الدين وجنده واتفق رأيهم على استدعاء الافرنج من ساحل الشام  
وجزيرة صقلية الى مصر ليملكوها ويبيدوا الدولة الفاطمية العلوية على شيء  
بذلوه من المال والبلاد ووعدوهم بأنهم متى حضروا الى مصر وخرج صلاح  
الدين لمحاربتهم نارواهم في القاهرة وأعادوا الدولة العلوية وان بقي صلاح الدين  
بمصر فيكون عساكره بعيدة عنه فيتبوا عليه ويقبضوه باليد واشترك معهم زين  
الدين علي بن نجا الواعظ فمينوا الخليفة والوزير فكل من بنى رزيك وبني  
شاور طلبها لنفسه ورتبوا القضاء وداعي الدعاة والحاجب ثم توجه زين الدين  
الى صلاح الدين وأعلمه بواقعة الحال فامرهم بملازمتهم ومخالطتهم ومواطنهم  
على ما يريدون وان ينقل اليه أخبارهم يوماً فيوماً ففعل وأعلمه على كل  
ما يجري ثم وصل رسول من ملك الافرنج أموري بهدية ورسالة وهو في الظاهر  
لصلاح الدين وفي الباطن للجماعة المؤامرين وكان يرسل اليهم بعض النصاري  
وتأتيه رسالهم فاتي الخبر الى صلاح الدين من بلاد الافرنج بجمالية الحال فوضع  
صلاح الدين على الرسول بعض من يثق اليه من النصاري وداخله فأخبره الرسول  
بالخبر على حقيقته فقبض حينئذ على جميع المؤامرين وصلبهم في ثاني يوم

رمضان سنة ٥٦٩ وفي مقدمتهم عمارة اليعني وفي هذه القضية قال العلامة تاج الدين الكندي

عمارة في الاسلام أبدى جنابة      وبيع فيها بيعة وصليا  
 وأمسى شريك الشرك في بغض أحمد      فأصبح في حب الصليب صليبا  
 وكان خبيث الملتقى إن عجمته      تجد منه عوداً في النفاق صليبا  
 سيلقي غداً ما كان يسعى لاجله      ويسقي صديداً في لظي وصليا  
 وصليا في البيت الاول بمعنى النصارى وفي الثاني بمعنى مصلوب وفي الثالث  
 بمعنى الصلابة وفي الرابع ودك العظام وقيل انه الصديداً أيضاً أي يسقي ما يسيل من  
 أهل النار وكان عمارة هذا عصرياً فقيهاً أديباً

### ﴿ وفاة الملك العادل محمود اتابك نور الدين ﴾

ظل الملك العادل نور الدين حاتقاً على صلاح الدين لانه رأي منه فتوراً في  
 محاربة الصليبيين فارسل الى الموصل وديار بكر وديار الجزيرة يطلب العساكر  
 للمسير الى مصر لاجراج صلاح الدين منها ووافق ذلك عيد الفطر في ثاني  
 يوم خرج نور الدين ومعه امرأه الى ان نزل الميدان وكان معهم همام الدين  
 مودود وهو من أكابر دولته فقال لنور الدين هل نكون هنا في مثل هذا  
 اليوم من العام القابل فقال نور الدين قل هل نكون بعد شهر فان السنة بعيدة  
 ثم ان نور الدين مرض بعلته الخوانيق وطلب بعض الاطباء فلم ينفع فيه الدواء  
 وعظم الداء فمات يوم الاربعاء الحادي عشر من شوال سنة ٥٦٩ وكان شجاعاً  
 باسلاً وفاضلاً باراً وكان محبوباً معتبراً عند المسلمين والصليبيين أعدائه وكانت مملكته  
 شاملة جميع سوريا الشرقية وقسم من سوريا الغربية والموصل وديار بكر وديار  
 الجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وبلاد اليمن وكانت وفاته بدمشق ودفن فيها وقال  
 فيه العماد

ياملكا أباه لم تزل  
فاصت بحجار الجود مذغيت  
لفضله فاضلة فاخرة  
انملك الفائزة الزاخرة  
ملكك دنيك وخلقتها  
وسرت حق تملك الآخرة

وقال أيضاً

لفقد الملك العادل  
وقد أظلمت الافاق  
يبكي الملك والعدل  
لاشمس ولاظلم  
ولما غاب نور الدين  
وزال الحصب والحير  
وعاش اليأس والبخل  
أهل الفضل والفضل  
وهل ينفق ذوالعلم  
وما كان لنور الدين  
لولا نجمله مثل

وملك بدمه ابنه الملك الصالح اسماعيل ولم يبلغ الحلم وحلم له الامراء  
والمقدمون بدمشق وأقام بها وأطاعه الناس في سائر بلاد الشام وتولى تربيته  
الامير شمس الدين محمد بن المقدم ثم كتب الملك الصالح الى الملك الناصر صلاح  
الدين يوسف كتابا يخبره فيه بوفاة والده طالباً منه المساعدة والمعونة على  
قتال الصليبيين فخطب الملك الناصر له بمصر وضرب السكة باسمه وأرسل اليه  
صلاح الدين كتابا بتعزيبه ونصحه مع رجال دولته وبمغايته (الله الله ان  
تختلف القلوب والايدي فتبلغ الاعداء مرادها وتمدم الآراء رشادها وتنتقل  
النعم التي تعبت الايام فيها الى ان اعطت قيادها فكونوا يداً واحدة واعضاداً  
متساعداً وقلوباً يجمعها ود وسيوفا يضمها غمد ولا تختلفوا فتتكلموا ولا تنازعوا  
فتفشلوا وقوموا على أمشاط الأرجل ولا تأخذوا الامر باطراف الامل فالعداوة  
محدقة بكم من كل مكان والكفر مجتمع على الايمان ولهذا البيت منا ناصر لا نخنله

وقائم لانسلمه وقد كانت وصيته اليها سبقت ورسالته عندنا تحققت بان ولده القائم بالامر وسعد الدين كشتكين الاتابك بين يديه فان كانت الوصية ظهرت وقبلت والطاعة في الغيبة والحضور أدبت وفعلت والافحن لهذا الولد يد على من ناواه وسيف على من عاداه وان اسفر الخبر عن معاقاة فهو الغرض المطلوب والثمن الذي يحل على الايدي والقلوب

﴿ حصار الصليبيين حصن بانياس وعودهم عنه ﴾

لمامات نور الدين اجتمع الصليبيون لطعمهم في بلاده وساروا الى قلعة بانياس من أعمال دمشق فحصروها لجمع شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم العساكر بدمشق وراسل الافرنج ولاطفهم ثم أغلظ لهم في القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا واعدتم عن بانياس ففحن على ما كنا عليه والافرسل الى سيف الدين صاحب الموصل ونعلمه ونصالحه ونستجده ونرسل الى صلاح الدين بحصر قلعة استجده ونقصد بلادكم من جهاتها كلها وانتم تعلمون طمع صلاح الدين في بلادكم واذا طلبناه لذلك فلا يمتنع فعلموا صدقه فصالحوه على شئ من المال فأخذوه وأسرى كانوا عند المسلمين أطلقوهم وتقررت الهدنة فلما سمع صلاح الدين بذلك أنكروه ولم يعجبه وكتب الى جماعة الاعيان كتبادالة على التوييح والملازم ومن جهتها كتاب الى الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون يخبره فيه انه لما بلغه قدوم الصليبيين خرج وسار أربعة مراحل ثم جاءه خبر الهدنة المؤذنة بذي الاسلام من دفع القطيعة واطلاق الاسارى وان ذلك لا يصح وكان يجب الانتظار لحين حضوره

﴿ وفاة الملك أمورى وتولية ابنه الملك الابرس ﴾

في سنة ٥٧٠ توفي الملك أمورى ملك القدس وقد كان طامعا عديم الفطنة حتى انه أنفق جميع خزائنه في طلب امتلاكه الديار المصرية ولم يحصل له ثمرة



مطلقا خلاف الخسائر التي عادت عليه وعلى قومه لانه قبل حروبه مصر كانت  
مراكبهم تأتي اليها بالتجارة وتأخذ منها المحصولات ولما علموا غدره منعوا  
من دخول البلاد المصرية وكان كثيرا ما تخرج المراكب المصرية في البحر  
تبحث تلى مراكب الصليبيين ونهبها وتأخذها وبعد وفاته تولى ابنه بودوين  
الرابع وكان عمره ثلاث عشرة سنة وذلك في سنة ١١٧٤ اقر نكبه ولهذا الملك  
صفات جليسه ولكن لسوء حظه ابتلى بمرض البرص ولذلك لقبوه بالملك  
الابرص ومرضه وعجزه عن تدبير المملكة اقيم له وكيل ملوكي (نائب الملك)  
وهو رايوندي صاحب طرابلس وهو رابع اولاد رايوندي دي سان  
غيلاس

### \* (ورود اسطول جزيرة صقلية ومحاصرة الاسكندرية)\*

تقدم ان جماعة من المصريين كاتبوا الصليبيين في سوريا وجزيرة صقلية ولما احس  
بهم صلاح الدين صليبهم ورسول الصليبيين في مصر فاعلم اصحابه في سوريا  
بما كان امام ملك صقايه فلم يعام ماتم فارسل اسطولا عظيما في اواخر شهر الحجة  
سنة ٥٦٩ الى ثغر الاسكندرية ففي يوم الاحد ٢٦ منه رقت الظهر وصل اول  
الاسطول وظل يتابع الى وقت العصر وكان ذلك على حين غفلة من المتوكلين  
بالنظر (الناضورجيه) فلا البحر لو فور عدته وكثرة مراكبه لانه كان محتوى  
على ٣٦ طريدة تحمل الخيل و ٢٠٠ شيني (مركب حربية) في كل شيني ١١٥٠  
واجلا وكانت عدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار وغيرها ست  
سفن واربعين مراكبا تحمل الازواد وصناع المراكب فكان عدد المقاتلين ثلاثين  
الفا ماعدا صناع المراكب وابراج الزحف والدبابات والمتجنيقات فيبلغ عدد  
جميعهم ٥٠ ألف رجل ولما تكاملوا نزلوا على البر وحملوا على المسلمين حملة  
اوصلوهم الى السور وقد من اهل الثغر سبعة أنفس وقتل محمود بن البصائر

وزحفت مراكب الافرنج داخلة الى الميناو كان بهامراكب حربية ومراكب  
 تجاربه فنصب الافرنج المنجنيقات والدبابات وقاتلوا اشد قتال وصبر لهم أهل البلد ولم  
 يكن عندهم من العسكر الا القايل ورأى الافرنج من شجاعة أهل الاسكندرية  
 وحسن سلاحهم مارأعهم أمأهلها فانهم أرسلوا الى صلاح الدين وكان مقبلاً  
 بقاقوس بواسطة الحمام يملونه بالخبر ويطلبون منه المساعدة لدفع العدو عنهم  
 ودام القتال أول يوم وعاود الافرنج القتال في اليوم التالي ولازموا الزحف  
 حتى وصلت الدبابات الى قرب السور ووصل في ذلك اليوم من العساكر  
 الاسلامية كل من كان في اقطاعه قريباً من الاسكندرية فقويت بهم نفوس أهلها  
 وأحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد  
 وخرجوا منه علي الافرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فأحرقوها  
 وصبروا للقتال حتى ظهرت لهم أمارات النصر ولم يزل القتال الى آخر النهار  
 ودخل أهل البلد وهم فرحون مستبشرون بمأراوا من ظفرهم وفشل الافرنج  
 وقتور حربهم وكثرة القتل والجراح في العدو وأما صلاح الدين فلما وصله الخبر  
 سار بمساكره وسير مملوكه ومعه ثلاث جنائب ليجد السير عليها الى الاسكندرية  
 مبشراً بوصوله وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفاً عليها واحتياطاً لها فسار  
 ذلك المملوك فوصل الاسكندرية من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من  
 القتال فنادى في البلد بمجى صلاح الدين والعسكر مسرعين فلما سمع الناس  
 ذلك عادوا الى القتال وقد زال ما بهم من التعب وألم الجراح وكل منهم يظن ان  
 صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب  
 صلاح الدين وعساكره فكلمت أيديهم وازدادوا تبعاً وقتور أفواجهم المسلمون  
 عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فنمواها بما فيها من الاسلحة الكثيرة  
 والتحملات المظيمة وكثر القتل في رجالة الافرنج فهرب كثير منهم الى البحر  
 وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب البعض وغرق

بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شواني الاقربج ففرقت  
 تخاف الباكون من ذلك قولوا هاريين واحتمى ثلثمائة من فرسانهم على رأس تل  
 فققاتهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان اضحي النهار فغلبهم اهل البلد  
 وقهروهم فساروا بين قتيل وأسير ونهب المسلمون ما لا يحصى وأقلمت باقي  
 مراكب الاسطول في يوم الخميس اول محرم سنة ٥٧٠

### \* واقعة الكنز وقلته \*

الكنز هو رجل مصري كان مقدماً على فرقة من الجيش وفي أول محرم  
 سنة ٥٧٠ قام المذكور في الصعيد وجمع من كان في البلاد من العربان والعبيد  
 وغيرهم خلق كثير وكان هناك أمير من الامراء الصلاحية أخ لحسام الدين  
 أبو الهيجاء السمين ففتك به وبمن معه هناك فمظم قتله على أخيه وهو من أكبر  
 الامراء وأشجعهم وطلب أخذ النار وساعده سيف الدين (أخو صلاح الدين)  
 وعز الدين موسك ابن خاله وعدة من أمرائه ورجاله وجاءوا الى مدينة طود  
 فاحتمت عليهم فقاتلوا من فيها فظفروا بهم وقتلوا منهم كثيراً وذلوا بعد العز  
 ثم قصدوا الكنز ورجاله وحاربوهم وقتلوا الكنز ومن معه من الاغراب  
 والعبيد واطمأنت بعد قتلته البلاد ولم يبق للدولة الصلاحية بعد كنزها كنز  
 يفسد عليها بلادها وكان ذلك في شهر صفر سنة ٥٧٠

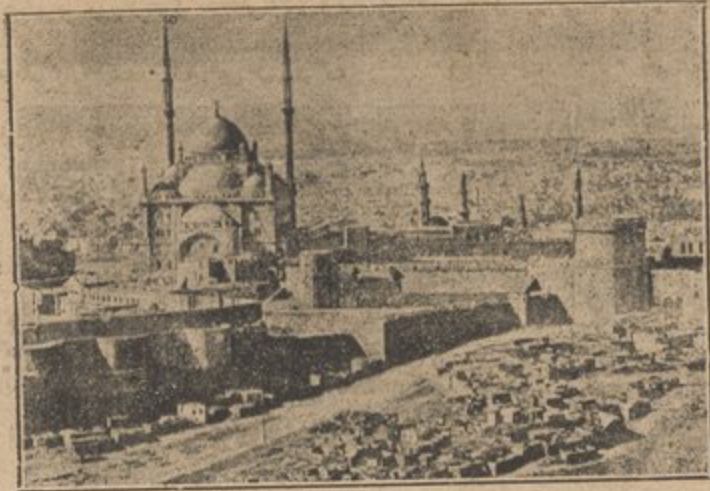
### \* عزم صلاح الدين على المسير الى بلاد سوريا \*

بعد انقضاء واقعة الكنز وخلو الديار المصرية من الفتن بلغ صلاح الدين  
 ان سيف الدين غازي بن قطب الدين سار وملك بلاد الجزيرة ولم يرسل من  
 مع الملك الصالح بن نور الدين من الامراء الى صلاح الدين ولا أعلموه بما كان  
 فكتب الى الملك الصالح يعاتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر

في خدمته ويمنعه وكتب الى الامراء يقول ( ان الملك العادل لو علم ان فيكم من  
يقوم مقامى أوثق اليه مثل ثقته بي لسلم اليه مصر التي هي أعظم ممالك  
وولاياته ولو لم يجعل عليه الموت لاقامنى وصياً على ابنه وأرى انكم تحاولون  
اخراج يدي ولكنى سأذهب الى دمشق بنفسى وأقدم عبوديتي الى هذا السلطان  
الجديد معترفاً بالافضل العظيمة التي حملتها أبوه أما أنتم فسأعلمكم بمقتضى  
تصرف كل واحد منكم فاني أعتبركم قوماً تلقون القلاقل والفتن في البلاد )  
تم ان صلاح الدين أقام خصيه بهاء الدين قراقوش حاكماً على مصر في غيابه  
ونجهازاً للسفر الى البلاد السورية

### \* حكم قراقوش وبناء القلعة والسور وغيرهم \*

لما عزم صلاح الدين على السفر الى سوريا أقام بهاء الدين الاسدى  
قراقوش حاكماً بمصر مدة غيابه وعهد اليه تدبير الاحكام وأمره ان يقيم البناءات  
اللازمة لرونق البلاد ومنعتها ومنفعتها فأنفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيرة ونشاط  
وكانت جسور النيل قد أهمل شأنها منذ تولى الخلفاء الفاطميين فكان اذا فاض  
طفت مياهه على الاراضي وخربت الطرق وأفسدت الزرع فهدم الطرق واحتفر  
الترع وأقام الجسور والسدود واستخدم لذلك حجارة بعض الاهرام الصغيرة  
التي كانت تحيط باهرام الجيزة وغيرها من أبنية المصريين القدماء وأنشأ طريقاً تمتد  
طولا على الضفة النيل فتقيها من صدمات المياه وتسهل صلات العاصمة مع مصر العليا  
والسفلى وشاد فوق السرعة التي كانت تجرى بين الجيزة واهرامها جسراً عظيماً  
مؤلفاً من أربعين قنطرة لا يزال بعضها باقياً الآن



( صورة قلعة القاهرة الآن )

ولم يكن لصالح الدين اذذاك مسكن الا القصران اللذان كانا مسكناً للخليفة  
والوزير السابقين ولم يكونا منيعين حق المنعة فجعلها منزلاً لضباط الحكومة  
وقواد الحيوش وشاد عند الطرف الشمالى من جبل المقطم على سفحها قلعة منيعة  
لارهاب الاهالى اذا حاولوا العصيان وجعل فيها قصرًا لبلاطه وكان فى ذلك المكان  
بناء قديم من عهد الدولة الطولونية يعرف بقصر الهوى فهدمه واقام القلعة على انقاضه  
واتى بحجارتها من خزائب منف والاهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب  
تشرف على كل المدينة وليس فى القاهرة بناء آخر اعز موقعا منها وهى التى  
لا تزال باقية الى هذا العهد وتعرف بقلعة الجبل او قلعة القاهرة. وجعل قراقوش  
فى القلعة بئراً تقرأ فى الصخر عميقاً جداً يسع كلما تحتاج اليه الحامية من الماء  
ولا يزال البئر والقصر الى هذه الساعة يعرفان باسمه فالبئر ( يدعى ببئر يوسف )  
ويظن بعض العامة انه سمي هكذا نسبة الى يوسف الصديق ابن يعقوب  
والصحيح نسبه الى يوسف صالح الدين الذى امر باحتفاره والمظنون ان  
هذه البئر كانت محفورة من ايام قدماء المصريين ثم طمرت بالرمال فاعاد صالح

الدين حفرها وتسمى أيضاً بالحلزون وما بقي من القصر يعرف بدبوان يوسف أو دبوان صلاح الدين . وابتنى قراقوش أيضاً حواصل كبيرة في الفسطاط ( مصر القديمة ) لتخزن الحاصلات التي ترد من الاقاليم سنوياً ولا تزال تدعى الي يومنا هذا بمخازن يوسف وقد ظن بعض المتفرجين والعامّة انها من بناء فرعون في أيام يوسف الصديق . وبعد ان فرغ قراقوش من اصلاح الترع والحلجان والطرق وبناء القلعة أخذ يهتم باتمام سور القاهرة وكان صلاح الدين ابتداءً بعمارته سنة ٥٦٦ وهو يومئذ على وزارة المعاضد فعمل له قراقوش رسماً عظيم الاتساع يحيط بالقاهرة والفسطاط وقصر الشمع وما بينهما من الارض الا انه استعظم بناءه بهذا الاتساع فجعله محيطةً بالقاهرة والقلعة فقط واضطر القيام مشروعه هذا ان يهدم جوامع وبيوتاً وقبوراً كثيرة كانت قائمة في مكان السور ولم يكن الاهالي معتادين على الاذعان لاوامر صلاح الدين كسلطان وكان بعضهم لا يزال متشيعاً للدولة الفاطمية فاتهموه بالاستبداد ولقبوا بهاء الدين بقراقوش أي الطير الاسود وهو العقاب ولا يزال بعض عامة الشرقيين يصفون هذا الاسم بالاستبداد والعسف وينسبون اليه أحكاماً عجيبية في ولايته حتي ان الاسعد بن عساتي له كتاب لطيف سماه الفاشوش في أحكام قراقوش وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه والظاهر انها موضوعة لان صلاح الدين كان معتمداً في أحوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمرفته وكفاءته ما فوضها اليه وكان قراقوش رجلاً سعيداً وصاحب همة عالية .

وهذه هي المرة الثالثة لبناء سور القاهرة في المرة الاولى بناه جوهر وفي الثانية بناء أمير الحيوش وفي الثالثة قراقوش بامر صلاح الدين فزاد فيه قطعة من باب القنطرة الي باب الشعريه ومن باب الشعريه الي باب البحر وبنى قلعة المقس وهي برج كبير جعله على النيل بجانب جامع المقس الذي يعرف اليوم بجامع أولاد عنان وهو خارج باب البحر على يسار الذهاب من الشارع الجديد

الى محطة السكة الحديد وانقطع السور من هناك . وزاد في سور القاهرة  
 قطعة مائيلي باب النصر ممتدة الى البرقية والى درب بطوط والى خارج باب  
 الوزير يتصل بسور قلعة الجبل فاقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت  
 القلعة وجاء طول هذا السور المحيط بالقاهرة ٢٩٣٠٢ بالذراع الهشيمي . وقلعة  
 المقس المذكورة كانت برجاً مطلاً على النيل في شرقي جامع المقس ولم تنزل  
 حتى هدمها الوزير صاحب شمس الدين عندما جدد الجامع المذكور سنة  
 ٧٠٧ هجرية وجعل في مكان البرج المذكور جنينة . وحفر بهاء الدين خارج  
 السور خندقاً جعله من باب الفتوح الى المقس ومن الجهة الشرقية خارج باب  
 النصر الى باب البرقية وما بعده وجعل خارج هذا الخندق سوراً آخر بابراج  
 مبنية بالحجارة الا ان هذا السور الثاني هدم جميعه والخندق ردم الا في بعض  
 الاماكن

\* ( مسير الملك الناصر صلاح الدين الى سوريا واستيلاءه

على دمشق وغيرها ) \*

بعد تولية قراقوش حكم مصر سار صلاح الدين قاصداً سوريا فخرج الى  
 البركة في مستهل صفر سنة ٥٧٠ وأقام حتى اجتمع العسكر ثم رحل الى بليس في  
 ١٣ ربيع اول وكانت رسل شمس الدين صاحب بصرى وشمس الدين بن  
 المقدم عنده تستوري في الحث والبعث زنده وتستقدمه وجنده وسار مجدداً  
 حتى اناخ على بصرى فاستقبله صاحبها وشدازره وسار صلاح الدين في آخر  
 شهر ربيع الاول الى ان وصل الى دمشق ودخلها وكان يظن عكس ذلك  
 ودخل الى دار العقيقي مسكن أبيه وبقي في قلعة دمشق جمال الدين ربحان  
 الخادم بدون تسليم فراسله حتى استماله بالمال وتملك المدينة والقلعة ونزل  
 بالقلعة سيف الاسلام اخو صلاح الدين وأظهر انه جاء لتربية الملك الصالح

وحفظ ماله وبلاده وتدبير ملكه فهو أحق بصيانة حقه واجتماع به أعيانها  
وفرق فيهم المال وخطب للملك الصالح ومدحه وحيش الاسدى بقصيدة  
اولها

قد جاءك النصر والتوفيق فاصطجبا

فكن لاضاف هذا النصر مرتقبا

لله أنت صلاح الدين من أسد أدني فريسته الايام ان وثبا  
رأيت جلق ثغراً لا نظير له فجشتماعراً منهم الذي خربا  
نادتك بالذل لما قل ناصرها وأزمع الخلق من أوطانها هربا  
أحبيتها مثل ما أحببت مصر فقد أعدت من عدلها ما كانا قد ذهبنا  
ويوم دمياط والاسكندرية قد أصارهم مثلاً في الأرض قد ضربنا  
والشام لو لم يدارك أهله اندرست آ ناره وعفت آياته حقبا

ولما اتصل بين في حلب دخول الملك الناصر دمشق وميل الناس اليه  
خافوا منه وأجمعوا على مراسلته وارسلوا اليه قطب الدين ينال بن حسان برسالة  
ارعدوا فيها وقالوا له (هذه السيوف التي ملكتك مصر بايدينا والرمح التي  
حويت بها قصور المصريين على اكتافنا والرجال التي ردت عنك تلك العساكر  
هي تردك وأنت فقد تعديت طورك وتجاوزت حدك وأنت أحد غلمان نور الدين  
ومن يجب عليه حفظه في ولده) ولما بلغ السلطان ورود ابن حسان تلقاه بموكبه  
وبنفسه وبالغ في اكرامه ثم أحضره بعد ثلاثة أيام لسماع الرسالة منه فلما فاه  
ابن حسان بتلك الشقاشق الباطلة وقمع بتلك التمويهات العاطلة لم يعره صلاح  
الدين طرفاً ولا سمعاً وضرب عنه صفحاً وتغاضيا وخاطبه بكلام لطيف رقيق  
وقال له (يا هذا اعلم اني وصات الى الشام لجمع كلمة الاسلام وتهذيب الامور  
وحياطة الجمهور وسد الثغور وتربية ولدنور الدين وكف عادية المعتدين)  
فقال له ابن حسان انك انما حضرت لاختد الملك لنفسك ونحن لانطاوعك



على ذلك ودون مآرومه خرط القناد وايتام الاولاد فله يلتفت لمقاله وأوماً الى  
رجالها باقامته من بين يديه ونادى في عسا كره للاستعداد بقصد الشام الاسفل  
ورحل متوجهاً الى حمص فتسلمها وقاقل قلعتها ولم ير تضييع الزمان عليها  
فوكل بها من يحصرها ورحل الى جهة حمص فلما وصل الى الرستن خرج  
صاحبها عز الدين جرديك وأمر من فيها من العساكر بطاعة أخيه شمس  
الدين على واتباع أوامره وسار جرديك حتى لقي صلاح الدين واجتمع به  
بالرستن وأقام عنده يوماً وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم اليه مدينة  
حمص وسأله ان يكون السفير بينه وبين من يحلب فاجابه الى ذلك فلما وصل  
حلب اجتمع بالامراء والملك الصالح وأشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فاتهمه  
الامراء بالمخامرة وردوا مشورته وأشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولج سعد  
الدين كمشتكين في القبض عليه فغل بالحديد وحمل الى الجب الذي فيه اولاد  
الداية ولما دلوه الى الجب وأحس به اولاد الداية قام اليه منهم حسن وشمته  
أصبح شتم وحلف بالله ان انزل اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته وأعلموا سعد  
الدين كمشتكين فحضر الى الجب وصاح على حسن وشمته وتوعده فسكن حسن  
وانزل جرديك الجب . ولم يزل صلاح الدين مقبلاً على الرستن ثم طال عليه  
الامر فسار الى جباب التركان فلقبه أحد غلمان جرديك وأخبره بما جرى  
لسيده من الاعتقال والقهر فرحل صلاح الدين من ساعته عائداً الى حمص وطلب  
من أخيه جرديك تسليم حمص اليه وأخبره بما جرى على أخيه ففعل وولاهها  
لاحد امرائه مبارز الدين على بن أبي الفوارس وذلك مستهل جمادى الآخرة  
وسار صلاح الدين الى حلب ونزل على أنف جبل جوشن فوق مشهد الدكة  
في ثالث الشهر وامتدت عسا كره الى الحناقية والى السعدى فلما رأى من يحلب  
عسا كره صلاح الدين خافوا من الحلبيين ان يسلموا البلد كما فعل اهل دمشق  
فاشاروا على الملك الصالح ان يجمعهم في الميدان ويخاطبهم بنفسه فامر ان يتنادى

باجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا فنزل الصالح من باب الدرجة  
 وصعد من الخندق ووقف في رأس الميدان من الشمال وقال لهم يا أهل حلب  
 اناربيكم ونزيبلكم واللاجيء اليكم كبيركم عندي بمنزلة الاب وشابكم بمنزلة  
 الاخ وصغيركم عندي يحل محل الولد وحنقته العبرة وسبقته الدفعة فافتن الناس  
 وصاحوا صيحة واحدة ورموا بعمائمهم وضجوا بالبكاء والعيويل وقالوا نحن  
 عبيدك وعبيد أبيك نقاتل بين يديك ونبذل اموالنا وانفسنا لك. وأرسل صلاح  
 الدين الى حلب رسولاً يطلب الصلح فامتنع كمشتكين فاشتد صلاح الدين في قتال  
 البلد. واجتمع الامراء بالملك الصالح ليدبروا الحيل في قتل صلاح الدين  
 فاجمعوا اراءهم على مراسلة سنان صاحب الحشيشية ومقدمهم ليرسل من يفتك  
 بصلاح الدين وضمنوا له على ذلك اموالاً وعدة من القرى فارسل سنان  
 جماعة من اصحابه الفقهاء الى جيل جوشن واختلطوا بالعساكر ففرهم  
 الامير ناصح الدين خمارتكين صاحب بوقيس لانه كان منافراً لهم فقال ياويلكم  
 كيف تجاسرتم على الوصول فقتلوه خوفاً من غائباته وجاء قوم للدفاع عنه  
 فجرحوا بعضهم وقتلوا البعض ووثب أحد الاسماعيلية ويده سكين مشهورة  
 ليقتل السلطان في خيمته فلم اصار الى باب الخيمة اعترضه طغريل امير جاندار  
 فقتله وطلب الباقيين فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة ولما يس من بحلب من هذه  
 الحيلة راسلوا رايونند صاحب طرابلس ونائب الملك بودوين الرابع وضمنوا  
 له أشياء كثيرة متى رحل صلاح الدين عن حلب فارسل رايونند الى صلاح  
 الدين في أمر الحلبيين وأخبره ان الصايبيين تعاضدوا وصاروا يداً واحدة فقال  
 صلاح الدين لست ممن يرهب تألب الصليبيين وها أنا سائر اليهم ثم انهض قطعة  
 من جيشه وأمرهم بقصد انطاكية فغنموا غنيمة حسنة وعادوا فقصد رايونند  
 جهة حمص فرحل صلاح الدين من حلب اليها فسمع رايونند فنكص راجعاً  
 الى بلاده وحصل الغرض من رحيل صلاح الدين عن حلب ووصل الى حمص

قنسلم القلعة ورتب فيها والياً من قبله وقال العماد في فتح حصص من قصيدة طويلة  
 اياك بن ايوب نحو الشا م على كل ما يرتجيه ظهور  
 ييوسف مصر وآيامه تقر العيون وتشفي الصدور  
 رأت منك حصصاً كافياً فوانك منها القوى العسير  
 ثم سار صلاح الدين الي ان وصل الي بعلبك وكان فيها والي يقال له يمن  
 فلما شاهد كثرة عساكر صلاح الدين اضطرب في أمره وراسل من بحلب على  
 جناح طائر فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الامان وسلم بعلبك الي صلاح الدين  
 في رابع رمضان وعاد الي حصص

### ✽ في استقلال صلاح الدين بالملك وسلطنته ✽

كان امراء حلب قد راسلوا سيف الدين صاحب الموصل يطلبون منه تجدة ابن  
 عمه الملك الصالح فارسل لهم جيشاً كبيراً بقيادة أخيه عز الدين مسعود فوصل الي  
 حلب بمدر حيل صلاح الدين عنها فخرجت معه عساكر حلب جميعها وساروا الي  
 ان وصلوا حماه وحاصروها فلما علم صلاح الدين سار بفرقة من جيشه فتأخرت  
 عساكر الموصل وحلب الي قرون حماه وراسلوا صلاح الدين في الصالح فاجابهم  
 فطلبوا منه تسليم جميع القلع والحصون وانه يقنع بدمشق وحدها ثانياً فيها عن الملك  
 الصالح فاجاب فلما رأوه قد اجابهم طموا فيه وقالوا لا بد من المصاف ظناً منهم انه  
 لكثرتهم وقتله يفلبونه وساروا يناوشونه القتال الي ان وصلت العساكر المصرية  
 بقيادة تقي الدين عمر وقام المصاف بين المسكرين فانكسرت العساكر الحلبية  
 والموصلية وانهمزوا وتبعتهم عساكر صلاح الدين واستباحوا أموالهم وخيامهم  
 وأسروا منهم جماعة وأمر صلاح الدين عساكره ان لا يوغلوا في طلبهم ولا  
 يقتلوا من رأوه منهمزماً ثم رحل حتي نزل بمرج قرأ حصار ولم يزل هناك حتي عيـد  
 الفطر فاجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة وان يقر الملك الصالح على ما في يده

وما هو جار تحت حكمه من الشام الاسفل الى بلد حماء فلم يرض بذلك فجعلوا  
 له مع حماء المعرة وكفر طاب فرضى بذلك وحلف لهم على ذلك وعاد ثم رأى  
 صلاح الدين قوائمه وانه لا يمكن أحد يعارضه في شيء مما طامس اتماه من استقلاله  
 بالملك فصرح بسلطانه على مصر والشام ولما وصل الى حماء وصلت اليه رسل  
 الخليفة المستضيء العباسي ومعهم التشرىفات الجليلة والاعلام السود وتوقيع من

الديوان بالسلطنة ببلادمصر والشام وفي ذلك يقول ابن سعدان الحلبي

يا أيها الملك العزيز فضله لقد غدت بالعلي مليا

كفي أمير المؤمنين شرفاً انك أصبحت له وليا

طارحك الود على شحط النوى

فكنت ذاك الصادق الوفيا

أولاك من لباسه زخرقة لم يولها قبلك أديسا

ناسبت الروض سنا وبهجة حتى حكته رونقاً وريا

ثم سار السلطان صلاح الدين الى حصن بعين وحاصره حتى تسلمه

### \* (حرب السلطان مع المواصلة وهدنة الصليبيين) \*

لما دخلت سنة ٥٧١ والسلطان نازل بمرج الصفر من أعمال دمشق جاءه  
 رسول الصليبيين بطلب الهدنة فاجبه السلطان على ذلك بعد ان اشترط عليهم أموراً  
 التزموها وأصاب الشام في ذلك العام جذب فاذن السلطان للمساكر المصرية بالرحيل  
 الى بلادهم ولما علم سيف الدين صاحب الموصل بما جرى بين السلطان والحليين  
 عتب عليهم ووبخهم ونسبهم الى العجلة وأنفذ من أخذ على الحليين المواثيق  
 بنقض العهد ثم توجه ذلك الرسول الى دمشق ليأخذ من السلطان العهد القديم  
 قلما خلا به طالبه السلطان بنسخة العهد (أي الذي تعاهدوا عليه) في السنة الماضية  
 فقلط الرسول وأخرج نسخة يمين الحليين لهم فقام لها واطلع على ما اتفقوا عليه

من نقض العهد فردها اليه وقال لعلها قد تبديلت فعرف الرسول انه قد غلظ وقال  
السلطان كيف حلف الحليون للموصليين ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون  
الا بمر اجعتهم ايانا واستئذنا ناتم شاع خبر خروج الموصلين في الربيع فارسل الى  
أخيه العادل بمصر يعلمه بذلك ويأمره ان يأمر العساكر بالاستعداد والخروج في  
شعبان وكتب الى الخليفة ببغداد يعلمه بما جرى من الموصلين والحليين ونقضهم  
العهد وانه الآن بين عدوين عدو ومظاهر بالاسلام وهم المذكورون وعدو آخر وهم  
الصليبيون وطلب منه ان يأمر ملوك الاطراف بمساعدته على الصليبيين أما سيف  
الدين فانه قصد حلب واجتمع بالملك الصالح ثم سار الى ان وصل الى تل السلطان  
ومعه جمع كثير وأهل ديار بكر وكانت العساكر المصرية قد وصلت فصار بها السلطان  
حتى أتى قرون حماء فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فاخرجوا اليه وتبعوا تعية  
القتال وأصبح القوم على مصاف وذلك يوم الخميس عشرة شوال فالتقى العسكران  
وتصادما وجرى قتال عظيم وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم وأسر منهم  
جمعا عظيما من كبار الامراء منهم الامير نخر الدين عبد المسيح فمن عليهم  
وأطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب ووكّل السلطان ابن أخيه عز الدين فرخشاه  
بسرادق سيف الدين ثم أمر السلطان بالكف عن باقي العساكر وتسلم ما في  
السرادق من الاموال وما يتبعه من الاصطبلات وفرق جميع ذلك على عسكره  
ورأى في السرادق طيوراً من القمارى والبلايل والهزار والبيغاء في الاقفاص  
فاستدعي مظفر الاقرع أحد الندماء وقال خذ هذه الاقفاص واذهب بها الى  
سيف الدين وقل له عدالى اللعب بهذه الطيور فهي سليمة لا توقعك في مثل هذا  
المخدور وانها الذمن مقاساة الحروب . ثم نزل السلطان على حصن بزاعه  
وتسلمه في ٢٢ شوال وفتح منبج في ٢٩ منه وكان فيها الامير قطب الدين  
ينال ابن حسان فاخرجه منها وتسلم جميع ما بها من الخزان والذخائر ومن جملة

أموالها ٣٠٠ ألف دينار ومن الفضة والآنية الذهبية والأسلحة والذخائر ما يناهز ألف دينار وحانت من السلطان التفاته فرأى مكتوباً على الأكياس والآنية اسم يوسف فسأل عن هذا الاسم فقيل له كان ولد يجبه اسمه يوسف ويدخر هذه الاموال له فقال السلطان انا يوسف وقد أخذت ما خبيء لي فتعجب الناس من ذلك ثم نزل على عزاز نصب عليها عدة منجانيقات وجد في القتال فتسامها حادي عشر ذي الحجة بعد حصارها ٣٨ يوماً وقال العماد قصيدة منها

أعطاه رب العالمين دولة عزت أهل الدين في اعزازها  
 حاز العلي بياسه وجوده وهو أحق الخلق باحتيازها  
 بجده أفنى كنوزاً فنى المملوك في الجدة على اكتازها  
 مهلك أهل الشرك طرأرومها أرمنها افرنجها انجازها  
 تفاخر الاسلام من سلطانه تفاخر الفرس بابر اوازها

\* (ماجري للسلطان مع الحشيشيين) \*

في حادي عشر ذي القعدة بينا كان السلطان محاصراً عزاز وجالساً في خيمة الامير جاولى الاسدي قريباً من المنجنيقات اذ وثب عليه احد الحشيشية أو الاسماعيلية فضرب رأسه بسكين فمنعته الزردية لانه كان دائماً متخوفاً من هؤلاء الملاحين فلم تؤثر ضربة الحشيشي شيئاً وأحس بصفايح الحديد على رأس السلطان فديده بالسكينة الى خده فخدشته فثبت جأش السلطان وقبض على رأس الحشيشي وجذبه ووقع عليه وادركه سيف الدين باز كوج وقتل الحشيشي وجاء حشيشي آخر فاعترضه الامير داود بن منكلان فمنعه وجرحه الحشيشي في جنبه ومات بعد أيام وجاء آخر فعاثقه الامير علي بن أبي الفوارس وضمه من تحت ابطيه وبقيت يد الحشيشي من ورائه لا يتمكن من الضرب فصاح الامير على اقلونى انا واياه فجاء

ناصر الدين محمد بن شيركوه قطعن بطن الحشيشى بسيفه ومازال يخضع فيه حتى مات ونجا على بن أبي الفوارس وخرج حشيشى آخر منهزماً فقابله شهاب الدين الحارمى خال السلطان فزحزح الحشيشى عن طريقه فقصده أصحابه وقطعوه بالسيف أما السلطان فسار الى خيمته فهاج العسكر وماج فاضطر السلطان للركوب والخروج ليراه جميع العسكر فسكن هياجهم وكان سبب ذلك ان أهل حلب خافوا من السلطان فارسلوا الى سنان رئيس الاسماعيليين مرة ثانية وطلبوا منه قتل السلطان ووعدوه كإفعلوا أولاً فارسل اربعة من اعظم رجاله فزبوا بزى عساكر السلطان واندسوا بينهم وهو محاصر عزاز وحاربوا مع عساكره واظهروا بسالة عظيمة ثم حصل منهم ما تقدم وقتلوا

\* (استيلاء تورانشاه على حضرموت واستيلاء

قراقوش على بعض بلاد المغرب) \*

في سنة ٥٧١ سار شمس الدولة تورانشاه الى بلاد حضرموت ففتحها واستتاب عنه بهار جلا كردياً يسمى هارون ثم ولي ثغرتز مملوكه ياقوت وجعل اليه أمر الجنود وولى قلعة بمكر مملوكه قايماز ثم سار قاصداً سوريا فوصلها ولحق باخيه وهو بمحارب سيف الدين صاحب الموصل فكانت له اليد البيضاء في ذلك وبلغ قراقوش بان قلعة ازري هي بوغاز المغرب وكانت خراباً فاشير عليه بعمارتها وقيل له متى عمرت وسكنها جنود اقوياء شجمان ملكت برقة واذا ملكت برقة ملكت ماوراءها فسار بهاء الدين قراقوش ومعه جماعة من اجناده ومماليكه الى القلعة وشرعوا في عمارتها واجتمع بقراقوش رجل من المغرب فخذته عن بلاد المغرب وذكر له كثرة خيرها وغزارة أموالها وضعف أهلها ورغبه في دخولها فآخذ جماعة من أصحابه وسار في حادي عشر المحرم من هذه

السنة فكان يكمن النهار ويسير الليل مدة خمسة أيام فاشرف على مدينة أوجلة  
 فلقية صاحبها واكرمه واحترمه وسأله المقام عنده ليعترضه ويزوجه بنته  
 ويحفظ البلاد من العرب وله ثلث ارتفاعها ففعل قراقوش ذلك فحصل له من ثلث  
 الارتفاع ثلاثون الف دينار فاخذ عشرة آلاف لنفسه وفرق على رجاله عشرين  
 الف دينار وكان الى جانب أوجلة مدينة يقال لها مدينة الازراقية فبلغ أهلها صنيع  
 قراقوش في أوجلة وانه حرس غلالهم فساروا اليه ووصفوا له بلدهم وكثرة خيره  
 وطيب هوائه ورغبوه في المسير اليهم على انهم يملكونه عليهم فاجاب سؤلهم واستخلف  
 على أوجلة رجلا من أصحابه يقال له صباح ومعه تسعة فوارس من أصحابه فحصل  
 لقراقوش أموال كثيرة واتفق ان صاحب أوجلة مات فقتل أهل أوجلة أصحاب  
 قراقوش فجاء قراقوش وحاصرها وفتحها عنوة وقتل من أهلها سبعمائة رجل وغنم  
 أصحابه منها غنيمة عظيمة واستولى على البلد ثم ان أصحابه طلبوا العود الى مصر وخشى  
 قراقوش الاقامة وحده فرجع معهم

### \* (حصار حلب وحرب الاسماعيليه) \*

لما فرغ السلطان من حرب عزاز سار قاصدا حلب فحاصرها وضرب خيمته  
 على رأس الباروقية فوق حيل جوشن ودخلت سنة ٥٧٢ والسلطان مشدد حصارها  
 فرأى أهل حلب ان لا طاقة لهم به فدخلوا من باب التذال وطلبوا الصلح فاجابهم  
 وعفى عنهم وأبقى للملك الصالح حلب وأعمالها وأرسل الملك الصالح الى السلطان  
 أخته الخاتون وهي صغيرة فوقف اجلالها قائما وقبل الارض وبكى علي والدها  
 نور الدين فسألته ان يرد عليهم عزاز فقال سمعاً وطاعة فاعطاها اياها وقدم لها من  
 الجواهر والتحف والمال شيئاً كثيراً واتفق مع الملك الصالح ان يكون للسلطان  
 من حماء وما فتحه الى مصر وان يطلق الملك الصالح اولاد الداية وكان الصلح عاماً  
 لحلب والموصل وديار بكر وبعد ذلك تذكر السلطان ثاره عند الاسماعيليه وكيف



وموه بتلك البلية فرحل يوم الجمعة لعشرين من المحرم فحصر حصنهم مصيات  
 ونصب عليه المنجنيقات الكبار وأوسعهم قتلاً وأسراً وساق أبقارهم وخرب  
 ديارهم وهدم أعمارهم وهتك أستارهم حتى تشفع فيهم خاله شهاب الدين محمود  
 ابن تكش الحارمي صاحب حماه وكانوا قد راسلوه في ذلك لأنهم جيرانه فرحل  
 عنهم وقد استقم منهم وكان الصليبيون قد أغاروا على البقاع فخرج اليهم شمس الدين  
 محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وهو متولى بعلبك فخارهم وقتل منهم  
 وأسراً أكثر من مائتي أسير وأحضرهم الى السلطان وهو محاصر مصيات فجدد  
 شوقه لغزو الصليبيين وكان هذا من دواعي مصالحة سنان وعاد الى دمشق وكان  
 شمس الدولة قد خرج منها لمحاربة الصليبيين أيضاً عند ما بلغه خبر خروجهم  
 لانشغال السلطان بمحاربة حلب وغيرها فخارهم عند عين الجرف في تلك المروج فلم يبق  
 عليهم ووقع من أصحابه عدة في الأسر فبلغ ذلك السلطان فارسل اليه جنوداً مصرية  
 فارجعوا الصليبيين على أعقابهم وعاد شمس الدولة الى دمشق وتقابل مع السلطان  
 وفوض السلطان اليه دمشق ليكون امام الصليبيين وعاد هو الى مصر وكان خروجه  
 من دمشق في يوم الجمعة ٤ ربيع أول فوصل القاهرة يوم السبت ١٦ منه

### ﴿ تقوية اسطول مصر وبعض فتوحات ﴾

بعد رجوع السلطان الى مصر أعجبه حسن تنظيمها وسافر منها في شعبان  
 الى دمياط لتفقدتها ومنها الى اسكندرية وهناك عرض عليه الاسطول  
 المصري فوجد مرآكبه قد لحقتها ضرر كثير فامر باصلاحها وتقويتها وجعل لها  
 ديواناً مخصوصاً (يشابه البحرية) واقام عليه احد الامراء وكتب الى جميع الثغور  
 بان يكون الامر امر قائد الاسطول وله ان يأخذ ما يحتاج من العساكر والمال  
 وكان ذلك في رمضان فرجع الى القاهرة وامامها الدين قراقوش فانه سافر الى أوجلة  
 وفتح بلاد قزان بأسرها وخرج السلطان من القاهرة قاصداً اعمال الشرقية فاقام

بجرج فاقوس وهو يركب افي الصيد والقنص والتطلع لاجوال الصليبيين وفي  
 أثناء ذلك بينا السلطان قد عزم على محاربة الصليبيين بغزه اذ وصلت اساطيل  
 ثغرى دمياط واسكندرية باسرى الافرنج وقد اربوا على الالف ففرح السلطان  
 بهذا الانتصار

**\* ( حرب السلطان مع الصليبيين وواقعة الرملة ) \***

في شهر جمادى الاولى سنة ٥٧٣ سار السلطان بعساكره قاصداً بلاد الافرنج  
 فوصل الى مدينة عسقلان في يوم الاربعاء ٢٩ منه فخارب الصليبيين وكسرههم وأخذ  
 أكثرهم أسرى وتفرق عسكره في الاعمال مغيرين وميدين آمنين من طوارق  
 الحدثان فلما رأوا ان الصليبيين خامدون استرسلوا وتوسط السلطان البلاد  
 واستقبل يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة بالرملة قاصداً بعض المعامل  
 فاعترضه نهر عليه تل الصافية فازدحمت العساكر للعبور وكان بودوين الرابع  
 ملك القدس قد بلغه خروج السلطان صلاح الدين قاصداً عسقلان فسار بعساكره  
 وعساكر الجمعيات الرهبانيين فاخذوا طريق شط البحر وأخفوا مسيرهم  
 السريع بكيمان الرمل الى ان وصلوا الى عسقلان بدون علم السلطان صلاح  
 الدين ولما كانت عساكره مزدحمة على عبور النهر اذ فاجأته العساكر  
 الصليبية بغتة وسرايا المسلمين في القرى مغيرة فوقف الملك المظفر تقي الدين  
 ونازلهم الحرب فاستشهد من أصحابه عدة من الكرام وكان لتقي الدين ولد  
 اسمه أحمد قد طرشار به فاستشهد أيضاً بعد ما قتل من الصليبيين كثيرين  
 وكان له ولد آخر اسمه شاهنشاه قد أسرى بيد الصليبيين بحيلة عملها معه أرمني  
 يدمشق ثم سلمه الى جمعية الهيكلين الرهبانية وتفرقت العساكر الاسلامية  
 بالصحراء وحمل الصليبيون على السلطان فثبت ووقف ومعه من الامراء ابراهيم  
 لابن قنابر وفضل الفيضى وسويد بن غنم المصرى وصار السلطان يسير

ويقف حتى لم يبق من ظن انه تخلف أحدهم العناكر ودخل الليل وسلك  
 الرمل والاماء ولادليل وقد تعسفوا السلوك في تلك الرمال وبقوا أياماً وليالي  
 بغير ماء ولا زاد حتى وصلوا الى الديار ووقع في الاسر كثير من المسلمين منهم  
 الفقيه ضياء الدين عيسى وأخوه الظهير وقد انتهت هذه الواقعة بظفر  
 الصليبيين

\* محاربة الصليبيين حماه وحارم ورجوعهم الى بلادهم \*

وصل في سنة ٥٧٣ الى ساحل سوريا من البحر ملك يقال له اقلندس وكان  
 يعتقد خلو الشام من حامية فاجتمع بالصليبيين واتحدوا وساروا الى حماه في ٢٠  
 جمادى الاولى وكان صاحبها شهاب الدين محمود الحارمي مريضاً وسيف الدين  
 على بن أحمد المشطوب بالقرب منها فدخلها وخرج للحرب وتقاتل مع الصليبيين  
 قتالاً شديداً انتهى بكسرهم ورحيلهم عنها بعد حصارهم أربعة أيام ولما قتل  
 من الصليبيين ما يزيد عن الف فارس انهزموا من حماه ونزلوا على حصن حارم  
 تخرج اليهم الملك الصالح وكانت حارم تابعة كمشكين فطلب أخذها فابوا تسليمها  
 اليه ولما حاصرها الصليبيون جاء الملك الصالح لمحاربتهم وأقام الحصار من  
 ابتداء شهر جمادى الآخرة فلما رأى أهل القلعة الخطر المحقق بهم من الصليبيين  
 سلموها الى الملك الصالح في العشر الاواخر من شهر رمضان وما اتصل ذلك  
 بالصليبيين حتى رحلوا عنها عائدين الى بلادهم وعاد الملك الصالح الى  
 حلب

واجتمع قسم من الصليبيين وقصدوا أعمال حمص فنهبوها وغنموا  
 وأسروا وسبوا فسار ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص وسبقهم ولكن  
 لهم في الطريق فلما وصلوا اليه خرج عابهم من كمينه ووضع السيف فيهم فقتل  
 أكثرهم وأسرى جماعة من مقدميهم ومن سلم منهم لم يفلت الا وهو مشخن

بالجراح واسترد منهم جميع ما غنموه فرده على أصحابه وكان ذلك في  
سنة ٥٧٣

### ✽ مسير السلطان صلاح الدين الى سوريا ومحاربة الصليبيين ✽

في شوال سنة ٥٧٣ سار السلطان صلاح الدين قاصداً سوريا فنزل دمشق  
وأخذ ينتقل من بلد الى آخرى متفقداً الفلاح والحصون وفي شهر ربيع أول  
سنة ٥٧٤ سار جمع كثير من الصليبيين الى مدينة حماه وكثر جمعهم من الفرسان  
والرجال طمعاً في النهب والغنيمة فشنوا الغارة ونهبوا وحربوا القرى وأحرقوا  
وأسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيم بحماه سار اليهم فالتقوا واقتتلوا وصدق  
المسلمون القتال فانهزم الصليبيون وكثر القتل والاسر فيهم واسترد منهم ما  
غنموه وكان صلاح الدين نازلاً بظاهر حمص فحملت الرؤوس والاسرى  
والاسلاب اليه فامر بقتل الاسرى . وفي شهر القعدة سار الملك بودوين الرابع  
بجيشه الى دمشق فاغار على أعمالها فنهبها وأسروا وقتلوا فإرسل السلطان  
عز الدين فرخشاه في جمع من العسكر اليهم وأمره اذا قاربهم يرسل اليه  
يخبره على جناح الطائر ليسير اليه وتقدم اليه ان يأمر أهل البلاد بالانتزاع من  
بين يدي الصليبيين فسار فرخشاه في عسكره يطلبهم فلم يشعر الا والصليبيون  
قد خالطوه فاضطر الى القتال فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس والتي فرخشاه  
نفسه عليهم وغشى الحرب ولم يكلها الى سواه فانهزم الصليبيون ونصر المسلمون  
عليهم وقتل من مقدميهم جماعة ومنهم هنفري وغيره ولم يزد عدد عساكر  
فرخشاه على التي فارس . وفي هذه السنة أغار البرنس رانود دي شاتيلون على  
جمع من التركان فاجحف باموالهم وكان صلاح الدين على حصن بانياس فسير  
اليه ولدأخيه تقي الدين عمر الى حماه وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه  
الى حمص وأمرهما بحفظ البلاد وحيطة أطرافها من العدو

## محاربة الصليبيين بمرج عيون وانتصار الاسطول المصري

في ثاني محرم سنة ٥٧٥ جاء الخبر الى السلطان بان الصليبيين قد خرجوا فالتقاهم وتقاتلوا قتالا شديداً وانتصر المسلمون على الصليبيين وأسرت فرسانهم وشجعانهم وانهمزمت رجالهم في أول اللقاء فكان من جملة الاسرى مقدم جمعية الهيكلين الرهبانية ومقدم جمعية القديس يوحنا المعمدان وصاحب طبريه وأخو صاحب جبيل وابن بارزان صاحب الرملة وقسطلان ياقا وابن صاحب مرقية وكثير من خيالة القدس وعكا وغيرهم من المقدمين الاكابر ما زاد عن مائتين ونيّف وسبعين ثم عرضوا الاسرى على السلطان فامر بتقلهم الى دمشق ومات مقدم جمعية الهيكلين فطلب الصليبيون جسد فافدوها باسير مسلم وطال أسر الآخرين فمنهم من اقتدى بمال وأطلق ومنهم من مات ومنهم من بقي مسجوناً وهذه الواقعة كانت في مرج عيون وكانت عدة الصليبيين عشرة آلاف فارس وانهمزم ملكهم مجروحاً وكان لعز الدين فرخشاه في هذه الواقعة بلاء حسن ومن أحسن ما اتفق انه في اليوم الذي كسر فيه الصليبيين بمرج عيون ظفر الاسطول المصري ببطسة كبيرة فاستولى عليها وعلى أخرى وماد الى الثغر مستنجباً ألف رأس من السبي فما أقرب ما النصرين في المصريين وانظر كيف عم النصر وتساوى في البر والبحر

### \* (تخريب حصن بيت الاحزان) \*

كان الصليبيون قد بنوا حصناً عند مخاضة بيت الاحزان سموه بحصن بيت الاحزان فلما بلغ خبره الى السلطان أشار عليه الامراء بمخابرتهم في هدمه لان بقاء هذا الحصن يضر بالمسلمين كثيراً فارسل السلطان الى الصليبيين يطلب منهم هدم الحصن فقالوا لانهدمه الا اذا أعطانا تكاليفه وكان هذا الحصن لجمعية الهيكلين الرهبانية فجعل لهم السلطان ستين ألف دينار فابوا فزادهم الى

ان جعل المبلغ مائة الف دينار فابوا فقال تقي الدين عمر للسلطان الاحسن  
 ان تصرف هذا المبلغ في العساكر وهم يهدونه بالقوة فسار السلطان بجيشه  
 الى ان وصل الى المخاضة في يوم السبت ١٩ ربيع اول سنة ٥٧٥ هـ فاجتمع  
 منها وضاق ذلك المرج عن العساكر واحتاج الى نصب ستائر فركب السلطان  
 بكرة الاحد ٢٠ منه الى ضياع صفد وكانت قلعة صفد يومئذ للدوايه وهي  
 الجمعية المذكورة فامر بقطع كرومها وحمل أخشابها فأخذ كل ما احتاج اليه  
 ورجع بعد الظهر ورجعوا الى الحصن بعد العصر فمات أمسي المساء الا وهم  
 قد استولوا على الباشوره وانتقلوا بكليتهم اليها وبتوا طول الليل يجرسون وخافوا  
 ان يفتح الصليبيون الابواب ويفيروا عليهم على غرة منهم واذا بالصليبيين قد  
 اوقدوا النار خلف كل باب ليأمنوا من المسلمين اغتراراً فاطمان المسلمون  
 وقالوا ما في الانقب البرج ففرقه السلطان على الامراء فأخذ فرخ شاه الجانب  
 القبلي وأخذ السلطان الجانب الشمالي وقصد ناصر الدين شيركوه بقربه نقباً  
 وكذلك تقي الدين وكل كبير في الدولة جعل له قسماً وكان البرج محكم البناء  
 فصعب نقبه لكن ما انقضي يوم الاحد الا وقد تم نقب السلطان وفاق وحشى  
 بالحطب ليلة الاثنين وحرقت وكان النقب في طول ثلاثين ذراعاً في عرض  
 ثلاثة ازرع وكان عرض السور تسع اذرع فمات تأثر بذلك فاحتاج السلطان  
 صديحة يوم الاثنين الى اطفاء النيران لئتم نقبه وقال من جاء بقربة ماء فله دينار  
 فكانت الناس للقرب حاملين ولاوعية المساء ناقين حتى أغرقوا تلك النقوب  
 فمادت فماد نقابوها وقد بردت فخرقوه وعمقوه وفتحوه وشقوا حجره  
 وقلعوه ثم حشوه وعلقوه واستظهروا فيه يوم الثلاثاء والاربعاء ثم أحرقوه  
 واشتد الحرص عليه لان الخبر اتاهم بان الصليبيين قد اجتمعوا بطبريه في  
 جمع كثير فلما أصبح يوم الخميس الرابع والعشرين من الشهر وتعالى النهار  
 انقض الجدار واستبشر المسلمون وكان الصليبيون قد جمعوا وراء ذلك الموضع

المتداعي حطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فردت النار عليهم وأحرقت بيوتهم وطائفة منهم فاجتمعوا الى الجانب البعيد من النار وطلبوا الامان فلما خمدت النار دخل الناس وقتلوا وأسروا وغنموا مائة الف قطعة من الحديد من جميع انواع الاسلحة وشيئا كثيراً من الاقوات وغيرها وجيء بالاسارى الى السلطان فمن كان مرتدياً اورامياً ضربت عنقه وأكثر من أسر قتلة المتطوعون في الطريق وكان عدد الاسارى نحو ٧٠٠ وخلاص من الاسر اكثر من مائة مسلم وسير باقى الاسارى الى دمشق وأقام السلطان في منزلته حتى هدموا الحصن الى الاساس وكان الصليبيون قد حفروا في وسطه جب ماء معين فامر السلطان برمي القنلى فيه وكان عند السلطان رسول من رايونند خص طرابلس وهو يشاهد بلية قومه وأهل ملته ومدة مقام السلطان على الحصن في أيام فتحه وبمدها حتى دكها أربعة عشر يوماً وبهد ذلك سار السلطان الى أعمال طبريه وصور وبيروت وغيرها فاغار عليها وأرجف قلوبهم بوصولها اليها ثم رجع الى دمشق ومرض جماعة من الامراء المسلمين لان الحر كان شديداً وأنتنت الجثث فنفشى الوباء وتوفى أكثر من عشرة أمراء

### \* محاربة الاسطول المصرى ميناء عكا \*

سار الاسطول المصرى يغزو بلاد الصليبيين ومراكبهم وكانت قوة الاسطول قد زادت في هذه السنة واستخدم فيه عساكر بحرية مغربية من سبق لهم غزو الافرنج وكذلك رجالة المصريين الاقوياء المعروفين بالشهامة والقوة ومراكبه كانت كنانين الا انها تمرق مروق السهام ورواكد هي مدائن الا انها تمرر من السحاب غير الجهام فلا أعجب ان تسمى غربانا وتنتشر من ضلوعها أجنحة الجمام وتسمى جوارى وميسر مجراها من النصر فوصلت في الاحد

حادي عشر جمادى الاولى سنة ٥٧٥ مينا عكا وكانت مملوءة بمراكب الصليبيين ومراكب التجارة فاستولى الاسطول على عدة من المراكب تحطيمها وتكسيرا وأخلى المينا من الباقي وهذا مما لم يمهدهم من أسطول اسلامي في سائف الدهر وما يذكرون ان عساكر الاسطول قتلوا بعض رجال قلعة عكا ومياً بالسهم من بعد كبير

### ﴿ وفاة المستضيء بأمر الله وخلافة الناصر لدين الله ﴾

في ثاني ذى القعدة سنة ٥٧٥ توفى الامام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد رضى الله عنه وأمه أم ولد أرمنية تدعى غضة وكانت خلافته تسع سنين وستة أشهر وواحد عشر يوماً وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية كثير البذل للاموال والناس معه في أمن عام واحسان شامل وطمانينة وسكون لم يروا مثله وكان حليماً قليل المعاقبة على الذنوب محباً للعفو والصفح عن المذنبين فقد كانت أيامه كما قيل

كان أيامه من حسن سيرته مواسم الحج والاعياد والجمع

ثم أخذت اليمامة لولده الناصر لدين الله فبايعه أخوه الامير أبو منصور هاشم ثم بنو أعمامه وخوادمه ثم الولاة وأرباب المناصب والاعيان وكان والده المستضيء قبل وفاته قد عهد اليه وسمي ولى العهد

### ﴿ محاربة السلطان بلاد الارمن ﴾

في سنة ٥٧٦ استمال ابن لاوون ملك الارمن بعض التركان ليرعوا مواشيتهم في مراعى بلاده ثم غدر بهم وأسروهم فلما بلغ ذلك الى السلطان صلاح الدين سار بجيشه ودخل بلاد الارمن وحارب ملكهم وأذل أعوانه وأجناده ومن خوف ملكهم أمر باحراق قلعة شامخة تعرف بالمناقير فبادر المسلمون الى اخراج ما فيها من الآلات والغلات فتقووا بها وتموا هدمها الى



الاساس ووجد المسلمون في أرضها صهريجاً مملوءاً بآلات من نحاس وفضة وذهب  
مضى عليها زمن طويل وأخذ السلطان كثيراً من الارمن أسرى فبذل ملكهم  
كثيراً من المال ونهدهم ان يطلق من عنده من الاسارى لاجل خروج  
السلطان من بلاده فلم يرض السلطان بما بدله فزاد في المال وانه يشتري  
خمسائة أسير من بلاد الصليبيين ويعتقهم فاجاب السلطان وأخذ منهم رهينة  
على ذلك وأذعن الارمني وذل وأطلق ما بيده من الاسارى واشترى الاسرى  
من الصليبيين وعتقهم ورجع السلطان منصوراً فقال الجمال الواسطي أبو  
غالب محمداً وكان مشاهداً هذه الواقعة قصيدة منها

لقد جعل الله منك الورى بأوفى ملك وفي هجان  
ازرت ابن لاون لأواء فأضحى به خيراً عن عيان  
ودان من الذل لا يرعوى حذاراً من الراعفات اللدان

﴿ وفاة شمس الدولة وورود التشریف للسلطان ورجوعه الى مصر ﴾

كان السلطان قد أنفذ أخاه شمس الدولة تورانشاه الى الاسكندرية  
وجعل اليه ولايتها فلما أقام بها لم توافقه وكان يعتاده القولنج فمات به في ٥  
صفر سنة ٥٧٦ ودفن بقصر الاسكندرية ثم نقلته منها اخته ست الشام بنت  
أيوب ودفنته في مدرستها التي أنشأها بظاهر مدينة دمشق فهناك قبره وقبرها  
هي وولدها حسام الدين عمر بن لاجين وقبر زوجها ناصر الدين بن اسد الدين  
شيركوه وكانت قد تزوجته بعد لاجين ووصل الخبر الى السلطان وهو نازل  
بظاهر حمص فحزن عليه حزناً شديداً لانه كان شجاعاً باسلاً عظيم الهية  
واسع الصدر جواداً كريماً قال فيه ابن سعدان قصيدة منها

هو الملك ان تسمع بكسرى وقبصر فانهما في الجود والبأس عبداه  
وما حاتم ممن يقاس بمنله نخذ ما رأيناه ودع ما رويناه

ولذ بذراه مستجيراً فانه يجبرك من جور الزمان وعدواه  
 فلا تتحمل للسحاب منة اذا هطلت جوداً سحاب جدواه  
 ويرسل كفيه بما اشتق منهما فليمن يمناه ولليسر يسراه  
 وفي رجب من السنة المذكورة وصلت رسال الديوان العزيز الناصري  
 صدر الدين الشيخ أبو القاسم عبد الرحيم ومعه شهاب الدين بشير الخالص  
 بالتفويض والتقليد والتشريف الجديد فخرج السلطان للقاءهم بموكبه وقابلهم  
 بالاحترام اللائق والتعظيم والتبجيل ثم ركبوا ودخلوا المدينة وهذه أول  
 خلعته وصلت من الامام الناصر الى السلطان الناصر وهذه الخلعته هي ثوب  
 أطلس اسود واسع الكم مذهب وبيقار اسود مذهب وطيلسان اسود مذهب  
 ومشدة سوداء مذهبة وطوق ونخت وسرفسار وجواد كيت من ركائب الخليفة  
 عليه سرج اسود وسلال اسود وطوق مجوهر وقصبة ذهب وعلم اسود وعدة  
 خيول وبقع وركب السلطان بالخلعة وكان يوم عظيم زينت له دمشق وأولت  
 الولاثم لرسل الخليفة . ثم أراد السلطان الرجوع الى مصر فتاب عنه بالشام  
 ابن أخيه عز الدين فرخشاه لقوته ليكون امام الصليبيين

\* محاربة عز الدين فرخشاه رانود صاحب الكرك \*

في سنة ٥٧٧ كان رانود دي شاتيلون من أشد الصليبيين عداوة للمسلمين  
 قد عزم على المسير في البر الى تيمل ومنها الى المدينة المنورة باراضى الحجاز  
 وكان دائماً ينقض عهوده فجمع جيشه واستعد لذلك فسمع عز الدين فرخشاه  
 فجمع العساكر الدمشقية وسار الى الكرك ونهبها وخربها وعاد الى اطراف  
 بلاد الصليبيين وأقام بها لينع البرنس رانود من العبور الى بلاد المسلمين ولما  
 طال مقام كل منهما في مقابلة الآخر وخاف رانود من العساكر الاسلامية  
 أمر بتفريق عساكره الى بلادهم وانقطع طمعه من الحركة فواد عز الدين

## \* وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين \*

في التاسع من رجب سنة ٥٧٧ مرض الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين وكان مرضه بالقولنج فلما اشتد عليه وصف له الاطباء شرب الخمر تداوياً بها فقال لا افعل حتى استفتى الفقهاء فاستفتى فافناه فقيه من مدرسى الحنفية بجواز ذلك فقال له ارايت ان قدر الله تعالى بقرب الاجل أيؤخره شرب الخمر فقال له الفقيه لا والله فقال الصالح والله لا لقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرمه على فلم يشربه . فلما آيس من نفسه احضر الامراء وسائر الاجناد وأوصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسمود بن مودود صاحب الموصل واستحلفهم بذلك فقال له بعضهم ان عماد الدين ابن عمك أيضاً وزوج أختك وكان والدك يحبه ويؤثره وتولى تربيته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان أصلح وعز الدين بلاده واسعة ولا حاجة به الى بلدك فقال أعلم ذلك ولكن قد علمتم بان صلاح الدين قد ملك أكثر الشام سوى ما بيدي ومتي سلمت حلب الى عماد الدين يهجز عن حفظها وان سلمتها الى عز الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من فطنته مع شدة مرضه وصغر سنه ثم مات في الخامس والعشرين منه وكان حليماً كريماً عفيف اليد والفرج واللسان وكان عمره ١٩ سنة وبعد وفاته ارسلوا الى ابن عمه عز الدين فحضر واستلم حلب واقام بها واستلم جميع الخزائن والسلاح ثم بادل بها ابن عمه عماد الدين بسنجار فاستلم عماد الدين حلب واستلم عز الدين سنجار

## \* في سفر السلطان صلاح الدين الى الشام ومحاربة الصليبيين \*

لمس باغ السلطان خبر وفاة الملك الصالح خاف على بلاده من عز الدين وندم على سفره من الشام وعزم على العودة اليها لفظ بلاده وفي هذه السنة أيضاً سار

بهاء الدين قراقوش الى بلاد الغرب فاوغل فيها ونهب ما قدر عليه وحارب عسكر  
 ابن عبد المؤمن بالقيروان ثم بلغه ان ابراهيم السلحدار احتوى على اهل قراقوش  
 وبلده فرجع اليه فهرب ابراهيم وسار الى خدمة ابن عبد المؤمن وملك قراقوش  
 ما كان بيد ابراهيم اما السلطان صلاح الدين فانه رأى ان عز الدين قد خرق  
 للماهدة بتملكه واتصل به أيضاً ان أمراء الموصل تأمروا عليه سرأ مع الصليبيين  
 فجمع عساكره واستصحب نصف العسكر وأبقى النصف الآخر لحفظ الثغور  
 المصرية ثم سار السلطان من البركة وأخذ على طريق صدر وايه في المفاوضات  
 بالبويب ثم سار على الجسر ووادي موسى حتى وصل عقبة أيله وهناك سمع باجتماع  
 الصليبيين على الكرك فاحتز بحفظ الاطراف وانحاز بحمي ثم عقبه شتار ثم  
 القزبتين وأغار في تلك الايام على اطراف بلاد العدو ثم تجرد السلطان بكائه  
 وسلك بهم سمت الكرك الى الحسي وأمر أخاه تاج الملوك بوري على العسكر  
 وأمره ان يسير بهم على يمينه ففعل واجتمع بالسلطان بالازرق بعد أسبوع  
 ووصل الخبر بظفر الملك المنصور عز الدين فرخشاه لانه لما بلغه تجمع  
 الصليبيين على الكرك اغتم خلو ديارهم فأغار على بلاد طبريه وعكا وفتح دبوريه  
 وجاء الى حيس جلدك بالسواد وهو شقيق يشرف على بلاد المسلمين  
 ففتحه وأسكن المسلمين فيه فبقى عيناً على الصليبيين بعد ما كان لهم ورجع  
 بالاسرى والغنائم منصوراً ومعه الف أسير وعشرون الف رأس من الانعام  
 ثم وصل السلطان بصرى ودخل دمشق في ١٧ صفر سنة ٥٧٨ وفي أوائل  
 ربيع أول خرج السلطان وأغار على بلاد طبريه وبيسان والتحم القتال بينه وبين  
 الصليبيين تحت حصن كوكب فانهزمت الصليبيون وقتل وأسر منهم كثير وعاد  
 السلطان منصوراً

## \* محاصرة بيروت برآ وبحراً ومسير السلطان الى الموصل \*

أمر السلطان الاسطول المصري بالجميء الى بيروت فصار اليها ونازلها واغار عليها وسار السلطان فواقاه اليها ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدة أيام فاتاه الخبر وهو عليها ان قد نزل دمياط جمع عظيم من الافرنج وكانوا قد خرجوا من بلادهم لزيارة القدس فاسروا من بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدة الاسرى الف وستائة وستا وسبعون أسيراً ثم أرسل اليه مظفر الدين كوكبرى صاحب حران واعلمه انه معه وطلب منه سرعة قدومه الى الفرات فجد صلاح الدين في السير مظهراً انه يريد حصر حلب تسترا فلما قارب الفرات سار اليه مظفر الدين واجتمع به فقصص اليه وكان صاحبها معه ثم سار الى الرها فحاصرها في جاد الاولى سنة ٥٧٨ وقتلها أشد قتال ووالى الزحف عليها وكان بها الامير فخر الدين مسعود فلما رأى شدة القتال أذعن للتسليم وطلب الامان وسلم البلد وسار في خدمة صلاح الدين الذي سلمها الي مظفر الدين مع حران ثم سار السلطان الى الرقة فلما وصلها ومنها الى نصيبين فلما وصلها أيضاً وجمع أمراءه واستشارهم في أي البلاد يبدأ بالموصل أو سنجار أو جزيرة ابن عمر فاشاروا عليه بالموصل فصار اليها وحاصرها فوجدها منيعة جداً وعلم ان ليس له قدرة عليها ولكنه لازم حصارها ثم حصل تردد في الصلح فلم يتم وأخيراً تركها وسار الى سنجار وحاصرها وجد في قتالها الى ان تسلمها بالامان بوقفل عائداً

## \* الصليبيون في البحر الاحمر او بحر القلزم وهلاكهم \*

في سنة ٥٧٨ أيضاً طمع البرنس رانود بالاستيلاء على أراضي الحجاز فانشأ المراكب ونقل أخشابها على الجمال الى الساحل ثم ركبها وشحنها بالرجال

وآلات القتال وجعلها قسمين قسما سار الى جزيرة قلعة ايله ففتح أهلها من ورود  
الماء فقال أهلها شدة وضيق عليهم والقسم الثاني سار نحو عيذاب وافسد في السواحل  
ونهب وأخذ ما وجد من المراكب الاسلامية وما فيها من التجار وبتوا الناس في  
بلادهم على حين غفلة لانهم لم يعمدوا بهذا البحر أفرنجياً لا تاجر أو لاجارياً وكان  
بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائب عن أخيه صلاح الدين فعمر أسطولا  
في بحر القلزم بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ وشحنه بالرجال البحريين  
ذوى التجربة من أهل النخوة للدين وسار الى ايله فظفر بمراكب العدو بعد  
ما خرقتها وأخذ جندها ومن هرب منهم في البرية تتبعته العرب وأحضرتة اليه  
ثم سار نحو عيذاب مقتفياً أثر الباقي من مراكب الصليبيين فوجدهم قد قتلوا  
أهل عيذاب وأسروهم ونهبوهم وساروا فتبعهم فوجدهم قد قطعوا طريق  
التجار وشرعوا في القتل والنهب وتوجهوا الى أرض الحجاز فعمم البلاء على  
الناس وأشرف أهل المدينة ومكة على خطر وسار لؤلؤ يتبعهم فوصل رابع  
ساحل الحوراء فأدركهم هناك فأوقع بهم من القتل والاسر فلما رأوا العطب  
وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البرواعتصموا ببعض تلك الشعاب فنزل لؤلؤ  
من مراكبه اليهم وقتلهم أشد قتال وأخذ خيلاً من عرب البلاد فركبها وقتلهم  
فرساناً ورجالاً فظفر بهم وقتل أكثرهم وأخذ الباقي أسري وأرسل بعضهم الى  
مصر لينحروا بها عقوبة لمن رام اخافة البلاد الحرام وعاد الباقي الى مصر فقتلوا  
جميعاً ثلاثاً بدل من يظل منهم حياً على تلك الجهات فقال أبو الحسن بن الذروري  
يمدح لؤلؤ بقصيدة منها

مر يوم من الزمان عجيب	كاد يبدي فيه السرور الجماد
اذ أتى الحاجب الاجل بأسرى	قرتهم في طيها الاصفاد
بجبال كأنهن جبال	وعلوج كأنهم اطواد *
قات بعد التكبير لما تبدي	هكذا هكذا يكون الجهاد

حبذا لو اؤر يصيد الاعادي وسواه من الآلى يصاد

﴿استيلاء السلطان على حلب﴾

في سنة ٥٧٩ سار السلطان الي آمد وحصرها وفتحها عنوة بعد حرب شديدة وسلمها الي صاحب الحصن نور الدين ثم سار الي تل خالد فحاصره واستامه وسار الي عينتاب فتسلمها أيضاً بالامان ثم سار الي حلب وحاصرها وشدد حصارها وأقام عليها أياماً والقتال بين العسكريين كل يوم فلما رأى عماد الدين صاحب حلب كثرة المصاريف شح بالمال فحضر عنده بعض الاجناد وطلبوا منه شيئاً فاعتذر اليهم بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الاموال ولو باع حلى نسائه فقال عماد الدين الي تسليم حلب وأخذ الموضع عنها وأرسل الي السلطان الامير طمان الياروقي بانه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقه وسروج وجري اليمين على ذلك فزل منها في ١٨ صفر سنة ٥٧٩ وسلمها واستلم البدل عنها ونصب سلطان علمه الاصفر فوق السور وقال محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق في مدح السلطان قصيدة منها

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب  
فوافق فتح القدس في رجب سنة ٥٨٣ وهو من الاتفاق العجيب وجعل فيها  
ولده الملك الظاهر غازي

﴿في تنازل بودوين الرابع وولاية بودوين الخامس﴾

في سنة ٥٧٩ عمى السلطان بودوين الرابع المسمى بالملك الابرص وصار كفيفاً ولذلك انتدب غوى دي لوزينه نازوج أخته سبيلا وأقامه نائباً على الملك وكان ضعيفاً طائش الرأي فسار مرة في عشرة آلاف مقاتل فلما أتم السلطان صلاح الدين فزمه وقتل رجاله ولذلك كرهه المايبيون وعزله بودوين الرابع وأقام وكيلاً

عنه رايوند صاحب طرابلس ثم ان الملك بودوين الرابع تنازل عن الملك لابن  
أخته سيلا من زوجها الاول غويديوم دي مونت فراتاو عمره خمس سنوات فهذا  
الفتي صعد على كرسي سلطنة القدس ( اورشليم ) سنة ١١٨٣ ميلاديه ولقب  
ببودوين الخامس

### ﴿مناوشات الصليبيين مع العساكر الاسلاميه﴾

انتهت سنة ٥٧٩ في مناوشات تقع بين الصليبيين وعساكر السلطان صلاح  
الدين وكان النصر دائماً ملازمًا لعساكر السلطان لانه في كل واقعة كان يقتل ويؤسر  
بعض الصليبيين خصوصاً في جهات بيسان فانهم استولوا على أشياء كثيرة من  
أمتعة وقماش وغللال والجالوت وهي قرية عامرة فانهم عثروا على مجدة للصليبيين  
كانت قاصدة الشوبك والكرك فانقضوا عليهم وقتلوهم وأسروا منهم زهاء مائة  
فقر . ثم بلغ السلطان ان الصليبيين اجتمعوا في صفوريه ورحلوا الى الفولة  
وهي قرية معروفة وكان غرضه المصاف فلما سمع ذلك تعيى للقتال وسار  
فلقاء العدو قاتلوا وجرى قتال عظيم فقتل من العدو جماعة وجرح منهم  
جماعة وهم ينضم بعضهم الى بعض يحمي راجلهم فارسهم ولم يخرجوا  
للمصاف وظلوا ساثرين حتى اتوا العيين فنزلوا عليها ونزل السلطان حولهم  
والقتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا الى المصاف وهم لا يخرجون فرأى  
السلطان ان يرحل عنهم قليلاً لعلهم يخرجون فيضرب معهم المصاف فرحل  
ونزل تحت الجبل مترقباً خروجهم فتكص الصليبيون على أعقابهم فزحف  
عليهم وأخذ يرميهم بالنشاب ويطلب مصافهم فلم يخرجوا ولم يزل السلطان  
وراءهم حتى نزلوا الفولة راجعين الى بلادهم فماد . ثم طلب السلطان أخاه العادل  
فأثبه بمصر وولاه حلب وأرسل تقي الدين الى مصر نائباً عنه وأتاب سيف الاسلام  
على جميع اليمن



## \* محاصرة الكرك ودخول السلطان بلاد الصليبيين \*

في سنة ٥٨٠ طلب السلطان العساكر المصرية الى الكرك وسار اليها بمن معه وحاصرها بعد مجيء العساكر المصرية وركب المنجانيقات عليها وضيق عليهم الحصار ولما بلغ الصليبيون ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم فملك المسلمون الربض وبقي الحصن وهو والربض على سطح جبل واحد الا ان بينهما خندقاً عظيماً عمقه نحو ستين ذراعاً فأمر السلطان بالقاء الاحجار والتراب اردمه فلم يقدر أحد على الدنومنه لكثرة الرمي عليهم بالسهام والاحجار من المنجانيقات فأمر أن يبنى بالاخشاب سقايف يمكن الرجال يمشون تحتها لردمه ومنجانيقات المسلمين مع ذلك ترمي الحصن ليلاً ونهاراً أما الصليبيون فانهم زحفوا لتجدة اخوانهم فلما بلغ السلطان قدومهم سار ليمنعهم وكانوا قد نزلوا في مكان يقال له الواله فسار حتى نزل باللقاء على قرية يقال لها حسبان امام الصليبيين في طريقهم ورحل منها الى موضع يقال له ماء عين ثم رحل الصليبيون الى الكرك فسار بعض العسكر وراءهم فقاتلوهم الى آخر النهار ولما رأى السلطان تصميم الصليبيين على الكرك ورأى الساحل خالياً سار بعساكره فاغار على نابلس ونهبها وغنم ما فيها ثم سار الى سبسطيه وبها مشهد زكريا عليه السلام وبها كنيسة وجماعة من أسرى المسلمين فاستنقذهم ورحل الى جينين فنهبا وخربها وعاد الى دمشق ونهب ما على طريقه وخربه وبث السرايا في طريقه يميناً وشمالاً يقيمون ويخربون.

## \* مرض السلطان وصلحه مع عز الدين صاحب الموصل \*

في سنة ٥٨١ سار السلطان بعساكره قاصداً الموصل فوصاها وحاصرها وضايق أهائها ثم أصابه مرض وهو يقيم الحصار فاغتنم عز الدين صاحب الموصل فرصة مرضه وأرسل اليه يطالب الصالح فصالحه بشروط ان تبقى البلاد بيد

عز الدين ويخطب للسلطان فيها وان السلطان اذا طلب عسكرياً للجهاد يكون عز الدين ملزوماً بالسفر بنفسه للمساعدة ثم رجع السلطان الى حران وهو مريض واشتد به المرض حتى يش الناس منه وسافر اليه أخوه العادل ومعه الاطباء من حاب وعاده جميع الامراء والمساکرو في أثناء مرضه أشار عليه بعض الزائرين ان ينذر لله نذراً اذا شفاه الله من مرضه هذا وهو ان يشتغل بفتح البيت المقدس وانه لا يصرف بقية عمره الا في قتال الاعداء الصليبيين ثم أخذ السلطان في التقدم في الشفاء من ذلك المرض شيئاً فشيئاً الى ان عوفي تماماً ففرح جميع المسلمين بذلك

\* وفاة بودوين الخامس وولاية غوي دي لوزيانا \*

في سنة ٥٨١ توفي الملك بودوين الخامس ابن أخت بودوين الرابع وهو صغير السن كما تقدم وكانت مدة حكمه سنتين وكان النائب عنه البرنس رايموند صاحب طرابلس وقبل وفاة المذكور بأيام قليلة توفي بودوين الرابع الذي كان كيفية وتنازل عن الملك كما تقدم ثم بعد وفاة بودوين الخامس تولت المملكة والدته سيديلا أخت بودوين الرابع وتنازلت عن الملك لزوجها غوي دي لوزيانا وأبسته التاج أمام القسوس والبطاركة ورؤساء جمعية ماري يوحنا المعمدان وجمعية الهيكلين وأمرتهم باتباع أحكامه وأوامره فاجابوها بالسمع والطاعة وصار من ذلك الوقت ١٠٠٠ على القدس

\* حساب المنجمين بخراب الكون \*

في سنة ٥٨٢ حكم الفلكيون رصاد ان نجوم انه في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة تقترن الكواكب السيارة الخمس والشمس والقمر في برج الميزان ويشير ذلك هواء عظيماً وغيماسمومياً وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين تهلك جميع البلاد وتحمل الرمل وقالوا يكون أشد ذلك من

ليلة الثلاثاء الى نصف ليلة الاربعاء وخوفوا من ذلك جميع ملوك المعجم  
والروم وأشعروهم بتأثيرات النجوم فشرعوا في حفر مغارات في التخوم  
وتعميق السرايب وتوثيقها وسد منافسها على الريح ونقلوا اليها الماء والزاد  
وانقلوا اليها وانتظروا الميعاد وخاف كذلك جميع الرعايا في كل البلدان ولما  
جاءت ليلة الميعاد فكانت ليلة هادية وما تحرك فيها ريح قط فخزي أهل التنجيم  
من ذلك وسمت الشعراء في كذبهم أشعرا قال أبو القنائم منها

قل لابي الفضل قول معترف مضي جمادي وجاءنا رجب  
وما جرت زعزع كما حكموا ولا بدا كوكب له ذنب  
كلا ولا أظلمت ذكاء ولا أبدت أذى في قرانها الشهب  
يقضى عليها من ليس يعلم ما يقضى عليه هذا هو العجب  
فارق بتقويمك الفرات والاصطرلاب خير من سفرة الخشب  
قد بان كذب المنجمين وفي أى مقال قالوا فما كذبوا  
مدبر الامر واحد ومتى للسبع في كل حادث سبب  
لا المشتري سالم ولا زحل باق ولا زهرة ولا قطب  
تبارك الله حصحص الحق وانجواب التماذي وزالت الريب  
فليطل المدعون ما وضعوا في كتبهم ولتتحرق الكتب

\* (اختلاف الصليبيين وانحياز رايونند الى السلطان صلاح الدين) \*

كان رايونند صاحب طرابلس وصياً على بودوين الخامس ولما توفي  
بودوين وتولى بعده زوج أمه غوى دي لوزينانا طالب البرنس رايونند بحساب  
ما جباه من الاموال مدة ولاية الصبي فادعي انه انفق عليه وزاده ذلك الامر  
نفوراً وكدراً وجاهر بالعداوة وراسل السلطان صلاح الدين وانتمى اليه  
واعترضه به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج الصليبيين ففرح

صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعدوه النصر والسعي له في كل ما يريد وضمن له ان يجمله ملكا مستقلا للصليبيين قاطبة وكان عنده جماعة من فرسان رايونند أسرى فاطلقهم فحل ذلك عنده أعظم محل واطهر طاعة صلاح الدين ووافقته على ما فعل جماعة من الصليبيين فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم وكان ذلك في سنة ٥٨٢ هـ بحريه

\* غدر رانود صاحب الكرك بالهدنة \*

كان البرنس رانود صاحب الكرك من أشد أعداء المسلمين وكان يوالى غدراتهم وكان السلطان يحاصره المرة بعد الاخرى حتى أذله فخضع وطلب الهدنة فهادنه وتحالفا بعدم التعرض لاحد وترددت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام ففي هذه السنة اجتازت به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة من الجنود كانت واردة من مصر فغدر رانود بهم وأخذهم عن آخرهم وغنم أموالهم ودوابهم وسلاحهم وادعهم السجن فناشدوه الله والصلاح الذي بينه وبين المسلمين فاستخف بهم وقال قولوا لمحمدكم يخلصكم فباغ ذلك السلطان وراسله في اطلاقهم فابي فغمله الدين والحمية على انه نذر ان ظفر به قتله

\* واقعة صفورية وحصار الكرك \*

في أول محرم سنة ٥٨٣ برز السلطان من دمشق في العسكر العرمرم فلما وصل الى رأس الماء أمر ولده الملك الافضل بالاقامة هناك لمقابلة الامراء القادمين لمساعدته من جميع البلاد وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر السلامه ثم سار ونزل على الكرك واخاف أهله وأخذ ما كان حوله ورعي زرعههم وقطع أشجارهم وكرومهم ثم سار الى الشوبك وفعل به مثل ذلك ووصل عسكر مصر فتلقاه وفرقه على أعمال القلعتين وأقام على هذه الحالة شهرين

والملك الافضل مقيم برأس الماء ومعه جميع المساكر القادمة ينتظر أمراً  
من أيه فلما طال به الانتظار سار بسرية منهم قاصداً الاغارة على أعمال  
طبرية حتى أصبح صفورية فخرج اليهم الصليبيون من جمعية الهيكليين (الداويه)  
وجمعية ماري يوحنا المعمدان (الاستباريه) واقتتلوا قتالاً شديداً وخرج من  
الصليبيين فارس راكب حصاناً ابيض وهو يدعي يعقوب دى مالى رئيس  
الاستباريه وهجم على المساكر الاسلاميه فقتلوه وقتلوا باقي قومه وأسروا  
اكثرهم وأيقن باقي الصليبيين بالهلاك وهرب مقدم الهيكليين وعادت المساكر  
الاسلاميه سالمة غانمة فكانت هذه الواقعة باكورة البركات وجاءت البشرى الى  
السلطان وهو على الكرك والشوبك فسار السلطان حتى خيم بعشترانم سار حتى  
قابل المساكر الاسلاميه فعبى العسكر قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشية  
وساقة وعرف كل منهم موضعه وسار على تعبئة فنزل بالاخوانة بقرب طبرية  
وكان البرنس رايبوند المنتمى لصلاح الدين قد اصطاح مع قومه لان ملكهم  
غوى قد أرسل له البطرك والقسوس والرهبان فقالوا له لاشك انك أسلمت  
والا لما كنت تصبر على ما فعله المسلمين في صفورية وتهدهد البطرك ان يجرمه  
فلما رأى رايبوند شدة الامر عليه خاف واعتذر وتاب وسار معهم الى القدس  
وتصالح مع الملك غوي

### \* فتح طبرية ومجلس مشورة الصليبيين \*

لما رأى الصليبيون ما حصل لهم جمعوا عساكرهم باراضي صفورية . ثم  
عرض السلطان عساكره في منتصف ربيع الآخر على تل يعرف بتل تسيل  
ورتبهم واندفع قاصداً بلاد العدو في وسط نهار الجمعة وكان دائماً يقصد بوقعته  
الجمع لاسيا أوقات صلاة الجمعة تبركا بدعاء الخطباء على المنابر فر بما كانت أقرب  
الى الاجابة فسار ونزل على بحيرة طبرية غربى المدينة على سطح الجبل لتعبية

الحرب منتظراً ان الصليبيين اذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من مكانهم  
ولا فارقوا خيامهم فنزل وأمر عساكره بالنزول امام عساكر الصليبيين لاجل  
منعهم من القتال ونزل بجريدة من عسكره الى طبرية وقاتلها ونقب بعض ابراجها  
وأخذ المدينة عنوة في ساعة ولجأ من بها الى قلعها فامتنعوا بها وفيها زوجة رايونند  
وأولاده فهب المدينة واحرقها ولما بلغ الصليبيون ما فعله صلاح الدين من أخذ  
طبرية واحرقها بهدسب ما بها عقدوا مجلسهم للمشورة بمدينة القدس فقام رايونند  
وقال اني متنازل عن مدينة طبرية لاعدو ويلزنا التجمع حول القدس لحفظه  
من العدو لاني ما رأيت قط جيشاً مثل هذا ذاقوه وبطش فقام رانود صاحب  
الكرك وقال له قد أطلت في التخويف من المسلمين ولاشك انك تريد تميل  
اليهم والاما كنت تقول هذا وأما قولك انهم كثيرون فان النار لا يضرها كثرة  
الحطب فقال رايونند ها أنا واحد منكم وبين أيديكم فقرروا بمسير العساكر  
الى مرج صفورية فزحفوا وكان امامهم رايونند مع عساكره وغوى سلطان  
القدس مع الفرسان الهيكليين (الداوية) وضياف الغربا أي جمعية ماري يوحنا  
المعمدان (الاسبتارية) كانوا وراء الجيوش بصفة خفراء وكان في الوسط باقي  
الصليبيين مع مطران عكا حاملا الصليب الحقيقي (صليب الصلبوت الذي صلب  
عليه المسيح كإيدعون) فلما بلغ ذلك السلطان صلاح الدين عاد عن طبرية الى  
عسكره وكان قريباً منه وانما كان قصده من محاربة طبرية ان الصليبيين  
يقارقون مكانهم ليقاتلهم وكان المسلمون قد نزلوا على الماء وكان الوقت يميل  
شديد الحر فحصل للصليبيين عطش ولم يتمكنوا من الوصول الى ذلك الماء من  
المسلمين وقد افنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكنوا من الرجوع خوفاً من  
المسلمين فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم الجمعة وقد أخذ العطش منهم وأما  
المسلمون فانهم طمعووا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يمرض بعضهم بعضاً  
وقد وجدوا ربح النصر والظفر وكلما رأوا حال الصليبيين بخلاف عادتهم مما

ركبهم من الخذلان زاد طمعهم وجراعتهم فكثروا التكبير والتهايل طول ليالهم  
ورتب السلطان تلك الليلة الجاليشية وفرق فيهم النشاب

**\* واقعة حطين وأخذ المسلمين صليب الصلبوت \***

لما كان صبح يوم الجمعة ٢٣ ربيع آخر ركب العسكران وتصادما وذلك  
بارض قرية تسمى الاوييا ولم يزل القتال مشتبكا الى ان حال بينهم الظلام  
وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة ما لم يروه السابقون وبات كل فريق  
شاكياً سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وفي صباح يوم السبت ٢٤ منه ركب  
السلطان وتقدم الى الصليبيين وركبت الصليبيون بترتيبهم السابق حتي اذا دنا  
بعضهم من بعض اقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان ورمي جاليشية المسلمين  
من النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الصليبيين كثيراً فاجتمع  
الصليبيون وقد اشتد بهم العطش وهم يقاتلون فساروا نحو طبرية لعلهم يردون  
الماء فلما علم السلطان صلاح الدين ذلك صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر  
في وجوههم وطاف بنفسه في المسلمين يحرضهم ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم  
عما يضرهم والناس يتبعون أوامره فحمل مملوك من ممالكة الصبيان حملة  
منكرة على صف الصليبيين فقاتل قتالا عجب منه الناس ثم تكاثر الصليبيون  
عليه فقتلوه فلما قتل حمل المسلمون حملة منكرة ضعضعوا معها الصليبيين وقتلوا  
منهم كثيراً فلما رأى رايغوند شدة الامر وعلم ان لا طاقة لهم على المسلمين  
اتفق هو وجماعة وحملوا على من بينهم وكان مقدم المسلمين في تلك الناحية  
تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين فلما رأى حملة الصليبيين حملة مكروب  
علم ان لا سبب للوقوف في وجوههم أمر أصحابه ان يفتحو الهم طريق يخرجون  
منه وكان بعض المتطوعة قد اشمل في تلك الارض نارا فالتهب الهشيم  
الكثير وهبت الريح فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر

الزمان وحر النار والدخان وحر القتال وانهزم رايوند وتبعه بعض عسكره  
وحمل الصليبيون حملات متداركة فكانوا يحملون الحملة فيرجعون وقد قتل منهم  
كثير فوهنت لذلك قواهم وهنا عظيما فاحاط بهم المسلمون احاطة الدائرة  
بقطرها واعتصم من بقي من الصليبيين بتل حطين وهي قرية هناك عندها  
قبر النبي شعيب عليه السلام وأرادوا ان ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم بها  
فاشدد عليهم القتال من سائر الجهات ومنعواهم عما أرادوا ولم يتمكنوا الا من  
نصب خيمة ملكهم وأخذ المسلمون صليبهم الاعظم (صليب الصلبوت) فكان  
ذلك عليهم من أعظم المصائب وأيقنوا بعده بالقتل والهلاك ودام فيهم القتل  
والاسر وبقى الملك على التل في قسم من جيشه ومعه الامراء والقواد فحمل  
عليهم المسلمون حملة شديدة حتى هلك الصليبيون قزلوا عن خيولهم  
وتراموا الى الارض فاخذتهم العساكر الاسلامية أسرى باليد وكان في جملتهم  
الملك غوي ملك القدس والبرنس رانود صاحب الكرك والشوبك وجميع  
ضباط الصليبيين حتى كان من يرى القتلي لا يظن انهم أسروا أحداً ومن يرى  
الأسرى لا يظن انهم قتلوا أحداً ولم يصب الصليبيون منذ خرجوا من بلادهم  
الى فلسطين أى من سنة ٤٩١ الى الآن بمثل هذه الواقعة فلما فرغ المسلمون  
من ذلك نزل صلاح الدين في خيمته وأحضر ملك الصليبيين غوي دى لوزينانا  
ورانود دى شانيلون صاحب الكرك وأجلس الملك غوي الى جانبه وقد أهلكه  
العطش فسقاه ماء مثلوجا فشرب وأعطى الباقي الى رانود فشرب فقال السلطان  
صلاح الدين لترجمان ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذني بل الذي سقاه  
الملك وكان من جميل عادة العرب ان الاسير اذا أكل أو شرب من مال من  
أسره أمن فقصده السلطان بقوله هذا ان الملك غوي أمن وأما رانود فلم يأمن ثم  
أمر السلطان بمسيرهم الى موضع معين لنزولهم فمضواوا أكلوا شيئاً ثم استحضرهم  
بين يديه فاقعد الملك غوي في الدهليز وأوقف رانود وقال له على ما حصل



منه ثم قال السلطان ها أنا انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عرض عليه الاسلام فابى ثم سل سيفه وضربه بنفسه فطار هامته فسحب الى باب الحيمة فارتعدت فرائص الملك ولم يشك في انه يثنى به فاستحضره وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك أما هذا فانه جاوز الحد

\* (أخذ قلعة طبرية) \*

لما فرغ السلطان من هذه الواقعة في يوم السبت أقام بموضعه باقى يومه فلما أصبح يوم الاحد ٢٥ ربيع آخر عاد الى طبرية ونازلها فارسلت صاحبته زوجة رايونند صاحب طرابلس تطلب الامان لها ولاولادها وأصحابها وما لها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فماتت آمنة ثم أمر الملك غوى وجماعة من أعيان الصليبيين الاسرى فارسلوا الى دمشق وأمر بمن أسر من الداوية (الهيكلين) والاسبتارية (جمعية ماري يوحنا) الرهبانيين بان يجمعوا ليقتلهم وأمر بان كل من عنده أسير منهم يأخذ بدله خمسين ديناراً مصرياً ولما جمعوهم أمر بقتلهم وقد خص هؤلاء بالقتل لانهم أشد شوكة من جميع الصليبيين فراح الناس من شرهم وكتب الى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم اما القمص رايونند صاحب طرابلس الذي هرب من الوقعة السابقة فانه ذهب الى صور ثم قصد طرابلس ولم يلبث الا أياماً قلائل ومات ومدح العماد السلطان بقصيدة منها

يا يوم حطين والابطال عابسة	وبالهجاجة وجه الشمس قد عبسنا
رأيت فيه عظيم الكفر محترراً	معفراً خده والانف قد تمسنا
يا طهر سيف برى رأس البرنس فقد	أصاب أعظم من بالشرك قد نجسنا
وغاص اذطار ذاك الرأس في دمه	كأنه ضفضع في الماء قد غطسنا
ما زال يعطس مزكوماً بقدرته	والقتل تسميت من بالقدر قد عطسنا

عري ظباه من الاغمد مهركة دما من الشرك ردا هابه وكسا  
 من سيفه في دماء القوم منعس من كل من لم يزل في الكفر منعسا  
 افناهم قتلهم والاسر فانتكسوا وبيت كفرهم من خبثهم كنسا

### ﴿ فتح عكا وغيرها من الحصون ﴾

لما فرغ السلطان من طبرية سار عنها في يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع آخر سنة  
 ٥٨٣ ووصل الى عكا يوم الاربعاء ٢٨ منه وقد صمد أهلها على سورها يظهرون  
 الامتناع والحفظ فتمجب السلطان لانهم علموا ان عساكرهم من فارس وراجل  
 بين قتيل وأسير وانه لم يسلم منهم الا القليل الا انه نزل يومه وركب يوم الخميس  
 ٢٩ منه وقد صمم على الزحف على البلد وقتاله فينها هو يمن النظر في اختيار  
 الجهة التي يزحف منها ويقا تل اذ خرج كثير من أهلها يطلبون الامان  
 فاجابهم الى ذلك وأمنهم على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وخيرهم بين الإقامة  
 والظعن فاختاروا الرحيل خوفاً من المسلمين وساروا عنها متفرقين وحملوا  
 ما أمكنهم حمله من أموالهم وتركوا الباقي على حاله ودخل المسلمون اليها يوم  
 الجمعة غرة جماد الاولى وصلوا بها الجمعة في جامع كان للمسلمين قديماً جعله  
 الفرنج بيعة لهم ثم جعله صلاح الدين جامعاً وهذه أول جمعة أقيمت بالساحل  
 الشامي بعد ان ملكه الصليبيون واستقذ ما كان بها من أسرى المسلمين وهم  
 ماينوف عن أربعة آلاف مسلم وسلم البلد الى ولده الافضل وأعطى جميع  
 ما كان في البلد ملكاً للداوية (المبكيين) للفقير عيسى وغنم المسلمون ما بقي  
 مما لم يطق الصليبيون حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فزأوا فيها من  
 الذهب والجوهر والسقلاط والبندق والسلاح وغير ذلك من الامتعة كثيراً  
 لانها كانت مينا عمومية لتجار الافرنج والروم وغيرهم ففرق صلاح الدين وابنه  
 الافضل ذلك جميعه على أصحابهما وفي مدة إقامة السلطان في عكا أرسل عساكره

الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعلبا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد  
المجاورة لمدينة عكا فلما كوها ونهبوها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وقدموا من  
ذلك ماسد الفضة وأرسل صلاح الدين الى أخيه العادل بمصر يبشره بما فتحه  
الله على يديه ويأمره بالمسير الى بلاد الصليبيين من جهة مصر بمن بقي عنده من  
العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار عن مصر فنازل حصن  
مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وسار الى مدينة يافا وهي على الساحل فحصرها  
وملكها عنوة ونهبها وأسرى الرجال وسبى الحريرم وجرى على أهلها ما لم يجز على  
أحد من تلك البلاد وورد كتابة بذلك الى صلاح الدين . وقد سير السلطان  
حسام الدين عمر بن لاجين في عسكر الى نابلس فأتى بنسبطينه وبها قبر زكريا  
عليه السلام فاخذ من أيدي الصليبيين وسلمه الى المسلمين ووصل الى نابلس  
فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من فيها بالامان وتسلم القلعة وأقام أهل البلد به  
وأقرهم على أملاكهم وأموالهم . وسير تقي الدين فنزل على تبين ليقطع الميرة عنها  
وعن صور

### \* (فتح تبين وصيدا وجبيل ويروت) \*

لما وصل تقي الدين الى تبين نازلها وأقام عليها فإي حصرها لا يتم الا  
بوصول عمه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه بالامر ويحثه على المسير اليه فرحل  
من عكا في ثامن جمادى الاولى ونزل عايبا في ١١ منه فحصرها وضايقها وقتلها  
وهي من القلاع المنيعه على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر أطلقوا  
من عندهم من أسرى المسلمين وهم يزبدون على مائة رجل فلما انضموا الى  
عسكر السلطان أحضرهم اليه وكساهم واعطاهم نفقة وصيرهم الى أهلهم وبقي  
الصليبيون محصورين خمسة أيام ثم أرسلوا يطلبون الامان فانهم على انفسهم  
فسلموا اليه ووفى لهم وسيرهم الى ما منهم ثم سار السلطان الى صيدا فاجتاز

بطريقه بصرفند فاخذها صفواً عفواً بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهي  
 من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحو سار عنها وتركها خالية  
 من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله فلما في ٢١  
 منه ثم سار عنها في يومه نحو بيروت وهي من أحسن مدن الساحل وأنزهها  
 وأطيبها فوصل اليها من الغد فرأى أهلها قد صدوا على سورها وأظهروا القوة  
 والجلد وقاتلوا على سورها قتالاً شديداً واغرتوا بحصانة البلد وظنوا انهم  
 قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرة بعد أخرى فينما الصليبيون  
 يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وضوضاء زائدة فاتاهم من أخبرهم  
 أن البلد قد دخله المسلمون من الناحية الأخرى قهراً وغلبة فأرسلوا  
 الرسل يستظلمون فلم يجدوا أحداً فارادوا تسكين الخواطر فلم يمكنهم  
 ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على أنفسهم من الاختلاف  
 الواقع أرسلوا يطلبون الامان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم وتسلمها في ٢٩  
 منه فكانت مدة حصرها ثمانية أيام وفي أثناء حصار بيروت كان صاحب  
 جبيل من جملة الأسرى المسجونين بدمشق ففاوض نائب السلطان بدمشق  
 في تسليم جبيل بشرط اطلاقه فأعلم صلاح الدين بذلك فأحضره اليه  
 مقيداً فلم حصنه للعساكر الإسلامية وأطلق مابه من أسرى المسلمين وأطلقه  
 السلطان كما اشترط

### ✽ فتح عسقلان وما يجاورها من البلاد والحصون ✽

لما ملك السلطان بيروت وجبيل وغيرها لم يبق عنده أهم من فتح  
 عسقلان والقدس فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع بأخيه العادل ومن  
 معه من عساكر مصر فأنزلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان  
 صلاح الدين قد أحضر الملك غوى ومقدم الداوية (الهيكلين) اليه من دمشق

وقال لهما ان سلمتما لى البلاد فلكما الامان فأرسلا الى من بمسقلان من الصليبيين يأمرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا أمرهما وردوا عليهما أقبح رد فلما رأى السلطان ذلك جدى فى قتال المدينة ونصب المنجنيقات عليها وزحف مرة بعد أخرى وتقدم الثقابون الى السور فنالوا من باشورته شيئاً وصار ملكهم يكرر لهم الارسال بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انه اذا أطلق من الاسر أضرم البلاد على المسلمين ناراً واستنجد بأهل أوروبا وأجلب الخيل والرجال من أقاصى البلدان وهم لا يجيبون الى مايقول ولا يسمعون مايشير به ولمسأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفاً ووهناً واذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضاً ولا لهم نجدة ينتظرونهار اسلوا صلاح الدين فى تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم اليها وكان قد قتل أثناء الحصار من الامراء الاكابر حسام الدين ابراهيم بن حسين المهراني فخاف الصليبيون ان تأخذ عشيرته منهم بثاره اذا خرجوا فاحتاطوا بذلك فيما اشترطوا لانفسهم فأجيبوا الى ذلك جميعه وسلموا المدينة فى آخر شهر جمادى الآخرة وكانت مدة الحصار أربعة عشر يوماً وسيرهم صلاح الدين ونساءهم وأموالهم وأولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم الامان. وأقام السلطان بظاهرها وبث السرايا فى اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزه ومشهد ابراهيم الخليل عليه السلام وتبين وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وجميع ما كان للداوية

### ﴿ فتح البيت المقدس شرفه الله ﴾

لما تسلّم السلطان مسقلان والاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساعد الجدى والاجتهاد فى قصده واجتمعت اليه المساكر التى كانت متفرقة فى الساحل بعد قضاء لباتها من النهب والقارة فسار نحوه معتمداً على الله منتهزاً فرصة فتح باب

الخير الذي حث على انهازه اذا فتح بقوله عليه الصلاة والسلام ( من فتح له  
 باب خير فليتهزه فانه لا يعلم متى يفلق دونه ) وكان القدس مملوفاً من الصليبيين  
 حتى قدرهم بعض المؤرخين بستين الف مقاتل ماعدا النساء والصبيان والجميع  
 بدون ملك فلذلك انتخبوا عليهم رئيساً عسكرياً وهو باليان دي ايبالين فاجتهد  
 في الاستعداد لمحاصرة المدينة من داخلها . وسار السلطان صلاح الدين الى أن  
 قرب من المدينة فارسل الى الصليبيين رسولا من قبله يخاطبهم بما يأتي حسب  
 تقرير مؤرخي فرانساً قائلاً لهم ( اني انا نظيركم اعرف ان اورشليم ) ( القدس  
 هي بيت الله فاننا لست آتياً لكي ادنس قداستها بسفك الدماء فانتم اتركوها لي  
 وانا اخصصكم بقسم من خزائني وأعطيك اراضي بمقدار ما تستطيعون أن  
 تقوموا باعمالها ) . فاجابه سكان المدينة بقولهم ( اننا لانقدر أن نترك لك مدينة  
 قدمت فيها الهنا بالجسد وباكثر من ذلك نحن لانقدر أن نبيعها انتهى ) وكان  
 السلطان قد ارسل الى مصر يطلب الاسطول الذي به في جمع من المقاتله  
 ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة فسار  
 الاسطول يقطع الطريق على الافرنج بحرراً ويفتن ما يجده من مراكبهم  
 واجتمع الصليبيون ببيت المقدس كما تقدم وحصنوه بما وجدوا اليه سيلاً  
 وصعدوا على سورهم وحديدتهم مجتمعين على حفظه والذب عنه بجهدهم  
 وطاقهم مظهرين العزم على المناضلة بقدر استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات  
 ليمنعوا من يريد الدنومنه والنزول عليه ولما قرب صلاح الدين زحف فرحاً  
 الى القدس الامير جمال الدين شروين بن حسن الزرزارى فقابله فريق من  
 الصليبيين كان قد خرج للاستطلاع فقاتله ليلا في موضع يعرف بالقيديات فاستشهد  
 رحمه الله ولما علم بذلك صلاح الدين أسرع بالمسير ونزل على القدس في منتصف  
 رجب سنة ٥٩٣هـ بالجانب الغربي وكان مشحوناً بالمقاتلة من الفرسان والرجال



(صورة بيت المقدس عند الفتح)

ثم انتقل الى الجهة الشمالية نحو باب عمودا وكنيسة صهيون في عشرين منه ونصب  
تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمي بها ونصب الصليبيون  
على السور منجنيقات ورموا بها وقتلوا أشد قتال لان كل واحد من الفريقين  
كان يرى ذلك القتال دينياً وحمماً واجباً فلا يحتاج فيه الى أمر سلطاني وكانت  
فرسان الصليبيين تخرج كل يوم الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل خلق  
كثير من الفريقين ومن استشهد من المسلمين الامير عز الدين عيسى بن  
مالك وهو من اكابر الامراء وابوه صاحب قلعة جسر وكان عز الدين يباشر  
القتال كل يوم بنفسه فقتل وكان محبوباً عند الخاص والعام فلما رأى المسلمون  
مصرعه عظم عليهم فحملوا حمله رجل واحد فازالوا الصليبيون عن مواقعهم  
وادخلوهم بلدهم وزحفوا الى الخندق فاجتازوه ووصلوا الى السور فقبوه  
وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات ترمي دراكاً وتمكن النقبون من عملهم  
ولما علم الصليبيون انهم قد انصرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم للمشاورة فيما  
يفعلون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس الى صلاح الدين  
فارسلوا جماعة من كبارهم واعيانهم في طاب الامان فلما ذكروا ذلك

لسلطان امتع من اجابتهم وقال لاأفل بكم الا كما فعلتم باهله المسلمين حين  
 ملكتموه سنة ٤٩٢ هجرية من القتل والسبي وجزاء السيئة بمنلها فلما رجع  
 الرسل خائبين محرومين ارسل باليان دي ايالين رئيسهم العسكري وطلب  
 الامان لنفسه ليحضر الى السلطان صلاح الدين في هذا الامر فاجيب الى ذلك  
 وحضر عنده ورغب في الامان وسأل فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم  
 يعطف فلما يش من ذلك قال له ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في  
 خلق كثير لا يعلمهم الا الله انما هم يفترون عن القتال رجاء الامان ظانين  
 انك تجيبهم اليه كما جبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا  
 رأينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن ابناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وامتنا ولا  
 نترككم تقتمون منها ديناراً واحداً ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلاً  
 ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من  
 المواضع ثم تقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا  
 نترك لنا دابة أو حيواناً الاقتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد ان  
 يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل منا حتى يقتل امثاله وتموت اعزاء  
 أو نظفركر اماً فاستشار صلاح الدين أصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان والا  
 يخرجوا ويحملوا على ركوب مالا يدرى عاقبة الامر فيه عن أى شىء تنجلي  
 وقالوا نحسب انهم اسارى بايدينا فديبهم نفوسهم بما يستقر بيننا ويديهم  
 فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للصليبيين فاستقر ان يؤخذ عن  
 الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى والفقير ومن كل طنبل من الذكور أو  
 الاناث دينارين ومن كل امرأة خمسة دنانير فمن أدى ذلك الى أربعين  
 يوماً فقد نجح وان انقضت الاربعون يوماً عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكاً  
 فاجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرون من رجب سنة  
 ٥٨٣ هـ فى صباح ليلة المعراج وكان يوماً مشهوداً ورفعت الاعلام الاسلامية



علي أسوار المدينة ورتب صلاح الدين على أبواب البلد في كل باب أميناً من  
الامراء ليأخذوا من أهله ما استقر عليهم فاستعملوا الحيانة ولم يحفظوا في  
عملهم الامانة واقتسم الامناء الاموال ولو أدت كلها ملأت الخزائن لان  
المدينة كانت مملوأة لكثرة ما اجتمع فيها من عسقلان والداروم والرملة وغزه  
وغيرها ودفع باليان ثلاثين الف دينار وبقى بعد ذلك من لم يكن معه ما يعطى  
وأخذ أسيراً نحو ستة عشر الف مابين رجل وامرأة وصبي ثم قام جماعة  
من الامراء ادعي كل واحد منهم ان جماعة من رعية اقطاعه مقيمون بالبيت  
المقدس فكان يطلق ويأخذ هو قطيعتهم واحتال آخرون بان البسوا الصليبيين  
زى الجنود المسلمين وأخرجوهم وأخذوا منهم قطيعة قرروها واستوهب جماعة  
من صلاح الدين عدداً من الصليبيين فوهمهم ايم فآخذوا قطيعتهم ولم يصل  
خزائن السلطان الا القليل وكان بالقدس الملكة سيليا زوجة الملك غوى  
المأسور وزوجة البرنس رانود وغيرهم من نساء مقدمى الصليبيين فاطلقتهم  
بخدمتهم وحشهم واستأذنته الملكة سيليا في المسير الى زوجها الملك غوى وكان  
محبوساً بقلعة نابلس فاذن لها فتوجهت اليه واقامت عنده وأتته امرأة البرنس  
رانود وطابت اطلاق ولدها محبوس في الاسر فقال لها صلاح الدين ان سامتى لى  
قلعة الكرك أطلقته فتوجهت الى الكرك فليرض الصليبيون الذين بها تسليمها  
فلم يطلق ولدها وخرج البطريرك الاورشليمي ايراكلوس يديه الاكبروس  
ومعهم الاواني المقدسة مع خزنة كنيسة قبر المسيح وغيرها وكان له من المال  
كثير فقيل للسلطان ان يأخذ ما معه فقال لا أعدر به وسير الجميع مع من  
يحميهم الى مدينة صور وكان هذا اليوم يوم فرح وافتخار لحيش المسلمين فتقاطر  
الشعراء من سائر الانحاء تهنئة السلطان صلاح الدين بما آتاه الله من الفتح ونظمو  
القصائد وألقت الخطب وسالت أفلام الكتاب وفاضت قرانهم فكانت ترى  
فيهم اما خطيباً يبشر ويحرض واما شاعراً يحمده الله ويمدح الفتح أو مؤثراً يذكر

الحادثة بما فيها من الفخر لجيش الاسلام وقد اشار العماد في قصيدة طويلة الى ذلك منها

قل لاهليك صلاح الدين اكرم من  
من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى  
أثر على يوم انطرسوس ذا لجب  
واخل ساحل هذا الشام أجمه  
ولا تدع منهم نفساً ولا نفساً  
نزلت بالقدس فاستفتحتهم ومتى  
وقال أبو الحسين بن جبير الاندلسي من قصيدة

هو الفاتح البيت المقدس بعد ما  
فضيلة فتح كان ثاني خليفة  
تحامته سادات الدنا ومسودها  
من القوم مبدئها وأنت معيدها

وقال الرشيد بن بدر النابلسي من قصيدة طويلة

هذا الذي كانت الآمال تنتظر  
بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت  
حين به حان هلك المشركين فيا  
الآن قرت جنوب في مضاجعها  
فليسوف لله أقوام بما نذروا  
في سالف الدهر أخبار ولا سير  
لله طيب العشايا منه والبكر  
يا بهجة القدس اذا ضحى به علم الاسلام من بعد طي وهو منتشر

وقال فخر الكتاب أبو علي الحسن بن علي الجويني المقيم بمصر من أهل بغداد  
هذه القصيدة في الفتح وهي مشتملة على ذكر ملوك الاسلام واهمهم له تسعين عاماً حتى  
تجرد له صلاح الدين نذكر منها ما يأتي

جند السماء لهذا الملك أعوان  
مقي رأى الناس ما تحكيه في زمن  
من شك فيهم فهذا الفتح برهان  
وقد مضت قبل أزمان وأزمان  
له سوى الشكر بالافعال ائمان  
هذا الفتوح فتوح الاثياء وما

أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده صيدا وما ضعفوا يوماً وما هانوا  
 كم من فحول ملوك غودروا وهم خوف الفرنجة ولدان ونسوان  
 استصرخت بملكشاه طرابلس نخام عنها وصمت منه آذان  
 هذا وكم ملك من بعده نظر الاسلام يطوى ويحوى وهو سكران  
 تسمون عاماً بلاد الله تصرخ والاسلام أنصاره صم وعميان  
 فالآن لبي صلاح الدين دعوتهم بامر من هو للمعوان معوان  
 للناصر ادخرت هذه الفتوح وما سمت لها همم الاملاك مذ كانوا  
 حباه ذو العرش بالنصر العزيز فقا ل الناس داود هذا أم سليمان  
 في نصف شهر غدا للشرك مصطاماً فطهرت منه اقطار وبلدان  
 فاين مسامة عنها وأخوته بل أين والدهم بل أين مزوان  
 وعد عما سواه فالفرنجة لم يبدهم من ملوك الارض انسان  
 لو ان ذا الفتح في عصر النبي لقد تنزلت فيه آيات وقرآن  
 يا قبح أوجه عباد الصليب وقد غدا يبرقها شؤم وخذلان  
 خزنت عند اله العرش سائر ما ملكته وملوك الارض خزان  
 قاله ببيك للاسلام تحرسه من ان يضام ويأتي وهو حيران  
 وهذه سنة أكرم بها سنة فالكفر في سنة والنصر يقظان  
 يا جاماً كلمة الايمان قانع من معبوده دون رب العرش صلبان  
 اذا طوي الله ديوان العباد فما يطوى لاجر صلاح الدين ديوان

### ﴿ اظهار محراب المسجد الاقصى والصخرة ﴾

#### ﴿ المقدسة ومحراب داود ﴾

لما دخل السلطان صلاح الدين بيت المقدس في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة  
 ٥٨٣ كما تقدم لم يتمكن من اقامة صلاة الجمعة في هذا اليوم لان الصليبيين كانوا

قد بنوا على محراب المسجد الاقصى مخزناً للقلال وبنيت جمعية الهيكليين غربيه داراً كبيره لسكناها و عملوا فيها ما يحتاجون اليه من مراحيض وغيره فامر السلطان بازالة جميع ما احدثوه من المباني وكان على رأس قبة الصخرة المقدسة صليب كبير مذهب قسطنطين جماعة من المسلمين انى اعلى القبة وأنزلوه فهتف المسلمون بالتكبير والتهليل واما الصليبيون فصاحوا تفجعوا وتوجعا فسمع الناس صيحة كادت ان تميدهم لعظمتها وشدتها وكان الصليبيون قد بنوا عليها بناية وذلك ان البطارقة والقسوس كانوا يقطعوا منها ما يبيعونه لملوك أوروبا والزائرين تبركها وكانوا يشترونه بوزنه ذهباً وكان احدهم اذا رجع الى بلاده باليسير منه بئى له كنيسة وجعله في مذبحةا



(صورة الكنيسة التي بنيت على الصخرة المقدسه)

فشفق عليها أحد ملوكها وبنى عليها اعمام مسها فامر السلطان بازالة ما عليها من المباني أيضاً وأمر بتطهير ذلك جميعه وكان السلطان يكنس بيده وبمد الفراغ من كنس الصخرة والمسجد الاقصى أمر بنفسها

بالماء مراراً ثم غسلها بنفسه بماء الورد وأمر باطلاق البخور عليها ثم فرش  
المسجد ومحل الصخرة بالبسط الفاخرة وأمر باعمال منبر من خشب لتأدية  
صلاة الجمعة القابلة ريثما يصل المنبر الذي كان قد أمر بصنعه الملك العادل محمود  
نور الدين اتابك لوضعه بالقدس لانه كان عازماً على فتحه ومات ولم يتم ما عزم  
عليه فامر بوضعه في حلب . وأما محراب داود عليه السلام فانه كان خارج  
المسجد الاقصى في حصن منيع عند باب المدينة وموضع عال رفيع وهو الحصن  
الذي يقيم به الوالى فرتب السلطان له اماماً ومؤذنين وقواماً وهو ثابة الصالحين  
ومزار الغادين والرأحين فاحياه وجدده وأمر بهارة جميع المساجد وفي يوم  
الجمعة التالى الموافق ٤ شعبان عزموا على اقامة صلاة الجمعة فاستعدت العلماء  
والخطباء وكل منهم بطلب ان يكون هو الخطيب ليحصل له الشرف العظيم ولما قربت  
الصلاة أمر السلطان القاضى محيي الدين أبى المعالى محمد بن زكي الدين على القرشى بان  
يخطب ويصلي بالمسامين وخلع عليه خلمة سوداء من تشريفات الخلافة فصعد المنبر  
وتلا الخطبة الآتية

### ﴿ أول خطبة بالمسجد الاقصى بعد فتحه ﴾

افتتح الخطبة بآيات الحمد الواردة بالقرآن الشريف بعد البسملة ثم قاله  
الحمد لله معز الاسلام بنصره . ومنذل الشرك بقهره . ومصرف الامور  
بامره . ومديم النعم بشكره . ومستدرج الكافرين بمكره . الذي قدر الايام  
دولاً ببدله . وجعل العاقبة للمتقين بفضله . وأفاء علي عباده من ظله . وأظهر  
دينه على الدين كله . القاهر فوق عباده فلا يمانع . والظاهر على خلائقه فلا  
ينازع . والآمر بما يشاء فلا يراجع . والحاكم بما يريد فلا يدافع . أحمد على  
اظفاره واطهاره . واعزازة لا وليائه ونصره لانصاره . وتطهير بيته المقدس  
من ادناس الشرك واوضاره . حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جواره

واشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد  
 ولم يكن له كفواً أحد . شهادة من طهر بالتوحيد قلبه . وأرضى به ربه . وأشهد  
 أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله . رافع الشك . وداحض الشرك  
 وراحض الانك . الذي أسرى به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الاقصى  
 وعرج به منه الى السموات العلى . الى سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى  
 اذيقشى السدره مايقشى . مازاغ البصر وماطفي . صلى الله عليه وعلى خليفته  
 أبي بكر الصديق السابق الى الايمان . وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول  
 من رفع عن هذا البيت شعار الصليان . وعلى أمير المؤمنين عثمان ذى النورين  
 جامع القرآن . وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . نزل الشرك ومكسر الاوثان  
 وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان . أيها الناس أبشروا برضوان الله  
 الذي هو الغاية القصوى . والدرجة العليا . لما يسره الله على أيديكم من  
 استرداد هذه الضالة . من الامة الضالة . وردھا الى مقرها من الاسلام . بعد  
 ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام . وتطهير هذا البيت الذي أذن  
 الله أن يرفع وان يذكر فيها اسمه . واماطة الشرك عن طريقه . بعد ان امتد  
 عليه رواقه . واستعمر فيه رسمه . ورفع قواعده بالتوحيد . فانه بني عليه  
 وبال تقوى فانه أسس على التقوى . من خلفه ومن بين يديه . فهو موطن  
 أبيكم ابراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه السلام . وقبلتكم التي كنتم تصلون  
 اليها في ابتداء الاسلام . وهو مقر الانبياء . ومقصد الاولياء . ومقر الرسل  
 ومهبط الوحي . ومنزل تنزل الامر والنهي . وهو في أرض المحشر . وصعيد  
 المنشر . وهو في الارض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المئين . وهو المسجد  
 الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين . وهو البلد  
 الذي بعث الله اليه عبده ورسوله . وكنيته التي القاها الى مريم . وروحه عيسى  
 والذي شرفه الله برسالته وكرمه بنبوته . ولم يزل يحزحه عن رتبة عبوديته . فقال

تعالى • لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله • وقال لقد كفر الذين قالوا ان  
 الله هو المسيح بن مريم • وهو اول القبليتين • وثاني المسجدين • وثالث  
 الحرابين • لاتشدر حال بعد المسجدين الا اليه • ولا تمقد الخناصر بعد الموطنيين  
 الاعليه • ولو لانا انكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما  
 خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار • ولا يباريكم في شرفها مبار • فطوبى  
 لكم من جيش ظهرت على ايديكم المعجزات النبوية • والوقعات البدرية  
 والزمات الصديقية • والفتوح العمرية • والجيوش العثمانية • والفتكات  
 العلوية • جدتتم للاسلام ايام القادسية • والوقعات اليرموكية • والمنازلات الخيبرية  
 والهجمات الخالدية • فجازاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضل الجزاء  
 وشكر لكم ما بذلتوه من مهجكم في مقارعة الاعداء • وتقبل منكم ما تقر به  
 به اليه من مهراق الدماء • واثابكم الجنة فهي دار السعداء • فاقدروا رحمتكم  
 الله هذه النعمة حق قدرها • وقوموا لله تعالى بواجب شكرها • فله النعمة عليكم  
 بتخصيصكم بهذه النعمة • وترشيحكم لهذه الخدمة • فهذا هو الفتح الذي فتحت له  
 ابواب السماء • وتبلجت بانواره وجوه الظلماء • واتبهج به الملائكة المقربون  
 وقر به عينا الانبياء المرسلون • فاذنا عليكم من النعمة بان جعلكم الجيش الذي يفتح  
 عليه البيت المقدس في آخر الزمان • والجند الذي تقوم بسيو فهم بعد فترة من النبوة  
 اعلام الايمان • فيوشك ان تكون انتهى به بين اهل الحضراء اكثر من الهاني  
 به بين اهل القبراء • اليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه • ونص عليه في  
 خطابه • فقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد  
 الاقصى الذي باركنا حوله الآية اليس هو البيت الذي عظمته الملوك • واثنت عليه  
 الرسل • وثابت فيه الكتب الاربعة المنزلة من الحكم عز وجل • اليس هو  
 البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمس على بوشع لاجله ان تقرب • وباعد بين  
 خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب • اليس هو البيت الذي امر الله موسى ان يامر

قومه باستنقاذه فلم يجبه الا رجلا ن . وغضب عليهم لاجله فلقاهم في التيه عقوبة  
 للمصيان . فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنوا اسرائيل . وقد  
 فضاهم على العالمين ووقفكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الامم الماضيين  
 وجمع لاجله كلمتكم وكانت شتي . واغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف  
 وحتى . فليهنشكم ان الله قد ذكركم به في من عنده . وجعلكم بعد ان كنتم  
 جنوداً لاهوائكم جنده . وشكركم الملائكة المنزلون . علي ما هديتم الى هذا  
 البيت من طيب التوحيد . ونشر التقديس والتحميد . وما أمطم عن طرقهم  
 فيه من أذى الشرك والتثليث . والاعتقاد الفاجر الخيث . فالآن يستغفر لكم  
 أملاك السموات . وتصلي عليكم الصلوات المباركات . فاحفظوا رحمكم الله هذه  
 الموهبة فيكم . واحرسوا هذه النعمة عنكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم . ومن  
 اعتصم بعروتها نجح وعصم . واحذروا من اتباع الهوى . وموافقة الردي . ورجوع  
 القهقري . والتكول عن العدا . وخذوا في انتهاز الفرصه وازالة ما بقي من الغصه .  
 وجاهدوا في الله حق جهاده . وبيعوا عباد الله أنفسهم في رضاه . اذ جعلكم من خير  
 عباده . واياكم ان يستذلكم الشيطان . وان يتداخلكم الطغيان . فيخيل لكم ان  
 هذا النصر بسيفكم الحداد . وبخيولكم الجياد . وبجلاذكم في مواطن الجلال . لا  
 والله ما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . واحذروا عباد الله بعد ان شرفكم  
 بهذا الفتح الجليل . والمنح الجزيل . وخصكم بهذا الفتح المبين . وأعلق أيديكم  
 بحبله المتين . أن تقترفوا كبيراً من مناهيه . وان تأتوا عظيماً من معاصيه . فتكونوا  
 كاتي نقضت غزها من بعد قوة انكثا . والذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فآتبعه  
 الشيطان فكان من الفاوين . والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم . وأشرف  
 عاداتكم . أنصروا الله ينصركم اذكروا أيام الله يذكركم . اشكروا الله يزدكم  
 ويشكركم . جدوا في حسم الداء . وقطع شافة الاعداء . وتطهير بقية الارض التي  
 باغضبت الله ورسوله . واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله . فقد نادى الايام



بالثارات الاسلامية. والملة المحمدية الله أكبر فتح الله ونصر. غلب الله وقهر. اذل  
الله من كفر. واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فاتهزوها. وفرصة فناجزوها.  
ومهمة فاخرجوا لها هممكم وبرزوها. وسيروا اليها عزماتكم وجهزوها.  
فالامور بأواخرها. والمكاسب بذخاثرها. فقد أظفركم الله بهذا العدو  
المخدول. وهم مثلكم أو يزيدون. فكيف وقد أضحي في قبالة الواحد منهم  
منكم عشرون. وقد قال الله تعالى. ان يكن منكم عشرون صابرون يقلبون  
مائتين. أعاننا الله واياكم على اتباع أوامره. والازدجار بزواجره. وأيدنا  
معشر المسلمين بنصر من عنده. ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم  
فمن ذا الذي ينصركم من بعده.

وتمام الخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة وقال بعد الدعاء لاخليفه  
اللهم وأدم سلطاننا. عبدك الخاضع لهيبتك. الشاكر لنعمتك. المعترف  
بعوهدتك سيفك القاطع. وشهابك اللامع. والمحامي عن دينك المدافع. والذاب  
عن حرمك المانع. السيد الاجل الملك الناصر. جامع كلمة الايمان. وقامع  
عبدة الصليان. صلاح الدنيا والدين. سلطان الاسلام والمسلمين. مطهر البيت  
المقدس. أبا المظفر يوسف بن أيوب. محيي دولة أمير المؤمنين. اللهم عم بدولته  
البسيطة. واجعل ملائكتك براياته محيطية. واحسن عن الدين الحنيفي جزاءه.  
واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاهه. اللهم ابق الاسلام مهجته. ووق  
الايمان حوزته. وانشر في المغارب والمشارق دعوته اللهم فكما فتحت على يديه  
البيت المقدس بعد ان ظنت الظنون. وابتلى المؤمنون. فافتح على يده أداني  
الارض وأقاصيها وملكه صياصي الكفر ونواصيها. فلا تلقاه منهم كتيبة  
الامزقها. ولا جماعة الافرقها. ولا طائفة بعد طائفة الا ألتها بمن سبقها. اللهم  
اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه. وانفذ في المشارق والمغارب أمره.  
ونبيه. اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها. وأرجاء الممالك واكنافها.

اللهم زلزل به معاطس الكفار • وارغم به انوف الفجار • وانشر ذوائب ملكه  
على الامصار • وأنب سرايا جنوده في سبل الاقطار • اللهم ثبت الملك فيه وفي  
عقبه الى يوم الدين • واحفظه في بنيه وبني أيوب الملوك الميامين • واشدد  
عضده ببقائهم • واقض باعزاز اوليائه وأوليائهم • اللهم كما أجزيت على يده في  
الاسلام • هذه الحسنة التي تبقى على الايام • وتتخذ علي مر الشهور والاعوام •  
فارزقه الملك الابدی الذي لا ينفذ في دار المتقين • وأجب دعاءه في قوله رب  
أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحاً ترضاه  
وادخاني برحمتك في عبادك الصالحين ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة  
تقدم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاذ الوسع في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه  
فاحضروا من الرخام الذي لا يوجد ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك  
مما يحتاجون اليه وقد ادخر على طول السنين

### ✽ حصار مدينة صور وفتح هونين ✽

لمفتح السلطان صلاح الدين القدس أقام بظاهره الى الخامس والعشرين  
من شعبان يرتب أمور البلد وأحواله وجمل دار الاستبارية ( جمعية القديس  
مارى يوحنا المعمدان ) مدرسة للشافية وهي حسنة جداً ثم سار الى مدينة  
صور وكان قد اجتمع بها من الصليبيين عالم كثير لان الصليبيين أهل عسقلان  
والقدس وغيرهم لماساموا بلادهم وأخذوا الامان صاروا الى صور وكان قد  
جاءها كونراد بن المريكز منتفرا بسفنه وتسميه العرب المريكس فاقام حاكماً  
بها وحصنها كل التحصين ووصل صلاح الدين الى عكا واقام بها أياماً ثم سار الى  
ان وصل الى صور تاسع رمضان فنزل على نهر قرب البلد حتى اجتمع العسكر  
الاسلامى فلما علم كونراد بقدم صلاح الدين الى بلده أخذ يجدد التحصين  
ويعمق الخنادق ومدينة صور واقعة على رأس ممتد في البحر فكانت محاطة بالمياه

من ثلاث جهات ومتصلة بالبر من جهة واحدة ثم سار صلاح الدين في الثاني  
 والعشرين منه الى تل يقارب سور البلد وقسم القتال على عساكره وجعل لكل  
 أمير من امرائه وقتاً يحارب فيه بعسكره لكي تكون الحرب متصلة دواماً على  
 أهل البلد وكان موضع القتال قريباً ويكفيه جماعة للمحاربة فقط فزحفت  
 العساكر الاسلامية بالمنجنيات والديابات وكان أهل صلاح الدين متولين  
 الحرب مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازي وأخيه العادل بن أبوب وابن  
 أخيه تقي الدين وكانت للصليبيين شوان يحاربون بها كي يمنعوا العساكر الاسلامية  
 من محاربة البلد فارسل صلاح الدين يطلب الشوان التي بمكا فارسلت اليه  
 وعددها عشر برجالها فلما وصلت منعت شوانى العدو من مقاتلة المسلمين فتمكن  
 حينئذ المسلمون من الدنو من البلد ومن قتاله فقاتلوه برأوبحراً وضايقوه حتى  
 كادوا يظفرون فجاءت الاقدار بما لم يكن في الحساب وذلك ان عبد السلام  
 المغربي مقدم شوانى المسلمين الموصوف بالحدق في صناعته وشجاعته وقف على  
 باب المينا في ليلة لينع خروج شوانى العدو فباتوا اليتهم بحر سون فلما كان وقت  
 السحر آمنوا فناموا فما شمروا الا بشوانى الصليبيين قد نازلتهم وضايقتهم فاوقت  
 بهم فقتل الصليبيون من أرادوا قتله وأخذوا خمس شوان من المسلمين بما فيها  
 وأدخلوها مينا صور والمسلمون في البر ينظرون اليها ورعى جماعة من المسلمين  
 أنفسهم من الشوانى في البحر فمهم من سبغ فجاء ومنهم من غرق وأسر المقدم  
 عبد السلام وامتوليه بدران الفارسي وأمر السلطان بمسير الشوانى الباقية الى  
 بيروت لعدم ارتفاعه بها لقاتها فخرجت شوانى الصليبيين وراءها فبجأ منها شينى  
 رئيس جميل والباقون نظروا شدة طاب العدو لهم فلقوا انفسهم في الماء  
 وخرجوا الى البر على وجوههم وبمدهذا طمع الصليبيون فخرجوا عصر أحد  
 الايام للقتال فانتقام المسلمون فكانت الدائرة على الصليبيين وأسر أحد مقدميهم  
 وظن انه كوراد فسلمه السلطان الى ولده الظاهر ليحفظه فضرب عنقه وكان

الدليل قد دخل فلما أصبحوا تبين لهم ان كونراد لا يزال حياً ثم طال الحصار  
 حتى ضجر كثير من امراء المسلمين لانهم رأوا ما لم يألفوه من تعسر الفتح  
 عليهم فاشاروا على السلطان بالرحيل لثلاث نفى الرجال وكان البرد قد اشتد عليهم  
 وكان رأى السلطان وبعض الامراء كالفقيه عيسى وحسام الدين طمان وعز  
 الدين جرديك النورى الثابت الجنان الى الفتح لثلاث يضيع ما تقدم من الاعمال  
 وانفاق الاموال وقال السلطان قد هدمنا السور وقاربنا الامور فاصبروا وتفعلوا  
 وصابروا تفتحوا ولا تمجلوا فاطهروا الموافقة وفي أنفسهم ما فيها فلم يصدقوا  
 القتال وتعلموا بان الرجال جرحي والعلف قد قل فلم يسع السلطان بعد ذلك  
 الا الرحيل فامر بنقل الاثقال فحمل بعضها الى صيدا وبيروت وأحرق الباقي  
 لثلاث يناله العدو وفي اثناء حصار السلطان لصور جاءه الخبر بان الصليبيين المقيمين  
 في هونين قد طلبوا الامان فانفذ الامير بدز الدين دلدرم ففتحها وأخرج  
 الصليبيين منها وكان السلطان قبل ذلك قد وكل عليها بعض العسكر لمحاصرتها ورحل  
 السلطان عن مدينة صور في آخر شوال وسارتقى الدين الى دمشق عن طريق  
 هونين واستصحب معه عساكر الشرق وديار بكر والموصل والجزيرة وسنجار  
 وماردين ورحل السلطان الى عكا من طريق الناقورة وهي طريق ضيقة  
 مطلة على البحر بها يضرب المثل لا يعبر بها الا جمل جمل فعبرت بها الاثقال  
 والاحمال في اسبوع وكان قد عين يوم رحيله امراء يقيمون على صور الى أن  
 تعبر الاثقال وخيم السلطان عند التل وسار العادل الى مصر والظاهر الى حلب  
 وفي مدة رحيل السلطان توفي الامير سيف الدين محمود أخو عز الدين جاولي  
 وسبب ذلك انه كان باقياً من اعمال الصليبيين حصنان بدون فتح وهما حصن  
 صفد وفيه الداوية (الهيكليين) وحصن كوكب وفيه الاستبارية (جمعية ماري  
 يوحنا المعمدان) واحتاج السلطان في فتحهما الى المطاولة فوكل بحصن صفد  
 جماعة يعرفون بالناصرية ومقدمهم مسعود الصلتي ووكل بكوكب هذا الامير سيف

الدين فاقام في حصن عقر بلا وهو قريب من حصن كوكب ومنع عن  
المقيمين فيه الطعام والمشرب وضيق عليهم المذهب الى ان دخل الشتاء  
فاختلت الحراسة فلما كانت ليلة آخر شوال وكانت ليلة باردة حرس أصحاب  
سيف الدين حتى ضجروا ففلبهم النعاس فما استيقظوا الا وافرغ كوكب  
عليهم باركة فداقموا عن انفسهم حتى استشهدوا وأخذ الصليبيون غنيمة المسلمين  
ودخلوا بها كوكب

### ﴿ في التحريض على طلب الحروب الصليبية الثالثة ﴾

بينما كان البابا أوربانوس الثالث موجوداً في مدينة البندقية مشدداً في  
تحريض أهل البندقية على سرعة تجهيز عمارة مراكب المشيخة وارسالها الى  
فلسطين اسعافاً لآخوانهم الصليبيين بلغه خبر سقوط مدينة اورشليم (القدس)  
في ايدي صلاح الدين سلطان المسلمين فسقط طرح الفراش مريضاً ولما  
اشتد مرضه انتقل الى مدينة فرارات هناك ثم تعين بعده البابا غرغوريوس  
الثامن وبعده تعينه حضرين بيده غويليوم الصوري رئيس اساقفة صور وتراحي  
على قدميه وطلب منه المساعدة التامة في تسيير حملة صليبية لاسترداد القبر  
المقدس من ايدي المسلمين فاصدر البابا منشوراً عاماً لسكان أوروبا أوضح  
لهم فيه عظم مآلم بالصليبيين اخوانهم وخصوصاً امتلاك المسلمين مدينة القبر  
المقدس وقد جاء في هذا المنشور ما يأتي ( انه لقد جاء الزمان الذي فيه يصير  
الامتحان والحين الذي فيه نستخدم خزان الارض وكنوزها لاجل اكتساب  
البلاد جديدة التي مات فيها يسوع المسيح لكي يكتسب لنا بموته خزان السماء  
وكنوزها والوان الذي فيه تباح الخيرات الزائلة لاجل امتلاك الخيرات  
الدائمة ) ثم انه اختتم منشوره المذكور بقوله ( غير انكم لا تسيرون الى هذه

الحروب الصليبية بانواب فاخرة وملابس ثمينة آخذين صحتكم الطيور والبواشق  
والكلاب للصيد بل تجنبوا كل ما يشير الى السعة ولا يقيد سوى البذخ والمجد  
الباطل واحتشموا في محاميلكم أولى من اهتمامكم بمسايرجكم الى الفخفة  
والصلف ثم اظهروا باعمالكم حقائق روح التوبة والخشوع) وبعد تحريره هذا  
المنشور لم يتمكن البابا من اعمال الوسائط اللازمة لارسال حملة صليبية  
ثالثة لانه اعتراه مرض في مدينة (بيزا) ومات وتعين بعده البابا كليمنطوس  
الثالث الذي بعد تعيينه اتاب عنه في التحريض على ذلك رئيس اساقفة صور  
المذكور وفوض اليه الانذار بهذه الحرب المقدسة وبعد ذلك أخذ  
الاسقف غويليوم الصوري المذكور يخطب في أهالي ايطاليا ويحرضهم  
على التجهيز لاسترداد القبر المقدس ثم أسرع الى بلاد فرانساً منهم  
الشهيرة

\* صلح فرانساً وانكلترا وتحريرهم على الحروب الصليبية \*

بينما كان الملك فليب أوغستوس ملك فرانساً يحارب الملك هنريكوس  
الثاني ملك انكلترا لاجل تملك بلاد فاكين حضر غويليوم الصوري لتحريرهم  
على الحروب الصليبية فوجدهم على هذه الحالة فسمى بينهما في الصلح حتى انه  
كلفهما باصدار أمر بجمعية عمومية من الجيشين في فرانساً للمفاوضة في  
الحروب المقدسة وبعد انعقاد تلك الجمعية التي حضرها ضباط الجيشين قوبل  
غويليوم باحتفال ديني عظيم ثم أخذ يشرح لهم حوادث حروب المسلمين وكيفية  
استيلائهم على القدس وان هذه المدينة صارت الآن مسكونة بشعب بربري وانها  
تدفع الحراج والجزية تحت رق العبودية وان سكانها المسيحيين والصليبيين  
مساقون كالغنم الى بلاد الاسلام يباعون في الاسواق كالبيد ثم قال ماياتي  
ان امارات المشرق المسيحية بقيت صامدة على ثلاث مدن فقط وهي انطاكية

و طرابلس و صور لا غير و نحن قد شاهدنا باعيننا ما كان قد قام به اسمعيا النبي  
 بقوله ان الرب قدم يده و ضربته بالقروح من حد نهر الفرات الى حد نيل  
 مصر لان سكان اربعين مدينة قد طردوا من مساكنهم و فقدوا خيراتهم  
 و موجوداتهم المختطفة منهم و ساروا تائبين مع عيالهم بالشقاء و الضنك فيما بين  
 شعوب اسيا خالين من ان يجذوا لهم حجراً يسندون اليه رؤسهم . ثم تلا  
 عليهم منشور البابا ف جذب قلوب سامعيه الى القيرة و الحرارة كما ان فليب  
 أوغسطس ملك فرانس و هنريكوس الثاني ملك انكلترا تعانقا و تقدما قبل  
 الجمع و استلما صليب الحرب المقدسة ثم تبهم ريكارد دوك دي غونيا ابن  
 السلطان اريكوس ثم فيلبس كونت دي فلاندر و هو كوز دوك دي برغونيا  
 و هنريكوس كونت دي شامبانيا و تيبوت كونت دي بلواز و مثاهم امراء اسواسون  
 و نافار و بارو فاندوم و اتسم الاخوان يوسالين و متي دي هورانسى على تخليص  
 اورشليم ( القدس ) من ايدي المسلمين ثم هتف أعضاء هذه الجمعية صارخين  
 هلموا نحو الصليب . فلنذهبن وراء الصليب . و شرعوا جميعاً في التجهيزات للمسير  
 للحروب الصليبية

### • ضريبة العشور للحروب الصليبية الثالثة •

لما شرع كل من ملك فرانس و ملك انكلترا في اعداد معدات السفر  
 للحروب الصليبية وجدوا ان ذلك يحتاج لاموال عظيمة فمقدوا مجلس  
 شوراهم الذي قرر باتحاد اراء الملائكين و الامراء و الاشراف بان كل من  
 لم يرغب السفر للحروب الصليبية أو تعذر عليه السفر يدفع عشر مداخيله  
 مع عشر ثمن موجوداته المنقلة ( لا الثابتة ) و قد سموها ( ضريبة العشور  
 الصلاحية ) رمزاً الى انتصار السلطان صلاح الدين عليهم و حرم رؤساء  
 الكنائس كل من يتأخر عن دفع هذه الضريبة و عينوا لجمعها اناساً

تقتضوها بصرامة كلية غير ان الاموال انجموعة من ضريبة العشور  
 الصلاحية لم تكن كافية لهذه الاستمدادات ولذلك اكره ملك فرانسوا اليهود  
 على ان يدفعوا الى الخزينة مبلغ خمسة آلاف وزنه فضة ( كل وزنة تساوي  
 مائة درهم )

\* ( موت ملك الانكليز وتولية ولده ريكاردوس وذبح اليهود ) \*  
 في اثناء تلك الاستمدادات مات الملك هنريكوس الثاني ملك انكلترا  
 حضر ابنه ريكاردوس الى بلاد الانكليز لاستلام زمام الملك وأخذ يشغل  
 في اكتساب الفخر باسترجاع القدس







( صورة ريكاردوس ملك الانكليز )

ولذلك ترى ان أول أمر سعى اليه عند استلامه مقاليد الاحكام انما هو جمع النقود استعداداً للحملة الصليبية فبذل في سبيل ذلك كل تليد وطارف واستخدم كل وسيلة ممكنة حتى انه باع طاعة الاسكوتلانديين الذين أخضعهم أبوه بمبلغ عشرة آلاف ميرك (الميرك نقود اسكوتلاندية قديمة يساوي الواحد منها ثلاثة ريالات مصرية تقريباً) ثم طلب الاموال من أغنياء البلاد وصيارفها وأكثرهم من اليهود وحدث ان اليهود سيقوا من فرانساً بمصا الاضطهاد

فالتجأوا الى انكلترا وكان وصولهم اليها يوم تصيب ريكاردوس فنارت عليهم  
 رطاع الناس بدعوى ان الملك امر بذبحهم فدارت عليهم رحي الموت حتي  
 جرت دماؤهم في الاسواق والتجأ منهم نحو خمسمائة الى قلعة بورك بنسائم  
 واولادهم فضيق عليهم أهل المدينة فالتمسوا ان يقبلوا منهم الفدية فما ارادوا  
 فاشتد غيظ اليهود وقنطوا من الحياة فاحرقوا كل ما كان لديهم من الاموال  
 والمتاع والحلى وفضلوا ان يقتل بعضهم بعضاً من ان يقتلهم عدوهم  
 فقتلوا اولادهم بايديهم ثم اخذوا يقتل أحدهم الآخر وبقيت منهم  
 بقية استقتلوا وفتحوا ابواب القلعة فدخل اليهم بعض الرطاع النافرين  
 وقتلوه وحصل مثل ذلك أيضاً في نوريش وستامفورد وليكولن وغيرها  
 وكل ذلك حصل بغير ارادة الملك فمقاب المعتدين عقاباً طفيفاً وأمن من بقي من  
 اليهود وجعلهم تحت حمايته فلما اهتم باعداد الحملة الصليبية طلب مساعدتهم  
 فامدوه بالمال

### ✽ التحريض على الحروب الصليبية ببلاد النمسا ✽

بعد ما عزم كل من ملك فرانس وملك انكلترا على السفر الى بلاد فلسطين  
 سافر غويليوم الصوري المفوض بانذار الحروب الصليبية من قبل البابا الى بلاد  
 النمسا وقابل ملكها فريدريكوس الاول الملقب باللعنة الحمراء وكان بينه وبين  
 كرسي البابا بعض ضغائن فازالها ثم طلب منه المساعدة في تخليص بيت  
 المقدس من يد المسلمين فامر في الحال بعقد جمعية في ماينس وفي هذه الجمعية  
 لبس الاثواب المكرسة المختصة بالحروب الصليبية ثم اقتدى به أعظم أمراء  
 مملكته وكذلك جميع كنائس المانيا أثرت فيها خطب غويليوم الصوري  
 فاستعدوا للسفر برئاسة ملكهم المذكور وبما ان الملك فريدريكوس كان  
 عرف بلاد فلسطين في الحروب الصليبية الثانية اذ كان مع عمه الملك كونراد

الذي رجع بخفي حنين وعرف ما يلزمه من الجيش وما يحصل له من المشقة والتعب  
خاف من نيات افراد العساكر الصليبية في أثناء مسيرهم فلذلك قرر بانه لا يقبل  
تحت علمه الصليبي احداً من الراغبين في السفر الا اذا كان معه على الاقل  
ثلاث وزنات فضة وذلك بعد انقاد جمعية في مدينة نورا مبارك فلذلك امتنع  
عن السفر الاشقياء الذين كانوا يفرحون بسفرهم للنهب في الطريق وعزم على  
ان يكون مسيره برأ

\* (في اتحاد فرنسا وانكلتره للمسير الى سوريا) \*

اجتمع الملكان فليس وريكاردوس بمدينة نور منديا وانفقا على تهذيب العساكر  
وابعاد كل الرذائل عنها فاصدرا امراً بمنع النساء من السفر صحبة العساكر لان  
وجودهن في وسط العسكر في الدفتين السابقتين اخل انتظام العساكر وامراً ايضاً  
بعدم لعب القمار وجمعاعساكرهما تحت علم الصليب في مدينة فاسلاي حيث كان  
القديس برنردوس (الذي كان محرراً على الحروب الصليبية الثانية) وجددا  
تحالفهما على يديه وتواعدا على المسير الى سوريا وان يسافرا ريكاردوس الى مرسيليا  
ثم ينزل في المراكب وان فليس يسافر الى جنوى ثم يتقابلان معاً بمينايسنا بجزيرة  
سيسيبيا

\* (حصر حصن كوكب وفتح بعض البلاد) \*

في أوائل محرم سنة ٥٨٤ سار السلطان من عكا بمن بقي معه من العساكر  
الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظاناً ان تملكها سهل فلما رآها عالية منيعة  
والوصول اليها متعذر وجنوده مشتغلة بها وبصفا والكرك رحل عنها وكانت  
البلاد الساحلية من عكا تا وراها جنوباً جميعها قد أصبحت ملكه فلم ير ان يظل  
في وسط بلاده ما يشغل قلبه ويحتاج الى حفظه وخوفاً من ان ينال الرعايا  
والمجتازين منهم الضرر العظيم فلهدأ اقام على كوكب بعد رحيله قائماز النجمي

ليدين حصارها ثم أتاه بهض رسل ملوك المسلمين يهتفون بالفتح وسار الى دمشق  
وكتب الى جميع عماله بالبلاد وجميع أمراء الاسلام بخروج العساكر لمحاربة  
الصلبيين ثم رحل عن دمشق في منتصف ربيع الاول فنزل على بحيرة قدس غربي  
حصص فجاءته العساكر فسار حتى نزل على حصن الاكراد من الجانب الشرقي  
فأقام يومين وسار جريدة وترك العسكر في محله تحت الحصن ودخل بلاد  
الصلبيين فأغار على صافينا والعريمة ويحمور وغيرها من البلاد ووصل الى  
قرب طرابلس وأبصر البلاد وعرف من أين تأتيها ومن أين يسلك منها ثم  
عاد الى معسكره سالماً وقد غنم العسكر كثيراً من الدواب على اختلاف أنواعها  
وفي أثناء وجود السلطان تحت حصن الاكراد أتاه قاضي جبلة وهو منصور  
ابن ثيبيل يستدعيه اليه ليسلمها له وكان هذا القاضي عند بوهيموند صاحب  
انطاكية وجبله مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على  
جميع المسلمين بجبلة ونواحيها فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له  
بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه في الرابع من جمادى  
الاولى فنزل بانطرسوس في سادسه فرأى الصليبيين قد اخلوا المدينة واحتموا  
في برجين حصينين فحرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما  
وجدوه من ذخائرهم وكان الداوية (جمعية الهيكليين) باحدى البرجين فحصرهما  
صلاح الدين فنزل من بالبرج الثاني وطلبوا الامان فامنهم وسلموه وخرب البرج  
وأتى حجارته في البحر

### \*فتح جبلة واللاذقية وغيرها وخبر اسطول صقلية\*

ثم رحل السلطان من انطرسوس في الرابع عشر من جمادى الاولى  
سنة ٥٨٤ ونزل على مرقية وقد اخلها سكانها تخيم فيها السلطان وكانت الطريق  
الى جبلة ضيقة المسالك وهناك لجمعية الاستتارية (ضياف الغرباء) حصن اسمه

المرقب ولا طريق الا تحت تله ومما اتفق ان صاحب جزيرة صقلية أرسل  
 اسطولاً يحتوي على ستين قطعة من الشواني كل واحدة منها مثل قاعة ولما وصل  
 الاسطول الى ساحل فلسطين أمام طرابلس سمع بمسير السلطان فجاء ووقف  
 في البحر تحت المرقب ليمنعوا من يجتاز بالسهام فلم رأى السلطان ذلك أمر  
 بالطارقيات والجفنيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من أول المضيق الى  
 آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الصليبيين من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون  
 عن آخرهم حتي عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة في اليوم الثامن عشر من ذلك  
 الشهر وتسلمها السلطان وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما  
 وصل السلطان رفع أعلامه على سورها وتحصن الصليبيون الذين كانوا بها بالقلمة  
 فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتي استنزلهم بشرط الامان وان يأخذ  
 رهائن منهم عنده الى ان يطلق الصليبيون رهائن المسلمين الذين بانطاكية وكان  
 قد أخذهم بوهيموند من القاضي. ثم جاء مقدمو الجبل مطيعين وكان في الجبل  
 على طريق حمص حصن يعرف بيكسرايل وكان استماده الجليليون من الصليبيين  
 منذ سنين فتسلمه السلطان أيضاً منهم ثم سلم جبلة الى سابق الدين عثمان صاحب  
 شيزر وبجل قاضي جبلة وحكمه في ولاية حكمه وقضائه ثم سار الى اللاذقية  
 فوصل في الرابع والعشرين منه فترك الصليبيون المدينة لمعجزهم عن حفظها  
 وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا  
 القلعتين وزحفوا عليهما وتقربوا الاسوار ستين ذراعاً وأشعلوا فيها النار وعظم  
 القتال واشتد الامر عند الوصول الى السور فلما أيقن الصليبيون بالعطب دخل  
 اليهم قاضي جبلة يخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فأمنهم السلطان ورفعت  
 الاعلام الاسلامية على الحصنين وكان ذلك في اليوم الثالث من النزول عليهما  
 وكانت عمارة اللاذقية من أحسن الابنية وأكثرها زخرفة مملوأة بالرخام على  
 اختلاف أنواعه ووصل اسطول صقلية بازاء مينا اللاذقية فلما سلمها الصليبيون

الى السلطان عزم من بالاسطول على أسر كل من يخرج منها غيظاً وحنقاً لانهم سلموها سريراً فلما سمع بذلك أهل اللاذقية أقاموا بها ودفموا الجزية ثم طلب مقدم الاسطول مقابلة السلطان والامن له فأمنه وحضر بين يديه وقال مامعناه (انك سلطان رحيم كريم وقد فلت بالصليبيين ما فلت فذلوا فاركهم يكونون مع اليك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والاجاءك من البحر مالا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال) فاجابه صلاح الدين بنحو كلامه من اظهار القوة والاستهانة بكل ما يجيء من البحر وانهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى أصحابه

\* فتح حصن صهيون وغيره من الحصون \*

ثم رحل السلطان عن اللاذقية في يوم الاحد ٢٧ جمادى الاولى سنة ٥٨٤ طالباً صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين منه فاستدار العسكر بها من جميع نواحيها صباح الاربعاء ونصب عليها ستة منجنيقات وهي قلعة حصينة منيعة في طرف جبل خنادقها اودية هائلة واسعة عميقة وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد وهو نقر في حجر ولها ثلاثة أسوار سوران دون ربتها وسور دون القلعة وسور اقلعة وكان على قلعتها علم طويل منصوب فلما قبلت العساكر الاسلامية وقع فاستبشرت بالنصر واشتد القتال عليها من سائر الجوانب فضر بها منجانيق الملك الظاهر ولد السلطان وكان نصبه أمام جهة قريبة من السور وكان الحجر صائباً فلم يزل يضرها حتى هدم من السور قطعة عظيمة ولما كان يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة عزم السلطان على الزحف وركب وتقدم وتواترت المنجنيقات بالضرر وارتفعت الاصوات وما كان الا ساعة حتى رقى المسلمون على أسوار الرض واشتد الزحف وعظم الامر

وهجم المسلمون الربيض وانضم من كان في الربيض الى القلعة بما أمكنهم ان يحملوه من أموالهم ونهب المسلمون باقى الاموال واستدارت العساكر دخول أسوار القلعة فلما رأى الصليبيون الهلاك استغاثوا بطلب الامان فأمنهم السلطان علي أن يسلموا بانفسهم وأموالهم ويأخذ عن الرجل منهم عشرة دنانير وعن المرأة خمسة وعن الصغير دينارين فسلمت القلعة وأقام السلطان حتى تسلم عدة قلاع كالعيد وبلاطنس وقلعة الجماهيرين وغيرها

### فتح بكاس والشعر والسرمانية وبرزية

ثم رحل السلطان حتى أتى بكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول على ذلك الشاطئ يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة ٥٨٤ فصعد السلطان بجريدة الى القلعة وهي جبل مطل على العاصي فاحدق بها من كل جانب وقائلها قتالا شديداً بالمنجنيقات والزحف المضايق الى يوم الجمعة تاسع شهره ففتحها عنوة وأسر من فيها بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قلعة (تصغير قلعة) تسمى الشعر قريبة منها يعبر منها اليها ببحر وهي في غاية المنعة ليس اليها طريق فسلطت عليها المنجنيقات من سائر الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك في يوم الثلاثاء ثالث عشرة وسألوه ان يؤخروا ثلاثة أيام لاستئذان انطاكية لانها تابعة لها فأذن في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشرة ثم عاد السلطان الى عسكره وسير ولده الظاهر الى قلعة تسمى سمرانية يوم السبت سابع عشره فقاتلها قتالا شديداً وضايقها مضايقة عظيمة وتسلمها أيضاً يوم الجمعة الثالث والعشرين منه ومن غريب الاتفاق ان فتوح الساحل من جبلة الى سمرانية في أيام الجمع المتوالية وهذا من نوادر الفتوح التي لم يتفق عليها ثم سار السلطان بجريدة الى قلعة برزية وهي قلعة

حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل شاهق تحيط بها أودية من سائر  
جوانبها فحاصرها وفي صباح الاحد الخامس والعشرين منه ركب عليها المنجنيقات  
وآلات الحصار من سائر نواحيها وشد القتال وضرب أسوارها بالمنجنيقات  
المتواترة ليلاً ونهاراً وظل يقاتلها حتى يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه فقسم  
العسكر ثلاثة أقسام كل قسم يقاتل شطراً من النهار ثم يستريح ويتسلم القتال  
الشطرا الآخر حتى لا يفتقر القتال ساعة واحدة وكان صاحب النوبة الاولى  
عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالاً شديداً حتى استوفى نوبته وتسلم النوبة  
الثانية السلطان بنفسه فلما ركب وسار عدة خطوات صاح في الناس فحملوا حملة  
الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب  
فلم يكن الا بضع ساعة حتى رقى الناس على الاسوار وهجموا على القلعة  
فاخذوها عنوة وطلب من فيها الامان وقد مائت الايدي منهم فلم يك ينفعهم  
أمانهم ونهب جميع ما كان فيها وأسر جميع من كان بها وكان قد أوى اليها  
حاق عظيم وهذه القلعة من قلاعهم المشهورة ويوم أخذها كان يوماً عظيماً ثم  
عاد الناس الى خيامهم غانمين وعاد السلطان الى معسكره وأحضر بين يديه صاحب  
القلعة وكان رجلاً كبيراً منهم فكان هو ومن أخذ من اهله سبعة عشر نفساً فن  
عليهم السلطان ورق لهم وانفذهم الى صاحب انطاكية استماله له لانهم كانوا من  
ذوى قرابة وكانت هذه القلعة مقابلة لحصن افاميا وتناصفها في أعماها وبينهما  
بحيرة تجتمع من ماء العاصي وقد مدحه الشهاب قتيان الشاغوري بقصيدة  
منها

لما ملكت حصون انطاكية	يش الصليب وحزبه من مظهر
أردت كل مئاة متكبر	بموحد متواضع ومكبر
برزت الى برزية عزمك التي	مدت يداً عن مطالب لم يقصر
فتاوتله يدها من بازخ	في الافق ذي مثل يروع مسير



فأهض لصور فهي أحسن صورة في هيكل الدنيا بدت لمصور  
 ماسور صور عاصم منه وهل سور المعاصم عاصم لمصور

\* (فتح حصن دربساك وحصن بفراس) \*

ثم سار السلطان حتى أتى جسر الحديد وأقام عليه أياماً ومنه سار حتى نزل  
 على دربساك يوم الجمعة ثامن رجب سنة ٥٨٤ وهي قلعة منيعة قريبة من انطاكية  
 فنزل عليها وقاتها قتالاً شديداً بالبنجنيقات وضايقها مضايقة عظيمة وأخذ النقب  
 تحت برج منها وتمكن النقب منه حتى وقع وحموه بالرجال والمقاتلة ووقفت في  
 الثغرة رجال يحمونها عمن يصعد فيها وكان كما قتل منهم رجل قام غيره مكانه وهم  
 قيام عوض الجدار واشتد الأمر حتى طلبوا الأمان واشترطوا مراجعة انطاكية  
 وكانت القاعدة أن ينزلوا بأنفسهم ونياب أبدانهم لا غير ورقي عليها العلم الإسلامي  
 في يوم الجمعة ثاني عشر رجب وتسلمها بما فيها وسار السلطان إلى قلعة بفراس  
 وهي قلعة منيعة أقرب إلى انطاكية من دربساك وكانت كثيرة العدة والرجال  
 فنزل العسكر في مرج لها واحرق العسكر بها وأقام يترك لحفظها من ناحية  
 انطاكية خوفاً من هجوم أهل انطاكية بضرب على بابها بحيث لا يمكن أحد  
 الخروج منها ولم يزل يقاتل بفراس مقاتلة شديدة حتى طلبوا الأمان على استئذان  
 انطاكية ورقي العلم السلطاني عليها في ثاني شعبان وتسلمها بما فيها من الأموال  
 والذخائر والغلال وتسلمها السلطان مع دربساك إلى علم الدين صاحب عزاز  
 وفتح السلطان أبراج ومغارات وشققان كثيرة حتى خلع ذلك الأقاليم

الهدنة ورجوع السلطان عن انطاكية وفتح الكرك

وصفدو كوكب

لما فتح السلطان بفراس عزم على التوجه إلى انطاكية وحصرها بخفاف

يوهيموند صاحبها فارسل يطلب الهدنة على أن يطلق كل أسير عنده من المسلمين  
 بعد أن استشار الأمراء فأشاروا أكثرهم في ذلك ليرتاح الناس ويجمعوا ما يحتاجون  
 إليه أما السلطان فإنه أجابه وجمعت مدة الهدنة ثمانية أشهر ثم أرسل رسوله إلى  
 يوهيموند ليستلم منه الأسرى وذلك في ثاني شعبان سنة ٥٨٤ وعاد إلى حلب  
 في ثالثه ومنها سار إلى دمشق وفرق العساكر الشرقية كما عاد الدين زنكي بن مودود  
 صاحب سنجار وعسكر الموصل ولما هل رمضان أشير عليه بالاستراحة في شهر  
 الصوم فقال إن العمر قصير والجل غير مأمون وقد بقي بيد الصليبيين حصن  
 كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بد من أخذها فإنها في وسط بلاد الإسلام  
 ولا يؤمن شراهلها وإن اغفلناهم ندمنا وكان السلطان قد جعل على الكرك من  
 يحصره فلازموا حصاره مدة طويلة حتى فنت أزواد أهله وذخائرهم وأكلوا  
 دوابهم فراسلوا الملك العادل أخ صلاح الدين ونائبه على هذه البلاد يبدلون تسليم  
 القلعة إليه ويطلبون الأمان فاجابهم إلى ذلك وأرسل إلى مقدم العسكر المحاصرين  
 بذلك فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضاً ما يقاربه من الحصون كالشوبك  
 وهرمز والوعيرة والسلم وارتاح المسلمون من تلك النواحي. ثم سار السلطان  
 في منتصف شهر رمضان إلى قلعة صفد فحصرها وقتلها ونصب عليها المنجنيقات  
 وأدام الرمي ليلاً ونهاراً بالحجارة والسهم وكان أهلها قد قاربت ذخائرهم وأزوادهم  
 النفوذ في المدة التي كانوا فيها محصورين فخافوا من بطشه فارسلوا إليه يطلبون  
 الأمان فأمنهم وتسلمها منهم فخرجوا منها وساروا إلى مدينة صور. ولما كان  
 السلطان محاصراً صفد اجتمع من في مدينة صور وقالوا إن فتح المسلمون قلعة  
 صفد لم يتبق كوكب وحينئذ يقطع طمعنا من في مدينة صور وقالوا إن فتح المسلمون قلعة  
 نجدة إليها سراً من رجال وسلاح وغير ذلك فارسلوا مائتي رجل من شجعانهم  
 فساروا الليل مستخفين وأقاموا النهار مكمنين واتفق أن رجلاً من المسلمين  
 المحاصرين كوكب خرج للاصطياد فأتى رجلاً من تلك النجدة فاستعرب وجوده

بتلك الارض فضره ليعلمه بحاله وسبب قدومه الى هناك فافر ودله على اصحابه  
فعاد الجندى المسلم الى قايماز النجمى وهو مقدم العسكر فاعلمه الخبر والافرنجى  
معه فركب فى طائفة من رجاله الى الموضع الذى احتفى فيه الصليديون فكبسهم  
فاخذهم على غرة وتبعهم فى الشامب والكهوف فلم يفلت منهم أحد وكان معهم  
مقدمان من الاسبتارية (جمعية ضياف القرباء) فحملوا الى السلطان وهو على  
صفد ولما احضر المقدمين احضرهما ليقتلها وكانت عادته قتل الداوية  
(جمعية الهيكليين) والاسبتارية لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم قال له أحدهما  
لاأظن ان ينالنا سوء وقد نظرنا الى طامتك المباركة ووجهك الصبيح وكان  
السلطان كثير العفو والاستعطاف يقبل الاعتذار فيعفوا ويصفح فلما سمع  
كلامهما لم يقتلها وأمر بسجنهما ثم سار الى قلعة كوكب ونازلها وحاصرها  
وأرسل الى من بها يلتمهم بانهم اذا سلموا آمنهم واذا امتنعوا يقتلهم وينهبهم فلم  
يصغوا اليه واصرروا على الامتناع فجد فى قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع  
رشقهم بالاحجار وزحف مرة بمدمرة وكانت الامطار كثيرة لاتقطع ليلا ولا  
نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال كما يريدون وطال مقامهم الى أن زحف اليها  
دفعات فى يوم واحد فوصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون والرماة يحمونهم  
بالنشاب عن قوس اليد فلم يقدر أحد منهم أن يخرج رأسه من أعلى السور فنقبوا  
الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الأعلى فلما رأى الصليديون ذلك اذعنوا  
بالتسليم وطلبوا الامان فأمنهم وتسلم الحصن منهم فى منتصف القعدة وسيرهم  
الى صور فوصلوا اليها واجتمعوا بها. وكانت صور قد امتلأت بالصليبيين  
وابطالهم لان أهل جميع البلاد التي فتحت ساروا اليها وأرسلوا الى أوروبا  
يطالبون النجدة كما تقدم فلذلك تكدر السلطان صلاح الدين لتركه صور وعدم  
استيلائه عليها قبل فتح القدس وعض بنانه ندماً وأسفاً وسار الى القدس  
وعيد فيها عيد الاضحى ومنها الى عكا فاقام بها الى آخر السنة

﴿ في بناء استحكامات عكا وحصار شقيف ارتون ﴾

قلنا ان السلطان اقام بمكافي آخر سنة ٥٨٤ فامر باحضار بهاء الدين قراقوش  
من مصر ومعه المهندسون وطائفة البنائين وما يلزمهم لعمارة سور عكا واستحكاماتها  
فوصلوا في شهر محرم سنة ٥٨٥ والسلطان مقبم بها فاقام بهاء الدين قراقوش والياً  
عليها وأمر ببناء السور أمن بناء وترك معه حسام الدين بشاره وسار الى دمشق  
فوصلها في مستهل شهر صفر وأقام بها وجاءه من بغداد رسول الخليفة فامر  
بالخطبة لولي العهد عدة الدين أبي الفضل نصر محمد بن الامام الناصر فخطب له  
بذلك في يوم الجمعة ١٣ صفر ثم عاد الرسول ومعه رسول من السلطان بهدايا  
عظيمة واسرى من الصليبيين والصليب الذي كان على قبة الصخرة ( وقيل  
صليب الصليب الذي أخذ في واقعة حطين ) وتاج ملك القدس . وفي يوم  
الجمعة الثالث من ربيع الاول خرج السلطان من دمشق فسار حتى نزل في  
مرج فلوس ونزل في صباح يوم السبت رابع شهره في مرج برغوث فاقام به  
والعساكر تتابع الى الحادي عشر ورحل الى بانياس ومنها الى مرج عيون فخيم  
به وهو قريب من شقيف ارتون فكان يركب كل يوم بشاره ويعود والعساكر  
تجتمع وتطلبه من كل صوب فخاف صاحب الحصن من كثرة العساكر وعلم  
ان لا قدرته عليها فرأى بان الصالح مع السلطان هو اسلم طريق الى سلامته  
فنزول بنفسه الى باب خيمة السلطان وطلب الاذن في الدخول فاذن له فدخل  
فاحترمه السلطان واكرمه وكان يرف العريية وعنده اطلاع على شئ من  
التواريخ والاحاديث وكان عنده مسلم يقرأ له ويفهمه وأكل مع السلطان الطعام  
ثم خلا به وذكرا انه تحت طاعته وان يسلم اليه الحصن من غير تمب وطلب ان يعطى  
موضعاً يسكنه في دمشق لانه لا يقدر به ذلك علي مساكنة الافرنج واقطاء  
دمشق تقوم به وباهله وان يفتح له مدة ثلاثة شهور ليظل في حصنه ويتمكن

عن تخلص أهله وجماعته من صور ويأخذ غلة هذه السنة فاجيب الى ذلك كله واقام يتردد الى خدمة السلطان في كل وقت وينظر المسلمين في صحة دينه وينظر رونه في بطلانه وكان حسن المحاوره متادباً في حديثه ثم ظهر ان جميع ذلك مخادعة منه لطول الوقت وظهر على ذلك دلائل كثيرة في تحصيل الميرة واتقان الابواب فرأى السلطان أن يصعد الى سطح الجبل ليقرب من المكان ويمنع كل نجدة وميرة تأتيه واطهر ان ذلك فراراً من وخم المرج فنزل صاحبه وسأل أن يعمل تمام سنة فاطله السلطان وقال تفكر في ذلك وتأخذ رأي الجماعة ثم وكل به من حيث لا يشمر فانكشفت سريرته الفادرة فقبض عليه السلطان وطلب تسليم الحصن فقال انا انفذ الى نوابي في التسليم وكان قد أوصاهم بما يفعلونه فقالوا الانسلم ويقتي عندكم مكانه فقيده وحملوه الى نامة باناس ثم احضره السلطان في سادس رجب وهدده وتوعده فلم يفد فأمر بسجنه في دمشق وعين بعض الامراء لحصار الحصن صيفاً وشتاء.

### ﴿ مناوشات بين الصليبيين وعساكر المسلمين ﴾

قلنا ان مدينة صور امتلأت بالصليبيين الذين اتوها من جميع البلاد التي فتحها المسلمون ولما وجدوا كثرتهم اتفقوا جميعاً على مهاجمة المسلمين فخرجوا وعسكروا على باب صور وبينما كان السلطان في مرج عيون محاصراً شقيف ارتون يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى سنة ٥٨٥ بلغه من اليك ان الصليبيين قد قطعوا الجسر الفاصل بين أرض صور وأرض صيدا وهي الارض التي عليها السلطان فركب نحو اليك وكان جماعة من الصليبيين قد عبروا الجسر فنهض اليهم يرك الاسلام وكانوا في عدة وقوة فقاتلوهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجرحوا اضعاف ما قتلوا ورموا في النهر جماعة ففرقوا ولم يقتل من

المسلمين الامموك للسلطان يعرف بابيك الاخرش وكان شجاعاً باسلاً مجرباً  
 للحرب ممارساً له جمع به فرسه فلجأ الى ضخرة فقاتل بالنشاب حتى فنى نشايه  
 ثم بالسيف حتى قتل جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه وفي يوم الابعاء تاسع  
 عشر من ذلك الشهر ركب السلطان كي بشرف على القوم على عادته فتبع العسكر  
 خاق عظيم من الرجالة والغزاة والسوقة فامرهم بالرجوع فلم يفعلوا وخاف  
 عليهم لان المكان حرج وليس للراجل فيه ملجأ ثم اندفع الرجالة على الجسر  
 وناوشوا العدو القتال وعبر منهم جماعة اليهم وجرى بينهم قتال شديد واجتمع  
 عليهم من الصليبيين خلق عظيم لانهم علموا ان ليس وراءهم كمين فحملوا  
 عليهم حملة واحدة على غرة من السلطان لانه كان بميداً عنهم ولم يكن معه عسكر  
 لانه لم يخرج للقتال وانما ركب مستشرفاً عليهم على عادته ولما بان له الواقعة  
 وظهر له غبارها بعث اليهم من كان معه ليردوهم فوجدوا الامر قد فرط  
 والصليبيين قد تكاثروا حتى خافت منهم السرية التي بها السلطان وظفر الصليبيون  
 بالرجالة ظفراً عظيماً وأسروا جماعة وعدمن قتل من الرجالة فكان ١٨٠ في  
 ذلك اليوم وقتل من الصليبيين عدد عظيم وغرق أيضاً منهم كثيرون وكانت هذه  
 الواقعة لم يتفق للصليبيين مآلها ولم يأتى السلطان ما حل بالمسلمين في هذه الواقعة  
 النادرة جمع أصحابه وشاورهم وقرر معهم ان يهجم على الصليبيين ويبر الجسر  
 ويقا تلهم ويستأصل شأقتهم وكانوا قد رحلوا عن صور ونزلوا قريباً من الجسر  
 وبين الجسر وصور فرسخ وزيادة فلما صدم على ذلك رجل الصليبيون عابدين  
 الى صور ملجئين الى سورها فرأى ان يسير الى عكا ليلاحظ ما يني من سورها  
 ويحث على الباقي فسار على تبين ولم يرجع على مرج عيون فضى الى عكا ورتب  
 أحواله وعاود الى العسكر بمرج عيون منتظراً مهلة صاحب الشقيف ولما كان  
 يوم السبت سادس جمادى الاخرى بلغه ان جماعة من رجالة العدو يخرجون  
 الى جبل تبين فيحتطون ووراءهم من الفرسان من يحفظهم فارسل الى عسكر

تبيين ان يخرج منهم نفر يسير الى اولئك المحتطلين فاذا تبعتهم خيل العدو ينهزمون  
الى جهة عيناهم وان يكون ذلك في صبيحة يوم الاثنين ٨ منه وأرسل الى عسكر  
عكا ان يسير حتى يكون وراء عسكر الصليبيين حتى اذا تفرقوا في نصرة  
أصحابهم قصدوا خيمهم وركب هو وعسكره الى الجهة التي عينها هزيمة عسكر  
تبيين ورتب عسكره ثمانية اطلاب واستخرج من كل طلب عشرين فارساً  
وأمرهم ان يترأوا للعدو حتى يخرج اليهم ويناوشهم فيهربون من وجوههم حتى  
يصلوا الى السكين ففعلوا وخرج اليهم من الصليبيين معظم عسكرهم وجرى  
بينهم وبين هذه السرية اليسيرة قتال شديد والتزمت السرية القتال وانفت من  
الانزمام وحماها الحمية على مخالفة السلطان واتصل الخبر بالسلطان في اواخر  
الاحمر وقد هجم الليل فبعث بعوناً كثيرة فعاد الصليبيون ناكسين على أعقابهم  
ومن نوادر هذه الواقعة ان ملوك للسلطان اسمه ايبك الساقى وقع عن فرسه  
فجالس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمي نفسه وجعلوا يرمونه بسهام  
الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم عدة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط  
فأثوه وهو على آخر رمق فظنوه ميتاً فتركوه وانصرفوا عنه ثم ان المسلمين  
جاؤا في صباح يوم الثلاثاء ٩ منه الى موضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حياً  
فحملوه في كساء وهو لا يبى شيئاً فيشسوا من حياته فعرضوا عليه الشهادة وتركوه  
وعادوا اليه فأروه قد قويت نفسه فاقبلوا عليه بمشروب فعوفى وكان بعد ذلك  
لا يحضر موقعة الا كان له فيها أثر عظيم ثم عاد السلطان الى مخيمه في يوم  
الاربعاء ١٠ منه

### ✽ محاصرة الصليبيين عكا ومحاربتهم ومصارعة الصبيان ✽

لما كان السلطان على حصن الشقيف باغه ان الصليبيين خرجوا بجمعهم  
من مدينة صور وساروا قاصدين عكا بقيادة ملكهم غوى الذي كان أسيراً

وأطلق سراحه السلطان فلم ير المسارعة بالمسير الى عكا خوفاً من أن يكون  
 قصدهم ترحيله عن الشقيف فاقام مستكشفاً للحال الى يوم الاحد ثاني عشر  
 ورجب سنة ٥٨٥ فوصل رسول يقال ان الصليبيين رحلوا ونزلوا عين بصره  
 ووصل أوائلهم الى الزيب فمظم عنده ذلك وكتب الى سائر أرباب الاطراف  
 بالمسير اليه وسار السلطان بالثقل (عموم الجيش) ليلاً وأصبح يوم الاثنين ١٣  
 منه سائراً الى عكا على طريق طبرية اذ لم تكن طريق أخرى تسع العسكر وسير  
 جماعة على طريق تبين يستشرفون العدو ويواصلونه باخباره وظل مواصلاً  
 الزحف حتى أتى الجولة في منتصف النهار فنزل فيها ساعة ثم رحل  
 وسار طول الليل حتى أتى موضع يقال له المنية صباح الثلاثاء وفيه  
 بلغه خبر نزول الصليبيين على عكا فارسل صاحب الشقيف الى دمشق  
 ليسجن فيها وسار السلطان بجريدة من المنية حتى تقابل ببيعة العسكر الذي  
 كان قد أرسله بطريق تبين بمرج صفورية الذي واعدهم اليه وأمر الثقل ان  
 يباحقه الى مرج صفورية ولم يزل سائراً حتى شارف العدو من الخروبة وبعث  
 بعض العسكر فدخل عكا على غرة من العدو وتقوية لمن فيها ولم يزل يبعث اليها  
 بعثاً بعد بعث حتى اجتمع فيها خلق كثير وسار من الخروبة الى تل كيسان في  
 أوائل مرج عكا فنزل عليه وأمر الناس ان ينزلوا على التعمية فكان في آخر  
 المسيرة على طرف النهر الحلو وآخر الميمنة بالقرب من تل العياضية واحتاط  
 العسكر الاسلامي بالعدو وأخذوا عليهم الطرق من سائر الجوانب وتلاحقت  
 العساكر الاسلامية واجتمعت ورتب اليك الدائم وحصر العدو في خيامه بحيث  
 لا يخرج منها أحد الا يخرج أو يقتل وكان عسكر الصليبيين على شطر من عكا  
 وخيمة ملكهم على تل المصلين قريباً من باب البلد وعدد فرسانهم الفان وعدد  
 واجاهم ثلاثون الفاً وكان المدد يأتيهم من البحر خصوصاً ممن اتاهم من  
 طاقتي القرزيين والدانيين وعددهم اثنا عشر الف غير الذي اتاهم من الانكليز



والفلامنديين وكان مقدمهم رئيس أساقفة كانطور بارى ويمقوب دى افسناس  
 الفلامندى وحري بينهم وبين اليزك مقاتلات عظيمة متواترة والمسلمون  
 يتهافتون على قتالهم والسلطان يمنعهم من ذلك الى وقته ثم وصل تقى الدين من  
 حماه ومظفر الدين بن زين الدين واستفحل أمر الصليبيين فاستداروا بالبلد  
 فى آخر شهر رجب ومنعوا الناس من الدخول والخروج اليها فمظفر على السلطان  
 ذلك وضاق صدره ونارت همته العالية فى فتح الطريق الى عكا لتستمر وصول  
 الميرة والنجدة اليها فباكرهم فى أول شعبان وضايقهم مضايقة شديدة فكانت  
 الحملة بعد صلاة الجمعة وانتشر عسكر الصليبيين الى ان ملكوا التلول وكانت  
 ميسرة عسكرهم الى البحر الحلو ممتدة الى البحر المسالخ وميمنتهم قبالة القلعة  
 الوسطى التي لعكا واتصت الحرب الى ان حال بين الفئتين هجوم الليل وبات  
 الناس على حالهم من الجانبين شاكين السلاح تحرس كل طائفة نفسها من  
 الاخرى وأصبحوا يوم السبت ثانى شعبان على القتال وانفذ السلطان طائفة  
 من شجعان المسلمين الى البحر من شمالي عكا ولم يكن هناك للصليبيين خيم  
 لكن عسكره كان قد امتد جريدة شمالي عكا الى البحر فحمل شجعان  
 المسلمين على عسكر الصليبيين الواقف شمالي عكا فانكسروا كسرة عظيمة  
 وقتلوا منهم جمعا كبيرا والتفت المسلمون منهم الى خيامهم وهجم المسلمون  
 خلفهم الى أوائل خيامهم ووقف اليزك الاسلامى مانعا من ان يخرج من عسكرهم  
 خارج أو يدخل اليه داخل وانفتح الطريق الى عكا من باب القلعة المسماة  
 بقلعة الملك الى باب قراقوش الذي جددده وصار الطريق آمنا واليزك بين  
 الطريق وبين العدو ودخل السلطان فى ذلك اليوم عكا وركب على السور  
 ونظر الى عسكر الصليبيين . وتراجع الناس عن القتال بعد صلاة الظهر  
 لسقيا الدواب والاستراحة ولم يعودوا الى القتال وفى صباح الاحد ثالثه رأى  
 بعض الامراء تأخير القتال الى ان يدخل الجيش الراجل كله الى عكا ويخرجوا

مع العسكر المقيم بها من أبواب البلد على العدو ومن ورائه وتركب العساكر  
 من خارج من سائر النواحي ويحملون حملة الرجل الواحد وكان السلطان  
 يمان هذه الامور كلها بنفسه ويلاحظها بذاته لا يتخلف عن مقام من هذه  
 المقامات وهو من شدة حرصه ووفور همته كالوالدة الشكلى وقال أحد اطبائه  
 انه بقى من يوم الجمعة الى يوم الاحد لم يتناول من الغذاء الا شيئاً يسيراً  
 لفرط اهتمامه وفعلوا ما كانوا قد عزموا عليه واشتدت منعة العدو وحمي نفسه  
 في خيامه ولم تزل سوق الحرب قائمة تباع فيها النفوس وتمطر سماء حربه الرؤس  
 من كل رؤس ومرؤس حتى كان يوم الجمعة نامنه فعزم الصليبيون على الخروج  
 مجموعهم فخرج راجلهم وفارسهم وامتدوا على التلول وساروا الهويضا غير  
 مفترطين في نفوسهم ولا خارجين من راجلهم والرجالة حولهم كالسور المبنى  
 يتلوا بعضهم بعضاً حتى قاربوا خيام اليزك فصاح السلطان بالعساكر الاسلامية  
 فركبوا باجمعهم وحملوا حملة الرجل الواحد فماد الصليبيون ناكسين على  
 عقبهم والسيوف يهمل فيهم فالسلم منهم جريح والعاطب طريق يشتدون هزيمة  
 قيسر جريحهم بقتيلهم حتى لحق خيامهم من سلم منهم وكفوا عن القتال اياماً  
 وكان قصاراهم ان يحفظوا نفوسهم واستمر فتح طريق عكا والمسلمون  
 يترددون اليها ثم رأى السلطان توسيع الدائرة عليهم لعلمهم بخروجهم الى مصارعهم  
 فنقل الثقل الى تل العياضية وهو تل قبالة تل المصلين مشرف على عكا وخيام  
 العدو . ثم بلغ السلطان ان جماعة من الصليبيين تخرج للاحتشاش من طرف  
 النهر مما يدبت عليه فامر السلطان بان يكمن لهم جماعة من العرب وقصد  
 العرب لحقتهم على خيامهم فهاجموا عليهم وقتلوا منهم خلقاً عظيماً وأسروا جماعة  
 واحضروا الرؤس بين يديه وذلك يوم السبت تاسع عشره وفي مساء ذلك اليوم  
 كانت حرب شديدة بين اهل البلد والصليبيين قتل فيه جمع عظيم من  
 الطائفتين وطال الامر بين الفئتين ولا يخلو يوم عن قتال وأنس البمض باليمض

حتى ان الطائفتين كانتا تتحدنان معاً ويتركان القتال ثم يرجعون الى القتال  
بعد ساعة وسموا يوماً فقالوا الى كم يتقاتل الكبار وليس للصغار حظ يريدان  
يصطرع صبيان صبي منا وصبي منكم فاخرج صبيان من البلد الى صبيين من  
الافرنج فوثب أحد الصبيين المسلمين على أحد الصبيين الافرنج فاحتضنه وضرب  
به الارض واخذه أسيراً فاشتراه منه بعض الصليبيين بدينارين وقالوا هو أسيرك  
حقاً فاخذ الدينارين واطلقه

### ﴿ ورود المدد للصليبيين وواقعة عكا الكبرى ﴾

وما زالت الامداد تتوافى على الصليبيين من البحر مع المراكب من بلاد  
البنديقية ويزا وجنوى وكذلك عدد وافر من العساكر الفرنسية والاطالية  
والنمساوية والانكليزية واتحدوا مع الصليبيين الآخرين وكان يوجد بين الصليبيين  
الجدد اساقفه ورؤساء كنائسيون وامراء ودوكلات مثل كونت دى فرارا  
وانساموس أمير المونت راله وفيس كونت دى شاطالاروتل وحاكم برغاس  
مع رئيس اساقفة ييزا وارملة ملك الدانيمرك وصحبتها ٤٠٠ عسكري. وغوى  
دى داميارا واسقف نيزونا وصلا مع بعض عساكر رومانية وجمعوا جميع  
جنودهم واعلامهم الى جنود الصليبيين الذين كانوا برئاسة غوى (الذى كان  
أسيراً) يحاصرون عكا حتى اصبح جيش الصليبيين نيفاً ومائة ألف مقاتل ثم  
قر رأيهم على مقاتلة المسلمين قتلاً شديداً فرتبوا صفوفهم كما يأتى فالملك غوى  
تقدم على العساكر الفرنسية وعلى خيالة الاسبانية (جمعية ضياف الغرباء)  
وامامه أربعة فرسان حاملون بشائر الانجيل المقدس والشاب كونراد صاحب  
صور ترأس جنود البنديقية ولومبارديا وأهل صور ولاندغرافا دى طورينجا  
ترأس العساكر النمساوية والبيزاوية والانكليزية فى وسط الحرب. والدوك دى  
غوالدار قاده عساكره وفرسان الداوية (جمعية الهيكلين) وأقاموا الحفر منهم

ورؤساء كنائس رافينا. وبيزا. ويزانصون وكان طور بارى. وبوفيس. وغاميراي -  
 وغيرهم تسلحوا بالحدود والزرديات وفي يوم الاربعاء الحادى والعشرين من شهر  
 شعبان سنة ٥٨٥ هـ تحرك الصليبيون فأمر السلطان صلاح الدين أن ينادى في الناس  
 بالاسلام فركبوا وكان السلطان قد انزل الجند في الخيم ميمنة وميسرة وقلبا على  
 تعبئة الحرب حتى اذا وقعت صيحة لا يحتاجون الى ترتيب جديد وكان هو في  
 القلب وفي ميمنة القلب ولده الافضل ثم ولده الظافر ثم عسكر الموصل يتقدمهم  
 ظهر الدين بن البكنكري ثم عسكر ديار بكر وعليه قطب الدين صاحب الحصن  
 ثم حسام الدين عمر بن لاجين صاحب نابلس ثم قايماز النجمي وجموع عظيمة تتصل  
 بطرف الميمنة ويلبها الملك المظفر تقي الدين بجحفة وعسكره وهو مطل على البحر  
 وأما أوائل الميسرة فكان مماليق القاب سيف الدين على بن أحمد المشطوب من  
 كبار ملوك الاكراد والامير مجلي وجماعة المهرانية والطكرية ومجاهد الدين  
 يرتقى مقدم عسكر سنجار وجماعة من المماليك ثم مظفر الدين بن زين الدين  
 وعسكره وأواخر الميسرة كبار المماليك الاسدية كسيف الدين يازكوج وورسلان  
 بغا وجماعة الاسديه الذين يضرب بهم المثل وكان في مقدمة القلب الفقيه عيسى  
 والسلطان يطوف على الاطلاب بنفسه يحثهم على القتال ويدعوهم الى النزال  
 ولم يزل القوم يتقدمون والمسلمون يقدمون حتى علا النهار ومضى منه أربع  
 ساعات وعند ذلك تحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين واخرج لهم تقي الدين  
 الجاليش وجرى بينهم قلات كثيرة وتكاثروا على تقي الدين وكان في طرف الميمنة  
 على البحر فتراجع عنهم شيئا اطماعاً لهم لهمم ينفصلون عن أصحابهم فينال  
 منهم غرضه فلما راه السلطان قد تأخر ظن به ضعفاً فأمده باطلاب من القلب  
 حتى قوى جانبه وتراجعت ميسرة العدو واجتمعت على تل مشرف على البحر  
 ولما رأى الذين في قلب معسكر الصليبيين ضعف من في قلب المسلمين وهم  
 يخرج منه من الاطلاب داخلهم الطمع وتحركوا نحو ميمنة القلب وحملوا حملة

الرجل الواحد راجلهم وفارسهم على عسكر ديار بكر فانكسروا كسرة عظيمة  
وسرى الامر حتى انكسر معظم الميمنة واتبع العدو المنهزمين الى العياضية  
لانهم استداروا حول التل وصعدت طائفة من الصليبيين الى خيم السلطان  
فقتلوا طشت دارا واسماعيل المكبس وابن رواحة وأما الميسرة فانها نبتت وأما  
السلطان فانه أخذ يطوف على الاطلاب ينهضهم ويوعدهم ويحثهم على الجهاد  
وينادى فيهم بالاسلام ولم يبق غير خمسة رجال معه وهو يطوف ويتخرق  
الصنوف واوى الى تحت التل الذي كانت عليه الخيام اما المنهزمون من العسكر  
فبلغت هزيمتهم الى الاقوانة وراء جسر طبرية وألحقهم الصليبيون الى العياضية  
فقط حتى اذا مارأوهم قد صعدوا الجبل رجعوا عنهم الى عسكرهم فلق بهم  
جماعة من الغلمان والخرنبدية والساسة فقتلوا منهم جماعة ثم جاؤا على رأس  
السوق فقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة واما الذين صعدوا الخيم فلم يقتلوا غير  
الثلاثة المذكورين ثم رأوا ميسرة الاسلام ثابتة فلعوا ان الكسرة لم تتم فعادوا  
منحدرين من التل يطلبون عسكرهم والسلطان واقف تحت التل يجمع الناس  
ليعودوا الى الحملة على العدو فلما رأى الصليبيين نازلين على التل أراد رجاله  
لقاءهم فامرهم بالصبر الى ان ولوا ظهورهم واسرعوا يطلبون اصحابهم نصاح  
في الناس فحملوا عليهم وقتلوا منهم جماعة واشتد الطمع فيهم وتكاثر الناس  
وراءهم حتى لحقوا اصحابهم والطردهم فلما رأوهم الصليبيين منهزمين  
والمسلمون خلفهم في عدد كثير ظنوا ان من حمل منهم قد قتل وانه انما نجوا  
منهم هذا الثفر فقط وان الهزيمة قد عادت عليهم فاشتدوا في الهرب والهزيمة  
وتحركت الميسرة عليهم وعاد الملك المظفر بجمعه من الميمنة وتحايا الرجال  
وتداعت وتراجعت الناس من كل جانب وظل المسلمون ينقلون ويضربون الى  
ان وصل المنهزمون الى معسكرهم فهجم المسلمون عليهم في الخيام فخرج  
منهم اطلاب كانوا عدوها خشية من هذا الامر مستريحة فردوا المسلمين

وكان التعب قد أخذهم والعرق قد أجمعهم فتراجعوا عنهم بمد صلاة العصر  
 يخوضون في القتلى ودمائهم فرحين مسرورين وعاد السلطان وجلس وحصر و  
 من قتل منهم من الغلمان والمجهاوين ١٥٠ نفرأ ومن المعروفين استشهد منهم  
 الدين أخو الفقيه عيسى والامير مجلى ابن مروان والحاجب خليل الهكاري  
 ومن قتل من الصاييين بلغ سبعة آلاف وقيل أقل في أثناء هزيمة المسلمين  
 وأت الغلمان خلو الخيام من ممرض لان المسكر اتقسم قسمين منهزم ومقاتل  
 ولم يبق في الخيم أحد فظنوا ان الكسرة تم على المسلمين وان العدو سينهب  
 جميع ما في الخيم فاسرعوا هم في نهب جميع ما فيها فلما عاد السلطان الى الخيم  
 ورأى ما حصل سارع في ارسال الكتب والرسل برد المنهزمين وتببع من شذ  
 من المسكر فردهم وأخبرهم بانتصار المسلمين وأمر السلطان بجمع الاقشة من  
 اكف الغلمان فجمعوا ذلك حتى الخالي امامه فامر بان كل من يعرف له شيئاً وحلف  
 عليه يسلم له أما الصاييون فانهم عادوا الى خيمهم وقد قتل شجعانهم وقتل  
 مقدموهم وأمر السلطان باخراج عربيات من عكا ليحملوا القتلى ويرموهم  
 في النهر ثم جمع رؤساء جيوشه واستأثرهم فيما يفعل وهل يناجز العدو أم لا  
 فقالوا جميعاً الاوفق ان ننتظر قدوم الملك المادل وتستريح العساكر لان العساكر  
 قد تعبت جداً وعند قدوم الملك المادل نشركه في الرأي فوافقهم على ذلك وأشير  
 على السلطان بالانتقال الى الخروبة فصار اليها رابع رمضان وأمر باغلاق ابواب  
 عكا فوجد الصليبيون بذلك فرجالهم وشرعوا في حفر خندق على معسكرهم  
 حوالى عكا من البحر الى البحر وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات  
 الحصر . وعملوا حوهم سوراً من تراب حفر الخندق فكان معسكرهم كأنه بلد  
 ورتبوا على سورههم رجالاً لحفظه . وكان الذي أوجب رحيل السلطان من هذا  
 الموضع هو فساد الهواء بدم المقتولين وتناة الرائحة

✽ وصول العساكر المصرية والاسطول المصري ✽

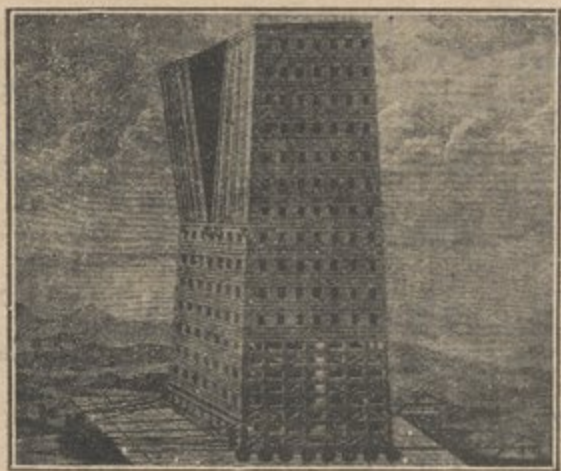
وهجوم الصليبيين على اليزك ✽

في منتصف شهر شوال سنة ٥٨٥ وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك  
البادل سيف الدين أبو بكر بن أبوب فهما وصل قويت النفوس به وبين معه  
واشتدت ظهورهم وأحضر معه من آلات الحصار ومن الدرق والطارقيات  
والنشاب والاقواس شيئاً كثيراً وفي منتصف شهر القعدة وصل الاسطول  
المصري بقيادة حسام الدين لؤلؤ فجاءة على مراكب الصليبيين فبغتها وسحقها  
وبددها وظفر ببطستين كبيرتين بما فيها من أموالهم ورجالهم وغلالهم وكان  
عدد مراكب الاسطول خمسين مركباً فيها زهاء عشرة آلاف مقاتل وأرسل  
السلطان الى عكا في المراكب جماعة من الامراء باجنادهم وأزوادهم فاستظهر  
بهم من البلد وبالاسطول وحمدوا الله وأخذت العساكر الاسلامية تخرج الى  
العدو ليلاً وتذيقه مرارة القتل والاسر والسرقه وكانوا يخنفون بالحشيش في  
أجراف الانهار ليفتكوا بمن يرد الماء وقد أرسل صاحب الموصل الى السلطان  
من أحوال النفط الابيض شيئاً كثيراً مع عزة وجوده ومن التروس والرماح  
من كل جنس أحكمه وأجوده وأقام السلطان بموضعه بالحروب مدة الشتاء  
وكان يزكه وطلائمه لا تقطع عن الصليبيين فلما هل شهر صفر سنة ٥٨٦ سمع  
الصليبيون بان صلاح الدين قد سار للصيدورأوا العسكر الذين في اليزك قليلاً  
وان الاحوال التي في مرج عكا كثيرة تمتع من سلوك من يريد ان ينجد اليزك  
فاغتموا الفرصة وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون  
وجموا أنفسهم بالنشاب حتى فنى نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد  
فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لا ينجحهم الا الصبر وصدق القتال  
فقاتلوا قتالاً مستقلاً الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين جمع كثير وعاد الصليبيون

الى خنادقهم • ولما عاد السلطان الى المعسكر بلغه الخبر فندب الناس الى نصره  
اخواتهم فانه الخبران الصليبيين قد وصلوا مأمهم

### ﴿ احراق أبراج الصليبيين وواقعة الاسطول ﴾

كان الصليبيون مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب  
عالية جداً طول كل برج منها ستون ذراعاً وعملوا كل برج منها خمس طبقات وكل  
طبقة مملوءة بالمقاتلة وغشوها بالجلود المدهونة بالخل وعالجوها بما يمنع النار من  
احراقها واصاحوا الطارق لها وعملوها بمجمل لاجل جرها وتسييرها الى حيث شاؤا



صورة برج حصار ذو طبقات

وشرعوا في طم خنادقها وزحفوا بها في ٢٠ ربيع أول سنة ٥٨٦  
فأشرفت على السور وقاتل من بها من عاين وانكشف من بالبلد وأشرفت  
البلد على الهلاك وكان السلطان لما وجد البلد محصورة رغب بعض الناس في  
السياسة ودخول المينا فكانوا واسطة في المفاوضة بينه وبين البلد فأرسل أهلها



أحد العوامين الى السلطان وأخبروه بتلك الابراج وبضررها وانها اذا استمرت  
أخذ العدو البلد عنوة فركب مسرعاً بمسكروه وتقدم الى الصليبيين وقتلهم  
من جميع جهاتهم قتالا عظيماً دائماً يشغلهم عن أهل البلد فافترق الصليبيون  
فريقين فرقة تقابل السلطان وفرقة تقابل أهل عكا ولكن خف الامر عنهم ودام  
القتال ثمانية أيام متتابعة آخرها ٢٨ منه وسثم الفريقان القتال وملوا منه ملازمته  
ليلاً ونهاراً والمسلمون تيقنوا من استيلاء العدو على البلد لما رأوا من عجز  
من فيه عن دفع الابراج لانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها ولم يفدهم ذلك شيئاً  
وتابعوا رمي النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فن الطاف الله بهم ان شخصاً من  
أهل دمشق اسمه علي ابن شيخ النحاسين كان في عكا وهو مولع بجمع آلات  
النقاطين وايجاد عقاير تقوي عمل النار . فلما رأى تلك الابراج وما فعلته  
ياهل المدينة شرع في عمل ما يعرفه من تلك الادوية المقوية للنار ولما فرغ منها  
حضر الى الامير بهاء الدين قراقوش حاكم البلد وقال له ان يأمر المنجنقي ان  
يرمي بالمنجانيق المحاذي لاحد هذه الابراج ما أعطيه لكي يجرقه وكان عند  
قراقوش من النفط والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غضباً بقوله  
وقال له قد بالغ أهل هذه الصناعة في الرمي بالنفط فلم يفلحوا فقال له من حضر  
العمل الله جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا اذا وافقناه على كلامه فأجابته الى  
ذلك



(صورة آلة لرمي قارورة النفط)

وأمر المتجنيبي بمثال أمره فرمي عدة قدور خالية من النفط والصلبيون  
 إذا رأوا القدور لا تحرق شيئاً يفرحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج  
 حتى يعلمون الذي القيام قد تمكن من البرج التي قدرة مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل  
 البرج ورمي ثمانية وثلاثة فاضطرت النيران في نواحي البرج فاخترق بمسافيه من  
 السلاح والزرديات وكان شيئاً كثيراً وكان الصليبيون قد استهتوا أمر القدور  
 الأولى لأنها لم تفعل شيئاً فاطمأنوا وتركوا السعي في الخلاص ولما اخترق  
 البرج الأول انتقل إلى البرج الثاني وقد هرب من فيه خوفاً فاحرقه وكذلك  
 الثالث وكان ذلك يوماً مشهوداً لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون فرحين وقد  
 أبرقت وجوههم بمد السكابة فرحاً بالنصر وخلاصهم من القتل وحمل ذلك  
 الرجل إلى صلاح الدين فبذل له الأموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل  
 منه شيئاً وقال أنا عملت ذلك لوجه الله تعالى ولا أريد الجزاء الامنه وأرسل  
 السلطان بطلب العساكر الشرقية فأول من أتاه عماد الدين زنكي وهو صاحب  
 سنجار وديار الجزيرة ثم أتاه علاء الدين بن عز الدين مسعود سيره أبوه مقدماً

على عسكره وهو صاحب الموصل ثم وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الصليبيين ويقاتلهم ثم ينضم الى الآخرين ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الصليبيون بقربه جهزوا اسطولا ليلتقاءه في طريقه ويقال له فركب صلاح الدين في العساكر جميعها وقاتلهم من كل جهة ليستغلوا بقتاله عن قتال الاسطول فيتمكن من دخول عكا فلم يشتموا وخرج اسطولهم وكانت الناس خرجت على جانب البحر تقوية للاسطول وايضا له ولرجالها والتقى الاسطولان في البحر والعسكران في البر واضطربت نار الحرب واستمرت وباع كل فريق روحه وجرى قتال شديد اقشع عن نصرة الاسطول المصري بعد اخذ مركب منه وقتل من باسطول الصليبيين ونهب ما فيه واخذ منه مركبا ايضا ودخل الاسطول المصري المنصور الى عكا وكان قد صحبتته مراكب من الساحل فيها مير وذخائر وطابت قلوب اهل البلد بذلك وانشرفت صدورهم واتصل القتال بين العسكرين خارج البلد الى ان فصل بينهما الليل وعاد كل فريق الى خيئه وقتل من الصليبيين في هذا اليوم كثيرون لان اهل البلد اشتدوا في قتالهم والاسطول وعساكر السلطان فكان قتاله الصليبيين في ثلاث مواضع .

### ✽ الحروب الصليبية الثالثة ✽

( سفر ملك النمسا والمانيا الى فلسطين وما جرى له ووفاته )  
 ثم اقام الملك فريديريكوس عوضاً عنه في تدبير المملكة مدة غيابه عنها ولده هنريكووس وسافر من راتيسبوننا بمسكرو مجتازاً بلاد هونكريا ثم بلغناريا حيث لاقت العساكر النمساوية موانع واهانات كثيرة من سكانها فكان كل من كان يقع في ايديهم يعذبونه ويربطونه من رجله في الشجر منكسماً وكان جالساً على تحت القسطنطينية الملك اسحق فلما بلغه قدوم العساكر النمساوية ارسل

الى السلطان صلاح الدين يخبره بذلك ووعد به منهم من العبور وأمر عساكره  
بمحاربة النمساويين فلما وصل الملك فريدريكوس الى مدينة فيليبوبولي تحقق ان وفده  
الذي ارسله الى ملك الروم مسجون بالقسطنطينية وكان يظن ملك الروم صديقا له  
فوجده عدواً فغضب وأخذ يحارب جميع المدن التي يجتازها حتى انها امتلك المدن  
الآتية • ادريانوبولي • ديديموتيك • سيلفريا • فاليلوي • وسائر السهول  
الواقعة على شاطئ بوربونديا الايمن مع هاليسبونت وكادت تقع مدينة القسطنطينية  
في يده وكانت العساكر المقبلة من بلاد البندقية ومن انكونا ومن جنوى بمراكبهم  
قد علمت بما جرى للعساكر الصليبية النمساوية فزموا على ضرب مدينة  
القسطنطينية من البحر فينشد خاف الملك اسحاق ملك الروم من هذه الجيوش  
فاطلق سراح وفد ملك النمساو قدم الذخائر للصليبيين وهيا لهم ١٥٠٠ مركب  
و ٢٦ غلباطه لاجل نزول العساكر النمساوية فيها وتعلمهم الى موالي اسيا ولما نزلوا  
باراضى اسيا الصغرى مارين بمملكة قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان  
تاربهم التركان وظلوا يترصدونهم ويقتلون من انفرد منهم وكان الزمن شتاء  
وقد اهلكهم البرد فلما قربوا من مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين  
ملك شاه ابن قليج ارسلان وحاربهم فلم يقدر عليهم فماد الى قونية وسار الصليبيون  
وراءه ولكنهم ضلوا الطريق وساروا في ارض لا ماء فيها حتى هلكوا من العطش  
ومن الجوع وكانوا يترامون في الطرق ويستخرجون دم الخيل ويمتصونه الى  
ان وصلوا الى مدينة قونية فارسلوا الى قليج ارسلان هدايا عظيمة وقالوا له  
ما قصدنا بلادك ولا اردناها وانما نحن نقصد البيت المقدس وطلبوا منه ان  
يأذن لرعيته في اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فاذن في ذلك فاتاهم  
ما يريدون فشمعوا وتزودوا (وقال المؤرخون النمساويون ان الملك فريدريكوس  
لما وصل الى مدينة قونية حاربها حتى امتلكها) وساروا الى بلاد الارمن  
فناهم تعب زائد ومشقة عظيمة وفي ذات ليلة حصلت زلزلة عظيمة وشعروا

بمقعة الاسلحة وصهيل الخيل كان جيوشاً قد جاؤهم فتقطعت قلوبهم خوفاً  
ولكنهم لم يروا احداً فكانوا يتساءلون عن سبب ذلك فقالت رؤسائهم ان في  
ذلك رمزاً عن قرب حصول حادث مهول يعمون فيه (وهذا ما ذكره مؤرخوهم  
أيضاً) ثم وصلوا الى بلاد الارمن وصاحبها لاقون ابن اصطفان فارس اليهم  
وفدأ لمقابلتهم وقدموا لهم جميع ما يحتاجون اليه من ذخائر وزاد وغيره من  
العلف وقدموا لهم الطاعة ثم سار الصليبيون قاصدين انطاكية فحصل لهم من  
التعب مالا يوصف ثم ساروا وكان في طريقهم نهر فنزلوا عنده ونزل الملك  
فريدريكوس في النهر ليغتسل فغرق في مكان لا يبلغ المساء فيه وسط الرجل فاعتراه  
تشميرة شديدة وطلب الاغاثة فاخرجوه ميتاً وحزنوا عليه حزناً شديداً وكان معه  
ولده فقاموه ملكاً مكانه ولكن الخلاف وقع بينهم فاحب بعضهم العود الى بلاده  
وبعضهم مال الي تملك اخيه فعادوا وسار ولده فيمن رضى به ملكاً قاصداً انطاكية  
فوصلوها وقد نفشى بينهم الوباء فاهلكهم وبددهم فحسن لهم صاحبها المسير لمشاركة  
الصليبيين في حصار عكا فساروا على جيلة واللاذقية وغيرها من البلاد التي ملكها  
المسلمون وخرج أهل حلب اليهم واخذوا منهم خلقاً كثيراً ومات أكثر من أخذ  
فبلغوا طرابلس واقاموا بها اياماً فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا ألف رجل وعلى  
قول مؤرخيهم خمسة آلاف نسمة ( فانظر الى لطف الله كيف خرجت هذه  
الحملة الصليبية من بلادها نحو ٢٠٠ الف مقاتل وقيل اكثر وكيف بقي منهم  
الف فارس) ثم وصلوا الى عسكر الصليبيين حول عكا فوجدوهم في خلاف وكان  
الملك قليج ارسلان يكتب السلطان باخبارهم ويعدده انه يمنعهم من العبور في  
بلادهم فلما عبروها ارسل يعتذر بالعجز عنه لان اولاده حكموا عليه وحجروا  
عليه وتفرقوا عنه وخرجوا عن طاعته فلما ورد الخبر الى السلطان بمعبور الملك  
فريدريكوس استشار امرائه فاشار كثير منهم بالتشير الى طريقهم ومحاربتهم قبل

وصولهم الى عكا فقال السلطان بل تقيم الى ان يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا  
يستسلم من بعكا من عساكرنا واكنه سير من عنده من العساكر عسكر حلب  
وجبله واللاذقية وشيزر وغير ذلك ليكونوا في اطراف البلاد يحفظونها من  
العدو فكفى الله المسلمين القتال

### ﴿ الواقعة العادلية على عكا بين الصليبيين والمسلمين ﴾

لما ارسل السلطان العساكر الاسلامية الى بلادها خوفاً من ملك النمساو علم  
الصليبيون ان العساكر قد تفرقت في اطراف البلاد وان الميمنة قد خفت لان معظم  
من سار كان منها اجمعوا رأيهم وانفقت كلمتهم على انهم يخرجون بغتة ويهجمون  
على طرف الميمنة نجاة فخرجوا واستخفوا طرف الميمنة وفيها تخيم الملك العادل  
فلما بصر الناس بهم صاح صائحهم وخرجوا من خيامهم كالاسود من آجاءها  
وركب السلطان وصاح منادياً بالاسلام وكان هو اول راكب وهو كالفاقد  
لولدها الثالثة لو حيدها ثم ضرب الصنوج فاجابته صنوج الامراء من اماكنها  
وركب الناس وسارع الصليبيون في قصد الميمنة حتى وصلوا الى تخيم الملك  
العادل قبل ان تركب جميع العساكر ودخلوا في وجاهه وامتدت ايديهم في  
السوق واطراف الخيم بالنهب والغارة وركب العادل واستركب من يليه من  
الميمنة كالطواشي قايماس النجمي وعزالدين جرديك التوري ووقف ووقف  
مخادع حتى يوغل بهم طمعهم في الخيم ويشغلوا بالنهب وكان كاظن ولما علم  
باشتغالهم بالنهب صاح بالناس وحمل بنفسه يتقدمه ولده الكبير شمس الدين  
مودود وحمل بحملته من كان يليه من الميمنة واتصل الامر بجميع الميمنة حتى  
وصل الصائح الى عسكر الموصل وهجموا على العدو هجمة الاسود على  
فرائسها وأوقعوا فيهم القتل فعاد الصليبيون هاربين الى خيامهم وعلى أعقابهم  
فاكسين والسيف يعمل فيهم وصاح صائح السلطان في الناس يا بطل الموحدين

هذا عدوكم قدامكم الله منه وقد داخله الطمع حتي غشي خيابهكم بنفسه  
 فبادر الى اجابة دعوته أهل حلقته وخاصة ثم عسكر الموصل يتقدمهم علاء  
 الدين ولد عز الدين ثم عسكر مصر يتقدمهم سنقر الحلبي وتتابعت العساكر  
 وتحاربت الابطال وقامت سوق الحرب فلم يكن الا ساعة حتي تراعي الصليبيون  
 صرعي كأنهم أعجاز نخل خاوية وغطت قتلاهم الارض من خيم الملك العادل  
 الى خياهم فكان أولهم بالخيام الاسلامية وآخرهم بخيام العدو صرعي على  
 التلول والوهاد وكان ما بين العسكرين ما يزيد عن فرسخ مفروش باشلائهم ولم  
 ينبج من القوم الا التادر وأسرت فر يسير لان السلطان أمر بان لا يبقوا على أحد  
 وكان هذا جميعه في الميمنة وبمض القلب اما الميسرة فما اتصل الصائح بهم  
 الا وقد غز الامر وقضى القضاء على العدو لبعده المسافين وكانت هذه الواقعة ما  
 بين الظهر والمصر ثم أمر السلطان العساكر الاسلامية بالرجوع وكانت النصره  
 في هذا اليوم عظيمة جداً للمسلمين ولم يقتل منهم الا عشرة انفس ومن  
 الصليبيين ثمانية آلاف وقال مؤرخوهم بان عسكر الصليبيين لما رأى  
 عساكر السلطان قد سافرت طمع في الباقي وطلب من رؤسائهم حرباً صوميه  
 ضد المسلمين فتموهم فلم يمتنعوا وخرجوا بدون ارادة رؤسائهم ويعترفون  
 بالواقعة كما تقدم ويقولون هذا جزاء مخالفتهم لاوامر الرؤساء : وكان المسلمون  
 الذين بالبلد ينظرون الى هذه الواقعة من أعلى السور ولم يعلموا بكسرة الصليبيين  
 خرجوا من البلد وأوقفوا في عسكر الصليبيين قتلاً ونهباً حتي انهم أخذوا القدور  
 وفيها الطعام وكثيراً من الاقشة

### ﴿ حصار عكا من البحر ودخول الزاد اليها قهراً ﴾

لما رأى الصليبيون اتصال المدد من البحر الى عكا عزموا على محاصرة الميناء  
 من البحر لمنع دخول مراكب المسلمين اليها وكان ورد للمسلمين مدد من البحر

من فرنساويين وانكليز وايطاليين تحت رياسة قائدهم هنريكوس كونت دى  
شيبانيا ومعهم من آلات الحرب والحصار شيء كثير . وكان السلطان قد أمر  
بشحن بطسة كبيرة بالقلال والبصل والجبن والغنم وغير ذلك من المسيرة من  
ميناء بيروت لان أهل البلد قد اشتدت حاجتهم الى الطعام والميرة فركب في تلك  
البطسة جماعة من المسلمين وتزبوا بزى الافرنج حتى حلقوا لحاهم ووضعوا  
الخنازير على سطح البطسة لتظهر من بعد وعلقوا الصلبان وجاؤا قاصدين بالبلد من  
البعدي حتى خالطوا امراكب العدو فخرجوا اليهم واعترضوهم في الحراقات والشواني  
وقالوا لهم نراكم قاصدين بالبلد واعتقدوا انهم منهم فقالوا اولم تكونوا أخذتم البلاد  
فقالوا نأخذ البلاد بعد فقالوا نحن نرد القلوع الى العسكر ولكن وراءنا بطسه  
أخرى في هواها فانذروهم حتى لا يدخلوا البلد وكان وراءهم بطسة أفرنجية  
قد اتفقت معهم في البحر قاصدين العسكر فنظروا فراوها فتصدوها لينذروها  
فاشدت البطسة الاسلامية في السير واستقام لها الريح حتى دخلت ميناء البلد  
وسلمت ولله الحمد وكان ذلك في أواخر شهر رجب سنة ٥٨٦ ثم أرسل بهاء  
الدين قراقوش والى البلد والحاجب حسام الدين لؤلؤ مقدم الاسطول الى  
السلطان في أول شعبان يذكر ان له انه لم يبق بالبلد ميرة الا قدر يكفى البلد  
الى ليلة النصف من شعبان لا غير فاسرها يوسف في نفسه ولم يبد لها احد  
لا من خاصته ولا من الجيش خشية الشيوع والبلوغ الى العدو فتضعف به قلوب  
المسلمين وكان قد كتب السلطان الى مصر بتجهيز ثلاث بطس مشحونة  
بالاقوات والادام والمير وجميع ما يحتاج اليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك  
طول الشتاء فاقلمت البطس الثلاث من الديار المصرية ولججت في البحر تتوخى  
النوتية به الريح التى تحملها الى عكا فطابت لهم الريح حتى وصلوا اليها ليلة  
النصف من شعبان وقد نيت الازواد ولم يبق عندهم ما يطعمون الناس في ذلك  
اليوم وخرج أسطول العدو يقاتل البطس والعساكر الاسلامية تشاهد ذلك من



الساحل والناس في تهليل وتكبير وقد كشف المسلمون رؤوسهم يبتهلون الى الله تعالى في القضاء بسلامتها الى البلد والسلطان على الساحل كالوادة التي تكلي يشاهد القتال ويدعور به بنصره وقد علم من شدة القوم ما لم يعلموا غيره وفي قلبه ما في قلبه والله يشته ولم يزل القتال حول البطس من كل جانب والله يدفع عنها والريح يشتد والاصوات قد ارتفعت من الطائفتين والدعا يخرج الحجب حتي وصلت بحمد الله سالمة الى ميناء البلد وتلقاها اهل عكا لقي الامطار عند جذب وكان دخولها وقت العصر رابع عشر شعبان

### ﴿ احراق منجنيقات الصليبيين ومراكبهم

#### وإداء الامانة بعد الموت ﴾

ونصب الصليبيون على البلد منجنيقات هائلة محكمة على السور وتواترت حجارتها حتى اُثرت فيه أثراً بيناً وخيف من غائلته فاخذ سهمان من الجرح العظيم وأحرق نصلهما حتي امسيا كالشعلة من النار ثم رميا في المنجنيق الواحد فعلقا فيه واجتهد الصليبيون في اطفاء النار فلم يقدر واوهبت ريح شديدة فاشتعل اشتعالا عظيما واتصل الالهيب بالآخر فاحرقه واشتدت نارهما بحيث لم يقدر أحدان يقرب من مكانهما ليحتمل في اطفائهما وكان في اثناء ذلك يرسل السلطان الكتب والمال المخصوص بنفقات المساكن التي داخل البلد بواسطة أناس عوامين ومن غريب ما حصل ان عواماً من هؤلاء العوامين اسمه عيسى مسلماً أخذ كتاباً من السلطان وشد على وسطه ثلاثة اكياس داخلها الف دينار وعام في البحر كما دته (لانه كان يغطس بذلك من وراء مراكب العدو ويخرج في الميناء من البحر) فاتاه القضاء المحتوم وكان كلما يصل الى البلد يرسلون طائراً الى السلطان فيعلم بوصوله فلما انتظر السلطان الطائر عن هذه الرسالة قابضاً الطائر فاستشعر السلطان بهلاك عيسى العوام فلما كان بعد أيام بينما الناس

على شط البحر في البلد واذا البحر قد قذف اليهم ميتاً غريقاً فافتقدوه فوجدوه  
 عيسى السوام ووجدوا على وسطه الذهب ومشع الكتب وكان الذهب نفقة  
 المجاهدين فما روى من لم يمكنه ان يؤدي الامانة في حال حياته فاداهما بعد  
 وفاته الا هذا الرجل الذي برأه الله مما قالوه فيه وكان يوجد برج اسمه برج  
 الذبان في وسط البحر مبني على الصخر على باب مينا عكا يحرس المينا وكان متى  
 عبره المركب أمن من غائلة المدو فاراد الصليبيون اخذته لتبقى المينا بحكمهم  
 وينموادخول شي من البطس الى البلد فتقطع الميرة عنها فاجتهد ليوبولدوك  
 دي أوطريش وعساكره وعساكر اليزاويه فجعلوا على صواري بطسة كبيرة  
 برجا وملؤه حطباً ونقطاً لاجل ان يسيروا فاذا قاربت البرج ولاصقته احرقوا  
 البرج الذي على الصواري ولصقوه ببرج الذبان ليلقوه على سطحه فيحرقوه  
 من الاعلى ويقتلوا من فيه من المقاتلة ويأخذوه وعبوا بطسة أخرى بالحطب  
 والوقود على انهم يدفونها الى ان تدخل بين بطس المسلمين ثم يلهبونها  
 فتحرق البطس الاسلامية ويهلك من فيها وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت  
 قبو عملوه فيها بحيث لا يصل اليهم نشاب ولاشي من آلات السلاح حتى اذا  
 احرقوا ما ارادوا احرقه دخلوا تحت النبوقا ثم احرقوا ما ارادوا وقربوا  
 البطسة من البرج المذكور وكان طمعهم شديداً لان الهواء كان مساعداً لهم  
 فاوقدوا النار واشعلوا فيها النفط فانمكس الهواء عليهم واشتمت البطسة التي  
 كان فيها البرج الخشبي باسرها واجتهدوا في اطفائها فما قدروا واهلك من كان  
 بها من المقاتلة ولم يصب البرج بضرر (برج الذبان) ثم احترقت البطسة التي كانت معدة  
 لاحراق مراكب المسلمين فوثب المسلمون عليها فاخذوها وأما البطسة التي كان فيها  
 القبو فنهزم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع فاختلغوا واضطربوا اضطراباً عظيماً  
 فانقلبت وهلك جميع من بها لانهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منها فكان ذلك  
 من أعظم آيات الله وقدره الله كيدهم في نحرهم

### ﴿ واقعات الدبابات والخندق والكمين ﴾

انشا الصليبيون دبابات من حديد تشبه البرج على عجل تتحرك بها وفيها  
المقاتلة ولها رأس عظيم برقبة شديدة من حديد وهي تسمى كبشاً ينطح بها  
السور بشدة وعنف فهدمه بتكرار النطح وآلة أخرى وهي قبو وفيها رجال أيضاً  
ولها رأس محدد كراس الحراث ويسمى سفود فرأس الكبش مدور يهدم بثقله والسفود  
ينقب بحدته



( صورة الدبابات لقب الاسوار )

وفي ثالث رمضان سنة ٥٨٦ زحف الصليبيون على البلد في خلق لا يحصى  
يدباباتهم فامهلهم أهل البلد حتى نشبت مخالب اطماعهم فيه وسحبوا الآتهم  
المذكورة حتى كادوا ياصقونها بالسور وتحصن منهم في الخندق جماعة عظيمة  
فاطلق المسلمون عليهم الجروح والنجانيق والسهام والسيقان وصاحوا بصيحة

الرجل الواحد وفتحوا الابواب وهجموا على العدو من كل جانب وكبسوهم في الخنادق فهربوا واعمل السيف في من بقي في الخندق منهم ثم هجموا على دبابتهم فالقوا فيها النار والنفط وتمكنوا من احراقها طرب المقاتلة فكان هيب شديد وارتفعت الاصوات بالنكير والتهليل وسرت النار بالدبابات من واحدة الى اخرى فاحترقت كلها وعاق المسلمون في الكبوش الكلاب الحديد فجروها وهي مشتعلة حتى أخذوها وأدخلوها في البلد وكانت منشأة من آلات هائلة عظيمة فالتى عليها الماء حتي برد حديدتها بعد أيام فكانت زنته مائة قنطار وفي يوم الاثنين حادي عشر شوال اقام من الصليبيين على البلد الملك فريديريكوس الصغير ملك النمسا بفرقة عظيمة لمحاصرته وخرج باقي معسكرهم ومعه ميرة أربعة أيام للجيش والحيل وكان يزك السلطان نجما على تل العياضية فلما رأى السلطان ذلك نقل ائقال المسلمين الى ميمون وهي على ثلاثة فراسخ من عكا وكان قد عاد اليه من سافر من عساكره بعد وفاة ملك النمسا فلقى الصليبيين بجيش عرمرم تام التعبئة وولى اولاده الافضل على والظاهر غازي والظاهر القلب وأخاه العادل أبا بكر الميمنة المؤلفة من عساكر مصر ومن انضم اليها وكان في الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقي الدين صاحب حماه ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من أمراءه واتفق ان السلطان أخذه مغص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فبار الصليبيون شرقي نهر هناك حتي وصلوا الى رأس النهر فرأوا عساكر المسلمين وكثرتها فارتاعوا ولقيهم الجاليشية وامطروهم من السهام ما كاد يستر الشمس فتحولوا الى غربي النهر وثبت الجاليشية على قتالهم حتى تجمعوا ولزم بعضهم بعضاً وكان مقصد الجاليشية ان يحمل الصليبيون عليهم فيلقاهم المسلمون وياتحم القتال فيكون الفصل ويسترجج الناس ولكن الصليبيين ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكائهم وباتوا ليلهم فلما كان

الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بمخندقهم والجاليشية في اكتافهم يقاتلونهم تارة  
 بالسيوف وتارة بالرمح وتارة بالسهم وكلما قتل منهم قتل أخذوه معهم لئلا يعلم  
 المسلمون ما أصابهم ولولا ذلك الالم الذي حدث لاسلطان لكانت هذه الواقعة هي  
 الفصل (وانم الله أمره بالفه) فاما بلغوا اخذنا قديمهم واستكنوا بها لا يخرجون عاد  
 المسلمون الى خيابهم وقد قتلوا من الصليبيين خلقاً كثيراً وفي الثالث والعشرين منه  
 كمن جماعة من المسلمين وتحرش بالعدو جماعة أخرى فخرج اليهم بعض عسكر  
 الصليبيين فقاتلوهم يسيراً وطاردوا متقهقرين فتبعهم الصليبيون حتى جازوا الكمين  
 فخرج عليهم من فيه فزقوهم ولم يفلت من سيوفهم احد

### ❖ في دخول البذل العسكري عكا ❖

لما حل فصل الشتاء وعصفت ازرياح خاف الصليبيون على مراكبهم التي  
 يحاصرون بها عكا لانها لم تتمكن من المينا ولا امكنها رد المسلمين عن دخول  
 البلد فسيروها الى بلادهم صور وغيرها فانفتح طريق عكا في البحر وأرسل  
 أهلها الى السلطان يشكون الضجر والملل والسامة وكان بها الامير حسام  
 الدين أبو الهيجاء السمين مقدماً علي جندها فامر السلطان باقامة البذل وانفاذه  
 الى البلد واخراج من فيها وأمر أخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى  
 جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشواني فكان يرسل  
 عليها الى عكا كل جماعة تقدم عليه من العساكر فيحتل البلد ويخرج جماعة  
 قد دخل اليها عشرون اميراً وكان بها ستون فكان الذين دخلوا اقل من الذين  
 خرجوا وأهمل نواب السلطان تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانه ماله  
 قوم من النصارى فكانوا اذا جاءهم جماعة قد تجندوا تفننوا عليهم بأنواع  
 شتى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرق بهذا السبب خلق كثير وزاد  
 الامر خطارة تواني صلاح الدين نفسه لو توفقه بنوابه واهمال النواب فانهى

الشتاء والامر كذلك وكان من جملة الامراء الذين دخلوا عكا سيف الدين علي بن  
 أحمد المشطوب وعز الدين أرسل مقدم الاسدي بعد جاولي وذلك في غرة سنة ٥٨٧  
 وكان قد اشار بعض الامراء على السلطان بان يرسل الى من بمكا النفقات الواسعة  
 والذخائر والاقوات الكثيرة ويأمرهم بالمقام لانهم قد جربوا وتدريبوا واطمأنت  
 نفوسهم على ما هم فيه فلم يفعل السلطان ذلك خوفاً من ان ضجرهم وملهمهم  
 على الفشل

### سفر العساكر الصليبية الثالثة في البحر وماجري ملك الانكليز

#### بسيديليا وقبرص وزواجه

بعد ان تماهد ملك فرنسا فيلبس أوغسطس وملك الانكليز ريكاردوس  
 الملقب بقلب الاسد على المقاتلة في مدينة ميسينا بجزيرة سيديليا (صقايه) لنصرة  
 الصليبيين باراضي فلسطين سار ملك فرانساعن طريق جنوى وسار ملك الانكليز  
 الى مرسيايا وانتظار اسطوله فلم يحضر حتي مل الانتظار فركب سفناً صغيرة  
 وقصد ميسينا وأوعز الى جنده ان يركبوا الاسطول حين وصوله ويلحقوا به  
 وأخيراً التقى الجيشان في ميسينا على حدود سيديليا، ايلي ايطاليا وكان لريكاردوس  
 أخت اسمها جوانا تزوجت بوليم ملك سيديليا فمات في شرح شبابه واحتلس  
 الملك من أرملته أمير اسمه تنكريد واستولى على أموال زوجها فعلم بذلك  
 ريكاردوس في انسا. اقامته بميسينا فمزم على محاربة أهل سيديليا ورفع علمه على  
 اسوار ميسينا

ولما رأى ذلك الملك فيلبس ملك فرنسا اغتاط منه فامر عساكره  
 بانزال العلم الانكليزي من على السور فمزم ريكاردوس على محاربة فيلبس ولكن  
 ملك فرانس لكونه أكبر سن من ملك الانكليز لم يرغب في هذه الحرب وأعمال  
 السلاح المعد لمحاربة المسلمين ضد الصليبيين فركب مراكبه وسار قاصداً

فلسطين وأما ملك الانكليز فانه تهدد تنكريد ملك سيسايا فأرضاه بمال  
مقداره عشرون ألف أوقية من الذهب . وكان ريكاردوس قد خطب برنجار يادى  
نافار ولم يبتأ له الاقتران بها في انكلترا خوفاً من التأخر عن الجهاد فأشار  
بحملها اليه في صقاية فجاءت بها والدته ووقت السفر قد دنا فأجل الزفاف الى  
وقت آخر وعهد بخطيبته الى أخته جوانا أرملة وليم ملك صقلية المتقدم  
ذكرها وركب اسطوله وهما معه وسار قاصداً المشرق فهبت عليهم انواء  
شديدة قذفت بمراكبهم الى سواحل كريد فانقصد ريكاردوس الاسطول فعلم  
ان ثلاثاً من سفنه قد ضاعت وفيها خطيبته وحاشيتها فانفذ من يبحث عن  
السفن فأنبأوه ان اثنتين منها جنحتا عند سواحل قبرص وان ملكها اسحق قتل  
التوتية وحجر على النساء في ليموسا وطلب من ريكاردوس ان يقدم اليه  
ليعقدا مؤتمراً فغضب ريكاردوس لذلك غضباً شديداً وسبه بالانكليزية ويقال  
انها المرة الوحيدة التي تكلم بها ريكاردوس بالانكليزية لانهم كانوا يستعملون  
اللغة الفرنسية القديمة ( التورماندية ) اذ ذاك وأسرع ريكاردوس الى قبرص  
وخرج الى البر بمساكره وقبض على ملكها وأوثقه بسلاسل من فضة  
واغتنم وجوده هناك فرصة للاقتران بخطيبته برنجاريا فزفت اليه وكان  
ريكاردوس قد الف أثناء اقامته في صقلية جمعية من الفرسان سماها ( جمعية  
السير الازرق ) لان أعضاءها كانوا يلبسون في انخاضهم اليسرى سيوراً  
من جلد أزرق وقد تعاهدوا على فتح عكا فسار ريكاردوس بجيشه قاصداً  
تلك المدينة

﴿ وصول الصليبيين الى عكا ومحاصرتهم لها وقتل بعض امراءهم ﴾



( صورة فيلبس أوغسطس ملك فرنسا )

وصل الملك فيلبس ملك فرنسا الى عكا في ثاني عشر ربيع الاول سنة  
٥٨٧ ففرح به الصليبيون وجعلوه رئيساً عليهم وكتب السلطان صلاح الدين  
الى عز الدين سامة متولى بيروت بمحاربة من يمر به من الصليبيين وكان في اثناء  
اقامة الملك ريكاردوس ملك الانكليز بجزيرة قبرص قد سافرت بعض مراكبه  
قاصدة عكا فخرج عليها عز الدين واستولى على خمس مراكب مملوءة رجالا  
ونساء وأموالا وخيلا وتقدم الصليبيون الى عكا فنصبوا عليها المنجنيقات وذلك في



رابع جمادى الاولى وأرسل أهل عكا الى السلطان بالاستنفار العظيم والتماس  
 أن يشغل العدو عنهم فركب السلطان بعسكره وكان هذا دأبه معهم كلما ضيقوا  
 على البلد فاذا زحف اليهم رجعوا عن الحصر واذا رجع عنهم عاودوه وكانت  
 العلامة بين السلطان وأهل البلد انه متى زحف العدو عليهم دقوا صنجهم فتدق  
 صنوج السلطان اجابة لهم وكان السلطان مخيماً على شفرعم واستبعد منزلته  
 فتحول الى تل العياضية تاسع جمادى الاولى ثم وصل الملك ريكاردوس في  
 ثالث عشره وكان السلطان لمسا علم بقرب وصوله قد أمر بتجهيز بطسه كبيرة  
 مملوأة بالرجال والعدد والاقوات فتجهزت وسارت من بيروت وفيها سبعمائة  
 مقاتل فلقبها ريكاردوس فقاتلها وصبر من فيها على القتال واحتاطت بهامراكب  
 الانكليز من كل جانب ولما شس من بهامن الخلاص نزل المقدم الى اسفلها وهو  
 يعقوب الحلبي مقدم الجندارية فخرقها خرقة واسماً لئلا يظفر بها العدو ومن فيها  
 ومامهم من الذخائر ففرق جميع ما فيها ولما وصل ريكاردوس الى عكا كما تقدم  
 فرح به الصليبيون وقويت شوكتهم وبالغوا في محاصرة البلد وقتل أهلها ليلاً  
 ونهاراً واسرعوا الى طمي الخندق وكانوا يرمون فيه جنث الاموات وصنعوا  
 دبابة عظيمة ذات أربع طبقات الاولى من خشب والثانية من رصاص والثالثة  
 من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تملو على سور البلد ويركب فيها المقاتلة  
 تخاف منها أهل البلد وقربها أصحابها من السور فواصل المسلمون رشقها بالنفط  
 ليلاً ونهاراً الى ان احترقت وزادت شكوى أهل البلد لاستنفحال أمر العدو  
 ومواصلة قتالهم ليلاً ونهاراً من حين قدوم ريكاردوس ثم ناب كلامن ريكاردوس  
 وفيلبس مرض شديد فارسل ريكاردوس الى السلطان صلاح الدين يطلب  
 دجاجاً وطيراً وأرسل ثانية يطلب فاكهة وتلجأ فارسل اليه كل ما طلب والقتال  
 مستمر من الصليبيين وأهل البلد حتى ضعفت الحامية وبقي أكثر المسلمين  
 يدون نوم عدة ايام لايلاً ولا نهاراً وفي سابع جمادى الآخرة ركب السلطان

بالسكر الاسلامي وزحف على خنادق القوم حتى دخل فيها العسكر وجرى  
 قتال عظيم وهو كالوادة الثكلية يحرك فرسه من طلب الى طلب ويحث الناس  
 على الجهاد وينادي بنفسه بالاسلام وعيناه قد غرقنا بالدمع وكلنا نظر الى عكا وما  
 حل بها من البلاء وما يجري على من مها من المصاب العظيم اشتد في الزحف والحث  
 على القتال ولم يأكل في ذلك اليوم طعاما ولم يهجم الليل عاد الى الخيم وقد أخذ  
 منه التعب والكآبة والحزن ثم ركب سحرا وأصبحوا على ما أمسوا عليه وفي ذلك  
 اليوم وصلت مطالعة من البلد يقولون فيها اننا قد بلغ بنا العجز الى غاية ما بعدها  
 الا التسليم ونحن في الغدان لم نعملوا معنا شيئا نطلب الامان ونسلم ونشتري مجرد  
 رقابنا وكان هذا اعظم خبر ورد على المسلمين فرأى السلطان مهاجمة العدو فلم  
 يساعده العسكر لان رجال الصليبيين وقفوا كالسور المحكم البناء بالسلاح والزبورك  
 والنشاب من وراء أسوارهم وهجم عليهم بعض العسكر من اطرافهم فقتلوا  
 وذبحوا غاية الذبح ثم ان الصليبيين بعدما اعيتهم الحيلة في الاستيلاء على البلد وانهم كلما  
 عملوا ابراجا أو دبابات أو كبوشا أو غيرها يجرقها المسلمون فعمدوا الى اقامة  
 سور من تراب يستترون وراءه للمحاربة كي لا يصيبهم نشاب ولا سهام من المسلمين  
 باعلى سور البلد ثم أخذوا يمدونه شيئا فشيئا الى أن صار قريبا من سور البلد  
 فاختار المسلمون لان العدو قرب منهم وايس في وسعهم ايصال أى اذى اليه  
 لان السور التراب لا تؤثر فيه النار ولا السهام ولم تزل الحرب قائمة حتى ضعفت  
 نفوس أهل البلد وتمكن العدو من الخنادق فلاحها وفتحوا سور البلد وحشوه  
 وأحرقوه فوقت بدنة من الباشورة ودخل بعض الصليبيين منها فاجتمعت أهل  
 البلد على هذا الثقب وقتلوا ما يزيد عن المائة وخمسين نفسا وكان من ضمنهم  
 كل من روطروا . وتيبود دي شامبايا . والكونت دي بلواز واستفانوس دي  
 سانارا . وغوى دي شاتايون . وجفروا دي أومالا . وفيس كونت دي  
 شاتا لارولت . وفيلورانت دي انجارس . وراول دي كوزي ثم ان بعض

الصليبيين أراد الصمود على سور البلد وكان في مقدمتهم الباريك كلامان  
قنصب سائماً وصعد عليها الى أن بلغ السور وتبعه ببض رجاله ونصبوا السلام  
فتكر دست بهم ووقفوا جميعاً ولم ينالوا مرادهم وأما الباريك فان المسلمين  
تكاثروا عليه وقتلوه

### ﴿ طلب الصالح ودخول الصليبيين عكا ﴾

تابع السلطان صلاح الدين زحفه وهجأته على عسكر الصليبيين لكي  
يشغلهم عن محاربة أهل البلد ولكنهم لم ينفكوا عن قتالهم ومضايقتهم فامر قائم  
النجمي بان يزحف هو وأصحابه الى اسوار العدو وترجل جماعة من امرأه  
الاكراد كالجنح وأصحابه وهو أخو المشطوب وزحفوا حتى باغوا أسوار العدو  
ونصب قائمهاز علمه بنفسه على سورهم وقاتل عن العلم ووصل عز الدين جرديك  
النورى وسوق الزحف قائمة فترجل هو وجماعته وقاتل قتالاً شديداً وبات العسكر  
تلك الليلة على الخيل تحت الحديد منتظراً نجاح الامل ولم اعلم السلطان بان عكا  
قد وهنت أرسل الى جماعة من فيها سراً وقال لهم خذوا من العدو حذراً واتفقوا  
واخرجوا ليلا من البلد يدأوا واحدة وسيروا الى جانب البحر وصادوا العدو  
بالقهر واتركوا البلد بما فيه فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما  
يملكه ولم يعلم ان التمهاه بههلكه فتمكنوا من المراد حتى اسفر الصباغ ولم يصح  
كذلك في الليلة الثانية لوصول الخبر الى الصليبيين فخرسوا الجوانب والابواب  
ثم ان الامير سيف الدين علي بن أحمد العسكري المعروف بالمشطوب وكان هو مقدم  
العسكر في البلد خرج الى ملك فرانسوا فيلبس أو غسسطوس وقال له انا قد  
أخذنا منكم بلاداً كثيرة وكنا نهدم البلد وندخله ومع هذا اذا سألونا الامان  
أعطيناهم وحملناهم الى مأمهم واكرمناهم ونحن نسلم البلد وتعطينا الامان على  
أنفسنا وبعد مداولة ملك فرانسوا مع ديوان المشورة العسكري قال انه لا يعطي

الامان للمسلمين الا بعد ان يرجعوا مدينة القدس وجميع البلاد التي استولوا  
عليها بعد حرب طبرية (سواحل سوريا) فانظر فرق المعاملة بين المسلمين  
في استيلائهم على المدن من الصليبيين وكيف كانوا يعطونهم الامان ويوصلونهم  
الى الجهات التي يريدونها ومعاملة هؤلاء الصليبيين لعساكر عكا المسلمين وعدم  
اعطائهم الامان) فاغلظ المشطوب له القول وانصرف عنه ولم يدخل البلاد  
بهذا الخبر خاف جماعة من الامراء فاخذوا لهم بركوسا وهو مركب صغير  
وركبوا فيه ليلا خارجين الى العسكر الاسلامي منهم عز الدين ارسل وحسام الدين  
تمرتاش ابن الجاولي وسنقر الوشاتي وهو من الاسدية الاكابر ثم ان سيف  
الدين المشطوب اتفق مع الصليبيين على تسليم البلد بجميع ما فيه من الآلات  
والعدد والمراكب ومائتي الف دينار والالف وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير  
معينين من جانبهم يختارونهم وصليب الصليبوت علي اثمهم يخرجون بانفسهم سالمين  
ومامعهم من الاموال والاقشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم وضمنوا لكونراد  
صاحب صور عشرة آلاف دينار لانه كان واسطة الصلح ولاصحابه اربعة آلاف  
ولما وقف السلطان على ذلك انكره وأعظمه وعزم على ان يكتب اليهم بانكار  
ذلك وجمع أمراء وأصحاب مشورته فمأحسن المسلمون الا وقد ارتفعت  
أعلام الصليبيين على اسوار البلاد وذلك ظهيرة يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة  
سنة ٥٨٧ وهكذا دخلوا البلاد صلاحاً بعد حصار سنتين وسفك دماء كثيرة  
وموت نيف ومائة ألف مقاتل كما قال مؤرخوهم ونصه (بعد ما نيف عن  
مدة سنتين من حصار هذه المدينة باتعاب وشدايد وأعمال كابية وحروب  
شديدة دخلها المسيحيون آمنين في اليوم الثالث عشر من شهر حزيران سنة  
١١٩١ ونشروا بيارق الصليب فوق أسوارها فهذه كانت نهاية حصار عكا الذائع  
الصيت الذي فيه سفكت دماء عظيمة المقدار والصليبيون ندبوا فيه فقدان عدد  
وافر من كل ذى رتبة من الشجعان ضمن نحو مائة معركة حربية خصوصية

وتسع حروب عمومية عظيمة حدثت أمام اسوار هذه المدينة بمساكر كانت  
اجواقها محضرت وتبتدى بالحرب بعد ان تكون العساكر التي قبلها قد تلاشت اما  
تماماً أو في اكثر اجزائها بعد ان تصل المراكب العديدة التي كانت تتوارد من  
جميع ميين بلاد المغرب حاملة طغمت من المقاتلين الذين كانوا يتقاطرون  
مندكين نزولاً حول تل طورمان وفوق ارمال بيولوس وبالاجمال انه في مدة  
هذا الحصار قد حصدت سيوف الاسلام وأنواع الامراض الرديئة من  
الصليبيين نحو مائة ألف مقاتل ) وكان لما اتفق المشطوب مع الصليبيين  
على الصلح حددت تحصيل المال والاسرى مدة شهرين فلما حلفوا له على  
ذلك سلم البلد اليهم ودخلوا سلماً فلما ملكوه غدروا واختاطوا على من فيه  
من المسلمين وعلى اموالهم وجسوسهم وأظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما  
يبدل لهم وراسلوا السلطان في ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا  
من عندهم فشرع في جمع المال فلما اجتمع عنده من المال مائة الف دينار  
جمع الامراء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيئاً حتى يجددوا الحلف باطلاق  
اصحابه وان يضمن رجال جمعية الداوية ( الهيكليين ) ذلك لانهم أهل دين يرون  
الوفاء فراسلهم صلاح الدين في ذلك فقال الداوية لانحلف ولانضمن لاننا نحاف  
غدر من عندنا ثم قال ملوك الصليبيين اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب  
فلنا الخيار في من عندنا فيخيتد علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل  
اليهم شيئاً وأعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب  
ونعطيكم رهناً على الباقي وتطلقون اصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون  
على الوفاء فقالوا لانحلف ولانفعل شيئاً من ذلك بل تسلمون المال الذي تحصل  
والاسرى والصليب وتقتنعون بأماننا حتى نسلم اليكم اصحابكم فأبى السلطان ذلك  
لعلمه انهم اذا تسلموا المال والصليب والاسرى بدون رهن لا يؤمن غدرهم

قلما رأوه قد امتنع من ذلك أخرجوا خيامهم الى ظاهرا خنادقهم بجميع  
 عساكرهم وركبوا في وقت العصر في اليوم السابع والعشرين من رجب وساروا  
 حتى اتوا الابرقت تحت تل العياضية ثم أحضروا من الاسرى المسلمين نحو الثلاثة  
 آلاف وأوقفوهم وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد فقتلوهم صبراً طعناً وضرباً  
 بالسيف (وهي نقطة سوداء في تاريخ ريكاردوس) واليزك الاسلامي يشاهد  
 الصليبيين ولا يعلم ماذا يصنع لبعده عنهم وكان اليزك قد انفذ للسلطان وأعلمه  
 بركوب القوم ووقوفهم فانهذ الى اليزك من قواه وبعده ان فرغ الصليبيون من  
 قتل الاسرى حمل المسلمون عليهم وجرت بينهم حرب عظيمة قتل فيها  
 وجرح من الجانبين خلق كثير ودام القتال الى ان فصل الليل بين الطائفتين  
 وأصبح المسلمون يكشفون الحال فوجدوا المسلمين الشهداء في مصارعهم  
 فتولاهم حزن شديد أما الصليبيون فانهم لم يبقوا من الاسرى الا المقدمين  
 والاقوياء للعمل فتصرف السلطان في المال المجموع وأرسل اسارى الصليبيين واصلب  
 الصلوات الى دمشق

### ﴿ رمي علم النمسا في الخندق وسفر ملك فرنسا الى بلاده ﴾

لما دخل الملك فيليب ملك فرنسا وريكاردوس ملك الانكليز مدينة  
 عكا كما تقدم اقتسما بينهما خزان القوت وذخائر الحرب وكل ما كان فيها وكان  
 الملك فيليب قد استعمل الرفق واللين في عسكره بخلاف ريكاردوس المتصف  
 دائماً بالحنق وحدة الطبع والشراسة ضد عساكر الصليبيين انفسهم ومن ذلك انه  
 عندما دخلوا المدينة ورفعوا اعلامهم على أسوارها رفع ليوبولدوس دوك دي  
 أو طريش (ملك النمسا) علمه على أحد ابراج المدينة فنضب ريكاردوس من  
 ذلك وأمر بنزع علم النمسا ورميه في الخندق



ليوبولد ديبى او طريش

فلما فعل ذلك تألم ليوبولدوس باطناً ولم يظهر غيظه من هذه الاهانة  
وكتماها في قلبه وحرّم على عساكره الانتقام عن هذه الاهانة قائلا لهم سوف  
انتقم بنفسى من عدوى عند وجود الفرصة ثم ان كوزاد صاحب صور لما  
وجد شدة معاملة ريكاردوس انسحب بعساكره من عكا راجعاً الى  
صور

ولهذا السبب أيضاً عزم الملك فيليبس او غسٹوس ملك فرانسا على العودة  
الى بلاده وخصوصاً لما اعتراه مرض ضيق الصدر ولم يعد يحتمل كبر ملك  
الانكلز ولعلمه انه لا يمكنه الاقامة مع ريكاردوس بالمسألة ففرح بذلك

ريكاردوس لا يتماد ملك مثل هذا عنه لكونه كان يشاركه في الانتصار والكسب  
 ثم التمس من الملك فيلبس القسم بأنه في رجوعه الى مملكته لا يمارس شيئاً ضد  
 بلاد الانكليز ولا يتعرض لها مدة غياب ريكاردوس عنها خلف له على ذلك ثم  
 سافر من عكا بجزراً الى مدينة صور وترك من جيشه الفرنسي عشرة آلاف  
 بحارب تحت رياسة لدوك دي برغونيا ثم سافر من صور قاصداً بلاده وقال  
 مؤرخوهم ( سافر الملك فيلبس بعد ان اهداه السلطان صلاح الدين هدايا عظيمة  
 لانه كان رأى فيه صفات جليلة بعكس غيره من الصليبيين وانه هو أعظم ملوك  
 أوروبا ووصل الى مدينة روميه وزار قبور الشهداء وقابله أهلها باحتفالات عظيمة  
 ثم سار منها الى مملكته فدخل مدينة باريس باحتفال عظيم )

### ﴿ سفر ريكاردوس من عكا وواقعة ارسوف وتخریب عسقلان ﴾

بعد سفر الملك فيلبس من عكا الى بلاده صار الرئيس على جميع الصليبيين  
 الملك ريكاردوس فبعد ترتيبه عكا جعلها مستقراً لزوجه برنجاريا وقد أخذه  
 طمع فتح البلاد فجمع من العساكر الصليبية مائة ألف ورفع علمه على سارية  
 مقامة على أربعة دواليب تجر بمجمل في وسط جيشه نوى الاستيلاء على عسقلان  
 ويافا وقيسارية وكان ذلك في أول شعبان سنة ٥٨٧ وسار نحو حيفا على شاطئ  
 البحر لا يتعد عنه فلما سمع السلطان برجيلهم نادى في معسكره بالرحيل  
 خساروا وكان على البزك الملك الأفضل نجل السلطان ومعه سيف الدين ايازكوش  
 وعز الدين جرديك فضايقوا الصليبيين في مسيرهم وأرسلوا عليهم من السهام  
 كما كاد يحجب الشمس ووقعوا على سافة الصليبيين فقتلوا منهم جماعة وأسروا  
 جماعة فناد ريكاردوس الى الساقة فحماها وجمعهم وساروا حتى أتوا حيفا  
 فنزلوا بها ونزل المسلمون بالقرب منهم وقدم السلطان نقله الى مجدل بابا ثم سار  
 الصليبيون الى قيسارية والمسلمون يسارونهم ويتخطفون منهم من قدروا عليه



فيقتلونه لان السلطان كان قد أقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتله أخذاً بثأر  
 من قتلوه ممن كان في عكافلهم قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقتلوه  
 قتالا شديداً ونزل الصليبيون بنهر القصب وبات المسلمون قريبا منهم وفي آساء  
 اقامتهم على نهر القصب خرج من الصليبيين جماعة مسترسلين وتقدموا على  
 البركة فبصر بهم ابن المقدم فعبير اليهم من ورائهم هو ومن معه وهم لم يأخذوا  
 من خلفهم الحذر ففاجأهم وفجعهم وفرغ من القتل والاسرف فيهم قبل ان يدركهم  
 المدد ثم نهض الصليبيون اليه وحملوا عليه وجرت وقعة شديدة انتهت بهزيمة  
 الصليبيين واحضر الاسارى لدى السلطان ثم رحل السلطان وعبر شعراء  
 ارسوف ونزل على قرية تعرف بدير الراهب وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم  
 يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الصليبيون حمل المسلمون عليهم حملة  
 منكرة ألحقوهم بالبحر فقتل منهم كثير والمسلمون يكبرون ويهللون ثم ان  
 الصليبيين اجتمعوا وحملوا حملة واحدة وفي مقدمتهم ريكاردوس الشجاع  
 وفرسان جمعية ضياف الغرباء (الاسبتارية) وكانت هذه المعركة عمومية وقد  
 أظهر فيها ريكاردوس من البسالة والشجاعة العجيبة وقتل من أمراء الصليبيين  
 يعقوب دى افسناس وفي حال وقوعه صرخ قائلاً يارب ريكاردوس انتقم من الاعداء  
 عن موتي وولى المسلمون منزمين لايلوي أحد على أحد وكان كثير من السوق  
 قد الفوا القيام وقت الحرب قريبا من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حالهم  
 فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجأ المهزومون الى القلعة الذي  
 فيه السلطان صلاح الدين وكان بالقرب من المسلمين شعراء (غابة) كثيرة  
 الشجر فدخلوها وظننها الصليبيون مكيدة فعادوا عنهم وزال عن المسلمين ما كانوا  
 فيه من الضيق وقتل من المسلمين اياز الطويل مملوك السلطان صلاح الدين وهو  
 من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن في زمانه مثله وقد اشتهرت شجاعته  
 بين العسكريين بحيث انه اذا كان في موضع وعرفه الصليبيون خافوا منه وسبب قتله

سقوط جواده فلما رأى السلطان ما حل بالمسلمين سار حتى أتى طلبه فوقف فيه  
 وودق الصنوج فاجتمع في الطلب خلق كثير ووقفت الصليبيون قبالهم على رؤس  
 التلول والروابي ثم رجعوا إلى منازلهم خوفاً منهم من وجود كمين وتراجعت قبي العساكر  
 المنهزمة والجرحي وصدم الملك الأفضل وانفتح دمل كان في وجهه ثم سار ريكاردوس  
 بمسكرو الصليبيين إلى يافا ولم يكن بها أحد من المسلمين فنكسوها وأقاموا بها وأخذوا  
 في بناء الاستحكامات فيها أما السلطان صلاح الدين فإنه رحل باثقاله إلى مدينة الرملة  
 تاسع عشر شعبان وهناك عقد مجلساً من أخيه الملك العادل وأمراء المسلمين  
 واستشارهم فأشار علم الدين بن سلمان بن جندر بخرابها للمعجز عن حفظها  
 على ما بها ووافقه الجماعة على ذلك وقالوا إن الصليبيين قد تقووا بأخذ عكا وما  
 فيها من الأسلحة فلم تسمح نفس السلطان بتخريبها وندب الناس إلى دخولها  
 وحفظها فلم يجبه أحد وقالوا هذه يافا قد نزلوا بها وسكنوا فيها وهي مدينة  
 بين القدس وعسقلان متوسطة ولاسيبيل إلى حفظ المدينتين فاعمد إلى أشرف  
 الموضوعين فخصه وحكمه فنقر الرأي على إقامة العادل ومعه عشرة من الأمراء  
 بقرب يافا حتى إذا تحرك العدو كانوا معه على علم وسار السلطان حتى أتى  
 عسقلان وضرب خيمته شمالها فبات هناك مهموماً بسبب خراب عسقلان وقال  
 والله إن أفقد أولادي كلهم أحب إلي من أن أهدم منها حجراً واحداً ولكن  
 إذا قضى الله بذلك لحفظ منفعة المسلمين فكيف أصنع فاستحضر الوالي وأمره  
 بذلك وقد اجتاز بالسوق والوطاق بنفسه يستنفر الناس للخراب وقسم السور  
 على الناس وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجاً يخربونه  
 ودخل الناس البلد ووقع فيه الضجيج والبكاء وشماهم عليه حزن عظيم وكان  
 هو بنفسه وولده الأنضل يخطان الناس على الخراب خشية أن يسمع العدو فيحضر  
 ولا يمكنهم من خرابها وأباحهم الناس الذي كان ذخيرة في البلد وأمر بحرق  
 البلد فاحترقت والأخبار تتوارد من جانب الصليبيين بعمارة يافا وكان عرض

سور عسقلان تسعة ازرع وفي بعض مواضع عشرة واحرق برج الاستبارية  
وذلك لغاية آخر شعبان

❖ في وقوع ريكاردوس في الاسر ونجاته وعرض زواج  
أخته جوانا بالملك العادل ❖

لما كان السلطان صلاح الدين مهمباً بتخريب مدينة عسقلان وصله من  
عز الدين جرديك كتاب يذكرك فيه ان الصليبيين قد تقسموا وصاروا يخرجون  
من يافا ويفيرون على البلاد القريبة منها ويطالب تحرك السلطان لعله يبلغ منهم غرضاً  
في عزلتهم فنزم على الرحيل وفارق عسقلان في يوم الثلاثاء ثاني رمضار سنة ٥٨٧  
ونزل بالرملة يوم الابعاء ثلثه وأمر بتخريب حصنها وتخريب كنيسة اللدور ك  
جريدة الى القدس فوصله يوم الخميس رابعه لاجل تقويته وخرج منه يوم الاثنين  
ثامنه وفي هذا اليوم خرج ريكاردوس وبعض خاصته لالتتزه والصيدين حقول  
صارون وجلس تحت شجرة هو ومن معه من الامراء والعساكر فاجأته العساكر  
الاسلامية فركب هو ومن معه خيولهم ولكن قد كانت احاطتهم العساكر الاسلامية  
من كل ناحية فلم يقدروا على المدافعة عن انفسهم فخاف ريكاردوس من سقوطه  
بيد المسلمين (فكان المسلمون لا يعلمون انه الملك) فاراد احد خاصته وهو وليم  
دي براتر الاس المولود في انليم بروفاض بفرانسا ان يحمي ريكاردوس وكان  
وليم هذا لابساً ملابس أفخر من ملابس ريكاردوس فادى المسلمين بالعربية  
فأثلا (أواه يا شهيدان احفظوا لي حياتي أنا هو الملك) فهجم عليه فرسان المسلمين  
وشدوا وثاقه وأخذوه أسيراً وبهذه الحيلة نجا ريكاردوس وهرب الى يافا لان  
المسلمين فرحوا باسروليم ظانين انه الملك ولما علموا خطأهم أرسلوه الى  
دمشق ليسجن بها . اما ريكاردوس فانه أراد مكافأة هذا الامين على أماتته  
فطلب من السلطان صلاح الدين اطلاقه وفداه بشرة امراء من المسلمين

المأسورين عنده وتم ذلك فعلا وكان السلطان قد نزل على النظرون في ثالث  
عشره وخيم بها فراسله ريكاردوس يطلب المهادنة



صوانا بنت ريكاردوس دارملة بينيم سبغ عليه

وكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب بأمر ريكاردوس  
وأعلموه بان للملك أختاً اسمها جوانا كانت متزوجة بوليم ملك صقلية ومات  
ويرغب تزويجها للملك العادل بالشروط الآتية . ان يكون القدس وجميع بلاد  
الساحل التي بأيدي المسلمين للملك العادل وتكون عكا وما يبعد الصليبيين  
من البلاد الى جوانا أخت ريكاردوس وان فرسان جمعية الهيكلين (الداوية)  
وجمعية ماري يوحنا المعمدان (الاسبتارية) خاضعين لهذا الاتفاق وان الملك  
العادل يقطعهم البلاد والقرى دون الحصون فلما وجد ذلك الملك العادل صواباً  
ونافعاً لمصالح المسلمين عرض على أخيه السلطان صلاح الدين فأجابته الى ذلك

قام شاع الخبر في معسكر الصليبيين اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان  
 عند جوانا أخت ريكاردوس وانكروا عليها ذلك وخوفوها واتهموها في دينها  
 وقالوا هذه فضيحة فظيمة ونسبة شنيعة وتكونين عاصية للمسيح فرجعت عن  
 قصدها

✠ رسالة ريكاردوس لصلاح الدين بالصلح وما جرى بعد  
 ذلك وتعمير بيت المقدس ✠

وبعد ذلك أرسل ريكاردوس الى السلطان صلاح الدين يقول له ان  
 المسلمين والصليبيين قد هلكوا وخربت البلاد وتلفت الاموال والارواح وان  
 هذا كله بخصوص القدس والصليب والبلاد وحيث ان القدس متعبدا فلا تنزل  
 عنه ولو لم يبق منا واحد وأما البلاد فيعاد اليها ما هو قاطع الاردن وأما الصليب  
 فهو خشبة عندكم لا قيمة لها وهو عندنا عظيم الشأن فيمن به السلطان علينا  
 ونستريح من هذا العناء الدائم فأرسل له السلطان في جوابه ان القدس لنا كما هو لكم  
 وهو عندنا أعظم مما هو عندكم فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة فلا يتصور ان  
 نزل عنه ولا تقدر علي التلطف بذلك بين المسلمين وأما البلاد فهي أيضاً لنا في  
 الاصل واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من كان بهامن المسلمين ذلك  
 الوقت وأما الصليب (صليب الصلوات) فاتلافه عندنا فربة عظيمة لا يجوز ان نفرط  
 فيه الاصلحة راجمة الى الاسلام ثم تواتر الخبر ان الصليبيين عزموا على النهوض  
 فسار السلطان من مخيمه بالنظرون الى الرملة سابع شوال سنة ٥٨٧ وحصلت  
 واقعة في ناحية يازور في ثمانه وكان النصر فيها للمسلمين وفقد منهم ثلاثة وفي  
 سادس عشره وقت واقعة أخرى عظيمة قتل فيها جماعة من الأمراء وأسرى  
 فارسان من الصليبيين معروفان بالبأس سوى غيرهما وقتل منهم زهاء ستين  
 وورد خبر بان الاسطول المصري استولى على مراكب الصليبيين وفيها مركب

تعرف بالمسطح وفي ثامن عشره اجتمع الملك العادل وريكاردوس على طعام  
 ومحادثة وانفصلا على توادد ومطايبة وطلب منه الاجتماع بخدمة السلطان صلاح  
 الدين فالتفت السلطان وقال للملوك اذا اجتمعوا تقبح بينهم المخاصمة بعد ذلك  
 واذا انتظم امر حسن الاجتماع وفي ثالث القعدة رحل الصليبيون الى الرملة  
 واظهر واقصد القدس بتلك الرحلة ودامت الوقعات بين المسلمين وبينهم -م وفي  
 اثالث والعشرين من شهره رحل السلطان الى القدس ينوي الاقامة وكان الشتاء  
 قد حل والغيث قد اتصل فوصل القدس وقت العصر ونزل بدار الاقساء المجاورة  
 كنيسة القمامة وفي ثالث الحجية وصلت المساكر المصرية بقيادة ابي الهيجاء السمين  
 بومعها اموال وتحول الصليبيون الى النطرون فقوى السلطان البرك فوقعوا على  
 سرية فغنموا وهاوساقوا منها الى القدس ما يزيد عن خمسين اسيرا عدا من قتل منهم -م  
 وواقمهم سابق الدين عثمان صاحب شيزر يوم عيد الاضحى ففجر منهم وضحي  
 واحتوى على عشرة من مقدميهم اسرا وقتلا وانهمز باقي الصليبيين في الجبال  
 وتركو اخيالهم فغنمها المسلمون ولم يزل المسلمون تليهم مستظهيرين مدة مقامهم  
 بالنطرون واخذوا يقطعون الطريق على تجارهم حتى انهم أخذوا قافلة ثقيلة  
 بما فيها ولم يقدر الصليبيون على تخليصها فحلوا عائدين الى الرملة في الثاني  
 والعشرين من شهره وكان السلطان قد شرع في تحصين القدس وعمارة أبراجه  
 واسواره وحفر خنادقه وأرسل الى البلاد بجمع رجال هذه الاعمال ففي  
 هذا اليوم وصل من الموصل خمسون رجلا لقطع الصخور من الخندق واقبل  
 الامراء للعمل فيه وعمل فيه السلطان بنفسه بنقل الحجارة هو وأولاده  
 وامراءه واجناده ومعهم القضاة والعلماء وقد قال الرشيد بن النابلسي من قصيدة

له عن قصد الصليبيين المقدس

وح الفرنجة بل ويل أهمهم أوما      فيهم ليب على العلات يعتبر  
 فكهم نثرهم ضربا اذا انتظموا      وكم نظمتهم طعنا اذا انتثروا

كم قد سبقتم ذل فـلا عجب      ان عربدو اسفها فالقوم قد سـكروا  
 ان يـمـوك فـلا بدع لـجـهـلـهم      تـسـي الـي الـاسـد فـي غـابـاتـها الحـمر  
 زاروا نمورا ولا تغنى وقاحتهم      اذا اسودك في ابطالهم زاروا  
 فـخـام عـن حـوطة الـيـت المـقـدس لا      خـوف و حـاشـاك مـن خـوف و لا ضرر  
 هو الشـريف و قد ناداك مـتصـما      فـما عـلى مـجـده مـن بـعـدها حـذر  
 و سـوف تـسـتـغـفر الـايـام هـفوتـها      و تحصد الفئـة الـاوغـاد مـابـذروا  
 و قد قـسـم الـسـلـطان سـور الـبلـد عـلى اولـادـه و اخـيه و اجـنـادـه فـشـرعـوا فـي انـشاء  
 سـور جـديـد و كان يـركـب كل يـوم و ينـقل الصـخـر عـلى قـربـوس سـرجـه فـيـتـبعـه  
 الـا كـابـر و الـامـراء فـي نـقل الصـخـور و اهتم الـسـلـطان بـذلـك اهتمـا مـا زائـداً

✦ بـنـاء الصـايـيـين مـديـنة عـسـقلان و ما جـري فـي اثناء ذلـك

### و غضب بعضهم ✦

عـقد الصـايـيـون مـجـلس شـورا مـا الـمـكي فـقرر مـسـيرهم الـي عـسـقلان و تـعـمير  
 اسـوارها الـتي هـدهـها الـسـلـطان صـلاح الـدين و كان هـذا عـلى غـير مـرام الـمـسا كـر  
 الصـايـيـين فـغـضـب الـدوك دى بـرغـونـيا و خـرج هـو و عـسا كـره الـفرنـسـا و يـة مـن تـحت  
 سـنـجق الصـيـب فـارسل الـيه رـيـكارـدوس و فـداً لمـصـالـتـه و ارجـاعـه و فـي ثـلـث مـحـرم  
 سـنـة ٥٨٨ سـار رـيـكارـدوس بـالمـسـكر الصـيـي الـي عـسـقلان فـشـرعـوا فـي بـنـاء  
 الـسـوارها و كان رـيـكارـدوس مـجـتـمـعـه عـلى ذلـك و يـطـوف حـولـهم ثم ان بـعض امـراءهم  
 شـكا مـن ذلـك الـتـعب و قالوا ما اتيـنا مـن بـلادنا الـي آسـيا لـنـبـتـي المـدن بل لـنـخـايـص  
 الـقـدس مـن ايـدى الـمـسـلـين و كان الـامـير لـيـوبـولـدوس دى اوـطـريـش هـو و جـيشـه  
 الـنـسـا و يـمـتـما عـن الشـغل و قال لـريـكارـدوس اني لست حـداداً و لا نـجـاراً و لا  
 بـنـاء ثم انه سـحب عـسـكره و خـرج عـن مـسـكر الصـايـيـين بـغـضـب و كـذلـك بـعض  
 الـامـراء قـد اهتمـوا مـسـكر الصـايـيـين راجـعـين الـي وراثـتهم اـما رـيـكارـدوس فلم

بهم لهم وداوم في بناء السور وفي أثناء ذلك نظر ريكاردوس من بعد دخاناً  
 فقصده وكان ذلك جماعة من الاسديّة وسيف الدين يازكوج وعلم الدين  
 قيصر وهم لا يعلمون بما دهمهم فوصل اليهم ريكاردوس وقت المغرب فوقع  
 عليهم وكانوا فريقين نازلين في موضعين فلما وقع على أحدهما ركب الفريق  
 الثاني وواقعه حتى ركب الفريق الاول فدافعوه وواقعه وساقوا قدامهم  
 اتقاها وخلصوا ناجين وسام المسلمون من أعدائهم ولم يفقد منهم الا اربعة  
 وكانت وقعة عظيمة دفع الله خطرها وهول ضررها وفي حادي عشره كذب  
 عز الدين جرديك تبني على من نزل بها من الصليبيين فأوقع بهم البلاء وساق  
 منهم اثني عشر أسيراً ومتاعاً كثيراً وأغار أيضاً على ظاهر عسقلان في ثاني  
 صفر وجاء بثلاثين أسيراً وفي ليلة رابع عشر صفر كمنت سرية مقدمها فارس  
 الدين ميمون القصري عند تبني الى ان عبرت قوافل الفريج فساقها باحمالها  
 واثقالها ونسائها ورجالها

❖ في عزم ريكاردوس على السفر الى بلاده وموت كونراد

صاحب صور وغيره ❖

اجتمعت العساكر الصليبية في سهل عسقلان للاحتفال بعيد الفصح واذا  
 بوفد قد أقبل من بلاد الانكليز قاصداً ملكهم ريكاردوس وأخبروه بان أخاه  
 يوحنا خرب المملكة واستولى عليها فلما سمع هذا الخبر جمع اليه رؤساء  
 العساكر وأعلمهم بما جرى وانه يرغب السفر الى بلاده فتكثروا لذلك  
 وشرعوا في انتخاب رئيس عليهم بدلا منه يكون ذا كفاءة فانتخبوا الامير  
 كونراد صاحب مدينة صور ذلك الرجل المشهور بالمكر والدهاء وهو السبب  
 في تجريد هذه الحروب الصليبية الثالثة وكان كونراد هذا مقوماً بمدينة فارسلوا  
 اليه وقد أعلمونه بانتخابهم هذا ففرح بذلك أهل مدينة صور وعسكرهم



وشرعوا في الاحتفال بعيد له وكان ذلك في ثالث عشر ربيع آخر سنة ٥٨٨  
 وكان رجالان من الاسماعيلية الحشاشين دخلا مدينة صور قبل ذلك بمدة  
 وتصررا وأظهرا الترهيب والتعبد ولزما الكنيسة وشكروا القسيسون والرهبان  
 وأحبهما كوزاد ( وهو لا يعلم بانهما سيكونان قاتليه ) ولم يكن يصبر عنهما فقي  
 اليوم المذكور الذي هو أعظم الايام يوم ورود الخبر بانتخابه رئيساً على جميع  
 العساكر الصليبية وثب عليه الاسماعيليان وجرحاه جراحاً بليغة واحتقن  
 أحدهما بكنيسة فاتفق ان كوزاد حمل اليها لتسد فيها جراحاته فوثب عليه  
 الاسماعيلي نائياً واجهز عليه فقبضوا عليهم وسألوهما عن أسباب ذلك فقالوا  
 ان الذي أغرانا هو ريكاردوس ( ولكن مؤرخي الصليبيين قدبروا أوريكاردوس  
 من ذلك وبعض مؤرخي العرب قال ان السلطان صلاح الدين أرسل الى سنان  
 رئيس الاسماعيلية يقول له ارسل من يقتل ريكاردوس أو كوزاد ولما علم  
 سنان بان قتل ريكاردوس صعب ارسل هذين الرجلين الى صور وجرى ما  
 تقدم ) ثم بعد قتل كوزاد المذكور تزوج أرملة هنري دي شمبانيا وعمه  
 ملك فرنسا فيليبس وخاله ملك الانكليز ريكاردوس فأقيم ملكا على صور ثم ان  
 خاله ريكاردوس لتصميمه على السفر تنازل له عن البلاد التي امتلكها فسار  
 هنري الى عكا فقابلوه باحتفال لائق بملك لهم . وفي أثناء ذلك قدم من  
 بلاد الانكليز وفد آخر جدد فلق ريكاردوس وانزعاجه بما أخبروه عن  
 بلبلة مملكته من أعمال أخيه يوحنا وبان الملك فيلبس ملك فرنسا قد هدد  
 بأمانة نورماندية

﴿ في تقرب الصليبيين الى القدس ورجوعهم عنه بقرار

مجلس مشورتهم وما فعله السلطان ﴾

لما أتت الوفود من بلاد الانكليز الى ريكاردوس وعزم على السفر ووجه

ابن أخته على بلاد فلسطين أراد ان يظهر أثرآ من شجاعته أمام الصليبيين  
لتكون تذكارآ له فجمع عسكره بجهة الرملة وفي تاسع جمادى الاولى سنة  
٥٨٨ سار الى قلعة الداروم فاستولى عليها وخربها وكان السلطان صلاح الدين  
لدخول فصل الشتاء قد أمر باعادة المساكر الى بلادها ( وهو مقيم بالقدس  
الشريف ) ليستريحوا ولم يبق الا بعض المساكر المصرية معه فلما علم بذلك  
ريكاردوس فرح وظن انها فرصة مناسبة له وأراد اغتنامها فامر بالسماكر  
الصليبية حتى بلغوا بيت نوبة وبينها وبين القدس عشرون ميلا وقد أطلبهم  
المسلمون بنهبهم وأضعفهم بسابهم بتسلطون عليهم من كل ناحية ويكنون لهم  
تحت كل راية وقد قويت قلوبهم بذبات السلطان بالقدس وفي آخر شهره وصل  
ريكاردوس الى قلونية وهي على فرسخين من القدس فلما سمع السلطان  
صلاح الدين بقرهم فرق ابراج البلد على الامراء واستعد للقتال فلما وصلت  
الصليبيون الى قلونية صب المسلمون عليهم البلاء وتابعوا ارسال السرايا فبلى  
الصليبيون بما لا قبل لهم به فامر ريكاردوس بمقد مجلس مشورتهم مؤلفاً من  
أعضاء من جمعية الهيكليين ( الداوية ) ومن خمسة أمراء فرنساويين ومن خمسة  
أمراء من أهل سوريا فدام انقباد هذا المجلس جملة أيام وكان الاعضاء  
الفرنساويون قد طلبوا حصار القدس عاجلاً لعلمهم بان المساكر الاسلامية  
في أجزائها وباقي الاعضاء قرروا بان هذه الاشاعات غير حقيقية وانها فقط  
حيلة وشراك وانه لا يجوز حصار هذه المدينة لانها الآن في غاية القوة خصوصاً  
لوجود السلطان بها وبعد مناقشات قرروا باغلبية الآراء بعدم حصار هذه  
المدينة المقدسة والرجوع عنها والتوجه الى الديار المصرية ومحاصرة مدينة  
القاهرة ( فانظر قرار مجلس مشورة الصليبيين الثالثة وكيف انها خرجت من  
بلادها بقصد تخليص القدس من المسلمين والآن قرروا بعدم حصاره ومحاصرة  
القاهرة كأن القاهرة هي بيت المقدس الذي فيه قبر المسيح على دعواهم ) مع

ان هذا القرار جاء كما قال مؤرخوهم مذهلاً مبلبلاً . وكان السلطان صلاح  
 الدين أحضر عنده جميع الامراء وفي مقدمتهم الامير أبي الهيجاء السمين  
 والمشطوب والاسدية بأسرهم فقام خطب القاضي ابن شداد خطيباً يحثهم على  
 الجهاد وبما قاله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد به الامر بايعه الصحابة  
 على الموت في لقاء العدو ونحن أولى من تأسى به والمصلحة الاجتماع عند الصخرة  
 والتحالف على الموت فدل بركة هذه النية يرفع هذا العدو فاستحسن الجماعة  
 ذلك ووافقوا عليه ثم شرع السلطان بعد ان سكت زماناً وهو يفكر والناس  
 سكوت كأن على رؤوسهم الطير ثم قال الحمد لله والصلوة على رسول الله اعلموا  
 انكم جند الاسلام اليوم ومنعته وانتم تعلمون ان دماء المسلمين وأموالهم  
 وذرايرهم معلقة في ذمكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه الا أنتم  
 فان لو تم أغنتكم والديا بالله طوى البلاد كطى السجل للكتاب وكان ذلك  
 في ذمتكم فانكم أنتم الذين تصديتم لها كاه وأكلتم مال بيت مال المسلمين  
 فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام فانتدب لجوابه سيف الدين  
 المشطوب وقال يا مولانا نحن مماليكك وعميدك وأنت الذي أنعمت علينا وكبرتنا  
 وعظمتنا وأعطيتنا وأغيتنا وليس لنا الا رقابنا وهي بين يديك والله ما يرجع  
 أحد منا عن نصرتك الى ان يموت وقال الجماعة مثل ما قال فان بسطت نفس  
 السلطان وانصرف من بالمجاس ثم اجتمع جماعة المماليك عند أبي الهيجاء  
 السمين وأنكروا موافقة الامراء للسلطان على حصار القدس وقالوا انهم  
 يخافون ان يحصروا بالقدس ويجرى عليهم ماجرى على أهل عكا وحينئذ  
 تؤخذ بلاد الاسلام وطلبوا ان يعمل مصاف فاما ان يكون النصر للمسلمين  
 فيستولوا على باقى بلاد فلسطين واما ان يكون النصر للصليبيين فيأخذوا  
 القدس واذا كان لا بد من الحصار فيكون بعض أقارب السلطان معنا أو هو  
 معنا لان الأتراك لا يدينون للاكراد والاكراد لا يدينون للأتراك وكان ذلك

في يوم الخميس وفي يوم الجمعة صلى السلطان صلاة الجمعة وصار يتضرع الى الله سبحانه وتعالى وهو ساجد ودموعه تتقاطر على مصلاه ويطلب من الله النصر ويقول اللهم انصر دينك واحم بيتك المقدس واحفظ عبادك المسلمين انك سميع مجيب وفي صباح يوم السبت وصل مكتوب من عز الدين جريدك في البرك يفيد بان الصليبيين قد جمعوا جميعهم بعد قرار مجلس مشورتهم كما تقدم وكفى الله المؤمنين القتال

وكان ريكاردوس قد استعمل جواسيس من أهل سوريا لياتوه باخبار المسلمين وكان قادماً بعض عسكر من مصر ومعهم قوافل لانجار فاقاموا بتابلس أياماً حتى اجتمعوا فأتى الجواسيس الى ريكاردوس وأعلموه بذلك فامر عسكره بالانحياز الى سفح الجبل وركب في الف فارس وألف راجل فأتى تل الصافية فبات ثم سار حتى أتى موضعاً يقال له الحسى فافذ السلطان الى هذا الركب يعلمه بنهوض الصليبيين نحوهم وأمرهم ان يبعدوا في البرية فركب ريكاردوس بصفة بدوى ( اعزابي ) مع بعض جواسيسه وسار حتى أتى الركب وطاف حوله بالصفة المذكورة ورآهم ساكنين قد غشيم النعاس فقاد واستركب عسكره وكانت الكبة قريبة الصباح فبغت الناس ووقع عليهم يخيله ورجله وداهمهم وكان الشجاع منهم الذى يركب فرسه وينجو وانقسم الركب ثلاثة أقسام قسم قصد الكرك مع جماعة من العرب وقسم أوغلوا في البرية مع جماعة من العرب أيضاً وقسم استولى العدو عليه فساقهم بجماهم وأحالمهم وجميع مامعهم وكانت واقعة شنعاء لم يصب الاسلام بمثلا من مدة مديدة وتبدد الناس في البرية وتركوا متاعهم وجميع ريكاردوس كثيراً من الخيل والبغال والاقشة وغيره وسار بالجميع الى معسكره فوصله في السادس عشر من جمادى الآخرة وكان يوماً عظيماً عندهم

## استيلاء السلطان على يافا ومحاربة ريكاردوس \*

وبلغ السلطان في العاشر من شهر رجب سنة ٥٨٨ بان الصليبيين قد  
 خرجوا من عكا قاصدين بيروت فبرز من القدس الى منزلة يقال لها الجيب  
 وجاء العادل من الشرق والظاهر من حلب ورحل السلطان من الجيب الى بيت نوبة  
 ثم رحل الى الرملة فنزل بها على تلال بين الرملة واللد وركب جريدة حتى أتى  
 يازور وبيت حن وأشرف على يافا ثم نزل عليها من القدور تب عسكره فجعل في الميمنة  
 ولده الظاهر وفي الميسرة أخاه العادل وركب عليها المنجنيقات وزحف عليها فأرسل  
 من بها يطالبون الصالح فاجابهم على قاعدة القدس وقطيعة فرضوا بذلك وطلبوا  
 الانتظار الى يوم السبت التاسع عشر من رجب امان تجميعهم نجدة والاتكون القاعدة  
 على ما استقر فأبى السلطان وأمر بالنقب فحشى وأحرق فوق بعض السور فعلا  
 القبار مع الدخان فأظلم الافق ومنتجاسر أحد على الدخول خوفا من اقتحام  
 النار فلما انكشف القبار ظهر وقوف الصليبيين بأسلحتهم في الموضع المهذوم وجد  
 السلطان في القتل ورمي المنجنيقات فإرسلوا يطلبون الصالح فقال لهم على  
 قطيعة القدس فسألوا السلطان ابطال القتال الى ان يأتي من داخل المدينة بقرار  
 الصلح فقال السلطان ما أقدر على منع المسلمين من هذا الامر وقاتل المسلمون  
 قتالا شديداً وأخذوا البلد عنوة ودخلوها ونهبوا من الأقمشة العظيمة والغلال  
 شيئاً كثيراً وبقايا من منهوبات القافلة المصرية وبعد دخول المسلمين استقرت  
 القاعدة على ما قرره السلطان وكان قايماز النجمي في طرف الغور لحمايته من  
 عسكر الصليبيين الذي بمكا فوصل منه كتاب بان ريكاردوس عدل  
 عن قصد بيروت لماسمع باخبار يافا وقد جمع عسكره في المراكب وعزم على  
 قصد يافا فاشتد عزم السلطان على تامة الامر وتسلم القلعة لانه لم يستول بعد

عليها فطلبوا منهم الخروج من القلعة حسب الاتفاق فخرج البعض والباقي  
 رأى مراكب الصليبيين قادمة فعمموا بانها نجدة لهم فشقوا عصا الطاعة  
 قابضاً ريكاردوس بنزوله الى البر فخاف من بالقلعة وأرسلوا بطركهم وغيره  
 في طلب الصلح كما كان ويعتذر عنهم وكان ريكاردوس لما وصل الى ميناء يافا  
 وجدها مملوئة بعساكر الاسلام وكذلك المدينة مرفوعاً عليها اعلام المسلمين  
 فعلم بان المسلمين قد استولوا عليها لا محالة فتأخر عن النزول الى البر ثم بلغه انه  
 لم ينزل البعض بالقلعة فنزل من المراكب هو وعسكره وحمل على المسلمين فلما  
 رأى السلطان ذلك قبض على الرسل وأمر بتأخير الأتقال والاسواق الى  
 يازور فرحل العسكر وتخاف لهم ثقل عظيم مما كانوا يهابون من يافا واقام  
 ريكاردوس في موضع السلطان الذي كان فيه لمضايقة البلد وأمر ريكاردوس  
 من في القلعة ان يخرجوا اليه لتعظيم سواده وبلغ السلطان بان ريكاردوس مخيم  
 بظاهر يافا بألفي رجل من عسكره فاراد كبسه فسار بجريدة ولما تقدم بمن معه  
 لمحاربتهم وصار يحث العساكر على الثبات قال له الجناح أحد الامراء وهو أخو  
 المشطوب قل لغلمانك الذين ضربوا الناس يوم فتح يافا وأخذوا منهم الغنيمة  
 يحملون وكان أيضاً في قلوب العساكر الاسلامية غيظ من حصول الصلح بعد  
 دخول يافا لان السلطان كان منهم عن أخذ الغنيمة فلما رأى السلطان ذلك  
 اعرض عن القتال وسار الى يازور وحصلت مناوشة بين العساكر الاسلامية  
 والصليبية أظهر فيها ريكاردوس من الشجاعة ما لم يره أحد فانه استل سيفه وقال  
 لعن الله من لم يتبني وهجم على المسلمين هجمات شديدة بنفسه بدون مساعدة  
 وحمل من طرف الميمنة الى طرف اليسرة فلم يتعرض له أحد وصار في وسط  
 العساكر الاسلامية وقد ظنه عسكره انه قتل أو اسر ثم وصل اليهم سالماً وقد  
 مدحه مؤرخوهم مدحاً فائقاً حتى انهم فضلوا شجاعته على شجاعة الاسكندر  
 الكبير وعن اعمال يهوذا المكابي ورولان وغيرهم

﴿ في مرض ريكاردوس والهدنة بينه وبين السلطان ﴾

في أوائل شعبان سنة ٥٨٨ حصل لريكاردوس مرض فصار يرسل رساله الى السلطان في طلب الفاكهة والتلج والسلطان يرسل له كلما يشتهي وأرسل اليه طبيباً يعالجه وقد اكثر ريكاردوس في طلب الكمثرى والخوخ والسلطان يعدم بذلك بقصد كشف الاخبار عن العدو بتواتر الرسل ثم جاء رسول من ريكاردوس مع الحاجب أبي بكر يشكر السلطان على اسعافه بالفاكهة والتلج وقال أبو بكر ان ريكاردوس انفرد به وقال له قل لآخي ( يعني الملك العادل ) يتبصر كيف نتوصل الى السلطان في طلب الصلح وتستوهب لنا منه عسقلان وأسافر الى بلادى ويبقى هو ههنا بهذه الشردمة ويأخذ البلاد منهم فليس غرضى الاقامة جاهى بين بلونث أوروبا وان لم ينزل السلطان عن عسقلان فتأخذلى منه عوضاً عن خسارتي على عمارة سورها فأرسل السلطان الى الملك العادل بانه اذا تنازل ريكاردوس عن عسقلان فصالحه لان العساكر قد ضجرت من ملازمة البيكار والتفقات قد نفذت ثم ان ريكاردوس تنازل عن عسقلان وعن العوض عنها واستوثق منه على ذلك فعقد السلطان ديوانه يوم السبت ثامن عشر شعبان لاجل تحرير شروط الصلح وتحديد البلاد التي تكون بيد الصليبيين فذكر يافا وأعمالها وأخرج منها الرملة واللد ومجدل وباروذكركيسارية وأعمالها وارسوف واعمالها وحيفاو أعمالها وعكا وأعمالها وأخرج منها الناصرة وصفورية واتب ذلك في النورقة وقال للرسول هذه حدود البلاد التي تبقى في أيديكم فان صالحتم على ذلك فبارك وقد اعطيتكم يدى فينفذ ملككم من يملف في بكرة غدو الا نعلم ان هذه مماطلة وكان من القاعدة ان تكون عسقلان خرابا وان يتفق المسلمون والصليبيون على خرابها واشترط دخول بلاد الاسماعيلية في يد المسلمين وتكون انطاكية وطرابلس في الصلح وان تكون الرملة واللد بينهما

مناصفة وان جميع المسيحيين يزورون القدس بالراحة بدون ممانعة واستقرت  
القاعدة على أنهم يحلفون يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شهره ورضي بذلك  
رجال الجمعيات الرهبانية ( جمعية الهيكلين وجمعية القديس يوحنا  
المعمدان ) وسائر أمراء الصليبيين خلف هنري دي شامبانيا ابن أخت  
ريكاردوس وهو المتولى على بلاد سوريا وجماعة من أمراءهم للسلطان على الصلح  
وأخذوا يده وحلف لهم الملك والافضل والظاهر وغيرهم وجميع أصحاب  
البلاد المجاورة لبلادهم وعقدت الهدنة العامة في البر والبحر والسهل والوعر  
لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر ابتداءً من الحادي والعشرين من شعبان الموافق  
أول سبتمبر

### ﴿ انتهاء الحروب الصليبية الثالثة ﴾

بعد انتهاء شروط الصلح المذكورة بين السلطان صلاح الدين وريكاردوس  
ملك الانكليز ورئيس العساكر الصليبية الثالثة أمر السلطان صلاح الدين ان  
يتأدى في الوطاقات والاسواق والمدن ان الصلح قد تم فمن شاء من المسلمين  
الدخول في بلاد النصارى فليدخل ومن دخل من النصارى في بلاد المسلمين فلا  
احديعه ثم أرسل مائة نقاب ومعهم أمير لاجل الاشتغال في هدم سور عسقلان  
الذي بناه الصليبيون كما هو مذكور في شروط الصلح وخروج من بها من  
الصليبيين وقد اقام مع النقاين بعض الصليبيين لاتمام هدم السور وكان ذلك  
اليوم الذي تم فيه الصلح يوماً مشهوداً بين الطرفين ثم ان جميع العساكر  
الصليبية طلبوا زيارة القدس الشريف قبل سفرهم فسارت العساكر الفرنسية  
بقيادة دوك دي بورغونيا وبعد الزيارة توفي القائد المذكور وسافرت العساكر  
الى بلادها ثم تبعهم العساكر النمساوية وغيرها لاجل الزيارة وكان السلطان  
صلاح الدين يرسل معهم الخفراء الى ان تمموا زيارتهم ويعودوا ولما وجد



ريكاردوس كثرة الزوار من الصاييين أرسل الى السلطان صلاح الدين لكي يمنع كل من أراد الزيارة مالم يكن معه تصريح من ريكاردوس ولكن السلطان لما وجد الامراء والقواد قدموا اليه بقصد الزيارة أنى ردهم بل شرح في اكرام كل من برد منهم وامدادهم بالطعام ومباستطهم ومحدثهم وعرفهم أمر ملكهم وانه لم يلتفت اليه وارسل الى ريكاردوس يعتذرله ويقول ان اقواماً وردوا علينا لاجل الزيارة فلا يمكن ان استحل منهم وقدمدح السلطان مؤرخوهم ثم أمر السلطان جميع العساكر الاسلامية بالانصراف الى بلادها

### سفر ريكاردوس ووقوعه في الاسر ببلاد النمسا

وفي ليلة الاربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة ٥٨٨ سافر ريكاردوس من عكا بعبسا كره في المراكب قاصداً ببلاده وعند وصوله الى سواحل ايطاليا حصلت انواء عظيمة ففرق بعض مراكبه وكسر الباقي ثم ان هذا الملك أبيان يسافر الى ببلاده عن طريق البر ماراً ببلاد فرانس (لكدره من الملك فيلبس ثم دده ببلاده في غيابه ولم يعلم ما قدر له) وأراد السفر عن طريق بلاد النمسا فسار وحده متكراً بصفة أحد زوار القدس والتزم ان يمر في مقاطعة الدوك ليوبولدوس دي أوطريش وكان هذا الدوك قد تكدر من ريكاردوس حالما رفع علمه على أحد أبراج عكا ورماه ريكاردوس في الخندق وكان أسره في نفسه ففي أثناء مسير ريكاردوس ببلاده وعلمه بذلك ارسل جنوده يفتشون على ريكاردوس ويقبضون عليه حيثما وجدوه فلما عثروا به قبضوا عليه واحضروه بين يدي الدوك المذكور المملوء عداوة وغيظاً فامر بسجنه في حبس مظلم تحت الارض (وهكذا تم لريكاردوس الشجاع الذي لم يقدر أحد ان بأسره في الحرب أسرى السلم وحبس تحت الارض في حبس مظلم بعد عزه) واقام محبوساً بدون ان يعلم أحد به بقلعة تبيروس وأما زوجته برنجاريا فكانت في سفينة أخرى

لم يتغاب التوء عليها فنزلت برسالة ووصلت رومية آمنة فسمعت بما أصاب  
سفينة زوجها ولكنها لم تتحقق ذلك حتى رأت منطقتة الذهبية تباع في السوق  
فلبثت تتوقع خبره

﴿ في التفتيش على ريكاردوس ووجوده في

السجن ونقله الى سجن آخر ﴾

وبعد ذلك صار عظماء الانكليز يرسلون الى جميع ممالك أوروبا  
للبحث على ريكاردوس فما وجدوه وكان يوجد شخص اسمه بلونديل احد  
خاصة ريكاردوس وكان يحبه ويرتاح الي مجالسته وكان في جملة أهل سفينته عند  
غرقها ونجامة ثم انفصل عنه في بعض المزدحمات ولم يعد يعرف مكانه حتى  
سمع بالقبض عليه وسجنه ولكنه لم يعرف اسم السجن فأخذ يفتش السجنون  
متكرراً فلم يقف له على خبر فوصل يوماً الى قلعة نينروس وقد اعياء التعب  
( وهو بصفة شاعر بيده عود يضرب عليه ويعنى ) واستولى عليه اليأس  
فأسند كتفه الي سورها وغنى أبياتاً كان قد نظمها هو وريكاردوس معاً فلم  
يكذبها حتى سمع تكلمها من داخل القلعة فعلم ان ريكاردوس هناك  
فأسرع الى والدته الملكة اليونورا وجميع أرباب الحكم في بلاد الانكليز ولما  
شاعت هذه القضية خاف ليوبولدوس دوك دي أوطريش من دوام حبس  
ريكاردوس فأسرع في ارساله تحت الحفظ الى الملك هنري السادس ملك النمسا  
وكان هذا الملك أيضاً عنده عداوة لريكاردوس وحسده على شجاعته فكان  
يتربق الفرصة للانتقام منه فلما وصلت عساكر ليوبولدوس اليه ومعهم ريكاردوس  
أمر بقيده بسلاسل حديدية

﴿ محاكمة ريكاردوس ظلماً واطلاقه من الاسر ﴾

لما وصل ريكاردوس الى هنري السادس وقيده بالسلاسل الحديدية أرسله الى

ديوان عظماء المملكة المنعم وقتئذ في مدينة فورمس فهناك قد صورت البغضاء  
والحسد لريكاردوس جملة تم اختلقوها وطلبوا الجواب منه عنها ولكن هذا  
الشجاع الباسل صاحب القلب القوي لم تزغ سطورهم ولا مدة سجنه ولا قيده  
بالسلاسل الحديدية فاجاب عن كل تهمة بما يفيد براءته ببراهين قوية دامت  
فلما ظهرت براءته بكى أكثر رجال الديوان على ظلمه وخرج القضاة أيضاً  
بعد معرفتهم اختلاق هذه التهم وأما الملك فلم يتنازل عن بغضه وحسده فامر  
بسجنه دائماً. وأما عظماء الانكليز فكانوا دائماً مجتهدين في خلاص ملكهم بأي  
طريقة لانهم كانوا يحبونه حباً شديداً فتارة بالخبرات مع الملك هنري المذكور  
والتوسل اليه وتارة بتوسط الملوك والامراء وقد ذهب تعبهم سدى حتى التزموا  
بتوسيط البابا لماله من الرئاسة الدينية فلم تنجح وساطته وأخيراً أنفذوا  
أثنين من رؤساء ديور جرمانيا ليفتدياه من ملك النمسا بمئة وخمسين الف  
مارك فضة وبما ان خزنة الانكليز عجزت عن دفع هذا المبلغ التزمت الملكة  
اليونورا والدة ريكاردوس بان تكسر جميع الاواني الذهبية والفضية التي في  
قصرها الملوكي وأخذت أيضاً بعض اواني مقدسة من الكنائس وضربت  
الجميع مسكوكات لاجل اتمام دفع المبلغ المذكور الى هنري ثم أطلق سراحه  
فسار الى بلاده محفوقاً بالنجاة والاكرام وفيما هو في نورمنديا جاءه أخوه جون  
نادماً وجنا أمامه باكيماً مستغفراً فمغافنه ولما وصل انكلترا قوبل بالاحتفال  
اللائق.

### ✽ سفر السلطان الى دمشق بعد الهدنة وعزمه على الحج ✽

بعد الهدنة سار السلطان الى القدس وأمر باحكام سوره وأنشأ به مدرسة  
بورباطاً وبمارستاناً وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها واقفاً وصام رمضان  
بالقدس وعزم على الحج والاحرام منه وكتب الى مصر واليمن بما عزم عليه

وأمر أن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج اليه من الزاد والنفقات فأرسل القاضي  
الفاضل الى السلطان بمنعه عن السفر وكذلك الامراء قالوا له لا يصح ان تسافر الى  
الحلب وتترك هذه البلاد على ما بها من الشعب وهذه المعامل التي في الثغور فان حفظها  
من أهم الامور ولا تغتر بمقد الهدنة فان القوم على رقب ودأبهم الغدر وما زالوا  
به حتى عدل عن هذا العزم وأقام بالقدس الى ان سافر ريكاردوس الى بلاده في  
أول شوال سنة ٥٨٨ فعند ذلك عزم السلطان على دخول الساحل جريدة لتنفقد  
القلاع والحصون وأن يدخل دمشق ويقبمها أياماً قلائل ويعود الى القدس سائراً  
الى الديار المصرية لتنفقد أحوالها والنظر في مصالحها وأقام على القدس عز الدين  
جريدك وسار منها في يوم الخميس خامس شوال وجاوز ناحية البيروه ونزل بظاهر  
نابلس وكان بها سيف الدين المشطوب وقد ظلم أهلها جملة مظالم فشكا أهلها الى  
السلطان فأمر بإزالة ما يشكون منه ثم سار الى بيسان وصعد الى قلعتها المهجورة  
ونظر قلعتها المالية وقال الصواب بناء هذه وتخريب كوكب ثم سار منها الى كوكب  
نزل بطبرية وهناك حضر بين يديه الامير بهاء الدين قراقوش وكان قد أطلق من  
أسره بمكا فتلقاه السلطان بالسرور والفرح وسار في خدمة السلطان الى دمشق  
حتى أطلقوا باقي أصحابه المصريين فأخذهم وسار الى مصر ثم سار السلطان الى  
قلعة صفد ومنها الى قلعة تبين وجاز على هونين ثم سار الى مرج عيون وجسر  
حامد الى ان وصل بيروت فحضر البرنس بوهيموند صاحب انطاكية بين يدي  
السلطان وخدمه فأكرمه السلطان وأنعم عليه وعلى رؤساء عسكره ثم سار  
السلطان الى دمشق بعد الفراغ من تصفح أحوال القلاع الساحلية بأسرها والتقدم  
بسد خللها واصلاح أجنادها وشحنها بالرجال فدخل دمشق بكرة يوم الاربعاء  
السادس والعشرين من شوال فخرج أهلها جميعاً صغيراً وكبيراً نساء ورجالا  
لملاقاة وعمالوا له زينة عظيمة وأقامها ومعه الافضل والظاهر والظافر  
وأولاده الصغار .

## ﴿ مرض السلطان صلاح الدين ووفاته ﴾

كان السلطان يحب مدينة دمشق ويؤثر الإقامة فيها على سائر البلاد ولذلك أقام بها مدة في رغد وسلام مع ان المنية على عجزها مهاجمة هذا الباسل في ساحة الحرب لم تخف مهاجمته على فراشه وبين أولاده وأخواته ففي يوم الجمعة ١٥ صفر سنة ٥٨٩ ركب السلطان لملاقاة الحج فعاد الى منزله كسلا ثم غشيتة حتى صفر اوية ثم أصبح في اليوم التالي أكثر كسلا وضعفاً وما زال المرض يتزايد يوماً فيوماً الى اليوم التاسع من مرضه حدثت به رعشة وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف في البلد وغشي الناس من الكآبة ما لا يمكن حكايته وكان القاضي ابن شداد والقاضي الفاضل يقيمان عنده الى ان يمضي من الليل ثلثة ثم ينصرفان فكان الناس يتربعون خروجهما الى يقرأوا أحواله من صفحات وجوههما وفي اليوم العاشر من مرضه حقن دفتين فحصل له راحة وبهض الحفة وتناول شيئاً من ماء الشعير وفرح الناس فرحاً شديداً ثم زاد به المرض حتى صار لا يقدر على التكلم ولما رأى الملك الافضل ما حل بوالده وتحقق اليأس منه شرع في تخليف الناس فجلس واستحضر القضاة وعمل له نسخة يمين مختصرة تتضمن الحلف للسلطان مدة حياته وبعد وفاته للملك الافضل واعتذر للناس بان المرض قد اشتد وانه يفعل هذا احتياطاً على جاري عادة الملوك فحلف جماعة من الاكابر ولم يحضر أحد من الامراء المصريين وفي الليلة الثانية عشرة من مرضه وهي ليلة الاربعاء ٢٧ صفر اشتد مرضه وضعفت قوته وبات بجانبه الشيخ أبو جعفر امام الكلاسة يقرأ القرآن ويذكره بالله تعالى وكان ذهنه غائباً وذكر الشيخ أبو جعفر انه لما انتهى الى قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة سمعه وهو يقول صحيح وهذه لفظه في وقت الحاجة ولما بلغ الى قوله تعالى لا اله الا هو عليه توكلت تبسم وتهلل وجهه وسلمت روحه الى ربه

بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء ٢٧ صفر وكان يوم وفاته يوماً لم يصب  
 الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وغنى الملك  
 والدنيا وحشة عظيمة وكان الناس يتمنون فداء من يمز عليهم بنفوسهم وكان  
 سنه عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٦ سنة في مصر وسوريا فحضر الجميع  
 وشيعوا جنازته ودفنوه في الدار التي كان ممرضاً فيها وكانت بينهم شقيقة الفقيه  
 ست الشام وفرقت في الناس الصدقات العظيمة من جيبها الخاص وقام بالزاء  
 ولده الافضل ويقول بمض المؤرخين ان السلطان صلاح الدين لم يترك في خزينته  
 الخصوصية الا ديناراً واحداً و٤٧ درهماً من الفضة ولم يجدوا في جميع  
 صناديقه ائراً للذهب اولا غير من الحجارة الكريمة وذلك مما يدل على فرط  
 كرمه لانه اصاب أموالاً كثيرة جاد بها جميعها وكان حليماً حسن الاخلاق  
 متواضعاً صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من أحدهم  
 ما يكره ويتغافل عنه ولا يعلمه بذلك وقد رثاه العماد بقصيدة مائتان اثنان  
 وثلاثون بيتاً منها

شمل الهدى والملك عم شتاته	والدهر ساءت واقلمت حسناته
أين الذي مذ لم يزل مخشية	مرجوة رهباته وهباته
أين الذي كانت له طاعاتنا	مبذولة ولربه طاعاته
بالله أين الناصر الملك الذي	لله خالصة صفت نيته
أين الذي مازال سلطاناتنا	يرجي نداء وتقى سطواته
أين الذي غنت الفرنج لبأسه	ذلا ومنها ادركت ناراته
اغلال اعناق العدا اسيافه	اطواق أجياد الورى مناته
لم يجد تدبير الطيب وكم وكم	اجدت لطلب الدهر تدبيراته
من في صدور الكفر صدرقاته	حتى تواترت بالصياح قنانه
في نصره الاسلام يسهر دائماً	ليطول في روض الجنان سباته

لا تحسبوه مات شخص واحد فمات كل العالمين بمماته

﴿ تقسيم مملكة صلاح الدين على أولاده وماجري في أثناء الهدنة ﴾  
ترك صلاح الدين من الأولاد ١٧ ذكوراً وأثني واحدة وهي مؤسسة  
خاتون تزوجت ابن عمها ناصر الدين محمد بن سيف الدين الذي لقب بعدئذ  
بالمملك الكامل واقتسم كل من أولاده وأخوته وأولادهم مملكته فيما بينهم غير أن  
الحصص لم تكن متساوية فان ثلاثة من أولاده أخذوا أكبرها واقتنع الباقون  
بمقاطعات صغيرة وتم كل ذلك بموافقة الامراء . فلقب اول اولاده المدعو  
نور الدين بالملك الافضل وكان من نصيبه مملكة دمشق والشطوط البحرية  
وأورشليم ( القدس ) والبصرة وبنياص وسوريا الغربية . ولقب أبو الفتح  
الغازي بالملك الظاهر غياث الدين فاخذ حلب وجميع سوريا الشرقية ومن  
ضمتهما حران وتل باشر وعيراز والمنبج ولقب عماد الدين عثمان بالملك العزيز  
وتولى مصر بجميع أعمالها . ومن هؤلاء الامراء الثلاثة تكونت ثلاث دول  
مختلفة هي الدول الايوبية الحلبية والدمشقية والمصرية أمامن بقي من تلك العائلة  
فكانوا ولاية على بلاد اقطاعهم ايها صلاح الدين قبل وفاته الا انهم كانوا تحت  
سلطة هؤلاء الثلاثة فسيف الدين أبو بكر بن أيوب وأخو صلاح الدين الملقب  
بالمملك العادل كان حاكماً في الكرك والشوبك وناصر الدين محمد الملقب بالمملك  
المنصور بن تقي الدين عمر بن شاهين شاه احداخوى صلاح الدين كان أميراً على  
حماة والسلامية ومارا . وبهرام شاه الملقب بالمملك الامجد حفيد شاهين شاه  
أيضاً كان ملقباً بملك الرها وشمس الدولة طور انشاه بن أيوب الذي كان قد فتح  
العين بامر أخيه سنة ٥٦٩ كان قد أقام فيها مملكة وكان أخوه توغنقن حاكماً  
فيها تحت اسم المملك المعز . وفي سنة ٥٩٠ سار المملك العزيز صاحب مصر بمساركة  
وحاصر مدينة دمشق وكان بها الافضل فارسل الى عمه المملك العادل يستنجده

فجاءه وجاءه أيضاً أخوه الملك الظاهر صاحب حلب وجميع الامراء الأيوبية واجتمعوا بدمشق فعلم العزيز بانه لا تدرة له على أخذها فترددت الرسل بينهم على الصلح فاستقرت القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية وأعمالها للافضل ويعطى الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة واللاذقية وان يكون للعادل بمصر اقطاعه الاول واتفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد منهم الى بلده وفي سنة ٥٩١ سافر الى دمشق ثانياً بقصد محاصرتها واستيلائه عليها وكان ذلك باغراء بعض ممالك أبيه المعروفين بالصلاحية مثل فخر الدين جر كس وسراسنقر وغيرهم فسار الافضل من دمشق واستنجد بعمه الملك العادل وباخيه الملك الظاهر فسبقه الملك العادل ودخل دمشق لثقتة به ثم ان بعض الامراء الاسدية الذين بقيادة العزيز راسلوا الافضل والعادل بطلب ان يحازهم لهما فقبلاهم واتفقا بان الافضل والعادل يأخذان دمشق فعلم بذلك العزيز فخاف على مملكته فرجع الى القاهرة ليحفظها وسار كل من الافضل والعادل الى ان وصلوا بلبليس فخاف العادل من الافضل انه اذا أخذ مصر لا يعطيه دمشق فأرسل الى العزيز بارسال القاضي الفاضل ليتوسط في الصلح فاستقر الامر بان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبرية والاردن وجميع ما يده ويكون للعادل اقطاعه القديمة ويكون مقبلاً بمصر عند العزيز فتعاهدوا وعاد الافضل الى دمشق وبقي العادل بمصر مع العزيز

### ﴿ استيلاء الملك العادل على دمشق ﴾

لما أقام العادل بمصر رأى ان حصته قليلة ومنصبه حقير بالنسبة لاولاد أخيه فتواطأ مع الملك العزيز على خلع الافضل عن دمشق وتولية الملك العادل عليها فسار امراً من مصر الى دمشق وحصرها واستمال أحد امراء الافضل واسمه العزيز بن أبي غالب الحمصي وكان الافضل كثير الاحسان اليه والوثوق به فسامه



الباب الشرقي ليحفظه فوعد العزيز والعاقل بفتححه لهم في اليوم السابع  
والعشرين من رجب سنة ٥٩٢ فدخل منه الملك العادل وبعض رجاله ولم يعلم  
الافضل ان عمه معه بدمشق أيقن ان البلد قد ملكت منه فخرج الى أخيه العزيز  
وتحادثا ثم دخلا معاً واجتمعا بمهما ثم استقل الملك العادل بدمشق وعاد  
العزيز الى مصر وسار الافضل الى بغداد ملتجئاً الى الخليفة الناصر لدين الله  
وكانا كلاهما شاعرين ماجدين فكتب الافضل الى الامام الناصر

مولاي ان ابا بكر وصاحبه      عثمان قد غصبا بالسيف حق على  
وهو الذي كان قد ولاء والده      عليهما فاستقام الامر حين ولي  
فخالفاه وحلا عقد يعته      والامر بينهما والنص فيه جلي  
فاجابه الامام الناصر بقوله

وافي كتابك يا ابن يوسف معلناً      بالود يخبر ان أصلك طاهر  
غصبا علياً حقه اذ لم يكن      بعد النبي له يئرب ناصر  
فابشر فان غدا عليه حسابهم      واصبر فناصرك الامام الناصر

### ﴿ ابتداء الحروب الصليبية الرابعة ﴾

( تحريض البابا وسفر العساكر الصليبية الرابعة )

لما توفي السلطان صلاح الدين كان البابا على رومية سيلستينوس الثالث  
فرأى تقسيم مملكة صلاح الدين على اولاده وعائلته فاغتم هذه الفرصة وأرسل  
منشوراً الى ملوك أوروبا يقول لهم فيه (بان السلطان صلاح الدين قد توفي ومملكته  
تقسمت على اولاده وعائلته وكل منهم قد استقل بنفسه وأخذ يطلب منهم الاتحاد  
والخروج لتجريد حملة صليبية رابعة والاستيلاء على القدس قبر الخالص اعدم وجود  
من يحميه من المسلمين) ولما وصل هذا المنشور الى الملوك لم يلتفتوا اليه لان  
الملك ريكاردوس ملك الانكليز بعد اطلاقه من الاسر لم يراهم الا بصالح

مملكته والاستعداد لمحاربة ملك فرانسوا وكذلك الملك فيابس ملك فرانسوا فانه  
كان خائفاً على مملكته من ريكاردوس فكان هذان الملكان واقفاً أحدهما للآخر  
بالمزاد ولذلك لم يهتما بمنشور البابا أما الملك هنريكوس السادس ملك النمسا  
فانه كان قد حرمه البابا من يوم أسر ريكاردوس ولكن لما وجد البابا عدم  
التفات ملوك فرنسا وانكلترا أرسل وفداً الى ملك النمسا المذكور يطلب اليه  
الاستعداد لرحلته الى بلاد فلسطين وأخذ القدس من المسلمين مذكراً اياه  
بمسائل والده فريدريكوس الاول فقبل الملك هنريكوس تجهيز الحروب الصليبية  
الرابعة وفي جمعية عظماء المملكة المنعقدة في مدينة فورمس أعلن بالحروب  
المذكورة وطلب من القواد والامراء المساعدة فقبل ذلك عدد عظيم من النمساويين  
والامسانيين والجرمانيين وجميع البلاد الخاضعة لهذا الملك وكل منهم استلم صليباً  
واستعد للسفر الى فلسطين ولما كان هنريكوس دأبه الطمع والجشع وحب المجد  
الباطل وكان طامعاً في الاستيلاء على جزيرة سيبييا فراح بهذا الاستعداد لينال  
مرغوبه بهذه الوسيلة. ولما استعد كل الصايبيين للسفر انقسم جيشهم ثلاثة أقسام  
وسار كل قسم من طريق مخصوص فلقسم الاول كان برئاسة الدوك دي  
ساكس والدوك دي براينت وسافر بجزراً من بين البحر البلطجي والقسم الثاني  
كان برئاسة الكونت دي لامبورك رئيس أساقفه ماينص فاجتاز نهر الطونه  
وسار نحو مدينة القسطنطينية والقسم الثالث كان برئاسة الملك هنريكوس  
فسافر الى بلاد نابولي لكي يصلي الحرب التي كان عازماً عليها ضد جزيرة  
سيبييا

✽ وصول الصليبيين الى عكا واستيلاء المسلمين

على يافا وأخذ الصليبيين بيروت ✽

لما وصلت العساكر الصليبية الرابعة الى عكا عزمت على محاربة المسلمين وكان

هنريكوس كونت دى شمبانيا المتولى على بلاد الصليبيين بفلسطين قد عقد هدنة مع  
 الملك العزيز صاحب مصر زاد فيها مدة الهدنة المعقودة بين صلاح الدين  
 وريكاردوس فاخذ يقنعهم بالعودة عن الحرب حتى انتهاء الهدنة فابوا ذلك  
 وخرجوا من عكا غاضبين يقصدون بلاد المسلمين فلما علم بذلك الملك العادل  
 وكان بدمشق أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب ارسال العساكر وأرسل كذلك  
 يطلب العساكر من البلاد الشرقية فجاءه الامراء واجتمعوا على عين جالوت في  
 شهر رمضان سنة ٥٩٣ وبغض شوال ثم سار الملك العادل بجميع العساكر  
 الاسلامية قاصداً يافوق وحصرها وشدت في قتالها فملكها وخرّب البلد فاعتصم  
 الصليبيون بقلعتها فحاصرها وضايقتها وملكها عنوة وقهراً بالسيف وذبح منهم  
 ما ينوف عن عشرين الف حسب تقرير مؤرخيهم وكان هنريكوس كونت دى  
 شمبانيا المذكور لم يزل يمكثا وقد عزم على المسير بهساكر الصليبيين لاجل  
 خلاص يافوق وقع من شباك بقصره فمات ثم بعد دفنه ساروا جميع الصليبيين لتجدة  
 يافوق فبلغهم خبر استيلاء المسلمين عليها فزموا على المسير نحو بيروت والاستيلاء  
 عليها والمسابغ ذلك الى الملك العادل أرسل اليها بعض العسكر لاجل هدمها  
 وتخريبها فشرعوا في هدم سور المدينة في سابع ذى الحجة فمعه اسماء (والى  
 المدينة) من ذلك وتكفل بحفظها وعاد عسكر المسلمين منها فالتقوا بالصليبيين  
 بنواحي صيدا وجرى بينهم قتال شديد قتل فيه كثير من الفريقين وحجز بينهم  
 الليل وسار الصليبيون في ٩ منه فوصلوا بيروت فلما قابوها هرب منها اسماء  
 وجميع من معه من المسلمين فملكها الصليبيون صفواً عفواً بغير حرب ولاقتال  
 فكانت غنيمة باردة وكان بها من أسرى الافرنج ما ينوف على تسعة آلاف  
 فاطلقوهم فأرسل العادل الى صيدا من خرب ما كان تقي منها لان صلاح الدين كان  
 قد خرب اكثر هائم سافرت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا أشجارها  
 وخرّبوا ما لها من قري وأبراج فلما سمع الصليبيون بذلك رحلوا من بيروت الى

صوور وأقاموا بها ونزل المسلمون عند قلعة هونين وأذن العادل للعساكر الشرقية بالعود ظاناً منه ان الصليبيين يقيمون ببلادهم

### ✽ مسير القسم الثالث من الجيوش الصليبية الرابعة ✽

سار الملك هنريكوس بالقسم الثالث من العساكر الصليبية الى ان وصل الى جزيرة سيديليا فخارب أهلها وانتصر عليها واستعمل في حروبه معها القساوة والعذابات البربرية حتي تنوج عليها سلطاناً ( وكان قد تزوج بقسطانسا ابنة روجار صاحب الجزيرة وكانت قسطانسا تستحق التملك عليها ولكن قد تراحمها تنكريد واستولى عليها وبعد وفاته كثرت التحزبات الى ان وصل هنريكوس واستولى عليها ) ثم ان هذا الملك عزم على السفر الى فلسطين ليحارب سنة تكفيراً عن ذنوبه ( لانه أصبح محروماً من رأس الكنيسة لمحاربتة المسيحيين ) فارسل الى عظماء مملكته بسفر كل من كان أقسم بالمسير الى الحروب الصليبية وبعد ان استعد للمسير الى فلسطين برئاسة هذا القسم عدل عن هذا العزم وجعل كوزاد أسقف هيدالكسيم رئيساً عليه فساروا بجرأ الى ان وصلوا الى سوريا ففرح بهم جميع الصليبيين واشتدت قوتهم وعزموا على التوجه الى القدس ومحاصرته ولما كان ذلك في فصل الشتاء ولم يمكنهم المحاصرة لشدة البرد انتظروا فصل الربيع

### ✽ حصار حصن تبينين وقدم العزيز اليه ورجوع

#### الصليبيين على أعقابهم ✽

وفي أثناء انتظار الصليبيين دخول فصل الربيع لمحاصرة القدس عزموا على حصار حصن تبينين وكان الملك العادل قد أتاه الخبر في منتصف المحرم سنة ٥٩٤ هـ بانهم يريدون ان يحصروا تبينين فسير اليه عسكرياً يجهونه ويمنعون عنه

وأرسل أيضاً إلى العزيز بمصر يطلب منه أن يحضر هو بنفسه ويقول له إن حضرت  
 نخير والافلا يمكن حفظ هذا الثغر فسار العزيز مجداً في من بقي معه من العساكر  
 ورحل الصليبيون عن صور ونازلوا تبين في أول صفر وقاتلوا من به وجدوا  
 في القتال ونقبوا من جهاتهم من تحت الجبل فلما علم بذلك من بالحصن وخافوا  
 أن يملكه الصليبيون بالسيف نزل بعضهم إلى الصليبيين يطلب الأمان على أنفسهم  
 وأموالهم ليسلموا القلعة فقال هؤلاء المسلمين بعض أفرنج سوريا إن سلمت  
 الحصن استأسركم هؤلاء الصليبيون وقتلوكم فاحفظوا نفوسكم ( وكان الخلاف  
 واقعاً بين الصليبيين) فعادوا كأنهم يراجعون من في القلعة ليسلموا فلما سعدوا  
 اليها صروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمي نفسه فحموها إلى أن وصل  
 الملك العزيز إلى عسقلان في ربيع الأول فلما سمع الصليبيون بوصوله واجتمع  
 المسلمين زحلوا وخصوصاً لأن ليس لهم ملك يجتمعهم فقاموا إلى أن  
 وصل الملك العزيز في أول شهر ربيع الآخر ورحل هو والعساكر  
 إلى جبل الخيل المعروف بجبل عاملة فقاموا أياماً والأمطار تهطل فبقي  
 إلى ١٣ منه ثم سار وقارب الصليبيين وأرسل رماة النشاب فرموهم راحة  
 وعادوا ورتب العساكر ليزحف إلى الصليبيين ويجد في قتالهم فرحلوا  
 إلى صور في منتصف الشهر ليلاً ثم سار المسلمون إلى اللجون وتراسلوا  
 في الصباح وطال الأمر فعاد الملك العزيز إلى الديار المصرية قبل انتهاء  
 الصالح

﴿ وفاة الملك هنريكوس السادس وتعيين الملك امورى

على فلسطين وانتهاء الحروب الصليبية الرابعة ﴾

لما قتل هنريكوس دى شمبانيا ملك فلسطين وترملت زوجته ايزابال

قدم الملك أموري ملك قبرص وتزوج بها وفي أثناء حفلة العرس ورد عليهم ما كدر خاطر جميع الصليبيين وهو نبي الملك هنريكوس السادس ملك النمسا فحفظ عزم جميع الامراء النمساويين والامسانيين على السفر الى بلادهم فركبوا سفنهم الى بلادهم ولم يبق منهم في سوريا الا ملك هونكريا الذي حصلت بينه وبين العساكر الاسلامية مناوشات بجملة يافا فاحتاطت العساكر الاسلامية برجاله وقتلتهم عن آخرهم وكان قد حضر الكونت دي متفورت الى سوريا منذ أيام قليلة فطلب من الملك العادل هدية لمدة ثلاث سنوات فاجابه الى ذلك وكان في شعبان من السنة المذكورة وهكذا قد انتهت هذه الحرب الصليبية الرابعة

✽ وفاة العزيز صاحب مصر وتولية ابنه

المنصور وما جرى للافضل ✽

في شهر محرم سنة ٥٩٥ صار العزيز الى جهة الفيوم للصيد فطارد ذئباً فنقر به جواده فسقط على الارض وأصابته حمى فعاد الى القاهرة وحدث له يرقان وقرحة في الامعاء واحتبس طبعه فمات في ليلة العشرين منه وكانت مدة حكمه ست سنين الاشهر وكان عمره ٢٧ سنة وأشهرأ وكان في غاية السماحة والكرم والمدل والرفق بالرعية والاحسان عليهم وكان القالب على دولة العزيز نجرالدين جهاركس فاقام على المملكة ولد العزيز وهو الملك المنصور محمد وكان عمره تسع سنين وشهورأ واتفق الامراء على احضار أحد بني أيوب ليكون انا بكا للملك (أى وصياً عليه) فتشارروا بالامر بحضور القاضي الفاضل فاشاروا بالملك الافضل وكان بصرخد فارسلوا اليه فسار محناً في ٢٨ منه فوصل الى بليس في ٥ ربيع الاول فخرج الملك المنصور للقائه فترجل له عمه الملك الافضل ودخل بين يديه الى دار الوزارة وهي قد كانت مقر الساطنة وكان الافضل لما

وصل الى بلييس فاتفق ان اخاه الملك المؤيد مسعود صنع له طعاماً وصنع له نخر  
الدين مملوك ابيه طعاماً ايضاً فابتدأ بطعام اخيه ليمين حلفتها اخوه انه يبدأ به  
فظن جهار كس انه فعل هذا انحرافاً عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته وعزم  
على الحرب فحضر عند الافضل وقال ان طائفة من العرب قد اذنبوا ويطلبه  
المسير اليهم ليصلحهم فأذن له الافضل فقارقه وسار مجدأ حتى وصل الى القدس  
ودخله وتقلب عليه ولحقه جماعة من الامراء الناصرية فقويت شوكتهم واجتمعت  
كلتهم على خلاف الافضل فأرسلوا الى العادل يطلبون قدومه ليدخلوا معه  
الى مصر ليملكوها وكان محاصراً ماردين فلم يقدم اليهم وكان دخول الافضل  
القاهرة في ٧ ربيع أول ولما سمع بهرب جهار كس المذكور أرسل اليه ايمود  
قأب ويومئذ قام الافضل اتابكا على المنصور بمصر وكان الوزير وقتئذ سيف  
الدين يازكج

وأرسل الملك الظاهر صاحب حلب الى اخيه الافضل يشير عليه بقصد  
دمشق وأخذها من عمه الملك العادل وان ينتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار  
ماردين فبرز الملك الافضل خارج مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك  
العادل مسيره الى دمشق فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل  
وسار فسبق الافضل ودخل دمشق قبل نزول الافضل عليها بيومين  
ونزل الافضل على دمشق ثالث عشر شعبان وزحف من القيد على  
البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره على المدينة حتى وصل الى  
باب البريد ولم يدهم العسكر فتكاثر أصحاب العادل وأخرجوهم من البلد ثم  
تخاذل العسكر فتأخر العادل الى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل الظاهر صاحب  
حلب لتجدة اخيه فعاد الى مضايقة دمشق وداوم الحصار عليها وقلت الاقوات  
عند الملك العادل حتى أهل البلد وأشرف الافضل والظاهر على امتلاك دمشق  
وعزم العادل على التسليم ولكن حصل بين الاخوين منافرة فغضب الظاهر

وترك قتال عمه العادل لآخيه الافضل وظهر الفشل في العساكر ثم انهما تأخرا  
 بمرج الصفر في آخر صفر سنة ٥٩٦ ثم سارا الى رأس الماء ليقيما به الى  
 انقضاء فصل الشتاء ومنه سار الافضل الى مصر والظاهر الى حلب ولما  
 افترقا خرج الملك العادل في أثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل الى  
 بلاده تفرقت عساكره في بلادهم الى الربيع فادركه عمه العادل فخرج الافضل  
 بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافاً بموضع يقال له السائح في ٧ ربيع  
 آخر فانكسر الافضل وانهمز الى القاهرة ودخلها ليلا ثم سار العادل في أثره  
 وأتى القاهرة وحصرها فاجتمع الافضل من عنده من الامراء واستشارهم فرأى  
 منهم تحاذلا فارسل الى عمه في الصلح وطلب العوض عن مصر وتسليمها اليه  
 وأن يكون العوض مياقارقين وحاني وسهيساط فاجابه الى ذلك وتحالفا عليه  
 وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ١٨ منه واجتمع بالعادل وسار الى صرخد  
 وأرسل من يستلم البلاد المذكورة فامتنع نجم الدين أبوب ابن العادل عن تسليمه  
 مياقارقين وسام ماعداها

### ✽ خلع الملك المنصور وسلطنة الملك العادل على مصر وسوريا ✽

ودخل الملك العادل القاهرة يوم السبت ١٨ ربيع آخر سنة ٥٩٦ ولما  
 خلاله الجلو وثبتت قدمه فيها خلع الملك المنصور محمد بن عبد العزيز في شوال  
 بعد ان حكم ٢١ شهراً وتولى الملك العادل سلطنة مصر وسوريا وخطب لنفسه  
 فلم يرض بذلك الامراء المصريون فراسلوا أخويه الظاهر بحلب والافضل  
 بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها  
 فليخرج العادل من مصر اليهم فيسلمونهم - م مصر فحضر الظاهر والافضل الى  
 دمشق وحاصرها وبعد قتال مع من بالبلد وكان العادل أرسل اليها من يحفظها  
 حصل بين الاخوين منافرة فمادا الى تجديد الصلح مع العادل . واستقرا على ان



يكون للظاهر منييج واقامية وكفر طاب وقرى معينة من المعرة ويكون  
 للافضل سميساط وسروج ورأس العين وحملين ورحلا عن دمشق أول محرم  
 سنة ٥٩٨ وسار العادل الى دمشق فوصلها تاسع شهره . وما زال يشتغل  
 حتى جمل جميع الحكام الايوبيين في الامارات الصغيرة خاضعين لسلطانه وفي جملتهم  
 الظاهر والافضل فمادت المملكة الايوبية بمدان انقسمت حصصا الى مملكة واحدة  
 تحت سلطان واحد

وفي سنة ٥٩٨ أيضاً أخرج الملك العادل الملك المنصور محمد بن العزيز من  
 مصر الى الشام فسار بوالده واخوته وأقام عنده الملك الظاهر بحلب

### ﴿ الحروب الصليبية الخامسة ﴾

( تخرىض البابا اينوشانسوس الثالث على الحروب الصليبية )

لما جلس على كرسي السدة البطرسيية برومية البابا اينوشانسوس  
 الثالث وعمره ٣٣ سنة أراد أن يجعل له آراء يذكر فاخذ يحرص على الحروب  
 الصليبية وأرسل الى جميع ملوك أوروبا منشورات بالاتحاد على الحروب الصليبية  
 لتخليص قبر المسيح من أيدي المسلمين ثم أرسل نوابا الى الملوك والى جميع قواد  
 المساك ورؤساء الكنائس والى شعوب فرانس وانكلترا وهونكاريا وسيليا  
 وقد أعلن لهم على انه عازم أن يرضي أعز مآلديه بشأن استنقاذ قبر المسيح  
 وحيث ان ريكاردوس ملك الانكليز وفيلبس ملك فرانس كانا دائماً متحارين  
 مع بعضهما بخصوص بلادهما فكان لا يمكنهما ترك بلادهما والتوجه للحروب  
 صليبية ولذلك قد أرسل اليهما البابا الكردينال بطرس ليتوسط بينهما في الصلح  
 باسمه وأن يعقد هدنة بينهما لمدة خمس سنوات قام تحصل ثمرة ولم يتم صلحهما  
 وكذلك كان أوثون والى ساكسيا وفيلبس أمير سوابا فانهما كانا يخاصمان أمير  
 جرمانيا وجميع مملكة النمسا متداخلة في هذا المشكل ولهذا الاسباب لم تتم

تحريريات البابا . ثم انه كان يوجد في فرانساهن اسمه فولك خوري  
كنيسة نوبلي سور فارنا وكان محبوباً عند الشعب لفصاحته وطلاقة لسانه  
حتى انهم كانوا يلقبونه بالقديس فارسل اليه البابا وقدماً ومعه تفويض منه  
بانذار الحروب الصليبية فقبل فولك هذا التفويض وأخذ بالطواف ومعه  
بطرس دي رزوني لاجل ان ينذر بالحروب الصليبية فسار متجولاً في بلاد  
تورمانديا وفلاندر او بورغونيا فكان يخطب فيهم ويحثهم على الاستعداد للسفر  
الى الحروب الصليبية لتخليص قبر المسيح مفدى العالم ثم سار الى قلعة داكري  
وكانت هناك جمعية عمومية من رؤساء العساكر في وليمة قد أعد لها ثم تيو بلت  
كونت دي شمبانيا وصار يخطب فيهم ويحثهم ويطلب منهم النظر الى البلاد المقدسة  
وما زال بهم حتى ان تيو بلت كونت دي شمبانيا وهو أخو هنريكوس ملك  
فلسطين المتوفي وابن أخي سلطان فرانسوا ابن أخت سلطان انكلترا قبل التوجه  
الى فلسطين واستنقاذ القدس من المسلمين تحت راية الصليب وتبعه كل من كونت  
دي تشارتراس . وكونت دي بلوازو كونت دي سانيول . وسمعان دي منقورت  
ورنهارد . وبرتردوس دي مونتميريل وأخوه والكونت غوتير . والكونت  
يوحنا دي بريانا ومنسي دي ليزلا ورائود دي رايارا . ومتي دي موغورانتسي  
وهو كوزورمبانوس دي بورن وكونت دي أميانس والكونت رائود دي  
بولونيا . وجفر وكونت دي براتش وجفر وكونت دي فيلاهدوين والمرشال  
دي شمبانيا

\* (سفر العساكر الصليبية الخامسة واتحادهم

مع مشيخة البندقيه) \*

اقتنى قواد بلاد فلاندر اثر من ذكروا فاقسم كل من الكونت بودوين  
واسطراكيوس وهريكوس أخوه ويقوب دي افنسا ومحافظ قلعة بورجس

ويوحنا دي نزالا وكونون دي بيوتونا وغيرهم على المسير تحت راية الصليبيين  
لانتفاذ القبر المقدس وتعين رئيساً عاماً على هذه الجيوش تيوبلت كونت دي  
شمانيا ثم اجتمع الرؤساء في مدينة سواسنوس ثم في مدينة كومينا واتفقوا  
على ان المسافر الى المشرق بحراً وان يرسلوا وفداً الى مشيخة  
البندقية لاجل ان ترسل مراكبها لنقلهم الى براسيا وسار الوفد الى ان  
وصل البندقية في سنة ٥٩٦ وتقدم هذا الوفد بين يدي الدوجا ( لقب رئيس  
مشيخة البندقية ) هنريكوس داندولوا وعرض عليه الرسائل وطلب منه  
المساعدة بارسال المراكب لنقل الصليبيين فقال لهم باي شروط فقالوا كما يريد  
فاشار الدوجا بطريقتين احدهما ان يرسل مراكب لنقل الصليبيين لحمل أربعة  
آلاف وخمسمائة من الفرسان وعشرين ألفاً من الرجال وتستطيع ان توسق  
المدخائر اللازمة لهذا المسكر لمدة تسعة شهور بشرط ان يدفعوا له خمسة  
وثمانين الف وزنة فضة والثانية انه يرسل خمسين مراكباً بمساكرهم صحة  
الصليبيين وان جميع الغنائم تقسم بينهم مناصفة أي للصليبيين النصف  
وللبندقيين النصف الاخير ثم أرسلوا الشروط الى البابا ليصدق عليها فصدق  
عليها ثم عاد رجال الوفد الى الصليبيين فوجدوا تيوبلت الرئيس العام مريضاً  
ثم مات فانتخبوا رئيساً عليهم بوتيفاسيوس أمير مونتفرات واستلم الصليب  
من يد فولك الحوري بمحضر من الاكليروس في كنيسة السيدة مريم البتول ثم  
سار الصليبيون من بلاد فرانسافاجتازوا الجبال الالية وواصلوا الزحف الى ان  
وصلوا الى البندقية وهناك قابلمهم أهلها باكرام واحترام وقد أعدوا لهم المراكب  
اللازمة وزيادة حسب الشروط وطلبوا منهم ان يدفعوا لهم مبلغ ٨٥ الف  
وزنة فضة فوجد الصليبيون ان لاقدرة لهم على دفع المبلغ جميعه ودفعوا ثلثه فقط  
فلذلك رئيس مشيخة البندقية أجمع امرائه وقال لهم بما ان الصليبيين ليس معهم  
الآن باق المبلغ المتفق عليه فارى الاحسن ان نأخذهم مضافي مقابلة باقى المبلغ

لمساعدتنا على اخضاع مدينة زارا التي اغتصبها منا سلطان هونكرا فقبل هذا  
 الرأي رؤساء الصليبيين وأما الصليبيون أنفسهم فأكثروا رفض قبوله وكذلك  
 الوكيل البابوي بطرس دي كابوا رفض هذا الرأي وقال انه نفاق ولكن الدوجا  
 هنريكوس أراد ان يجذب الجميع الى رأيه هذا ويتم مرغوبه وانتصاره على  
 هذه المقاومة فاجتمع هو ورؤساء عساكره وشعبه في كنيسة القديس مرقس  
 واتخذ علامة الصليب على صدره وتبعه جميع شيعته فصاروا جميعاً صليبيين  
 ومتحدين معاً تحت راية الصليب فثبت على رأيه ورفض معارضة الوكيل  
 البابوي وغيره

### ✽ محاربة الصليبيين مدينة زارا والقسطنطينية وغيرها ✽

سار جميع الصليبيين ومعهم أهل البندقية الى ان وصلوا الى مدينة زارا  
 وحاصروها مدة أسبوعين وفي كل يوم يقاتلونها وأخيراً انتصروا على من في المدينة  
 واستولوا عليها واقتسموا غنائمها بالسوية بينهم حسب الشروط ولمناسبة دخول  
 فصل الشتاء عزموا على الإقامة بهذه المدينة الى ان ينقضي بسلام ثم ارسل اليهم  
 البابا يوحنا على محاربتهم المسيحيين وتأخيرهم عن التوجه الى فلسطين فأسلوا  
 له وفداً لاجل ان يعتذر لهم امامه ويطلب منه المفقرة والبركة فسامحهم البابا ثم انه  
 قدم للصليبيين وقدأ من الملك فيلبس سواباً أحد ملوك النمسا يطلب منهم  
 مساعدة اليكسيوس ابن ملك القسطنطينية اسحاق وتبليكه عليها ( لان عمه  
 اغتصب المملكة من أبيه وسجنه وسجن أباه بعد ثمل عينيه بالقسطنطينية فنخلص  
 الولد المذكور وسافر الى صهره الملك فيلبس ) وتمهد بدفع مائتي الف وزنة من  
 الفضة بصفة مصاريف للصليبيين وأن يضع مملكة الروم كلها تحت طاعة  
 الكنيسة الرومانية وأنه يقدم للصليبيين ما يحتاجون اليه من القوت ويتجههم الى  
 بلاد فلسطين أو يرسل معهم عشرة آلاف محارب فانعقد مجلس مشورتهم وبعد

معارضة من بعض الرؤساء قرر قبول هذه الشروط المقدمة لهم وانه في فصل  
الربيع ينزلون في المراكب ويسيرون الى القسطنطينية . ثم وردت اليهم رسائل  
من البابا بتوبيخهم على ما عزموا عليه فلم يلتفتوا اليه وباشروا في الاستعداد كما  
تقرر ثم حضر اليهم اليكسيوس نفسه وجددامامهم توسلاته . ثم سار الصليبيون  
بالمراكب الى ان وصلوا ميناء دورتسيوس وميناء كورفو وهناك نودي بالامير  
الكسيوس ملكاً ثم ساروا في البحر أيضاً وكما وصلوا الى مدينة أوبلد نادوا  
بان الملك هو الكسيوس الى ان وصلوا الى مدخل البسفور ورموا مراسيمهم  
عند شط مدينة القديس استفانوس ثم قرروا بانتشار اعلامهم على المراكب  
وبفك القلوع وعبور كل العمارة في الخليج الكبير وقد ساعدهم الريح الى ان  
صاروا تحت أسوار القسطنطينية فطاموا الى البر فاسل اليهم ملك القسطنطينية  
وقتئذ يسألهم عن أمرهم فقالوا للرسول انا حضرنا لاجل رد المملكة الى  
الملك الكسيوس بن اسحاق صاحبها الاصلى واذا لم يشأ تسليم المملكة بدون  
حرب فاعلمه باننا سنأخذها بالقوة ثم قرر مجلس مشورتهم بانتقال العساكر  
الى الجهة الثانية لمحاصرة القسطنطينية من كل جهة وكان ذلك في شهر القعدة  
سنة ٥٩٩ وانتشبت الحرب بين الفريقين فتلبت العساكر الفرنسية على برج  
غلطة وأخذوه ووضعوا عليهم فوقه وفي الوقت نفسه تغلبت عساكر البندقية  
على قطع السلسلة الحديدية التي تمنع المراكب من دخول قرن الذهب ودخلوا  
في قلب المدينة وتبهم نحو عشرين الف مقاتل من الفرنسيين وحاصروا  
المدينة من البر والبحر وبعد قتال شديد بينهم أظهر فيه الشجاعة أهل البندقية  
والدوجا كل النشاط والشجاعة مع انه كان كفيف البصر ثم استولى الصليبيون  
على المدينة قهراً واضرموا النار في المنازل القريبة من السور اما الملك فانه  
هرب في ظلام الليل ونزل في مركب مع خزانته وسار مفتشاً على موضع  
يلنجيء اليه ثم ان الروم هجموا على السجن واخرجوا منه الملك اسحاق

وأجلسوه على تخت الملكة فامسك اليه الصليبيون يطلبون منه التصديق على الشروط التي حررها ولده الكسيوس في مدينة زارا وتنفيذ مفعولها فهاله المبلغ المعين ولكنه كتم امره واظهر رضاه بالتصديق عليه ثم ان الصليبيين توجهوا ولده الكسيوس ليكون شريكاً في المملكة

\* (ثورة القسطنطينية وامتلاك الصليبيين لها) \*

وبعد ذلك طاب الصليبيون من الملك المبلغ المعين في الشروط وان تكون مملكة الروم خاضعة للبابا فينثند اجبر الملك اليكسيوس بطريك القسطنطينية بالاعتراف بسلطة البابا الدينية ثم امر بجمع المال من الاهالي ولكنه لم يتم له تسديد المبلغ فاخذ جميع الاواني المقدسة التي بالكنائس وحلها وضربها مسكوكات لاجل تسديد المبلغ ولذلك تضررت الروم باجمعها ومما زاد ضررها ان عساكر الصليبيين الفلامنديين اشعلوا النار في كنيس ليهود فاحترق وانتهت النيران في باقي المدينة فلذلك جاهر الروم بالعداوة للصليبيين بقيادة من يدعي اليكسيوس مورزوفلاو قبضوا على ائمة الكسيوس وقتلوه ثم ان ابا الملك اسحاق مات حزناً على ولده المذكور فانتخب الروم اليكسيوس مورزوفلا ملكاً عليهم واستعدوا لمحاربة الصليبيين وكذلك الصليبيون استعدوا لمحاربة الروم ونزلوا في المراكب واقتل الفريقان فتأخر الصليبيون وبعد ثلاثة ايام انتصروا على الروم واستولوا على المدينة عنوة وأوقعوا بأهلها القتل والنهب وصاروا يجولون في المدينة شامري سيفهم مشعلهم ليجرقوا بها الدور فأحرقوا اكثر منازل المدينة فالتجأت النساء الى كنيسة اياصوفيا للاحتماء بها فخرجت الاساقفة والقسس حاملي النجيل امامهم يطلبون من الصليبيين الامان وان يبقوا على أهل المدينة فلم يلتفتوا اليهم) فانظر رافة الصليبيين الذين خرجوا من بلادهم بقصد تحليص قبر المسيح وادعاهم بالشفقة على مسيحي المشرق كيف فعلوا في مسيحيين

القسطنطينية من القتل والنهب وحرق المدينة) وصاروا يقتلون وينهبون حتى  
كنيسة اياصوفيا نفسها فقد احرقوا جميع ما فيها من الستائر والتصاوير وغيرها  
ونبشوا قبور الملوك المدفونين فيها واخذوا ما بها من الذهب والاحجار الكريمة  
ولم يبقوا في المدينة منزلاً بدون نهب وقتل وكذلك احرقوا وكسروا جميع  
التمائيل المقامة بالميادين العمومية وقد خرج بطريك الروم هاربان من القسطنطينية  
حافي الاقدام تاركاً جميع امتعته لنهب الصليبيين وهرب مورزوفلا في احد  
المراكب

(\* ) تتويج بودوين على القسطنطينية وما جرى للصليبيين

بها وانتهاء الحروب الصليبية الخامسة ) \*

بعد امتلاك الصليبيين بلاد الروم شرعوا في انتخاب احدهم ليكون ملكاً  
على القسطنطينية فاختروا ستة اشخاص ومن البندقيين ستة اشخاص وادخلوا  
الاثني عشر كنيسة اياصوفيا وطلبوا منهم ان ينتخبوا احد الرؤساء الصليبيين  
ليكون ملكاً فاقاموا بالكنيسة يومين ثم خرجوا ونادوا بان الذي يكون ملكاً  
هو بودوين كونت دى فلاندر فاقاموه ملكاً ثم شرعوا في تقسيم المملكة  
ووظائفها فاستخدم بودوين أكثر رؤساء الصليبيين ليكونوا حكاماً على البلاد  
الرومية وكذلك اهل البندقية وكان ذلك في سنة ١٢٠٤ ميلاديه الموافقة  
٦٠١ هجرية ثم انعقد مجلس مشورتهم وقسم المملكة الرومية قسمين قسماً  
للفرنساويين والقسم الآخر لاهل البندقية ثم ان بودوين ملك القسطنطينية  
قد ارسل رؤساء الصليبيين الى البابا يلمعونه بما امتلكوه ويمتدرون اليه لتأخرهم  
عن التوجه الى البلاد السورية فغضب عليهم لمحاربة اخوانهم المسيحيين وبلغت  
انتصارات الصليبيين المذكورة على بلاد الروم اقصى البلاد فسارت خيالة  
الجميات الرهبانية جمعية الهيكلين وجمعية القديس يوحنا المعمدان اليها ولما

استوطن الصليبيون القسطنطينية ارسلوا الى البلاد حكاما وعساكر منهم فكانوا  
كلما ذهبوا الى مدينة لا خضاعها يخرج عليهم الروم ويقاتلونهم وهكذا تفرقت  
عساكر الصليبيين في جميع البلاد وبمن عاصم أهل باغاريا فسروا بودوين  
المذكور وقتلوه فجلس بدلا عنه اخوه هنريكوس دي هالينولت ملكا على القسطنطينية  
ثم ارسلوا الى بلاد فرانسوا وابطاليا يطلبون النجدة منهما مستغيثين بأهلها وقد  
اقامت هذه المملكة تحت حكم فرنساوية نحو سبعة وخمسين سنة ثم استردها  
الروم منهم وهكذا انتهت الحروب الصليبية الخامسة بدن محاربة او قتال مع  
المسلمين

### ﴿ مناوشات الصليبيين والملك العادل ﴾

واما الملك العادل ظل متمتما بملكه العظيم وكلما انقضت هدنة بينه وبين  
الصليبيين جددوها وفي سنة ٦٠٤ خرج الصليبيون الذين بطرابلس وحصن الاكراد  
واكثروا الاغارة على بلد حمص وولايتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم  
كثيرا فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه قوة على دفعهم  
ومنعهم فاستجد بالظاهر غازي صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فام بنجده  
أحد الا الظاهر فانه سير اليه عسكريا اقام عنده ومنع الصليبيين عن ولايته وفي  
هذه السنة أيضا خرج أهل قبرص على الاسطول المصري فاخذوا منه سراكب  
وأسروا من بها فارسل الملك العادل الى الملك أموري صاحب عكا في رد ما  
أخذوه وقال له حيث اتنا في صلح فلم غدرتم باصحابنا فاعتذر الملك أموري  
وقال ان أهل قبرص ليسوا في طاعتي بل هم ابغون القسطنطينية ثم انه حصل  
غلاء بقبرص وتمذرت عليهم الاقوات فذهب أهلها الى القسطنطينية فاعادوهم  
الى حكم سوريا ثم راسل الملك العادل أموري صاحب عكا فلم ينفصل حال  
تخرج الملك العادل من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فصالحه صاحبها



على قاعدة استقرت باطلاق اسرى المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص ونزل على بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل بلاد طرابلس وحاصر موضعاً يسمى القليعات واخذه صلحاً واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخزبه وتقدم الى طرابلس فنهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الصليبيين في الصلح فاصطالحوا

✽ موت الملك اموري صاحب عكا وتعيين خلفه والتحريض

### ✽ على الحروب الصليبية السادسة ✽

في سنة ٦٠٦ مات الملك اموري ملك سوريا وماتت زوجته فأرسل الصليبيون المقيمون بسوريا الى الملك فيلبس اوغسطس ملك فرنسا يخبرونه بذلك فعين يوحنا بريانا ملكا على سوريا فرضى به البابا وباركه وسار يوحنا المذكور الى فلسطين فقابله الصليبيون باحتفال عظيم وتوجوه بتاج الملك عليهم ولما جلس هذا الملك داخله الطمع فأرسل الى البابا والى ملوك أوروبا يطلب اليهم تجريد عساكر صليبية سادسة لاجل تخلص القدس من المسلمين والاستيلاء على جميع البلاد الاسلامية بسوريا

### ✽ ابتداء الحروب الصليبية السادسة ✽

(التحريض على الحروب الصليبية السادسة والصليبيون الفتيان ومؤتمر رومية) لما أرسل يوحنا بريانا ملك سوريا الى البابا والى ملوك أوروبا كما تقدم أرسل البابا الى الاساقفة ورؤساء الكنائس في جميع الممالك الاوروبية بالحضور الى رومية لعقد مؤتمر بذلك ولما وصلت رسل يوحنا المذكور الى بلاد أوروبا صاروا يحثون الناس على الحروب الصليبية فتجمع كثير من الشبان تحت اسم الصليبيين واتخذوا الصليبان على صدورهم وساروا مجدين واجتازوا

الجبال الالية واقليم لومبارديا ونزلوا على ايطاليا وامامهم راية الصليب لاجل  
نزولهم في المراكب وتوجههم الى فلسطين فلما علم بذلك البابا باركهم ونزل  
اكثرهم بالمراكب فداهمهم عواصف بحرية فاغرقتهم بمراكبهم قريبا من  
الشلوط فامر البابا بانتشاهم ودفنهم بالشاطيء وبني عليهم كنيسة دعاها  
كنيسة الفتيان الابرار وتشتت باقي الصليبيين الفتيان بعد ذلك في البلاد فمهم  
من رجع الى بلاده ومنهم من خدم في فلاحه ارض ايطاليا وفي سنة ٦١٢  
انعقد المؤتمر في مدينة رومية بكنيسة القديس يوحنا تحت رئاسة البابا  
اينوشانسوس وقد اجتمع فيه ما يزيد على ٥٠٠ من الاساقفة ورؤساء الكنائس  
وكذلك بطريرك القسطنطينية وطريرك القدس ووكلاء كل من الملك  
فريدريكوس ملك النمسا وفيلبس ملك فرانسا وملك الانكليز وملك هونكريا  
فقام فيهم البابا خطيبا بفصاحة يصف لهم تعب مسيحي الشرق وما يتاسونونه من  
العذاب وان القدس منطلي بازار الحزن الاسود ومقيد بسلاسل حديدية تحت  
عبودية الاسلام وصار يحثهم على حض جميع المسيحيين بتحضير عساكر صليبية  
سادسة كي تقذف قبر المسيح من ايدي المسلمين وبعد عدة جلسات تقرر بان  
البابا والكردينالية يقدمون عشر مداخيلهم لتفقات هذه الحرب المستجدة  
وكذلك الكنائس رومانيا وروسيين يتقدمون نصف عشر مداخيلهم  
وتعهد جميع ملوك أوروبا برضاء تام على ابطال الحروب من بلادهم مدة خمس  
سنوات وفي سنة ٦١٣ توفي البابا المذكور فتمين خلفا له البابا أونوريوس الثالث  
ولما توسد السدة البطرسية هذا حذو سلفه في التحريض على الحروب الصليبية  
السادسة فارسل من عنده وفودا الى جميع ملوك أوروبا بالتحريض والحث على  
تجهيز الحروب الصليبية المذكورة وذكروهم بوعودهم

## \* (سفر العساكر الصليبية السادسة) \*

استمد للسفر تحت علم الصليب كل من الملك اندراوس الثاني ملك هونكريا وليوبولدس دوك دي اوپريش ودوك بافيرا وغيرهما من الامراء والقواد فساروا الى ان وصلوا مدينة سبولاترو وهناك انتظروا قدوم المراكب من البندقية كي توصلهم الى فلسطين وسافر من مرسيليا وجينوى وبرنيداس جيوش كثيرة في المراكب الى فلسطين فسبقوا ملك هونكريا ومن معه وكذلك هو كز الاول سلطان قبرص فانه عندما علم باخبار هذه الجيوش الصليبية السادسة اخذ معه اشراف دولته وعساكره ونزل بالمراكب من ميناء ايبسون وسافروا جميعاً الى عكا ولما وصلوا اليها كان زادهم قد قل وارض سوريا كانت وقتئذ مجدية فاضطروا للخطف والتهب ثم خرجوا من عكا واغاروا على البلاد الاسلامية وكان الملك العادل بمصر فسار منها توجاً الى الشام

\* (محاربة الصليبيين مع الملك العادل وسفرهم الى مصر

وسفر ملك هونكريا و قدوم صليبيين آخرين) \*

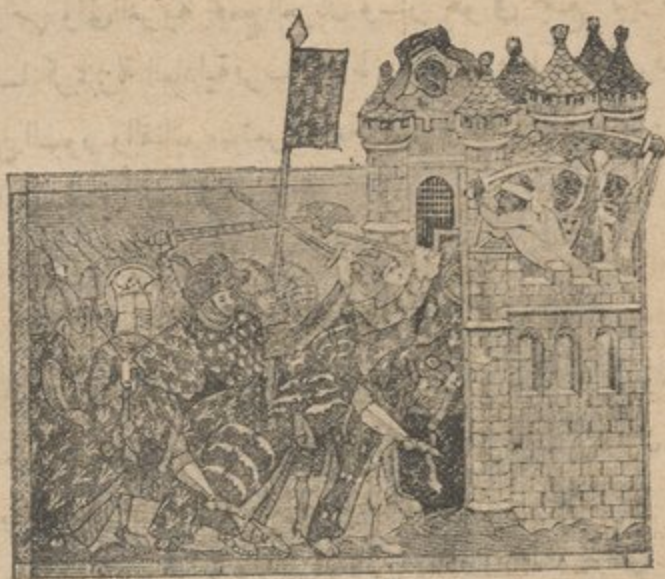
لما وصل الملك العادل الى الرملة ومنها الى اللد برز له الصليبيون من عكا فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازماً على ان يسبقهم الى اطراف البلاد مما يلي عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم عليه الصليبيون في شعبان سنة ٦١٤ هـ عازمين على محاربتهم لعلمهم انه في قليل من العسكر لان جنوده كانوا متفرقين في البلاد فلما رأى العادل قريتهم منه لم ير ان يلقاهم في من معه خوفاً من هزيمة تكون شراً عليه وكان حازماً كثير الحذر فنارق بيسان نحو دمشق ليقوم بالقرب منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل مرج الصفر فنزل فيه فاخذ الصليبيون كل ما كان في بيسان من الذخائر

وكانت كثيرة ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبشوا سراياهم في القرى الى ان وصلوا الى خسفين وأطراف السوداء ونازلوا بانياس وأقاموا عليها ثلاثة أيام ثم عادوا عنها الى مرج عكا وأقاموا به أياماً ثم خرجوا منه الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا وبينهم وبين بانياس مقدار فرس خين فنبهوا صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا في النصف الاخير من رمضان ثم سير الملك العادل ولده الملك المعظم عيسى صاحب دمشق في قسم من جيشه الى نابلس ليمنع الصليبيين عن المقدس اما الصليبيون فانهم ساروا بجمعهم الى ان وصلوا قمة الطور وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل قد بناها حديثاً فتقدم اليها الصليبيون وحاصروها وركبوا عليها المنجنيقات وآلات الحصار وزحفوا اليها وصعدوا على جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه ثم ارتدوا عن القلعة وتركوها وساروا الى عكا وبمدرجوعهم حصل لهم فشل لان معسكرهم كان مركباً من ثلاثة رؤوس وهم ملك هونكريا بعساكره وملك قبرص وملك سوريا وكان معسكرهم مقسماً ان ملك قبرص مرض ومات وكان عازماً على الرجوع الى مملكته وكذلك ملك هونكريا تزم على الرجوع أيضاً ولكنه خاف لوم الصليبيين فأتى نصف جيشه في سوريا تحت قيادة يوحنا ملك سوريا ورجع هو الى بلاده ثم وردت عساكر صليبية أخرى من بلاد فرنسا واطاليا وكانوا قد تأخروا عن المسير لمحاربة مسلمي اسبانيا ولما وصلوا الى عكا فرح جميع الصليبيين والمسيحيين بقدمهم وعقدوا مجلس مشورتهم فقرروا سفر جميع الصليبيين من سوريا الى الديار المصرية ومحاربة المسلمين هناك

### ✽ محاصرة الصليبيين لمدينة دمياط ✽

قصد الصليبيون مدينة دمياط فوصلوها في يوم الثلاثاء ٤ ربيع اول سنة ٦١٥ هـ وهم نحو من ٧٠ الف فارس و ٤٠٠ الف راجل فخيروا اتجاه دمياط في البر الغربي

وحفر واحول معسكرهم خندقاً وأقاموا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط  
 وكان برجاً منيعاً في سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النيل لتمنع المراكب الواصلة  
 في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وكان البر الذي نزل عليه الصليبيون  
 جزيرة محاطة بالنيل من جهة وبالبحر الملح من الاخرى يقال لها جزيرة دمياط  
 وكان المسلمون في مدينة دمياط محاصرين حصاراً منيعاً من البحر والبر والسلسلة  
 ممتدة بين البرج والسور فحاول الصليبيون امتلاك ذلك البرج لانهم اذا ملكوه تمكنوا  
 من العبور في النيل الى القاهرة



( صورة برج دمياط واستيلاء الصليبيين عليه )

وكان هذا البرج مشحوناً بالمقاتلة تأتي اليه المؤن من دمياط على جسر  
 خشبي منصوب في عرض النيل وقد انكسر ذلك الجسر بعد مدة فاغتم  
 الصليبيون تلك الفرصة واصطنعوا برجاً خشبياً نصبوه على مركبين

موسوقين قيوداً وكان جميع الصليبيين بقيادة يوحنا بريانا ملك سوريا وايوب بولدوس  
دي او طريش فازلوا في البرج الخشبي ايوب بولدوس برجاله وساروا في النيل لمهاجمة  
برج المسلمين فلما رأي المسلمون ذلك تجمهروا في البرج والصور وأخذوا في رمي  
السهام والحراب والحجارة والمنجانيقات على برج الصليبيين فلبت به النار بخاف  
الذين فيه ثم انطفأت حالا وتشدد الصليبيون حتى استولوا على برج  
المسلمين فبلغ الملك الكامل قدوم الصليبيين ومحاصرتهم دمياط وكان يخلف أباه  
الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه في ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر  
الصليبيين وأمر والى الغربية بجمع العربان وسار هو في جمع كبير ونزل بمن  
معه من العساكر بمنزلة العادية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لينبع  
الصليبيين من الصور والقتال مستمر أربعة أشهر والملك العادل يسير العساكر  
من البلاد الشامية شيئاً بعد شيء

### ﴿ وفاة الملك العادل ﴾

كان الملك العادل نازلاً بمرج الصفر وقد أرسل العساكر الى ولده الكامل  
بالديار المصرية كما تقدم ثم رحل من مرج الصفر الى عالقين فنزل بها ومرض  
واشتد مرضه ثم توفي هناك الى رحمة الله في سابع جمادى الاخرى سنة ٦١٥  
وكان مولده سنة ٥٤٠ وعمره ٧٥ سنة وكانت مدة سلطنته بمصر نحو عشرين سنة  
وأقل وكان حازماً متيقظاً غزير العقل شديد الآراء ذامكراً وخديعة وصبوراً  
حليماً يسمع ما يكره ويفضي عنه واتسع ملكه وكثرت اولاده ورأى فيهم ما يحب  
ولم ير احداً من الملوك في اولاده مالمقاء العادل فيهم من القوة والشجاعة والملك  
وخلف الملك العادل سنة عشر ولد اذ كراً غير البنات ولمساتوفي لم يكن عنده احد  
من اولاده حاضرراً فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان قد أرسله الى نابلس  
لحماية القدس فمات موت أبيه وحمله في محفة وجعل عنده خادماً وطيباً راكباً

الى جانب المحفة والشرا ابدار يصاح الشراب ويحملة الى الخادم فيشر به ويوهم الناس ان السلطان شر به الى ان دخلوا به قلعة دمشق وصارت اليها الخزائن والبيوتات فأعان موته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسة المادلية

### مخاربة الصليبيين بارض دمياط ودخولهم حتى اشمون طناح واخذوا ثورة المسلمين

لم يبلغ الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية استلم زمام الاحكام أما الصليبيون فألحوا في القتال ولا سيما عند ما علموا بموت الملك العادل وقطعوا السلاسل التي كانت تصل بالبرج لتجوز مراكبهم في نهر النيل ويتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسر أعظيما في عرض النيل فنال الصليبيون قتالا شديداً الى ان قطعوه وكان قد انفق عليه وعلى البرج ما ينوف على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتفقد الاحوال واعمال الحيلة في كفاية الاعداء فامر ان تفرق المراكب في النيل لتتبع الصليبيين عن الابحار فيه فممد الصليبيون الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديماً فحفره وعمقوا حفره وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مراكبهم منه الى بورة على أرض جزيرة دمياط قبالة المنزلة المعسكر فيها الكامل ليقتلوه منها فلم انزلوا في البورة ابتدأوا بقتاله بجرأ وزحفوا اليه مراراً فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لان الميرة والامداد كانت تصل اليهم والنيل يحجز بينهم وبين عدوهم وأبواب المدينة مفتوحة ليس عليها من الحصار ضيق ولا ضرر وكان العربان يهروا على الافرنج في كل ليلة حتى منوهم الرقاد خوفاً من غاراتهم فتقوى طمع العرب في الصليبيين حتى صاروا يخطفونهم نهاراً ويأخذون الخيم من فيها فسكن لهم الصليبيون عدة كهناه

وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فكفوا عن مناوشتهم . ثم أدرك الناس الشقاء وهاج  
 البحر على مخيم المسلمين وأغرقتهم فعمم البلاء وتزايد الغم وأح الصليبيون في  
 القتال حتى كادوا يملكون كل مال المسلمين والملك الكامل يرسل الرسل  
 الى الجهات ويستصرخ اخوته ويستجد أهل الاسلام على النصارى ويخوفهم من  
 غلبة الصليبيين ولا من محيب . وفي اثناء ذلك تارت بين رجاله ثورة كان زعيمها  
 عماد الدين أحمد بن المشطوب أحد كبراء الرجال على ان لا يقبلوا الكامل عاينهم سلطاناً  
 بمد أبيه وكان ذلك باتفاق مع أخيه الملك الفائز فوقع الملك الكامل في حيرة  
 وأوجس خيفة على منصبه ولم ير من ينجده فسار من العادلية الى قرية تدعى اشمون  
 طناح (اشموم نطاح) بجريدة فأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل انسان منهم  
 هواه ولحقوا بالكامل ولم يتمهلوا لاخذ شيء من خيامهم وذخائرهم وأموالهم  
 وأسلحتهم كل ذلك والصليبيون في البر الثاني لا يدرون . وفي ٢٠ القعدة  
 سنة ٦١٥ بلغهم ما كان من أمر المسلمين فمروا النيل الى بردمياط (البرالشرقي)  
 آمنين لا ينازعهم منازع وغنموا ما في معسكر المسلمين مما تركوه من أمتعتهم  
 وغيرها وكان شيئاً لا يحيط به الوصف فلما بلغ السلطان الكامل ذلك داخله  
 وهم عظيم وأوشك ان يفارق البلاد لانه أصبح لا يثق بنفسه ولا بمن حوله  
 أمام مدينة دمياط فبقيت محاصرة وقد شدد الصليبيون عليها براً وبحراً وكانت تلك  
 السنة ليس أشد منها وطأة على المسلمين وقد أخذ اليأس منهم مأخذاً عظيماً فنيهاهم  
 في ذلك الشأن وفدت عليهم نجدة من الشام بقيادة الملك المعظم عيسى أخى الملك  
 الكامل وكان قد تولى على دمشق بمداييه المادل فلما علم بما حل بجيوش أبيه  
 بعد وفاته أتى في عدة من رجال الشام فأطاعه الكامل على الحال سرّاً وأسر اليه  
 ان رأس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاء الملك المعظم يوماً على غفلة الى خيمة  
 ابن المشطوب واستدعاه فخرج اليه فقال له أريد ان أفوضك سرا في خلوة  
 وسار معه وقد جرد المعظم جماعة ممن يثمد عاينهم ويثق بهم وقال لهم



اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شيء الى شيء حتى  
أبعده عن المعسكر ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتمى ان تهبها  
وشيثاً من النفقة ثم قال لرجالہ تساموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسمعه الا  
امتثال الامر لانفراده وعجزه عن الخلفة وعاد المعظم الى أخيه الكامل وأطلمه  
على ما جرى ثم جهز أخاه الملك الدائم شريك المتأمرين الى الموصل لاحضار  
النجدة منها ومن بلاد الشرق فمات بسنجار وكان ذلك خديعة لاخراجہ  
من البلاد فلما خرج هذان الشخصان من المعسكر تحللت عزائم من قبي من الامراء  
الموافقين لهما ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرهاً لا طوعاً

﴿قدوم نجدة للصليبيين بقيادة بيلاجيوس وهدم سور البيت المقدس﴾

ظل البابا انور بوس الثالث يحث ملوك اوروبا لنجدة اخوانهم الصليبيين  
حتى اجتمع لكلمته جيوش كثيرة من بلاد النمسا ويزا وجنوى والبندقية  
وانكلترا وفرنسا فأرسلهم الى اخوانهم بدمياط بقيادة الكردينال بيلاجيوس  
بصفته نائب بابوي وأرسل معه خزائن المال الذي جمعه باسم الحروب الصليبية  
فسار الكردينال المذكور بهسا كره الى ان وصل الى معسكر الصليبيين باراضى  
دمياط وبمديسير عاد الملك المعظم الى دمشق لينظر في أحوال رعيته ثم خشي  
من الصليبيين ان امتلكوا دمياط ان يمدوا يدهم الى اورشليم ( القدس ) فتقوي  
سلطتهم فأمر هدم أسوارها حتى اذا ملكوها لا تزيد قوتهم شيئاً يستحق  
الاعتبار

﴿تشديد الحصار على دمياط واستيلاء الصليبيين عليها﴾

شدد الصليبيون الحصار على دمياط ومنعوا القوت من الوصول اليها  
وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقاً وبنوا عليه سوراً وأهل دمياط  
يقاتلونهم أشد القتال ويمسكونهم وقد نفذت من عندهم الاقوات وغلت الاسعار

والملك الكامل كان لا يزال في أشمون ناظراً الى دمياط وهي محصورة ولا يتدر  
ان يصل اليها وخشي أخيراً ان ييأس أهلها من المساعدة فيسلموا المدينة فانتدب  
أحد الجندارية المدعوشايل للدخول الى دمياط لينشط من فيها ويعددهم بالاقاذ  
فكان يسبح في النيل الى ان يصل الى أهل دمياط فيوصل اليهم الاخبار ويطلب منهم  
ويعود وبقي على ذلك مدة فحظي بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى جعله  
والياً على القاهرة واليه تنسب خزانه شمائل بالقاهرة . وفي أثناء حصار دمياط  
قاسي المسيحيون في داخلية البلاد اضطهاداً شديداً وكان في الاسكندرية كنيسة  
قديمة البناء على اسم القديس مرقص هدمها المسلمون خيفة ان يباغت الصليبيون  
الاسكندرية من أجلها فيتخذونها حصناً لانها كانت حصينة البناء كثيرة  
الاعمدة وجعلوها بعد ذلك جامعاً ولا تزال اثارها الى هذا العهد بقرب باب  
القبارى . ثم دخلت سنة ٦١٦ وقد غلت الاسعار بدمياط بما هو فوق الحد  
فبلغ ثمن البيضة عدة دنانير وكان رجال الملك الكامل ينفذون الاقوات الى  
أهل دمياط بحيل مختلفة فكانوا يأتون بحمل ويشقون جوفه ويملؤنه فراخاً وفاكهة  
وتقلاً وغير ذلك ثم يخيطون جلده عليها ويرمونه في النيل فيسير منحدراً مع  
الجرى فاذا جاء أمام دمياط نزل من فيها اليه وأخذوه واقتاتوا بما كان في جوفه  
وكان الصليبيون يمرقون أحياناً هذه الحيل فيأخذون تلك المئون ثم توات هجماتهم  
على من في المدينة فقاتلوهم قتالاً شديداً خصوصاً جمعيات الرهبان (جمعية الهيكلين  
وجمعية التيطونيكين أى جمعية الشريط الأزرق التي أسسها يكار دوس قلب الاسد  
ملك الانكليز) ثم أمر الكرديناك بيلاجيوس ان يتحد جميع الصليبيين للحرب  
دفعه واحدة برأوبجراً وان يتسلحوا بالزروخ والزرديات فعملوا السلام على الاسوار  
ليتسلقوها وشدوا الحرب فجاهد المسلمون حق الجهاد واحرقوا اسلام الصليبيين  
بمقدف النيران عليها وهجموا على الصليبيين هجمة قوية فقتلوا منهم كثيراً وأغرقوا  
كثيراً ثم كر الصليبيون عليهم واشتد القتال فعلم بذلك الملك الكامل فسار بجيشه

وهجم على مخيم الصليبيين لردهم عن محاربة المدينة فالتزموا قتاله ورجع بعضهم  
 عن المدينة واشتد النزاع بين الملك الكامل والصليبيين وبين هؤلاء ودمياط  
 فانكسرت العساكر الصليبية في هذه الواقعة وقتل منهم كثير وانهمزم منهم كثير  
 فاتبع الملك بوخنا ملك سوريا المنهمزمين ليردهم وصار يرسل الى كل فار من  
 يرجعه ودامت هذه الحال بينهم أي كلما ضيق الصليبيون على أهل دمياط يصعد  
 للمسلمون الى أعلا البرج ويوقدوا نارا لتنظرهم عساكر الملك الكامل فيعلمون  
 بان أهل المدينة في ضيق فيهجم الملك الكامل بعساكره على مخيم الاعداء فيرتدون  
 من محاربة المدينة ليحاربوا الملك الكامل وكانت تتواصل النجدات من أوروبا  
 الى الصليبيين بتحريرى البابا . وفي آخر الامر زاد الضيق في المدينة وكثرت  
 الموتى جوعا وامتلأت مساكنهم وطرقات البلد منهم وهدمت الاقوات حتى لم  
 يبق عندهم الا بعض القمح والشعير . وفي يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ٦١٦ هجم  
 الصليبيون على دمياط فاستولوا عليها وكانت مدة الحصار جميعها ١٦ شهرا و٢٢  
 يوماً فدخلوها واحكموا السيف في من بقي فيها من الاحياء الى ان تجاوزوا الحد  
 في القتل وكانت الابخرة الفاسدة تتصاعد عن جثث الموتى فتلحق الاحياء  
 بهم وكانت تلك الجثث متراكمة في الاسواق والبيوت وعلى الاسرة فكان  
 يموت الابن جوعا وليس من يسي الى دفنه فيبقي في مكانه فيباحقه الاخ ثم  
 الام ثم الاب وهكذا وجعل الصليبيون الجامع الكبير الذي بدمياط كنيسة لهم باسم  
 القديسة مريم

\* (في شقاق الصليبيين وبناء مدينة المنصورة) \*

بعد استيلاء الصليبيين على دمياط قرر مجلس مشورتهم بان تكون دمياط  
 تابعة للملك بوخنا دي بريانا ملك سوريا . ولما اتصل خبر سقوط دمياط بالملك  
 الكامل رحل بعسكره بعد سقوطها بيومين ونزل قبالة طلخا على رأس بحر

اشموم ورأس بحر دمياط ليمنع الصليبيين من المسير الى داخلية القطر بحر أوخيم في  
 محلة المنزلة واقام معسكره هناك وكان الصليبيون قد قرروا سرعة المسير الى القاهرة  
 ومحاصرتها حصل شقاق بين رؤسائهم وخصوصاً لان الكردينال بيلاجيوس  
 كان يعتبر نفسه الرئيس الاعلى على جميع الصليبيين وجميع الرؤساء دونه رتبة  
 والملك يوحنا دي بريانا ملك سوريا يعتقد انه هو الرئيس والكردينال بصفة  
 رئيس ديني فزاد التنافر بينهم فغضب الملك يوحنا وعاد الى مدينة عكا بمعسكره ومعه  
 الاسرى وترك باقى الصليبيين في دمياط وقدمت نجدات للصليبيين من فرانس والنمسا  
 وايطاليا اقترح الكردينال بذلك وعزم على المسير الى مدينة القاهرة فابى رؤساء  
 المسافر المشير معه فارسل وقدأ الى الملك يوحنا كي يستمع حوه ويرجع الى  
 معسكر الصليبيين وقد حصنوا دمياط تحصيناً عظيماً وبثوا رجالهم في القرى يقتلون  
 وينهبون وبأسرون

أما الملك الكامل فانه أخذ في تحصين معسكره في المنزلة فامر ببناء الدور والفتادق  
 والحمامات والاسواق الى ان صارت مدينة عظيمة ولقبوها بالمنصورة اشارة الى  
 انتصاره على الصليبيين هناك كما سيأتى وكتب الى المسلمين في سوريا يستحثهم على  
 محاربة الصليبيين واخراجهم من ديار المسلمين

\* ( ماجرى للصليبيين بعد ذلك واستيلاء

المسلمين على دمياط ) \*

ولما عاد الملك يوحنا دي بريانا الى معسكر الصليبيين انعقد مجلس مشورتهم  
 وقرر سرعة المسير لمحاصرة القاهرة فتركوا أمتعتهم ومؤنتهم في دمياط بمسدان  
 اقاموا فيها حامية كافية وساروا الى ان وصلوا اتجاه المنصورة فيما هو أمام سراى  
 المنصورة الآن وعسكروا هناك وكان عدد الصليبيين اذ ذاك نحو مائتى الف  
 واجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوائبهم أمام المنصورة وعدتها

مائة قطعة فاصبح المسلمون في ضيق . فامر الملك الكامل ان ينادى بالمسلمين  
للجهاد من سائر القطر فاجتبه مع الناس من سائر النواحي من اصوان الى القاهرة  
ونودي بالنفير العام ايضاً فيما بين القاهرة الى آخر الحواف الشرقي فاجتمع عالم  
كثير وانزل السلطان علي ناحية شار مساح الف فارس في آلاف من العربان  
ليحولوا بين الصليبيين ودمياط وسارت الشواني ومعه حراقة كبيرة على رأس  
بحر المحلة وتليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت الميرة عن الصليبيين  
من البر والبحر . وفي أثناء ذلك أتت النجدات للملك الكامل من الشام  
والشرق يتقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلي ساقها الملك المعظم  
عيسى فلتقاهم الملك الكامل وانزلهم عنده بالمنصورة في ١٣ جمادى الاخرى  
سنة ٦١٨ وتابع مجيء الملوك حتى بلغت عدة جيوش المسلمين نحو أربعين  
الف فارس فحاربوا الصليبيين وأخذوا منهم ست شواني وأسروا منهم الفين  
ونيفاً فتمضمضوا وازاق بهم المقام فحاربهم الملك الكامل بأمر الصالح ليخرجهم  
من بلاده فمرض عليهم ان يعطيهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة  
واللاذقية وسائر الاماكن التي فتحها السلطان صلاح الدين الاالشوبك  
والكرك لانهما أصبحتا ملكاً خاصاً له ناهما بالارث من السلطان صلاح  
الدين وطاب اليهم في مقابل ذلك ان يردوا له دمياط وينسحبوا من القطر  
المصري فانهقد مجلس مشورتهم ورضى كل من بوخنا ملك سوريا وغيره من  
رؤساء العساكر وأما السكردينال فابي ودخله الطمع وبعد مجادلات أقر رأي  
الصليبيين على طلب تينك المدينتين ومبلغ ٣٠٠ الف دينار تعويضاً لما سببه  
الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بهدم أسوار بيت المقدس فامتنع المسلمون  
عن التسليم لهم بذلك ثم بعثوا سرية من رجالهم اتسير سرا من وراء معسكر  
الصليبيين وتخرق سدرة المحلة وكان النيل في معظم ارتفاعه فطافت مياه  
الترعة حتى أغرقت جميع الاراضي التي تفصل جيش الصليبيين من دمياط

فأصبحت على أرض مثل الجزيرة وقد حال الماء بينهم وبين نجدة أصحابهم  
فخافوا سوء المصير وبنوا يشكون قلة الطعام وكثرة المياه ولم يكن باقياً بينهم  
وبين دمياط الطريق ضيق فامر السلطان بنصب الجسور عند اشمون طنح  
فميرت العساكر عليها وملك تلك الطريق فاضطرب الافرنج وضاعت عليهم  
الأرض . واتفق بحجى مرمة عظيمة مدداً للصليبيين حولها عدة حراقات  
وقدمت كلها بالميرة والاساحة فقاتلها شواني المسلمين حتى ظفرت بها فانصل  
ذلك بالصليبيين فزاد خوفهم وندموا على رفضهم المعاهدة المارذكرها فطلبوا  
من الملك الكامل الامان على ان ينسحبوا من القطر المصرى جميعه ولا يطالبون  
لذلك مقابلاً فقبل منهم الكامل فى ٧ رجب سنة ٦١٨ هجرية بان يعطى كل من  
الفريقين رهائن فأعطي الصليبيون الملك يوحنا دى بريانا ملك عكا والكردينال  
بيلاجيوس نائب البابا رهناً وأعطى الملك الكامل ابنه الملك الصالح وكان سنه ١٥  
سنة وجماعة من الامراء فسار الصليبيون الى دمياط وسلموها للمسلمين فى ١٩  
رجب بعد ان كانوا قد اجهدوا أنفسهم فى تحصينها وخرجوا من القطر وبعدهم وجهم  
بقيل جاءت نجدة عظيمة فى البحر الى الصليبيين فشكر المسلمون الله لتأخرها  
الى ذلك الحين ثم ارسل الصليبيون الملك الصالح ومن معه الى أبيه فأرسل لهم رهنهم  
وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل دمياط باخوته وعساكره وكان يوم  
دخوله اليها احتفال عظيم ثم عادوا واقاموا بالمنصورة أياماً فأنشده هناك القاضى  
الرئيس هبة الله بن محاسن قاضى غزه

هنيئاً فان السعد جاء محمداً	وقد انجز الرحمن بالنصر موعداً
حبا نانا اله الخالق فتحاً لنا بدا	مينا وانعاماً وعزاً مؤبداً
تهلل وجه الارض بمد قطوبه	وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله	طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه	صقيلاً كما سل الحسام المنهدا

فلم ينج الاكل شلو مجسدل نوى منهم اومن تراه مقيدا  
 ونادى لسان الكون في الارض رافماً عتيرته في الخافقين ومنشدا  
 اعباد عيسى ان عيسى وحزه وموسى جميعاً ينصران محمداً  
 فكانت مدة نزول الصليبيين على دمياط الى ان اقلعوا عنها ثلاث سنين وأربعة  
 أشهر و١٩ يوماً منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر و٢٤ يوماً  
 ثم سار الملك الكامل الى مقر ملكه في القاهرة وانتقل من دار الوزارة التي كانت الى  
 ذلك العهد منزلاً للخلائف وسكن القلعة

### ✽ ماجرى للملك فريديريكوس الثاني باوروبا

#### واستيلائه على القدس صلحاً ✽

وبعد رجوع يوحنا دي بريانا الى عكا وجد مملكته في ضعف زايد من القوة  
 والمال فسافر الى أوروبا باطالبا الممونة من ملوكها فوصل الى البابا انوربوس الثالث  
 فقبله باحترام وكتب له منشورات الى جميع الملوك بالتحريض بارسال تجريدة  
 صليبية لاستخلاص القبر المقدس من أيدي المسلمين ثم سار يوحنا الى جميع الملوك  
 بهذا الشأن فما التفتوا اليه وكان ملك النمسا فريديريكوس الثاني عند وفاة والده  
 صغيراً فاقم عليه وصياً البابا اينوشانس يوس الثالث الى ان بلغ وتسلم مملكته فلذلك  
 كانت البابوية ذات دالة عليه فكتب اليه البابا يجرضه على المسير بنفسه الى سوريا  
 وتجديد الحروب الصليبية ثم سعي في زواج فريديريكوس المذكور بابنة يوحنا سلطان  
 سوريا المدعوة بولاندا لتوثيق العلاقة بينهما وتم الاحتفال بهذا الزواج في مدينة  
 رومية وفي اثناء ذلك جد فريديريكوس القسم بمسيره الى فلسطين وتخليصه قبر  
 المسيح من بداعائه واستعد للسفر وقد نادوا في أوروبا بذلك فحضر اليه جملة  
 عساكر من الانكليز وفرنسا والمانيا والنمسا وغيرهم وتعين لاجتماع العساكر  
 مدينة برنيس وكان من الرؤساء الذين قبلوا السفر للحروب الصليبية دوك دي بافير

ودوك دى أوطريش ولويس لاندغرافاوساروا بالجيش فأتحدوا مع عساكر الملك  
 فريدريكوس في المدينة المذكورة فآخذ بحثهم البابا بالسير فنزلوا بالمرآكب في سنة  
 ٦٢٤ هـ وبعد مسيرهم من الميناهاجت عليهم العواصف فتنتت مراكبهم وبعد  
 ثلاثة أيام عدل الملك فريدريكوس عن المسير الى فلسطين ورجع بمساكره الى مدينة  
 ارنانتا أما الامير لاندغرافا فبعد نزوله في البحر أخذته حمى فاحق بفريدريكوس  
 راجعاً الى الميناء المذكورة وبعد أيام قليلة توفى . وكان البابا انوريوس قد توفى  
 وتعين خلفاً له البابا غريغوريوس التاسع وهو الذي احتفل بنزول فريدريكوس الى  
 البحر ولما باغته عدوله عن السفر ورجوعه تكدر واعتبره عاصياً . ولذلك أرسل  
 منشوراً الى جميع ملوك أوروبا يعلنهم فيه بحرمان الملك فريدريكوس فخارب  
 الملك المذكور البابا برومية وأهانته شديدة أمام الهيكل المقدس وألزمه بالخروج  
 من رومية . وفي ٦٢٥ هـ سافر برأقاصداً القدس ولما وصل الى سوريا لم يقابله  
 الصليبيون هناك لملهم انه محروم من البابا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد  
 خرج منها الى الشام بعد وفاة أخيه المعظم يريد امتلاك دمشق من ابن أخيه  
 صلاح الدين داود ابن المعظم ولما سمع بذلك داود المذكور أرسل الى عمه  
 الملك الأشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه  
 الكامل فسار الى دمشق فترددت الرسل بينهم في الصلح فاصطلحا واتفقا وسار  
 الملك الأشرف الى الملك الكامل فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الملك  
 فريدريكوس واستقرت القاعدة على ان يسلموا البيت المقدس بشرط ان يبقى  
 الجامع مع المسلمين ولا يتعرض أحد من الصليبيين للمسلمين فاستعظم المسلمون  
 ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتأم ما لا يمكن وصفه وتضرروا من  
 ذلك وكذلك جميع الصليبيين أنكروا هذا الصلح لانه على كلام مؤرخهم صالح  
 تفاق لحصول الاسلام على جامع شهير أمام قبر المسيح ولذلك أرسل البطاريك الى  
 البابا يعلمه وانه وضع المنع على الكنائس المقدسة المستخلصة بهذه الصورة ونهى



الزوار عن زيارتهم ان فريديريكوس سار بنفسه ومعه جماعة الى المقدس ولم  
يتبعه احد من الصليبيين فوجد القمامة والكنيسة وغيرها قد تركها خدمها  
الرهبان لعدم مقابته لانه محروم قلبس التاج فيها بنفسه من غير احتفال كثنائى  
وذلك في ربيع الآخرة سنة ٦٢٦ ثم انه حرر رسائل الى البابا والى ملوك أوروبا  
يخبرهم فيه بامتلاكه القدس ثم أقام بالقدس يومين ولما وجد عدم احترامه عند  
الصليبيين سافر راجماً نحو عكا ومنها الى بلاده فربا إيطاليا فحارب أهل لومبارديا  
ثم حارب صهره يوحنا دى بريانا ثم توسل الى البابا غريغوريوس التاسع بالصفح  
عنه فرأف به البابا وحله من الحرم

### ﴿ ذكر خلفاء المسلمين ﴾

وكان في سنة ٦٢٢ في آخر ليلة من رمضان قد توفى الخليفة الناصر لدين الله  
أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أنى محمد الحسن وكانت مدة خلافته نحو  
٤٦ سنة وعشرة أشهر و٢٨ يوماً وعمره نحو ٧٠ سنة وسبب موته بالدوسنطاريا  
وكان سيء السيرة ظالماً فلولى الخلافة بعده ولده أبو نصر محمد وتلقب بالظاهر  
بأمر الله فآظهر في الرعية العدل والاحسان وأطلق من فى السجنون ووزع  
عليهم نقوداً ثم فى ١٤ رجب سنة ٦٢٣ توفى الامام الظاهر بأمر الله المذكور  
فكانت خلافته تسعة أشهر و ١٤ يوماً وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع  
لربه ثم بوبع بالخلافة ابنه الأكرابووجه المنصور ولقب المستنصر بالله وسلك  
فى الرعية سيرة أبيه فى الخير والاحسان والعدل

### ﴿ مؤتمر مدينة سبولاته ﴾

أرسل الصايديون بسوريا يطلبون من البابا المساعدة ويخبرونه بان المسلمين  
يضيقون عليهم ويشنوا الغارة على بلادهم فمقد مؤتمر بمدينة سبولاته فى سنة  
٦٢٩ حضره الملك فريديريكوس وبطريك اورشليم وبطريك القسطنطينية

وغيرهم من الاساقفة والرؤساء الكنائسيين فمرض عليهم البابا الرسائل الواردة له من سوريا وطلب منهم المساعدة والحث والتجريض بالحروب الصليبية المقدسة وكلفوا جمعية رهبان القديس عبد الاحد وجمعية رهبان القديس فرنسيس الاكبر بالانذار بالحروب الصليبية بصفة مفوضين من البابا وكذلك أرسل البابا قسيسين الى كل من بغداد ودمشق ومصر ليجعلوا علماء المسلمين

### ﴿ باقى سلطنة الكامل ووفاته وسلطنة ولده العادل ﴾

وأقام الملك الكامل سلطاناً على الديار المصرية بمدايهه الملك العادل أبى بكر ابن أيوب وكان قبل وفاة أبيه نائباً عنه على مصر كما تقدم وكان تارة يقيم بمصر وتارة يخرج منها الى الشام وذلك لقصد توسيع ملكه وأقام ابنه الملك العادل نائباً عنه بمصر في حال غيابه بالشام وأقام ولده الملك الصالح نجم الدين نائباً عنه في بلاد آمد وحصن كينا وحران وغيرها من البلاد الشرقية وفي سنة ٦٣٥ بلغه وفاة أخيه الملك الاشرف فسار الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك فوصلها في جمادى الاولى وحاصرها وفيها أخوه الملك الصالح اسماعيل ثم استلمها من أخيه المذكور واعطاه بدلاً منها بعلبك والبقاع وغيرهما وذلك في ١٩ جمادى الاولى وأقام بدمشق ثم اصابه مرض فمات هناك في ٢١ رجب سنة ٦٣٥ وكان عمره نحو ستين سنة وكانت مدة سلطنته بمصر عشرين سنة ما عدا مدة نيابته بها قبل ان صار سلطاناً وهي قريباً من عشرين سنة وكان ملكاً جليلاً مهيباً حازماً حسن التدبير مباشر شؤون المملكة بنفسه وينظر في أمور الجسور عند زيادة النيل واصلاحها فعمرت في مدته ديار مصر أمم عمارة وكان محباً للعلماء ومجاستهم فاتفق رأى الامراء على تحليف العسكر للملك العادل أبى بكر بن الكامل وهو حينئذ نائب أبيه بمصر خلف له جميع العسكر وانا بوا على

دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل أبي بكر بن أيوب وصار الملك  
العادل سـلاماناً على مصر واتفق في سنة ٦٣٦ كل من الملك الجواد يونس  
صاحب دمشق والملك الصالح نجم الدين أيوب شقيق سلطان مصر وكان اميراً على  
ما بين النهرين على ان يتبادلا الامارات فأتى الملك الصالح الى دمشق وسار الملك  
الجواد يونس الى ما بين النهرين وكان غرض الملك الصالح من هذه المبادلة  
الاقتراب من مصر والسعي لاختلاس الملك من أخيه

### ﴿ في سجن الملك الصالح نجم الدين أيوب ﴾

لما استقر الملك الصالح بدمشق وردت اليه رسائل من بعض امراء  
مصر يطالبون قدومه لاستلام مصر فاقام ولده الملك المغيث فتح الدين عمر نائباً  
بدمشق وسار قاصداً مصر وشرع يكتب عمه الصالح اسماعيل صاحب بعلبك  
ويستدعيه اليه وهو يحتج ويتذر عن الحضور ويظهر انه معه ويعمل في الباطن  
على امتلاك دمشق وكان الناصر صاحب الكرك قد سافر الى مصر واتفق مع  
الملك العادل على قتال الملك الصالح أيوب وفي سنة ٦٣٧ سار الملك الصالح  
اسماعيل ومعه شيركوه صاحب حصن بجموعهما فهاجموا دمشق وحاصروا  
القلمة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على المغيث فتح الدين عمر ابن الملك  
الصالح أيوب وكان الصالح أيوب بنابلس ولما بلغه ذلك فسدت نيات عساكره  
عليه وشرع الامراء ومن معه من الملوك يفارقونه ورحل هو الى الغور ولم يبق عنده  
غير مماليكه واستأذنه حسام الدين فاختار بامرهم وليس له موضع يقصده فقصده  
نابلس ونزل بها بمن بقي معه وسمع الناصر صاحب الكرك بذلك وكان قد وصل  
من مصر فنزل بمساركه وامسك الصالح أيوب وأرسله الى الكرك واعتقله بها  
وتفرق عنه باقي اصحابه ومماليكه ولم يبق معه منهم غير جماعة قليلة فارسل أخيه  
الملك العادل صاحب مصر يطالبه من الملك الناصر فلم يسلمه له فارسل بهدداً للناصر

فلم يلتفت اليه

✽ استيلاء المسلمين على القدس وما جرى للبابا وقريد ريكوس ✽

واستمرت تجهيزات الصليبيين للسفر الى سنة ٦٣٥ ثم قدم الى البابا  
غريغوريوس التاسع بودوين ملك القسطنطينية يطلب مساعدته على الروم  
فارسل البابا الصليبيين الذين تجمعوا الى القسطنطينية وفي سنة ٦٣٧ بعد اعتقال  
الملك الصالح بالكرك سار الملك الناصر الى القدس وكان الصليبيون قد عمروا  
قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة وخرب برج  
داود ايضاً لانه لما خربت القدس اولاً لم يخرب برج داود فخربه في هذه المرة  
ثم انه بعد سفر الصليبيين الى القسطنطينية حصل نفور بين البابا المذكور  
والملك فريدريكوس حتى حصلت بينهم محاربة شديدة برأ وبجراً ثم ان  
فريدريكوس حاصر مدينة رومية فتخلف أهلها عن البابا فاخذ هذا ذخائر  
القدسين بطرس وبولس وخرج بها من شوارع رومية قاصداً أعداء الرومانيين  
قائلهم ألا ترغبون في المحاماة عن هذه الوديمة المقدسة المحفوظة في وطنكم  
وتهملونما لتفقد فمادت جميع العساكر الرومانية والنمساوية عن محاربتهم  
وطردت الملك فريدريكوس ثم تجمعت عساكر صليبية بقيادة تيوبلت الرابع  
كونت دي شامبانيا سلطان نافر وهو كازدوك دي بورغونيا وبطرس دي  
دروكس وكونت دي بار وساروا قاصدين سوريا ولما وصلوا هنالك تفرقوا  
كل رئيس بعسكره يحارب نفسه

✽ سلطنة الصالح نجم الدين أيوب على مصر وخلافة المستعصم ✽

في آخر رمضان سنة ٦٣٧ أفرج الملك الناصر داود صاحب الكرك  
عن ابن عمه الملك الصالح أيوب واجتمع عليه ممالئكه وسار الناصر والصالح  
الى قبة الصخرة وتحالفا بها على ان تكون ديار مصر للصالح ودمشق والبلاد

الشرقية للناصر ثم ساراً الى غزه فلما باع العادل صاحب مصر ظهوراً أخيه  
 الصالح عظم عليه وبرز بعسكر مصر الى بليس لقصد الناصر والصالح وأرسل  
 الى عمه الصالح اسماعيل صاحب دمشق ان يبرز ويقصدهما من الوراقسار  
 الصالح اسماعيل من دمشق فنزل الفوار فبينما الناصر داود والصالح أيوب في هذه  
 الشدة بين جيشين قد أحاطا بهما اذ ركبت جماعة من المماليك الاشرافية ومقدمهم  
 ابيك الاسمر وأحاطوا على دهليز الملك العادل وقبضوا عليه وجعلوه في خيمة  
 صغيرة وعليه من يحفظه وذلك يوم الجمعة ٨ القعدة فكانت مدة ملكه نحو  
 سنتين وأرسلوا الى الملك الصالح أيوب يستدعونه فانه فرج لم يسمع بمثله  
 وسار الملك الصالح أيوب والملك الناصر داود الى مصر ودخل الملك الصالح  
 قلعة الجبل في صباح يوم الاحد ٢٤ القعدة المذكور فزينت له البلاد وفرحت  
 بمقدمه الناس ثم سار الملك الناصر الى الكرك ولما استوي الملك الصالح على  
 سلطنة مصر أخذ في تمكين قدمه فيها فامر في السنة التالية وهي سنة ٦٣٨  
 بالقبض على ابيك الاسمر مقدم المماليك الاشرافية والامراء والمماليك الذين  
 ساعدوه على خلع أخيه وبايعوه مكانه وقتلهم جميعاً وولى مكانهم من اختبر  
 أمانتهم نحوه ثم شرع في بناء قلعة الجزيرة وأخذها مسكناً لنفسه وفي سنة ٦٤٠  
 توفي المستنصر بالله في ١٠ جمادى الاخرى وكانت مدة خلافته ١٦ سنة  
 و ١١ شهراً ثم تولى الخلافة بعده ولده المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون  
 من بني العباس

### ﴿محاربة الصليبيين بغزه ورجوعهم الى بلادهم﴾

فسار بطرس دي دروكس نحو دمشق فاغار عليها وأخذ من القرى التابعة  
 لها غنائم كثيرة من المواشي والبغال ولما علم بذلك باقى الامراء الصليبيين طمعووا

في المسلمين وساروا الى نواحي غزه وكان في اثناء ذلك ان قبيلة الخوارزميين  
 طردهم جنكيز خان ملك التتر من شرقي آسيا اثناء فتوحاته هناك فجاؤا سوريا  
 الشرقية ونزلوا على حدودها فانفذ اليهم الملك الصالح سلطان مصر رسلا عقدوا  
 معهم عهدة وعاهدوهم على محاربة الصليبيين وأمراء سوريا الذين على دعوتهم  
 ( لان بعض ملوك سوريا كانوا قد حالفوا صليبيين سوريا على محاربة مصر  
 وفي نظير ذلك سلموهم طبرية وعسقلان والشقيف والقدس فاحتل الصليبيون  
 تلك الاماكن ) فتجند الخوارزميون واخترقوا سوريا الى أن بلغوا غزه  
 فخاربوا الصليبيين عند اسوارها وانجدهم سلطان مصر من الجهة الثانية  
 بمساكر مصر بقيادة ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح وكان من اكبر  
 مماليكه وهو الذي دخل معه الحبس صاحبس في الكرك فلنزم الصليبيون  
 فتبموهم حتى استولوا على غزه والقدس باسم الملك الصالح وهلك الصليبيون  
 الذين بقيادة الكونت دي ار وسسمان دي منتفورت عن آخرهم والرئيسان  
 المذكوران وقعا في الاسر بايدي المسلمين مع من نجا وأرسلوا الى مصر مع  
 بعض رؤوس القنلى ولما باع الخبر الى تيو بلت سلطان نافر جمع باقي  
 الصليبيين في مدينة عسقلان ثم سار منها بقصد نجدة الصليبيين المحاربين فلما  
 وصل الى غزه وجد الحرب قد انتهت ودارت الدائرة علي اخوانه فاخذته  
 الوهن هو وعساكره ومن معه من الصليبيين وأقام سوريا جملة شهر ثم جدد  
 هدنة مع السلطان الصالح الذي أطلق الاسرى الصليبيين ولم يكن بينهم الكونت  
 دي بار فحزنوا عليه حزناً شديداً ثم سافروا كلهم الى بلادهم غائبين سلامتهم  
 وقدمت عساكر صليبية اخرى الى مدينة عكا بقيادة ريكاردوس دي كوتوبلاس  
 ابن أخي ريكاردوس قلب الاسد فلما أرادوا محاربة المسلمين تخلف صليبيو  
 سوريا عن مساعدتهم فلذلك جددوا عقد الصالح مع المسلمين واستأذنوا من  
 السلطان الصالح في دفن قتلى الصليبيين بنواحي غزه فاذن لهم فدفنواهم ثم زاروا

القدس ورجعوا الى اوطانهم

﴿ محاربة الملك الصالح نجم الدين أيوب وسجن بيبرس ﴾

في سنة ٦٤٢ باغ السلطان الصالح نجم الدين أيوب خبر وفاة ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر في حبس الصالح اسماعيل صاحب دمشق فاشتد حزنه وحنقه على الصالح اسماعيل وفي سنة ٦٤٣ سار معين الدين ابن الشيخ بعسكر السلطان الصالح أيوب الى دمشق وحاصرها وكان بها صاحبها الصالح اسماعيل و ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فتسلمها على أن يستقر بيد الصالح اسماعيل بعلبك وبصرى والسواد وتستقر بيد صاحب حمص بلده وما هو مضاف اليها فاجابها معين الدين الى ذلك ثم وصل الى دمشق حسام الدين بن أبي علي ومن معه من العسكر المصرى وكان معين الدين بعدما استلم دمشق قدم مرض بها ومات فبقى حسام الدين نائباً بدمشق . ثم ان الخوارزميين خرجوا عن طاعة الصالح أيوب وصاروا مع الصالح اسماعيل وانضم اليه الناصر داود صاحب الكرك فساروا جميعاً الى دمشق وحاصروها وغلت بها الاقوات وقاسى أهلها شدة عظيمة لم يسع بمنزلها وقام حسام الدين في حفظ دمشق أتم قيام ثم اتفق الحلبيون والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وساروا مع الصالح أيوب وقصدوا الخوارزمية فرحل هؤلاء عن دمشق وساروا نحو الحلبيين وصاحب حمص والتقوا على القصب في سنة ٦٤٤ فانهمزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين برکه خان وحمل رأسه الى حلب ومضت طائفة من الخوارزميين مع مقدمهم كشلو خان فلحقوا بالتر وصاروا معهم وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وكفى الله الناس شرهم ولما وصل خبر كسرتهم الى السلطان الصالح أيوب بمصرف فرحاً شديداً ودقت البشائر بمصر وزال ما كان عنده من الغيظ على ابراهيم صاحب حمص

ثم رحل حسام الدين بن أبي علي الهبذاني بمن عنده من العسكر بدمشق ونازل  
بمليك وبها أولاد الصالح اسماعيل وحاصرها وتسلمها بالامان وحمل أولاد  
الصالح اسماعيل الى السلطان الصالح أيوب بمصر فاعتقلوا هناك ومعهم أمين  
الدولة وزير الصالح اسماعيل واستاذ داره ناصر الدين تغمور فدقت البشائر  
بمصر وزينت القاهرة لفتح بمليك . ثم ان الصالح أيوب استولى على عجلون  
لوفاة صاحبها . ثم جهز الامير فخر الدين يوسف بن الشيخ الى حرب  
الملك الناصر صاحب الكرك فسار فخر الدين واستولى على جميع بلاد الملك  
الناصر وحاصر الكرك وخرب ضياعها فتولى على جميع البلاد ما عدا الكرك  
فانها بقيت بيد صاحبها وفي هذه السنة أيضاً حبس السلطان الصالح أيوب بملكه  
بيبرس وهو الذي كان معه لما اعتقل في الكرك وسببه ان بيبرس المذكور مال  
الى الخوارزمية والى الناصر داود وصار معهم على استاذة (سيده) لما أرسله بتجريدة  
الى غزه كما ذكر فارسل استاذة الصالح أيوب واستماله فوصل اليه فاعتقله ثم ان  
الصالح أيوب استقدم الامير حسام الدين من دمشق وانا به بمصر وولى بدلا منه  
على دمشق الامير جمال الدين مطروح وسار الصالح أيوب الى دمشق ومنها الى  
بمليك ثم عاد الى دمشق وفي سنة ٦٤٥ عاد السلطان الصالح أيوب الى مصر ثم  
سار الامير فخر الدين ابن الشيخ وفتح قلعتي عسقلان وطبرية من الصليبيين . ثم  
توفي علاء الدين قرا سنقر الساقى العادلى احدى مماليك الملك العادل بن أيوب  
وصارت مماليكه بالولاء للصالح أيوب ومنهم سيف الدين قلاوون الصالحى . وفي  
سنة ٦٤٦ أرسل الملك الناصر صاحب حلب عسكراً مع شمس الدين لؤلؤ  
الارمنى فحاصروا حمص مدة شهرين وبها الاشرف موسى فسماها اليهم وتموض  
عنها بتل باشر مضافا الى ما بيده من تدمر والرحبة فشق ذلك على السلطان الصالح  
أيوب وسار الى الشام لارجاع حمص من الحليين فوصل دمشق وأرسل عسكر  
الى حمص مع حسام الدين فنزل عليها وحاصرها وركب عليها المنجنقات ووصل



اليه نجم الدين الباذراي رسول الخليفة وسعى في الصلح بين الصالح والحلبيين وان  
تستقر حصص بيد الحلبيين فاجاب الملك الصالح الى ذلك وأمر العسكر فرحلوا عن  
حصص بمدان اشرفوا على أخذها

### ﴿ التتر باوربا ومؤتمر ليون بفرنسا ﴾

لما ظهر التتر باسيالم يقتنعوا بما ملكوا بل ساروا بقيادة رئيسهم جانكيز خان  
الى بلاد أوربا فهجموا على بلاد هونكريا وبلاد النمسا وتهددوا باقى الممالك فوقع  
الرعب في قلوب ملوك أوروبا واحتاروا في أمرهم فامر البابا بايقاد حرب مقدسة  
ضدهم لولا التتر ولكن نداء هذا لم يلاق صدق وأرسل ملك النمسا الى سائر الملوك يطلب  
اتحادهم لصد هجمات التتر ولكن الرعب كان ملاق قلوبهم فلم يلتفت أحد اليه واكتفوا  
بالتوسل في الكنائس يطلبون من الله ازالة هذا العدو. وكان الخوارزميون قد  
قاتلوا صليبيين سوريا وأهلكوهم كاذر فسافر أسقف بيروت فاليران الى بلاد  
أوربا يطلب المساعدة فقابله البابا اينوشانسيون الرابع بالحنو والشفقة ووعده  
بالمساعدة التامة. ثم ان بودوين الثاني ملك القسطنطينية التمس من البابا أيضاً الاغاثة  
لتعصيد كرسي مملكته المائل الى السقوط من الروم لانهم شقوا عليه عصا الطاعة. وكان  
البابا أيضاً قد تضايق من الحروب الحاصلة بينه وبين ملك النمسا فترك رومية وسار الى  
مملكة فرانسوا عقد بهامؤتمر أعاما في مدينة ليون سنة ١٢٤٣ في هذا المؤتمر  
(السينودس) حضر الاساقفة وأمراء الشرق وبودوين ملك القسطنطينية ونواب  
الملك فريديريكوس ملك النمسا للمدافعة عنه في التهم الموجهة اليه من البابا ففي  
الجلسة الاولى التي عقدت في يوم ١٨ يونيه سنة ١٢٤٥ م افتتح البابا المؤتمر  
وعرض عليه الاوجه الآتية . أولا مسألة التتر باوربا . ثانياً انشقاق الروم  
ثالثاً غزوات الخوارزميين بسوريا . رابعاً الاضطهاد الذي تعمده الملك  
فريديريكوس . فقرر أعضاء المؤتمر ما يأتي . أولا يلزم اعانة القسطنطينية وتخليص

القبر المقدس وتجر يد عساكر لا يقاد حروب صليبية سابعة وان البابا والاساقفة يقدمون  
للتفقة على هذه الحروب عشر مداخيلهم وباقى الاكليريكيين نصف عشر  
مداخيلهم وأصدروا الاوامر اللازمة لتجهيز هذه الحروب . ثانياً قرر بوزل  
الملك فريدرىكوس ملك النمسا وذلك بعدمداخلة نوابه التي لم تأت بفائدة ثالثاً أمر  
البابا ان الكردينالية يلبسون ائواب لونها احمر علامة على استعدادهم لسفك دماهم  
فى حفظ الكنيسة

### ﴿ ابتداء الحروب الصليبية السابعة ﴾

( سفر العساكر الصليبية السابعة )

بعد انتهاء المؤتمر السابق الذى ذكر أرسل البابا وأعضاء المؤتمر الى الملك لويس  
التاسع سلطان فرانسوا يطلبون منه استعداده ومسيره لخلاص القبر المقدس من  
المسلمين فقبل طلبهم هذا ونبه على عساكره بالتجهيزات الحربية فنهته عن  
ذلك والدته وأرباب دولته . ثم أصابه مرض تهدد حياته فنذر للمسيح بأنه  
اذا شفى توجه بعساكره لخلاص قبره . فلما شفى استلم الصليب وصار يجهز  
العساكر الصليبية السابعة للمسير فاستعد للسفر كل من السلطان المذكور وأخواته  
الثلاثة والكونت دى برانانيا وأولاده والدوك دى برغونيا . والكونت دى  
فلاندر . والكونت دى بار . والكونت دى منتفرت والكونت دى سان بول  
مع ابن أخيه شاتيلون والكونت دى سواسونس والكونت دى فاندوما  
وغيرهم كثيرون والامير جانفيلاصديق الملك لويس التاسع وهو مؤرخ هذه  
الحروب وعقد الملك المذكور جمعية بمدينة باريس لتحديد ميعاد السفر وأقام  
والدته بلانشا نائبة عنه فى المملكة مدة غيابه وقد اقسام له رجال حكومته بان  
يحفظوا الطاعة لعائلته ان حدث له شىء فى سفره وأرسل البابا منشورات تقرأ  
فى الكنائس بمدح الملك لويس التاسع صاحب الحروب الصليبية السابعة والثناء

(٣٤٣)

عليه وسار الملك لويس الى كنيسة القديس ديونسيوس واستلم سنجق الصليب  
هناك من يد النائب البابوي كما انه البسه ثوب الحروب الصليبية ورجع الى باريس  
وحضر الذبيحة الالهية في كنيسة والدة الاله الكاندرائية



(صورة لويس التاسع ملك فرنسا)

وفي اليوم الثاني سار من باريس وبرفقته زوجته مرغريتا وخرجت  
توداعه الملكة بلانشا والدته وجميع الاكليروس ورجال الحكومة ثم سار من بلاد  
فرنسا الجنوبية واجتاز اقليم لانكادوك ونزل في المراكب من ميناء اكس بورتاس  
وساروا في البحر المتوسط الى ان وصلوا جزيرة قبرص واقاموا بها ثم انه تفشي في

المسكر الصابي مرض وبائي شديد أهلكت معظمهم ومات به هناك الكونت دي  
دروكس - والكونت دي وونفرت - والكونت دي فاندوماو الارشامبود دي  
بوربون وغيرهم

✽ وصول الصليبيين الى دمياط ومخابرتهم للملك الصالح أيوب ✽  
كان السلطان الصالح أيوب قد فاجأه مرض ثقیل وهو تورم في مابضه  
تكون منه ناصور فح وعسر برؤه وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش  
في دمشق فجاءه منبىء يخبره بزم الصليبيين على مهاجمة مصر وأخذها وقد  
اكثروا من التجنيد ووردت اليهم النعدات من جميع ممالك أوروبا فلما علم  
بذلك وهو مريض لم يسهه الا بمبارحة دمشق فسار في محفة ونزل اشمون طنح  
في أول سنة ٦٤٧ وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والزاد والاسلحة والآلات  
القتال شياً كثيراً فامن أن يجري على دمياط ماجري في أيام أبيه وجهاز  
أسطولا من صناعة مصر وجعل فيه سائر ما يحتاج اليه الجند وسيره شيئاً فشيئاً  
وضم الى جنده كثيراً من العربان واكثرهم من بني كنانة جعلهم وراء متاريس  
دمياط وعهد قيادة حامية هذه المدينة الى الامير نحر الدين يوسف ابن شيخ  
الشيوخ ففي صباح يوم الجمعة ٢٠ صفر من هذه السنة وردت مراكب الصليبيين  
الى دمياط وفيها جموعهم - وحال وصولهم بعث ملكهم لويس التاسع الى الملك  
الصالح كتاباً نصه (أما بعد فانه لم يخف عليك اني أمين الامة العيسوية كما انه  
لا يخفي على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك ان عندنا أهل جزائر  
الاندلس وما يحملونه الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر  
وتقتل منهم الرجال وتزمل النساء ونستأسر البنات والصبيان ونخلي منهم  
الديار وأنا قد أبديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت  
لي بكل الايمان وأدخلت على الاقساء والرهبان وحملت قدامي الشمع طاعة

للصليبان لكننت واصلا اليك وقاتنك في أعز البقاع اليك فلما ان تكون البلاد  
 لى فياهدية حصلت في يدي واما ان تكون البلاد لك والغلبة على فيدك العلياء  
 ممتدة الى وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل  
 والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضاء) فلما قرىء  
 الكتاب على السلطان انلك الصالح وقد اشتد به المرض بكى واسترجع  
 فكاتب القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب ( بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته  
 على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين . أما بعد فإنه وصل كتابك وانت  
 تهمد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فنحن أرباب السيوف وماقتل منا  
 فرد الاجدناه ولا يبقى علينا باغ الادمرناه ولورات عينك أيها المغرور حد  
 سيوفنا وعظم حرورنا وقتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريننا ديار الاواخر  
 منكم والاوائل لكان لك ان تعض على اناملك بالندم ولا بد ان تزل بك  
 القدم في يوم أوله لنا وآخره عليك فهناك تسبيء الظنون وسيملم الذين ظلموا أي  
 منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أنى أمر  
 الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين ونعود الى  
 قول الله تعالى وهو اصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله  
 والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغي له مصرع وبغيك يصرعك والى  
 البلاء يقبلك والسلام)

### ❖ في امتلاك الصليبيين دمياط ❖

وبعد ذلك عقد الملك لويس التاسع مجلس مشورة الصليبيين ليقرروا  
 هل تنزل عساكر الصليبيين الى برد مياط أو تقيم أياماً بمرابهم للاستراحة  
 فقرر سرعة نزولهم فنزل الملك لويس ومعه أخوته وبجانبه أحد الرؤساء  
 رافعاً علم الحرب وامامه النائب البابوي حاملاً الصليب واصطفوا للقتال في يوم

السبت ٢١ صفر سنة ٦٤٧ حصلت بين الفريقين مناوشات قتل فيها بعض  
 امرء المسلمين ثم حصلت أيضاً مناوشة في البحر بين مراكب الصليبيين  
 ومراكب المسلمين وفي المساء فر الأمير نجر الدين بغير داع فتبعه بنو كنانة  
 وخرجوا من المدينة فتبعهم الاهالي في الليل هائمين على وجوههم لا يلتفتون  
 الى شيء ولحقوا بالعسكر في أشمون نخلت المدينة للصليبيين ففي يوم الاحد  
 ٢٢ من الشهر المذكور سار الصليبيون قاصدين محاصرة المدينة فوجدوها  
 مفتوحة خالية من سكانها فدخلوها بامان واستولوا على جميع ما فيها من المؤن  
 والذخائر والاسلحة وعدة الحرب ودخلوا الجامع وجعلوه كنيسة فحصر سلطان مصر  
 بذلك خسارة لا تعوض فاستشاط الملك الصالح غضباً لذلك وجمع اليه بني كنانة وعنفهم  
 لانهم على حين لم يكن داع للهزيمة فقالوا نحن لم نفعل ذلك الا بعد ان رأينا الامير  
 نجر الدين فاراً ومن ورائه رجاله فامر الملك الصالح باعدام ٥٤ من امرائهم لانهم  
 خرجوا من دمياط بغير اذنه

### ✽ استيلاء الملك الصالح على الكرك ووفاته ✽

وفي ٢٤ صفر سنة ٦٤٧ كان عسكر الصالح في المنصورة وحصنها واستعد  
 للمدافعة وكان الملك الناصر صاحب الكرك قد سار الى حلب مستنجراً بصاحبها  
 واستتاب على بلاده ابنه عيسى ولقبه الملك المعظم وكان له ولدان آخران أكبر  
 من عيسى وهما الامجد حسن والظاهر شاذي ففضبا لتقديم أخيهما عيسى عليهما  
 وبعد سفر أيهما قبضا عليه وتوجه الامجد حسن الى الملك الصالح أيوب وهو  
 حريض في المنصورة وبذل له تسليم الكرك على اقطاع له ولاخيه بديار مصر  
 فاحسن اليه الصالح أيوب وأعطاهما اقطاعاً أرضاً ما بها وأرسل الى الكرك  
 من تسليمها يوم الاثنين ١٨ جمادى الاخرى وفرح الصالح بالكرك فرحاً عظيماً  
 مع ما هو فيه من المرض وفي ليلة الاحد ١٤ شعبان توفي السلطان الصالح نجم

الدين أيوب وكانت مدة سلطنته على الديار المصرية تسع سنين و ٨ أشهر و ٢٠ يوماً  
وعمره نحو أربعين سنة وكان مهيباً على الهمة عفيفاً طاهر اللسان والذيل  
شديد الوقار كثير الصمت وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع لغيره حتى كان  
أكثر أمراء عسكره من مماليكه ورتب جماعة منهم حول دهليزه وسماههم  
البحرية ولم يبق من أولاده غير الملك المعظم تورانشاه وكان مقبلاً بحصن كيفا  
ومات الصالح ولم يوص بالملك لاحد فكان من جملة جواريه جارية تدعى  
شجرة الدر وهي والدة المعظم تورانشاه فتواطأت مع الامير نخر الدين ورئيس  
الخصي جمال الدين محسن على مبايعة ابنها وكانت عارفة بامور الحكومة  
وسياستها ويقال ان الملك الصالح كثيراً ما عهد اليها ادارة الاحكام اثناء غيابه  
عنها في حملاته الحربية . فلما توفي كتبت أمر موته ووقفت في جمهور الامراء  
والاعيان قائلة ( ان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث  
الدين تورانشاه وقد عين الامير نخر الدين اتابك لادارة الاحكام ) فبايع جميع  
الامراء . ثم أرسلت هذه الاوامر الى القاهرة فبايع جميع من فيها من القواد  
وأعيان السلطنة وبعثت بالرسائل في ذلك محتومة بختم السلطان الصالح الى جميع  
انحاء المملكة وكان الجميع يظنون ان الملك الصالح لا يزال حياً لكنهم عندما علموا  
بان الامير نخر الدين أرسل قاصداً لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا بسرعة الى  
القاهرة داخلهم الريب

### ✽ محاربات الصليبيين وواقعة المنصورة ✽

بعد امتلاك الصليبيين مدينة دمياط رتبوا حاطم فيها وأقامت بها المملكة  
مرغريتا وسافر وامنأ قاصدين مصر القاهرة فوجدوا معسكر المسلمين بالمنصورة  
فردهم عن غرضهم فاقاموا في الموضع الذي قامت به العساكر الصليبية السادسة  
واستمرت بين العدوين المناوشات وأخذت العساكر الاسلامية تحذقهم بالنبال

وكرات النار التي يسميها مؤرخوهم النيران (الفريجاوزيه) وكان كل يوم يقتل من الصليبيين كثيرون ويأسر منهم خطفاً كثيرون ولما بلغ الصليبيين خبر وفاة الملك الصالح طمعوا في البلاد فحاربوا العساكر الاسلامية محاربة قوية وكان الجيش الاسلامي بقيادة الامير نجر الدين فحارب ببسالة كلية . كل ذلك حصل بين الجيشين ببحر أشمون ولم يستطع الصليبيون العبور الى المنصورة وهم لا يملكون طريقاً اليها غير النيل فاتي اليهم بعض من غدر من المسلمين وأخبرهم عن طريق يمكنهم سلكها بسهولة فسارت سرية من فرسان جمعية الهيكليين وجمعية القديس يوحنا المعمدان بقيادة الكونت روبرتوس دي ارتواز شقيق الملك لويس وهاجمت معسكر المنصورة بغتة وكان الامير نجر الدين في الحمام فآتمه الاخبار بهجوم الصليبيين فنادى برجاله وخرج للدفاع فأدركه بعضهم فقتله واشتد عزم الصليبيين حتى كادت تدور الدائرة على المسلمين لولا ما ليك السلطان الصالح فانهم دافعوا دفاعاً شديداً وانقضوا على الصليبيين انقراض الاسود على فريستها فقتلوا راول دي كوزي وغويليوم لونكانيه رؤساء الجمعيات المذكورة والكونت روبرتوس أخ الملك لويس ثم باقى الفرسان فلم يبقوا منهم احداً ولما بلغ خبر هذه الواقعة الملك لويس ومقتل أخيه أمر بوجو رئيس الجيوش بالسرعة في السير الى معسكر المسلمين ومباغتتهم فسار الى ان وصل الى عسكر المسلمين واشتد بينهم القتال تارة بالنبال وأخرى بالرمح ومثلها بالبلطات وبالسيوف وبعد جهاد عجيب وصبر من المسلمين شديد نزل من الصليبيين والى تريشاطو . وهو كز دي اكوسا وراول دي فنوره . وفاريس دي لوبى وأما ارارد دي ابرى فضره أحد المماليك بسيفه فقد وجهه شطرين فلحقهم الملك لويس وقوى عزمهم وقد وقع أخوه الثاني الكونت دي انجوعن حصانه فاراد المسلمون أسره فلحقه لويس وجنده وخلصه من أيديهم واستمر القتال عاماً بين جميع الصليبيين



وعساكر المسلمين وقد أعياى الفريقان التعب ولم يكن احدهما يجسر على تجديد القتال لعظم ما قاسيا من الخسائر . وبعد انقضاء هذه الواقعة العظيمة نزل بمسكرو الصليبيين امراض رديئة من كثرة جثث المقتولين منهم وتصاعد العفونة فافسدت الهواء عليهم فكثرت بينهم الموت كأنه وباء ثم أعقب ذلك قناء زادهم واشتد عليهم الجوع وضر بهم بسيفه تكميلا لمصائبهم . لان عساكر المسلمين وقفوا بمرابكهم في البحر بالقرب للمنصورة . وكلما وجدوا مرابك واردة للصليبيين بالقوت هجموا عليها وأخذوها وأوردت ثانياً الى دمياط وكذلك الملك لويس نفسه عرض نخاف جميع الصليبيين ان يموت الملك فاجتمعوا وعولوا على طلب هدنة لرفع السلاح أياماً معدودة

\* قدوم المعظم تورانشاه وسلطنته وواقعة الصليبيين \*

\* (واسر لويس التاسع وغيره) \*

في ٢١ القعدة سنة ٦٤٧ قدم السلطان غياث الدين تورانشاه من حصن كيفا فاستولى على سلطنته واشتد عزم المسلمين به وضعفت قلوب الصليبيين ووقع القتال بين الفريقين في البر والبحر فأسر المسلمون ٢٢ مركباً فلما رأى الصليبيون ما كان من ضعفهم أرسل لويس التاسع يطلب المصالحة على ان يأخذوا بيت المقدس وضواحيه وينسحبوا من مصر بعد اخلاء دمياط قرفض الملك المعظم هذا الطلب وفي ٢ محرم سنة ٦٤٧ عزم الصليبيون على الرجوع الى دمياط فتعقبهم المسلمون حتى أدركوهم عربى فارسكور فاستلحموهم واتخذوا في قتلهم ويقال أنهم قتلوا منهم ٣٠ ألفاً وأسروا الملك لويس التاسع قائد الحملة الصليبية السابعة وقيدوه بالسلاسل الحديدية وكان الملك لويس واخوته وجميع رؤساء جيشه قد انحازوا الى منية ابي عبدالله وطلبوا

الامان فآمنهم الطواشي محسن الصالحى ثم احتاطوا بهم وقبضوا على الملك المذكور  
واخوته وجميع الرؤساء



( صورة دار لقمان التي سجن فيها لويس التاسع ملك  
فرانسا بالمنصورة وهي باقية للآن )

وأحضروهم الى المنصورة وجملوهم في الدار التي كان ينزلها كاتب الانشاء فخبر  
الدين بن اقمان ووكل بالملك لويس الطواشي صبيح المعظمى ثم رحل الملك المعظم من  
المنصورة ونزل بفارسكور ونصب بهار جامن الخشب  
\* ( قتل المعظم وسلطنة شجرة الدر واطلاق الملك لويس التاسع ) \*  
ثم ان الملك المعظم تور انشاء عزل جميع من كان بيده أزمة الحكومة

من أمراء أبيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نقر قلبه  
منه واعتمد على رجاله الذين قدموا معه من حصن كيفا وكانوا سفلة أراذل  
فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكو وهجموا عليه بالسيوف وكان  
أول من ضربه ركن الدين بيبرس فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشبي الذي  
نصب له بفارسكور فاطلقوا في البرج النار فخرج المعظم من البرج هاربا طالباً  
البحر ليركب في حراقتة فخلوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر  
فادركوه وأتموا قتله في يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ٦٤٨ وكانت مدة اقامته في  
المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين وایاماً وموته انقرضت  
الدولة الايوبية ولما جرى ذلك اجتمع الامراء وانفقوا على ان يقيموا شجرة  
الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وان يكون عز الدين ايبك الجاشنكير  
الصالحى المعروف بالتركاني اتابك المسكر وحلفوا على ذلك في ١٠ صفر سنة  
٦٤٨ وخطب لشجرة الدر على المنابر وكان الدعاء لها بالصورة الآتية  
واحفظ اللهم الجبهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب  
الجميل والستر الجليل والدة المرحوم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب  
وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة (المستعمية الصالحة ملكة المسلمين  
والدة الملك المنصور خليل) وكانت قدرزقت من الملك الصالح ولداً اسمه  
خليل مات صغيراً (فسميت بهذا الاسم) وكانت صورة علامتها على المناشير  
والتواقيع (والدة خليل) ثم دارت المخابرة بين رجال الحكومة المصرية  
وبين الملك لويس التاسع المحبوس بشأن اطلاقه هو ومن معه من الاسرى  
فتم الصالح على ان يدفع ٨٠٠ الف دينار ويسلم مدينة دمياط وبرحل بسلام  
وتطلق الحكومة المصرية جميع الاسرى فاستقر الرأي على ذلك وكانت دمياط  
لم تنزل مع الصليبيين والعساكر الاسلامية محاطة بها والمملكة مرغريتا تقيم  
فيها وهي حامل فوضعت ولداً فسمته تريستان (أى الحزين) وكان الصليبيون

الذين معها بالمدينة وهم اليزاويون والجنويون قد عزموا على ان يهربوا من المدينة  
 ويتركوا هذه المملكة فوزعت عليهم جميع ما عندها من الذهب والفضة حتى استمالتهم  
 ثم ركب الملك لويس واخوته وبعض الرؤساء وساروا قاصدين دمياط وحوله  
 العساكر الاسلامية للاستيلاء على دمياط واستلام المبلغ المقرر فلما وصلها  
 سلمها للعساكر المصرية ودفع ٤٠٠ الف دينار ونزل هو وباقي الصليبيين  
 وزوجته بمراكب البحر وساروا قاصداً عكا

وهي اول من ارسل المحمل من مصر الى مكة وعينت له اميرا وكانت تعمل  
 لله المواكب الفاخرة ولا يزال ذلك جاريا الى الان وعينه



(صورة المحمل)

نقال جمال الدين يحيى ابن مطروح في ذلك ابياتاً منها

قال للفرنسيس اذا جئته	مقال صدق عن قوول نصيح
آيت مصرأ بتبقي ملكها	تحسب ان الزمر يا طبل ربح
وكل أصحابك أوردتهم	بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمين الفأ لا ترى منهم	غير قتيل أو أسير جريح
الهمك الله الى مثلها	لمل عيسى منكم يستريح
اذا كان باباكم بذأ راضياً	فرب غش قدأني من نصيح
وقل لهم ان اضمروا عودة	لاخذ نار أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باق والطواشي صحيح

\* (الملك لويس بعكا وسلطنة ابيك الجاشنكير) \*

ولما وصل الملك لويس التاسع الى عكا ببعض رجاله لان الآخري  
سافروا الى بلادهم اجتهد في جمع باقى المبلغ المقرر وقدره ٤٠٠ الف دينار  
ولما كل عنده ارسله صحبة بعض الصليبيين الى الديار المصرية وطلب اطلاق  
باقى الاسارى فاستلموا المبلغ وأطلقوا نحو اربعمائة أسير فقط فاغتاض لويس  
وأخذ يستعد في تحصين بلاد سوريا واما شجرة الدر فان الناس لم يرتاحوا الى  
طاعتها فانفذ السوريون الى الخليفة العباسى في بغداد يستفتونه فى أمر هذه  
الملكة فكتب اليهم مامقاده (اذا لم يكن بينكم من يصلح لسلطنة اقدم اليكم  
فاقم عليكم من يحكم فيكم أما قرأتم ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عليهن)  
فاستمسك بماليك مصر بهذه الفتوى وثار رفاؤهم فى دمشق وخلصوا طاعة  
شجرة الدر وبايموا سلطان حلب الملك الناصر يوسف الايوبى فى ٨ ربيع  
أول سنة ٦٤٨ وقتلوا كل من كان فى دمشق من المماليك على دعوة شجرة

الدر وفعل مثل ذلك أهل بعلبك وشميس وعجلون فنشأ بسبب ذلك خصام  
 بين مماليك سوريا ومماليك مصر آل الى مواقع حربية فتمكن عز الدين ايبك  
 في هذه الانقسامات والاستقلال والجا الامراء شجرة الدر الى الاستقالة فاستقلت  
 ثم بوبع عز الدين ايبك على مصر ولقب بالملك المعز الجاشنكير التركاني الصالحى وتزوج  
 بشجرة الدر فانضم حزبه الى حزبه . وبعد قليل انقسم المماليك الى حزين عرفا  
 بالمعزيين نسبة الى الملك المعز ايبك وبالصالحين نسبة الى الملك الصالح نجم الدين  
 وتنازعا النفوذ ففاز الصالحيون

﴿ سفر اخوات الملك لويس الى فرنسا وسلطنة

الملك الاشرف ابن يوسف ﴾

وفي اثناء ذلك ارسلت الملكة بلانشا والدة الملك لويس التاسع ونائبته على  
 المملكة الى ولدها المذكور بسوريا تطلب منه سرعة سفره الى مملكته فزم على  
 السفر فاستغاث به صليبيو سوريا وطلبوا منه البقاء معهم خوفاً من استيلاء المسلمين  
 على بلادهم بمدسفره فاجاب طلبهم وعدل عن السفر الى مملكته فلما رأى ذلك  
 اخواه أى عزمه على الإقامة بسوريا ركب البحر وتبهما باقى الصليبيين وسافروا  
 الى بلادهم . وأما المماليك الصالحيون فانهم اجبروا ايبك أن يقبل بمبايعة شاب  
 من العائلة الايوبية لم يبلغ الثامنة من العمر وكان فى اليمن واسمه موسى مظفر الدين  
 ابن يوسف اتسز ملك اليمن بوبع في ٥ جادى الاولى سنة ٦٤٨ وبأيمه الناس  
 ولقبوه الملك الاشرف وتعين عز الدين ايبك اتا بكاله غير ان ازمة الاحكام  
 مابرحت فى يده ولم يكن الاشرف الا اسماً بلا مسمى ومن القريب تأليف هذه  
 السلطنة المزدوجة من أحد سلالة العائلة الايوبية وأحد مماليكها والاغرب من  
 ذلك أن يخطب لهما معاً

﴿ حروب بين المماليك والسوريين واتحادهم مع الملك لويس ﴾  
 ﴿ وتخریب دمیاط ﴾

وفي خلال ذلك نهض سلطان دمشق ناصر الدين يوسف الايوبي للاخذ بشار  
 الملك المعظم فدعى اليه اقاربه امراء العائلة الايوبية للتعاقد على ذلك ولنا كيد النجاح  
 بسمعه طالب من الملك لويس التاسع مساعده ولما أحس بذلك المصريون أرسلوا  
 الى لويس المذكور مائتي فارس من الاسرى وطلبوا منه عقد معاهدة مقتضاها  
 ان المصريين اذا انتصروا على صاحب دمشق اعطوا ملك فرانسالقدس وان  
 جميع البلاد التي يستولون عليها تكون مناصفة بينهم فقال الملك لويس الى  
 معاهدة المصريين واعتذر الى صاحب دمشق بان بينه وبين المصريين هدنة  
 بعشر سنين

فاتصل أمر تلك المخبرات بسطان دمشق فانفذ فرقة من عشرين الف  
 مقاتل تحول دون اتحاد الجيشين فمثروا بالمصريين في غزة فاهضوهم حتى  
 ارجعوهم الى الصالحية فانجدهم الفارس اقطاي يوم الخميس ١٠ ذى القعدة  
 سنة ٦٤٩ في العباسية وتقاتلا فانكسر المصريون اولاً فتمتقهم السوريون فجعل  
 ايبك والفارس اقطاي انهزامهما نحو سوريا ومعهما جماعة من الفرسان  
 فالتقيا بشمس الدين لولو في شردمة من رجاله فقتلاه وشتنا رجاله فشتدازهما  
 فادا لمهاجمة سلطان دمشق وكان في معسكره مع شردمة قليلة من الجند . أما  
 باقي الجيش فكانوا يتمقبون الجيش المصرية المنهزمة فاضطر ناصر الدين الى  
 الفرار بنفسه فقباه فلم يدركه فعادا الى مصر فرأيا الجيش السورية قد دخلت  
 القاهرة وخاف أهلها ظناً منهم ان النصر لناصر الدين فبايعوه وخطبوا له  
 الا ان الائمة لم يوافقوا على تلك المبايعة فلم ينجوا من انتقام ايبك فلما علم المصريون  
 ان النصر لهم فرحوا جداً وابطلوا مبايعة ناصر الدين أما هذا فلما رأى أمر

انكساره على ما تقدم لم يعد يمكنه اعادة الحرب ثانية فصالح المصريين على أن  
 ينجلي لهم عن مصر وغزة وبيت المقدس ولكنه ربح من الجهة الثانية ما كان  
 يرومه من فساد المعاهدة بين المصريين والصليبيين . ثم اتفق المماليك  
 البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفاً من قدوم الصليبيين اليها مرة أخرى  
 فسيروا اليها الحجارين والفعلة فتولوا هدم اسوارها ومحيط اثارها ولم يبق  
 منها سوى الجامع ويعرف بجامع الفتح واخصاص ابنتها بعض الفقراء للسكن  
 في قبليها ودعوا ذلك المكان المنشية . أما دمياط الباقية الى هذا المهد فابنتت  
 على اقباض تلك

### طلب الملك لويس التاسع النجدة من اوروبا

#### ووفاة الاشرف بن يوسف

لم اعلم الملك لويس بفساد المعاهدة المذكورة واتحاد المسلمين خاف على  
 بلاد سوريا فارسل الى البابا برومية يطلب منه المساعدة في ارسال نجدة الى  
 سوريا وكذلك ارسل الى والدته بلانشا نائبة المملكة الفرنسية فسار البابا  
 يرسل المنشورات بالحث والتحريض على نجدة لويس الى ملوك اوروبا فلم  
 يلتفت احد الى اوامره وكذلك في فرانسوا وذلك لعلم الجميع بما حصل للملك  
 فرانسوا وغيره من الملوك وانه من عهد الحروب الصليبية الاولى وتجريداتهم  
 تذهب هباءً منثوراً . وامامنا جهة المصريين فان الفارس اقطاي عظم في عيون  
 المصريين لما اظهروه من البسالة والاقدام في الحروب الاخيرة فللقبه احزابه  
 بالملك وتزوج أخت المنصور سلطان حماه واسكنها في القلعة لاتصال جبل  
 قربها بالعائلة الملوكية فاوجس ايبك شراً من انتشار نفوذ الفارس المذكور  
 حتي خشي مناظرته في الملك فاخذ يسعى للتخلص منه وكان الفارس زعيماً  
 لحزب من المماليك الصالحية وكان يطالبون له المشاركة في الملك مع الملك



الاشرف وما زالوا حتى نالوا مطلوبهم فرقى كثيرين منهم وفي جملتهم سيف الدين قطوز الذي صار ملكاً بعد ذلك . اما الفارس اقطاي فقتله ايبيك وهو داخل بسر اى القلعة ثم خشي الوقوع في شر أعماله فأمر بقتل أبواب القلعة وأبواب المدينة ولبث يتوقع الحوادث فلم تمض برهة حتى جاء الامراء الصالحيون برئاسة ركن الدين بيبرس وتجهروا على أبواب القلعة وطلبوا الفارس اقطاي ظناً منهم انه كان مأسوراً فرمى اليهم برأسه من على السور فلما علموا بقتله ارتفعت قلوبهم فعمدوا الى الفرار قاصدين باب القراطين ففتحوه وساروا قاصدين سوريا وبقي منهم شذمة قبض عليهم وأودعوا السجن فلما تخلص الملك المزي ايبيك من طائفة الامراء الصالحين قبض على الملك الاشرف وألقاه في سجن مظلم فمات فيه تيمناً بعد ان حكم سنة وشهراً واستقل ايبيك بالسلطنة واستوزر شخصاً من نظار الدواوين يدعى شرف الدين هبة الله ابن صاعد الفايزي أحد كتاب الاقباط وكان قد تظاهر بالاسلام في أيام الملك الكامل وترقى في خدمة الكتابة وكان طيباً له مشهوراً بالطب والسياسة فلما صار وزيراً قرر على التجار وذوى اليسار وأرباب العقاقير أموالاً ورتب مكوساً وهو أول قبلى ولى الوزارة

### ﴿ انتهاء الحروب الصليبية السابعة ﴾

لما علم الملك لويس التاسع بان أوروبا لا ترسل اليه عساكر صليبية ولا ياتيه أحد من مملكته نفسها خاف من فشله فأرسل الى بلاد الموره ورومانيا وقبرص يطلب الجنود على نفقته فجاءته عساكر مناهروا تب شهرية ومصاريف وغيره حتى فرغت خزائنه ولكنه لم يمكنه ان يتقدم لمحاربة المسلمين فحصل له فشل فصرف جهده في تحصين بلاد الصليبيين بسوريا بالصد هجمات الهاجمين ثم أتاه خبر من فرانسوا يفيد موت والدته الملكة بلانشا نائبة المملكة وطلب سرعة حضوره لاستلام

المملكة فخالا استعد للسفر ونزل في مراكبه وسار نحو بلاد فرانساً قاصداً مملكته  
وبذلك انتهت الحروب الصليبية السابعة

### ﴿ وفاة ابيك الجاشنكير وسلطنة ولده نور الدين ﴾

ولما استتب المقام لايك وتخلص من المماليك الصالحية وغيرهم ممن كانوا  
ينازعونهُ الملك حسب الجوق قد خلا له ومادرى ان شجرة الدر لا تزال واقفة له  
بالمصر صاد بعد ان صارت له زوجة فكانت تحول دون كثير من مقاصده ولم يكن  
يجسر على مقاومتها مع علمه باستقلالها من مهام الملك على انه لم يستطع احتمال هذا  
التقييد والديكتاتور في يده فجعل يبحث عن طريقة تنقذه من هذه القيود مع علمه  
ان مكائد النساء أشد وطأة من ملاقات أبطال الرجال . فادعى انها عقيمة لا يرجو  
منها نسلاً فاقنني عليها سرارى أخريات فولدت له احدها ولدأ دعاه نور الدين على  
ثم بلغها انه ساع الى التزوج بابنة بدر الدين لولو ملك الموصل وكان قد أمسك عن  
زيارتها فاشتعلت حسداً لعلمها ان هذه الزوجة الاخيرة من بنات الملوك فخافت  
ان تحبل محامها من العظمة فاقرت على الكيد به . فينما كان ماراً في ٢٣ ربيع أول  
سنة ٦٥٥ في الدهليز السري الى دار الحرير وثب عليه خمسة خصيان بيض كانوا قد  
كنوا له هناك وخنقوه بعمامته وكان ذلك بدسيسة شجرة الدر فاشاعت انه مات  
مصروعاً وكان ابيك ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء . ولم تجسر شجرة الدر تعاطي  
الاحكام بنفسها خوفاً من الايقاع بها فاجاءت بخاتم الملك الى أمير بن من كبار الامراء  
وهما جمال الدين عضو غدى وعز الدين الحلبي وطلبت اليهما أمام جثة زوجها ان  
يستلمازمام الاحكام فأيا . وكان قتل ابيك في داخل السراى ليلاً ولم يشع الخبر  
في القاهرة حتى الصباح التالي . فلما علم أصحابه من المماليك بما حل به  
أضروا على الانتقام وكان سن ابنه نور الدين على ١٥ سنة فماتوه ولقبوه بالملك  
المنصور وكانت مدة ابيك في الاحكام عشر سنوات و ١١ شهراً شاد في خلالها

بنايات عظيمة وفي جملتها مدرسة دعاها المدرسة المعزية نسبة اليه بناها على ضفة النيل في مصر القديمة وربط لها دخلاً مخصوصاً للنفقة عليها . وهو أول من أقام من ملوك الترك بقاعة الجبل . ولما بويع الملك المنصور قبض على قاتله أبيه وعهد بها الى نساء بيته فاماتوا ضرباً بالقباقيب على رأسها وطرحوا اجنتها في خندق القاعة فأكلت الكلاب نصفها ودفن النصف الباقي قرب مدفن السيدة نفيسة أما الملك المنصور فلم يحكم الامدة قصيرة تحت مناظرة وصيه شرف الدين هبة الله المتقدم ذكره ولم يلبث حتى استبدله بسيف الدين قطوز مع لقب اتابك أى وصى الملك ونائبه ولما تولى سيف الدين هذا المنصب استقدم اليه المماليك الصالحية من سوريا وعقد معهم مجلساً أقروا فيه على عدم لياقة نور الدين للاحكام نظر الصفر سنة وأذاعوا ذلك فأنزلوا نور الدين في ٤ ذى القعدة سنة ٦٥٧ بعد ان حكم سنتين

### ﴿ استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية ﴾



( صورة هولاء كوك ملك التتر )

في أول سنة ٦٥٦ قصد هولاء كوك ملك التتر مدينة بغداد وملكها في ٢٠ محرم عنوة وقتل الخليفة المستعصم بالله وسبب ذلك ان وزير الخليفة مؤيد الدين

ابن العلقمي كان رفضياً وكان أهل الكرخ روافض فجرت فتنة بين السنة  
والشيعية ببغداد على جاري عادتهم فامر أبو بكر ابن الخليفة وركن الدين دويدار  
العسكر فهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فعمم ذلك على  
الوزير ابن العلقمي وكاتب التتر واطمعتهم في ملك بغداد وكان عسكر بغداد يبلغ  
مائة الف فارس فمطمعتهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصلاً اقطاعهم وصار  
عسكر بغداد دون عشرين الف فارس وارسل ابن العلقمي الى التتر اخاه يستدعيهم  
فساروا قاصدين ببغداد في جحفل عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم  
ركن الدين الدويدار والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالاً شديداً  
فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم ببغداد وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل  
هولا كو على بغداد من الجانب الشرقي ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب  
الغربي على قرية قبالة دار الخلافة وخرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمي الى  
هولا كو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال له ان هولا كو يبيك  
في الخلافة كما فعل بساطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبي بكر وحسن  
له الخروج الى هولا كو



(صورة الخليفة المستعصم بالله)

فخرج اليه المستعصم في جمع من كبار أصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى

الوزير الفقهاء والامثال فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون وكان منهم محي الدين ابن الجوزي وأولاده وكذلك قي يخرج الى الترت طائفة بعد طائفة فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعدي باجو ومن معه وبذلوا السيف في بغداد وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيراً فاخذ أسيراً ودام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوماً ثم نودي بالامان

وأما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقبل خنق وقيل غرق في دجلة وقيل غير ذلك وكان المستصم ضعيف الرأي وكانت خلافته نحو ١٦ سنة وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد وكان ابتداء دولتهم في سنة ١٣٢ وكانت مدة ملكها ٥٢٤ سنة تقريباً وعدد خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة

### ﴿ سلطنة المظفر سيف الدين قطوز وانتصار المصريين على التتر ﴾

وسيف الدين هذا شريف الاصل من عائلة ملوكية خلافاً لسلفه فهو ابن مودود شاه ابن أخ ملك خراسان فتح التتر بلاده فتشددت عائلته ولما تولى سلطنة مصر لقب بالملك المظفر وحالما استوى على السلطنة قبض على نور الدين وأمر بقتله فحاول العلامة شرف الدين المدافمة عنه فصلبه على باب القلعة . ثم لاح له ان دمياط بعد ان دكت أسوارها لم يمدشى يعيق مراكب العدو عن المرور في النيل فامر بردم مصب النيل هناك وبعث بفرقة من الحجارين فمضوا وقطعوا كثيراً من الحجارة والقوها فيه حتى ضاق وتمذر سير المراكب منه الى دمياط وهو على ذلك الى اليوم فان المراكب الكبيرة لا تستطيع المرور فيه فنقل البضائع منها الى الجروم والمتواتر على السنة البعض ان سبب ذلك وجود جبل أورمل منجمع هناك . ثم كاتب ركن الدين ييبرس

البندقدارى انك المظفر قطوز فبذل له الامان ووعدده الوعود الجميلة فجاء  
 بيبرس الى مصر فى جماعة من أصحابه فأقبل عليه الملك المظفر واكرمه وانزله  
 فى دار الوزارة واقطعه قلوب واعماله وفى ذلك جاء القاهرة قائد تترى  
 ناقلا منشورا من هولاء كوك ملك المغول ( التتر ) حفيد جانكيز خان وكان التتر  
 قد انتشروا فى جميع آسيا الشمالية والشرقية واستولى هولاء كوك بعد بفسداد  
 الموصل وحلب ودمشق وجميع السواحل البحرية حتى قدم مصر فبعث اليها  
 منشورا ونصه ( من ملك الملوك الحاكم من الغرب الى الشرق أعظم الخانات  
 هولاء كوك خان فاتح الفتوحات الغربية صاحب الجيوش العديدة الى أهل مصر  
 فى أهل مصر لا تخاطروا بانفسكم فى محاربتى لانكم ان فليتم اذا انتم مخذولون  
 فاقتدوا بغيركم من سكان حلب والموصل ) فلما قرأ قطوز ذلك المنشور وعلم  
 ما كان من أمر فتوحات هذا التترى وما هو عليه من القوة والمنعة أوجس خيفة  
 غير ان جيوشه كانوا قد حاربوا الجيوش الصليبية وانتصروا عليها ولم يزل فى  
 نفوسهم عزة الظفر وانفة النصر فاستخفوا بقول هولاء كوك واصروا على القتال  
 فحشدهم قطوز وجهزهم بما يلزم من العدة والسلاح واستقدم اليه قبائل العربان  
 وفرق فيهم وفى سائر جيشه نحواً من ٦٠٠ الف دينار جمعها من الضرائب التى  
 اقامها على المصريين مما دعاه تصقيع الاملاك وزكاتها واحداث على كل انسان  
 ديناراً يؤخذ منه وأخذ تلك التركات الاهلية فكان يجمع منها ٦٠ آلاف ديناراً  
 سنوياً . ثم سار من القاهرة للاقامة التترى فى غاية شغبان سنة ٦٥٨ هـ وما كاد الجيشان  
 يلتقيان حتى اتصل بهولاء كوك خزر . موت ابيه منجوخان ملك التتر فاضطر الى  
 العود حالاً ليطالب بحقوق الوراثة فعاد تاركاً فى سوريا قسماً من نخبة فرسانه تحت  
 قيادة نسيبه ونائبه كتبوا لمحاربة قطوز فالتقىا فى فلسطين فى عين الجالوت  
 فالتحم الجيشان فانهزمت التتر هزيمة تبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم  
 كتبوا واسرا بته وتعلق من سلم من التتر برؤوس الجبال وتبعهم المسلمون

فأقنوهم وهرب من سلم منهم الى الشرق فأرسل ركن الدين بيبرس البندقدارى  
 فى أثرهم فقتلهم المسلمون الى أطراف البلاد الشرقية فنضاعف شكر المسلمين  
 لله تعالى على هذا النصر العظيم لان القلوب كانت قد يشتت من النصره على التتر  
 لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ما قصدوا اقيامها الا فتحوه ولا عسكرياً  
 الا هزموه فابتهجت الرعايا بالنصره عليهم وفى يوم دخول المظفر دمشق أمر  
 بشنق جماعة من المتسبين الى التتر فشنقوا وكان من جملتهم حسين السكردى  
 طيردار الملك الناصر يوسف وغنم المصريون غنيمة كبيرة تكفى لاغناء  
 كل المشرق لانها تحتوى على أمن ما نهبه هولاء من أغنى المدن أثناء  
 فتوحاته

\* قتل الملك المظفر وسلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى \*

وبينما كان الملك المظفر قطوز عائداً من سوريا الى الديار المصرية أتحدت  
 المماليك الصالحية على قتله ومنهم ركن الدين بيبرس البندقدارى وانص مملوك  
 نجم الدين الرومى الصالحى والهاروتى وعام الدين صغن أغلى وشاروا معه  
 يتوقعون الفرصة فلما وصل قرب الصالحية وقد سبقه العساكر الى الصالحية  
 فبينما هو سائر وحوله الامراء اذ مر بين يديه أرنب برى وكان مولعاً بالصيد  
 فسار فى أثره فى عرض الصحراء وساروا معه الامراء المذكورين فلما بعدوا  
 تقدم اليه انص وشقع عنده فى انسان فاجابه الملك المظفر قطوز الى ذلك فاهوى  
 لتقبيل يده وقبض عليها فحمل عليه ركن الدين بيبرس حينئذ وضربه بالسيف  
 واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب وذلك فى ١٧ ذى القعدة  
 سنة ٦٥٨ ثم دفنوه فى قبر صغير قرب قبر خلف فخشى ذوو الفقيد ان تبلغ  
 الموسى لحاهم فنفرقوا فى مصر السفلى لا يظهرون على أحد فكانت مدة  
 ملكه احدى عشر شهراً و ١٣ يوماً وسار بيبرس بعد ذلك ورفقاه حتى

وصلوا الى الدهليز بالصالحية وكان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين  
 اقطاعي المستعرب فسأهم نائب السلطنة المذكور وقال من قتله منكم فقال له  
 يبيرس أنا فقال له اقطاعي اجلس ياخوندي مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت  
 المساكر للتحلف فحلفوا له في اليوم المذكور أيضاً



الظاهر يبيرس السندقاري

واستقر يبيرس في السلطنة وتلقب بالملك القاهر ركن الدين يبيرس  
 بالصالحية ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر وتلقب بالملك الظاهر لانه بلغه



ان القاهر لقب غير مبارك وأضاف اليه أبو الفتوح وكان يلقب أيضاً بالعلوي  
وبالبندقداري نسبة الى سيده المسمى علاء الدين بندقدار الصالحى ثم سار  
الملك الظاهر بيبرس الى القاهرة فدخلها وكانت مزينة للملك المظفر فاستمرت  
الزينة للملك الظاهر بيبرس ولماتم له أمر السلطنة جعل بهاء الدين وزيراً وويلي  
يك وهو من أعز أصدقائه من المماليك خزنداراً واستقدم من بقي من عائلة  
قطوز فامهم وضمهم اليه واطلق من في السجون جميعاً بغير استثناء واكثر  
من العطايا لرجاله وابطل كثيراً من الضرائب التي كانت قد ضربها سلفه  
كتصحيح الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها في كل سنة وجباية دينار كل  
انسان وغير ذلك وأعلن أمره هذا على لسان الخطباء في المنابر . على انه مع  
ذلك لم ينل رضاء كل الرعية لاسيما السوريون فانهم شتموا عصا الطاعة ويايعوا  
الامير سنجر الحلبي حاكم دمشق ولقبوه بالملك المجاهد فارسل الظاهر بيبرس  
عسكراً بقيادة علاء الدين البندقدار سيده لقتال علم الدين سنجر الحلبي  
فوصلوا الى دمشق في ١٣ صفر سنة ٦٥٩ فخرج اليهم الحلبي لقتالهم وكان  
صاحب حماه وصاحب حمص مقيمين في دمشق ولم يخرجوا مع الحلبي لقتال  
العساكر المصرية فاقتتل الحلبي مع علاء الدين فولى الحلبي واصحابه منهزمين  
الى قلعة دمشق واقام بها الى ان جن الليل فهرب منها الى جهة بعلبك فتبعه  
العسكر وقبضوا عليه وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم اطلق واستقرت  
دمشق في ملك الظاهر بيبرس وأقيمت الخطبة له بها وبغيرها من سوريا مثل  
حماه وحلب وحمص واستقر علاء الدين ايديكن البندقداري نائباً بدمشق  
التدبير أمورهما ثم رحل صاحب حماه وصاحب حمص من دمشق الى بلادهما  
ثم أرسل الظاهر بيبرس مرسوماً الى علاء الدين البندقدار نائب دمشق بالقبض  
على بهاء الدين بغدي الاشرفي وعلى شمس الدين أقوش البرلي فبقي علاء الدين  
متوقفاً الفرص لتنفيذ ذلك فقبض على بهاء الدين وخرج أقوش البرلي من دمشق

ليلاً ونزل بالمرج فارس إلى علاء الدين إليه يطيب قلبه فلم يلتفت إليه وسار إلى حلب ودخلها وأخرج منها فخر الدين الحمصي بحيلة واستبد فيها وجمع العرب والتركمان واستعد لقتال عسكر مصر ثم أرسل الظاهر بيبرس جمال الدين المحمدي الصالحى لقتال البرلى ثم رضى عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه بعسكر وراء المحمدي ثم أردفه بوزن الدين الدمياطى بعسكر آخر وساروا الجميع إلى حلب لقتال البرلى فطردوه منها

### ✽ انتقال الخلافة العباسية إلى الديار المصرية ✽

في رجب سنة ٦٥٩ قدم إلى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد زعموا أنه ابن الامام الظاهر بالله محمد بن الامام الناصر وأنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملككم التتر فمقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيه جماعة من الاكابر منهم الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام والقاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز فشهد أولئك العرب ان هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد بن الامام الناصر فيكون عم المستعصم واقام القاضى جماعة من الشهود اجتمعوا باولئك العرب وسمعوا شهاداتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فابنت القاضى تاج الدين نسب أحمد المذكور ولقب المستعصم بالله أبا القاسم أحمد وبايمه الملك الظاهر بيبرس والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بأمره وعمل له الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة واستخدم له عسكراً فأصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين غير ان سلطتهم لم تكن تعتبر الا من وجهها الديني فقط وكانوا يقبون بالائمة وقد رافق نزول العباسيين بالقاهرة قحط عم سائر القطار فقتلوا الناس بجلوهم . اما بيبرس فلم يأل جهداً في استجلاب الاقوات من سائر جهات سوريا وغيرها وتفرقتها على الناس فانقذ

﴿ فتوحات الملك الظاهر بيبرس و وفاة المستنصر

و خلافة الحاكم بأمر الله ﴾

ثم أراد بيبرس ان يسترجع هدينة بغداد للخلفاء العباسيين فانقدم الخليفة المستنصر بالله جنداً عظيماً وبرز معه الظاهر بيبرس وتوجه الى دمشق فنزل الظاهر بالقلمة ونزل الخليفة في جبل الصالحية ونزل حول الخليفة امرأه واجناده و جهز الخليفة عسكره للمسير الى بغداد طمعاً في انه يستولى عليها ويجمع عليه الناس فسار الخليفة المستنصر من دمشق بعسكره وركب الملك الظاهر وودعه ووصاه بالتأني في الامور ثم عاد الملك الظاهر من توديعه الى دمشق ثم سار الى الديار المصرية ثم وصات اليه كتب الخليفة المستنصر بانه قد استولى على عانة والحديثة وولى عليهما و قبل ان يصل الخليفة ومن معه الى بغداد لاقاهم التتر في الطريق فخار بهم وشتنوا شملهم وقتلوا الخليفة ولم يجلس على كرسي الخلافة الا خمسة اشهر وعشرين يوماً فبايعوا في القاهرة الخليفة الحاكم بأمر الله بعد ثبوت نسبة واقامه الظاهر بيبرس في رجب محترزاً واشرك له الدعافي الخطبة لا غير ثم امر السلطان الى كل من سنقر الرومي وصاحب حماء وصاحب حصص ان يسيروا الى انطاكية وبلادها للاغارة عليها فساروا اليها ونهبوا بلادها وضايقوها ثم عادوا فتوجهت المساكر المصرية صحبة سنقر الرومي الى مصر ووصلوا اليها ومعهم ما ينوف عن ثلثمائة أسير فقابلهم الملك الظاهر بالاحسان والانعام ثم سار بيبرس بتجريدة اخرى لفتح قلعة الكرك انتقاماً من صاحبها الملك المغيث فتح الدين عمر وسبب ذلك ان بيبرس قبل توليته سلطنة مصر كان قد ترك امرأته عند المغيث فتح الدين وقاية لها مما كان يقاسيه من الاسفار والعذاب وعهد اليه رعايتها فلم يحترم هذا حرمة الدين والشرف ففتك بها بغير وجه الحق فانصل ذلك ببيبرس

وكان قد تولى سلطنة مصر فنار فيه حب الاتقام فجرد العساكر وسار الى الكرك وحاصر قلعتها وكانت منيعة الجانب طالما امتعت على كبار الفاتحين ومنهم السلطان صلاح الدين ثم تمكن بيبرس من القبض على المغيث فتح الدين احتيالا وسلمه الى امرأته فقتلته بالقباقيب على مثل ماقتلت عليه شجرة الدر فأتمت الكرك بغير رئيس فسلمت وصارت جزءا من مملكة مصر فأرسل بيبرس اليها بدر الدين اليسرى الشمسي وعز الدين أستاذ الدار في يوم الخميس ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٦٦١ ثم عاد الى الديار المصرية

### ﴿ محاربات الظاهر بيبرس مع الصليبيين بسوريا ﴾

ولما عاد بيبرس الى القاهرة حشد جيشا كبيرا لمحاربة الصليبيين بسوريا وسار به في سنة ٦٦٣ الى ان وصل مدينة قيسارية في ٩ جمادى الاولى فحاصرها وضايقها وفتحها عنوة في ١٥ منه بعد محاصرتها ٦ ايام ثم أمر بهدمها ثم سار منها الى ارسوف فنازلها وفتحها في شهر جمادى الآخرة ثم أرسل الملك الظاهر بيبرس قسما من جيشه الى ساحل طرابلس ففتحوا القلعات وحلب وعرقا ونزل هو على صفد في ٨ شعبان سنة ٦٦٤ فحاصرها وضايقها بالزحف وأقام عليها آلات الحصار وقدم اليه وهو على صفد الملك المنصور صاحب حماه ثم النصقت العساكر بالقلعة وكثر القتل والجرح في المسلمين الى ان فتحها في ١٩ منه بالامان ثم قتل أهلها عن آخرهم وسار الى دمشق فلما دخلها واستقر فيها جرد عسكريا ضخما قدم عليه الملك المنصور صاحب حماه وأمره بالمسير الى بلاد الارمن فسارت العساكر حتى نزلت على بلاد سيس في ذي القعدة وكان صاحب سيس هيثوم بن قسطنطين قد حصن الدرنيديات بالرجال والمنجنيق وجعل عسكره مع ولديه على الدرنيديات لقتال العسكر الاسلامي ومنعه وما انتشب القتال حتى غلبتهم عساكر المسلمين وأوقعت فيهم القتل

فأقنعتهم عن آخرهم قتلا وأسرا وقتل احد ولدهيئوم وأسر الآخر وهو ليفون  
وانتشرت المساكر الاسلامية في بلادسيس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا أهلها  
ثم عادت المساكر وقدامتلات أيديهم من الغنائم فلما وصل خبر هذا الفتح العظيم  
الى الملك الظاهر بيبرس رحل عن دمشق الى حماة فقامية حيث التقى بمساكره  
منصورة ولما وصلوا بلدقارا أمر بنهب أهلها وقتل كبارهم وكانوا نصارى يسرقون  
المسلمين ويبيعونهم خفية للصليبيين وأخذ مبياناتهم ماليلك فتربوا بين الترك في  
الديار المصرية فصار منهم جنود وأمراء ثم عاد الظاهر الى الديار المصرية  
على طريق الكرك فجعل به فرسه عندبركة نريزا فانكسر فخذه وحمل في  
محفة الى قلعة الجبل

### اصلاحات الملك الظاهر بيبرس

لمراجع الظاهر بيبرس أخذ يستعد لحروب جديدة وينظم داخلية فابطل  
ضمان المنزرو جهاته وأمر باراقة الخمورو ابطال المنكرات وتمتعية بيوت المنكرات  
ومنع الحانات والفواحش بجميع أقطار مملكة مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع  
وعادت البلاد الى الهدوء والرغد فقال أحد الشعراء المعاصرين

ليس لابليلس عندنا أرب غير بلاد الامير مأواه  
حرفته الخمر والحشيش مآ حرمتا ماء ومرعاه

ثم رأى ان بعض الرعية لايزالون على ما كانوا اقداعتادوه من الفواحش فامر بمنع  
النساء الخواطي من التعرض للبغيه ونهب الحانات التي كانت معدة لذلك وسلب  
أهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبس النساء حتى يتزوجن وكتب بجميع ذلك  
توقيعا قرى في المنابر ثم علم ان الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز  
يشر بالمسكر فشنقه تحت قلعة الجبل ولاشك ان الملك الظاهر لم يشدد في ابطال جميع

هذه المنكرات الالامه يقيناً ان استعمالها يورث الفقر والذل ويخمد الهمة ويضعف  
 عزة النفس وينضب الله  
 وكان في سنة ٦٦٢ قد بنى دار العدل القديمة تحت القلعة وصار يجلس بها لعرض  
 العساكر في كل يوم اثنين وخميس وكان ينظر في أمر المتظالمين بنفسه فاذا كان لاحد  
 مظالمه يأتي بنفسه بدون أحد يمنعه ويشكو مظالمه للسلطان وهو يأمر في الحال  
 بصرفها بوجه الحق

### فتوحات الظاهر بيبرس ببلاد الصليبيين بسوريا

في شهر جمادى الآخرة سنة ٦٦٦ توجه الملك الظاهر بيبرس بهساكره  
 المدينة الى الشام وفتح يافا وتملكها من الصليبيين ثم سار الى انطاكية ونازلها في  
 مستهل رمضان وحاصرها وضيق عليها وقاتلها وفر صاحبها بوهيمونددى طرابلس  
 الى طرابلس فشدد الحصار وزحفت العساكر الاسلامية على انطاكية فملكوها  
 بالسيف في يوم السبت رابع رمضان وقتلوا أهلها وسبوا ذرارهم وغنموا منهم  
 أموالاً جليلية وفي ١٣ رمضان استولى الظاهر على حصن بغراس وكان أهله قد  
 تركوه فشحنه الظاهر بالرجال وجهله حصناً للمسلمين وفي شهر شوال وقع الصلح  
 بين الملك الظاهر بيبرس وبين هينوم صاحب سيس على انه اذا حضر صاحب  
 سيس سنقر الاشقر المأسور عند التتر (كان التتر قد أخذوه من قلعة حلب لما ملكها  
 هولاء كوكمكهم) وان يسلم بهسناودر بساك ومرذبان ورعيان وشيخ الحديد  
 يطابق له بيبرس ابنه ليفون فسخل صاحب سيس على ابنا ملك التتر وطاب منه  
 سنقر الاشقر فاعطاه اياه فارسله الى الظاهر بيبرس وسلم دربساك وغيرها  
 من البلاد المذكورة ما عدا بهسنا وأطلق الظاهر ابنه ليفون وعاد الى  
 الديار المصرية

## ﴿ حج الملك الظاهر بيبرس ﴾

وفي سنة ٦٦٧ عزم الملك الظاهر بيبرس على اداء فريضة الحج وكان طريق الحج من مصر الى مكة المشرفة في صحراء عيذاب فيركبون النبل من ساحل القسوط الى قوص بمصر الميا ثم يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عيذاب الى البحر الاحمر حيث ينزلون فيه الى جدة ساحل الحجاز وهكذا يودهم الى مصر وكانت قوافل التجار من الهند واليمن والحبشة تأتي مصر على هذه الطريق أيضاً وصحراء عيذاب اذذاك آهلة بالسكان أمينة المسلك وبقيت طريق الحج على مثل ذلك الى هذه السنة اذ تغيرت بالطريق التي سار فيها الملك الظاهر كما يأتي وأما التجار فما زالوا يقدمون مصر عن طريق الصحراء الى سنة ٧٦٠ ومن ذلك الحين قلت أهمية مدينة قوص فسارت في حالة تشبه حالتها في الوقت الحاضر بعد ان كانت مدينة زاهرة بالتجارة والعمارة ففنى ٢٥ شوال سنة ٦٦٧ رحل الظاهر بيبرس من القوار ووصل الى الكرك وأقام بها أياماً وتوجه من الكرك في ٦ القعدة الى الشوبك ورحل من الشوبك في ١١ منه ووصل الى المدينة النبوية في ٢٥ منه ووصل الى مكة في ٥ الحجة وبعداً الفريضة كسا الكعبة بالديباج وكذلك الحجرة النبوية ووقف لها أوقافاً وعمل لها مفتاحاً ثم سار منها فوصل الكرك في آخر الحجة سنة ٦٦٧ وفي أول محرم سنة ٦٦٨ سار من الكرك فوصل دمشق بغتة وتوجه منها في يومها فرصل الى حماد في ٥ منه وتوجه من ساعته الى حلب ولم يعلم به العسكر الا وهو في الموكب معهم ثم عاد الى دمشق في ١٣ منه ثم توجه الى القدس فزاره ثم رجع الى الديار المصرية فوصل القاهرة في ١٣ صفر وهكذا ثم سياحته الجهادية والدينية معاً

ثم سار الظاهر بيبرس بعساكره الى بلاد الاسماعيلية فتسلم مصياف في العشر

الاول من رجب سنة ٦٦٨ ثم عاد الى حماه ومنها الى دمشق في ٢٨ منه ثم رحل  
الى مصر القاهرة

### ﴿ الحروب الصليبية الثامنة ﴾

(في التحريض على الحروب الصليبية الثامنة)

في سنة ٦٥٩ قام الروم على الصليبيين الذين تملكوا على القسطنطينية وقتلواهم  
واستخلصوها منهم بقيادة زعيمهم مخائيل باليولوغوس الذي أقامه ملكا عليها  
(كانت الحملة السادسة للصليبيين اغتصبوها وصارت تابعة لهم الى ان خلصها  
مخائيل المذكور وعادت لاروم) فسافر من نجا من الصليبيين من القسطنطينية الى  
البابا كليمنضوس الرابع وكذلك لما استولى السلطان الظاهر بيبرس على البلاد  
الاسورية من الصليبيين أرسلوا الى البابا المذكور يطلبون منه المساعدة والمعونة  
فأرسل منشورا الى جميع ملوك أوروبا يخبرهم فيه بان الروم استولوا على القسطنطينية  
وان بيبرس قد استولى على انطاكية وغيرها من بلاد سورية ويطلب منهم مساعدة  
اخوانهم الصليبيين وتشكيل عساكر صليبية ثامنة لاجل ذلك وخصوصا لاستخلاص  
قبر المسيح من أيدي المسلمين (وهي حججهم الواهية في كل حرب) وحيث ان ملوك  
أوروبا باعلموا بان جميع التجربيات والعساكر التي سبق تشكيلها وارسالها سواء كان  
لسوريا أو لمصر أو للقسطنطينية لم تأت بفائدة لاوروبا غير فقد العساكر واقفاء  
المال فلذلك لم يلتفتوا الى منشورات البابا ولا الى نوابه الذين كان قد أرسلهم  
لهذه الغاية

\* (تجهيز العساكر الصليبية الثامنة بقيادة

لويس التاسع ملك فرنسا)

وبعد جهد شديد قبل الملك لويس التاسع ملك فرنسا تجهيز عساكر صليبية



تامة بقيادة كإفعل أولاً ثم انه أمر بانمقاد جمعية في مدينة باريس من عظماء المملكة  
 يقصر لويلاتم حضر بنفسه هذه الجمعية ومعه نائب البابا حامل بيديه اكليل الشوك  
 الذي تكلم به المسيح ( على زعمهم وهو الآن محفوظ في كنيسة مريم العذراء  
 الكاتدرائية بباريس ) فقام لويس وقال لمر في الجمعية بانه عزم على تجهيز حروب  
 صليبية تامة وطلب منهم مساعده والتوجه معه ثم قام النائب البابوي وطلب منهم  
 انقاذ اخواتهم المسيحيين بالمشرق فاستلم الملك لويس صليب الحرب من يد النائب  
 الرسولي وتبعه ثلاثة من اولاده ثم تبهم عدد وافر من رؤساء الكنائس ثم بوحنه  
 كونت دي براتانيا . وتيبوت ملك نافار . والفونسوس دي بريانا . والكونتات دي  
 فلاندر ودي سان بول . ودي مارشا . ودي سواسون وغيرهم وعزم بعض أمراء  
 أوروبا على تجهيز عساكر كإفعل سلطان فرانس مثل ادوارد ملك الانكليز  
 وغاسطون ملك بيان وملك البرتغال وغيره . ثم ان لويس المذكور استعد في تجهيز  
 عساكره للمسير بها وحيث انه وجد نفسه شيخاً كبيراً خاف على مملكته اذا مات  
 هو في الحرب فعزم على تقسيمها على وراثته فقسها على اولاده الاربعة المذكور  
 وكذلك تلى بنتيه اللتين لم تزوجا وعلي زوجته مرغريتا وذلك التقسيم يكون  
 بعد مماته ثم اقام وكيلين على مملكته بصفة نواب الملك وهما متي دي فاندوم  
 وسيمان دي ناظلا

### ﴿ سفر العساكر الصليبية الثامنة ﴾

توجه الملك لويس الى كنيسة القديس ديونيسيوس لتتبرك بها ثم حضر  
 الذبيحة بكنيسة الكاتدرائية بباريس وسار الى مدينة اغوزمورتاس المعينة لاجتماع  
 جميع العساكر الصليبية بها وكان قبل حضور الملك لويس المذكور الى هذه المدينة  
 قد سافر بعض العساكر الصليبية الثامنة من اقليم اراغون وغيره قاصدين بلاد فلسطين  
 ولما اجتمع الملك لويس وعساكره في هذه المدينة عقد مجلس شوراه الحربى

للتداول في خطة السفر والبلاد انتمى يقصدونها فالبعض رأى المسير الى الديار  
المصرية والبعض رأى المسير الى تونس عاصمة الغرب وكان من هؤلاء الملك لويس  
لانه قال ان المغاربة طالما تمدوا على بحرية فرانسوا وغيرهما من أوروبا وبعد المداولات  
تقرر مسير العساكر الصليبية الثامنة الى تونس ومحاربتها واستعدت بالنزول في  
المراكب والمسير الى تونس

### ✽ وصول الصليبيين الى تونس ومحاصرتها ✽

سارت العساكر الصليبية في البحر الى ان نزلوا باقة قاض مدينة قرطاجنة القديمة  
واقاموا فوق طلالها وعملوا خندقا حول معسكرهم وكان صاحب تونس يدعى أبا  
عبدالله محمد بن أبي زكريا الحفصي الملقب بالمستنصر بالله فجمع أمراء مملكته واستشارهم  
في صد الصليبيين عن النزول الى البر أو بتركهم ينزلون الى البر ويحاربهم فقال بعضهم  
اذا صديناهم عن النزول أمام الحامية فربما ساروا ونزلوا على ثغر من الثغور  
فامتلكوه واستباحوه واستصعبت مغالبتهم فوافق السلطان على هذا وأرسل  
الى جميع الثغور بالتحفظ ونادى السلطان في الناس بالاستعداد والتفريغ ثم أرسل  
الى جميع الممالك التابعة له يطلب المدد فجاءه أبو هلال صاحب بجاية وجاءته  
جميع العرب وسديوكش وولهاصه وهوارة وقد أمدهم ملوك المغرب من  
زنانة وسرح اليه محمد بن عبد القوي عسكر بنى توجين لنظر ابنه زيان وعقد  
السلطان قيادة العسكر الى سترة رؤساء وهم اسماعيل بن أبي كلداس . وعيسى بن  
داود . ويحيى بن أبي بكر . ويحيى بن صالح وأبي هلال عياد صاحب بجاية . ومحمد  
ابن عبو وأمرهم جميعاً راجع لأمير يحيى بن أبي بكر ويحيى بن صالح واجتمع  
كثير من المسلمين والفقهاء والمرابطين لمباشرة الجهاد واستعدوا غاية الاستعداد  
فقال أحد أدباء تونس وهو أحمد بن اسماعيل الزيات

يا فر نيس هذه أخت مصر فتها لما اليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكبر  
 ( فقد ر الله وفاة الملك لويس التاسع وهو محاصر لها كما سيأتي فحسن فألهم )  
 ثم ان الصليبيين حاصروا مدينة تونس وذلك في شهر القعدة سنة ٦٦٨

### ﴿ محاربات الصليبيين ووفاة الملك لويس التاسع ﴾

بعد حصار مدينة تونس نشب القتال بين الفريقين وكانت الحرب سجالا  
 وكان الصليبيون منتظرين قدوم الكونت دى انجو كارلوس أخى لويس وهو  
 صاحب جزيرة سيسيليا وفي سنة ٦٦٩ فرغت ذخائر وقوت العساكر الصليبية  
 فاعتراهم داء الدسنتاريا والحمى الخبيثة وفي زمن قصير هلك منهم نحو النصف  
 وكان ذلك في فصل الصيف والحر شديد فاصطنعت العساكر الاسلامية آلات  
 يرمون بها الرمل على معسكر الصليبيين عند هبوب الرياح القبلىة فتنزل فوقهم  
 كأنها عجمية فى أتون نار وبما زاد في مصائب الصليبيين هجمات العرب  
 والسودانيين عليهم حتى أخذهم الضجىر والملك ومات منهم الكونت دى  
 نامورس ودي فاندوما . ودى مارشا . ودى موغرانسى ودى بيا ناودى برباك  
 ثم لحقتهم ابن الملك لويس المدعو تريستان ( الحزين ) الذى ولد فى مدينة دمياط  
 كما مر ( ولد فى حصار مدينة وتوفى فى حصار أخرى ) ثم شارك الملك لويس  
 التاسع جيشه فى الامراض بعد وفاة ابنه المذكور ورقد فى فراشه ثم احضر  
 ابنه البكرى فيلبس ووريثه على تخت المملكة وأخذ يوصيه بمملكته واخوته  
 وغير ذلك ثم مات

﴿ سفر كارلوس صاحب سيسيليا الى تونس وحصول

الصالح وانتهاء الحروب الصليبية الثامنة ﴾

وبعد موت الملك لويس التاسع ملك فرانسوا ترأس على الجيوش ابنه فيلبس

ثم توارد قدوم 'مراكب صليبية في البحر ونزل الرجال منها الى البر وكانوا  
عساكر كارلوس صاحب سيسيليا وفي أثناء نزولهم الى البر لم يجدوا أحداً من  
الصليبيين قد حضر لمقاتبتهم فساروا الى ان وصلوا الى معسكر الصليبيين وسار  
كارلوس الى ان وصل الى خيمة لويس التاسع فوجده ميتاً فبكي عليه وبعد  
ذلك عقدوا مجلس مشورتهم للنظر في أمرهم فقرروا استمرار الحصار والحاربة  
وبعد مناوشات جرت بينهم تقرر الصالح في شهر ربيع الاول سنة ٦٦٩ على  
ما يأتي بان الساطان استنصر بالله يخضع لكارلوس ملك سيسيليا ويدفع له جزية  
سنوية ويدفع له مصاريف هذه الحروب البالغ مقدارها ٢٢٠ الف وزنة من  
الذهب وفي نظير ذلك ينسحب الصليبيون من البلاد التونسية وبماتمام شروط  
الصالح التي أمضت من ملوك فرانسسا وسيسيليا ونافار سار الصليبيون ونزلوا  
بمراكبهم وساروا الى بلادهم وفي أثناء سيرهم فاجأهم عواصف شديدة  
أغرقت أكثر مراكبهم ثم ان كارلوس نزل في مملكته ومعه صندوق داخله  
قلب الملك لويس بصفة ذخيرة ووضعها في كنيسة دير مونتسمريال قرب مدينة  
ساليرونو وأما فيلبس الثالث ملك فرانسسا فدارم مسيره الى بلاده ومعه جثة والده  
وأخيه تريستان ولما وصل الى باريس وضربهم في كنيسة القديس ديونيسيوس  
في مدفن ملوك فرانسسا وهكذا انتهت الحروب الصليبية الثامنة

### ﴿ بقية الحروب الصليبية ﴾

من حيث ان الحروب الصليبية الثمانية قد انتهت كما تقدم ولكن بعض  
بلاد سوريا لم تنزل في حكم الصليبيين لذلك التزمنا بمتابعة التاريخ الى افتتاح  
المسلمين باقى البلاد من الصليبيين وانقراضهم من أسيا كما سيأتى

### ﴿ باقى فتوحات الظاهر بيبرس ﴾

وفي سنة ٦٦٩ توجه الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الى الشام ونازل

حصن الاكراد في تاسع شعبان وحاصره وضايقه ودام القتال فشدد حصاره الى ان فتحه بالامان في ٢٤ منه ثم رحل الى حصن عكا ونازله في ١٧ رمضان وجد في قتاله وملايكة بالامان في آخر رمضان وعيد الظاهر عيد الفطر عليه. وفي شوال تسلم قلعة المليقة وبلادها من الاسماعيلية ثم سار الى دمشق ومنها الى حصن القرين ونازله في ثاني القعدة وزحف عليه وتسلمه بالامان ثم أمر بهدمه وعاد الى مصر وكان قد جهز اسطولا من عشر شواني لنزو قبرص فتكسرت في مرسي اليمسوس وأسر الفرنج من كان بتلك الشواني من المسلمين فاهتم السلطان بممارة اسطول بدله

وفي سنة ٦٧٠ توجه الظاهر الى دمشق فاغارت التتر على عينتاب وعلى الروج وقيطون الى قرب قامية فاستدعي الظاهر عسكرياً من مصر بقيادة بدر الدين اليسرى فلما اتصل ذلك بالتتر عادوا من حيث أتوا ثم سار الظاهر بالسكر الى حلب ومنها الى مصر فماد التتر وحاصروا البيرة ونصبوا عليها المنجنيقات وضايقوها فتجند اليهم بيبرس وسارت معه فرقة تحت قيادة الامير قلاوون الالني فالتقى الجيشان عند بيرة واشتد الحرب بين المسلمين والتتر وأراد عبور الفرات الى بر البيرة فقاتله التتر على المخاضة فاقتحم الفرات وهزم التتر فرحلوا عن البيرة وتركوا آلات الحصار بمحال فصار للمسلمين ثم عاد الظاهر الى الديار المصرية وفي هذه السنة أيضاً تسلمت نواب الملك الظاهر بافي حصون الاسماعيلية وهي الكهف والمينقة وقدموس

وفي سنة ٦٧٣ سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية بجيوشه الى أرمينيا ففتحوها وغنموا منها غنائم كثيرة ثم عاد الى مصر ففرشوا له القاهرة بالبسط والسجاد الثمين احتفالاً بموده ظافراً

وفي سنة ٦٧٤ قدم سوريا ابا كا خان بن هولاً كوخان وحاصر البيرة ثانية فلاقاه الامير قلاوون بفرقة من الجيوش المصرية وارجمه على أعقابهم

عسر بيبرس من بسالته واتخذ ابنته غازية خاتون زوجة لابنه السعيد بركة خان ليكون ابنه في المستقبل أمنا في حمى حميه . وفي هذه السنة أيضاً ارسل الظاهر بيبرس الامير افسنقر ومعه عز الدين ايبك الافرم لافتتاح بلاد النوبة فافتتحها اصوان بعد ان استولى على جميع مصر العليا . وفي هذه السنة أيضاً حارب بيبرس يرقه وافتتحها

وفي رمضان سنة ٦٧٥ سار بيبرس بعساكره الجرارة الى الشام حتى وصل الى حلب ثم الى النهر الازرق ثم سار الى ابليستين فوصل اليها في القعدة والنقي بها جمعاً من التتر بقيادة تاون فتحارب الفريقان في أرض ابليستين يوم الجمعة عشر القعدة فانهزم التتر وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل قائدهم تاون وغالب كبرائهم واسر منهم جماعة كثيرة ثم سار الى بلاد الروم ثم عاد منها

### \* ( وفاة الملك الظاهر بيبرس ) \*

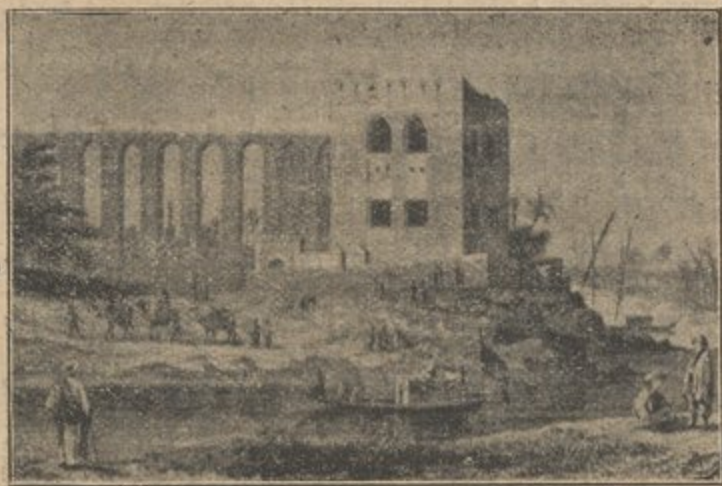
في يوم الخميس ٢٧ محرم سنة ٦٧٦ توفي الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات الاصلحي النجمي بدمشق وقت الزوال عقب وصوله من بلاد الروم وسبب موته انه انكسف القمر كسوفاً كلياً وشاع بين الناس ان ذلك يدل على موت رجل جليل القدر فاراد الملك الظاهر ان يصرف التأويل الى غيره فاستدعي بشخص من اولاد الملوك الايوبية يقال له الملك القاهر ولد الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى وأحضر قزاً ( كاساً ) مسموماً وأمر الساقى فسدق الملك القاهر وشرب بعده الملك الظاهر ناسياً فمات الملك القاهر عقيب ذلك واما الملك الظاهر فخصات له حمى محرقة وتوفي في التاريخ المذكور وهكذا كانا قبلي الخرافات قبجها الله ما ضمف حجتها وما أشد وطأها وكتم نائبه ومملوكه بدر الدين تنليك المعروف بالحزندار موته وصبره وتركه في قلعة دمشق الى ان تمت تربته بدمشق قرب الجامع فدفن فيها وارتحل بدر الدين تنليك بالعساكر ومعهم

المحفة مظهر أن الملك الظاهر فيها وأنه مريض حتى وصل الى ديار مصر وكان  
 الملك الظاهر قد حاتف الساسا كر لولده بركة خان ولقبه الملك السعيد وجعله  
 ولي عهده فوصل تنليك الخزندار بالخزائن والسكر الى الملك السعيد بقلعة  
 الجبل وعند ذلك اظهر موت الملك الظاهر وجلس ابنه الملك السعيد للعرش  
 وكانت مدة حكمه ١٧ سنة وشهرين وعشرة أيام وكان ملكا جليلا عجولا كثير  
 المصادر لرعيته ودواوينه طويل القامة مديح الشكل سريع الحركة فارساً  
 مقداماً . وترك من الذكور ثلاثة وهم السعيد محمد بركة خان وقدملك هذه  
 وسلامش وهذا ملك بعده أيضاً والمسعود خضر . وترك من البنات سبعة . وما  
 فتح الله على يده من أيدي الصليبيين قيسارية وأرصوف وصفد وطبرية ويافا  
 والشقيف وانطاكية وبقراص والقصير وحصن الكراد واققرين وحصن عكا  
 وصافيتا ومرقية وحلب وقد ناصفهم على المرقب وبانياس وطرسوس وادنة  
 والمصيصة وغيرها من مدن بر الاناضول وصار الى يده ما كان في أيدي المسلمين  
 دمشق وبعلبك وعجلون والبصرى وصرخند . والصلت . وحصن وندس  
 والرحبة وتل بامر . وصهيون . وبلاطس . وقلعة الكهف والقدموس . واللبيقة  
 واخوانى والرصافة . ومصياف . والقلعة . والكرك . والشوبك وفتح بلاد  
 النوبة وبرقة

### ﴿ آثار الملك الظاهر بيبرس ﴾

ومن أعماله المأثورة انه عمر الحرم النبوي وقبة الصخرة بيت المقدس  
 وزاد في أوقاف الخليل وعمر قناطر شبرامنت بالجزيرة وسور الاسكندرية  
 ومنار رشيد وردم فم محردمياط ووعر طريقه وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق  
 وقلع الصيبية وبعلبك والصلت وصرخند وعجلون وبصرى وشيزر وحصن  
 وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية وجعله الفرنسيون

عند مجيئهم الى مصر قلعة وهو البناء القديم في سكة الظاهر وجعلته الحكومة  
مخازن للاقوات. وحفر خليج اسكندرية القديم وبشره بنفسه وبني هناك قرية  
سماها الظاهرية وحفر بحر اشمون طناب ووجد الجامع الازهر بالقاهرة وأعاد  
اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية بالشرقية بمصر وبني القصر الابق في دمشق ومن  
آثاره في القاهرة أيضاً قناطر السباع وهي عبارة عن سلسلة من قناطر ممتدة  
عرضاً من جوار قم الخليج الى قلعة الجبل ولا بد للمتوجه من القاهرة الى مصر  
القديمة من أن يقطعها هذا اذا لم يمر من عند قم الخليج فانه اذا يمر بجانب  
منشأها



(صورة السبع سواقي ومجرى المياه)

وهي تنتهي من طرفها الغربي بالسبع سواقي بجانب قم الخليج والسبع  
سواقي هوبناء قديم فيه سبعة دواليب لرفع المياه من النيل وتحويله الى قناة على  
ظهر هذه القناطر ليجرى الماء فيه الى قلعة الجبل وجعل عليها سباعاً من  
الحجارة ولذلك قيل لها قناطر السباع والقناطر المذكورة لم يزل يوجد بعضها  
وكان محباً لركوب الخيل الحيا دورمي النبال فانشأ ميداناً دعاه ميدان القبق



ويقال له أيضاً الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق  
 وكان شاغلاً بقعة من الارض تمتد بين النقرة التي ينزل اليها من قلعة الحيل  
 وبين قبة النصر التي هي تحت الجبل الاحمر وبنى فيه مصطبة سنة ٦٦٦ للاحتفال  
 برمي النشاب والتمرين على الحركات العسكرية وكان يحث الناس على لعب الرمح  
 ورمي النشاب ونحو ذلك فكان ينزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا  
 يركب منها الى العشاء وهو يرمي ويحرض الناس على الرمي والنضال والرهان  
 فما بقي أمير ولا مملوك الا وهذا شغله وما يرح من بعده أو لاده ومن بعدهم  
 يمارسون هذا الميدان بجميع أنواع الالعاب الحربية وكان يقوم بنفقات جميع  
 هذه الاعمال بدون أن يسلب الاهالي درهماً واحداً فوق ما اعتادوا دفعه  
 من الضرائب لان الغنائم التي كان يكسبها من أعدائه كانت تساعده كثيراً في  
 النفقات

### ﴿ سلطنة الملك السعيد بركة خان ﴾

في شهر ربيع أول سنة ٦٧٦ بايموا الملك السعيد بركة خان بالسلطنة  
 بعد أبيه الظاهر بيبرس حسب وصيته وأقام بدر الدين تليك الخزندار اتابكا  
 وكان تليك (بلياي) في الاصل مملوكا ابتاعه بيبرس بثمان بخس الا انه ارتقى  
 في خدمته حتى صار أمين خزائنه (خزندار) ثم استحق بعد طول الخدمة  
 الصادقة الامينة أن يكون وصياً على ابنه في مهام السلطنة وكان للملك السعيد ثقة  
 كبرى في تليك حتى انه اتى اليه كل مهام الدولة فسمعت مصر في بادىء الامر الا  
 انها مالت حتى تعكر كأس صفائها بوفاة ذلك الوصي الامين الحكيم ولم يكن الملك  
 السعيد واثقاً بأحد من امرائه ليمهد اليه مهام السلطنة لانه كان يظن انهم هم الذين  
 سعوا في قتل وصيه ولكنه لم يتأ كذلك فنفر منهم فوقع اختياره على اقسقر  
 خانج النوبة فولاه الاتابكية وبعد يسير خنقه في احدى ابراج الاسكندرية فتباعد

الامراء عن هذا المنصب

﴿ سفر الملك السعيد والاغارة على ارمينية ﴾

في سنة ٦٧٧ سار الملك السعيد بركة خان الى الشام وصحبه المساكر فلما وصل الى دمشق جرد منها المساكر صحبة الامير سيف الدين قلاوون وجرده أيضاً صاحب حماه فصاروا ودخلوا بلاد سيس (الارمن) وشنوا الغارة عليها وغنموا منها غنائم كثيرة ثم عادوا الى جهة دمشق واتفقوا على خلع الملك السعيد من السلطنة لسوء تديره وعبروا على دمشق ولم يدخلوها فارسل اليهم الملك السعيد واستمطعهم ودخل عليهم بوالدته فلم يلتفتوا الى ذلك وانما السير فركب الملك السعيد وساق وسبقهم الى مصر وطلع الى قلعة الجبل وسارت المساكر في ارضه

﴿ خلع الملك السعيد بركة خان ﴾

وفي شهر ربيع اول سنة ٦٧٨ وصلت المساكر الخارجون عن طاعة الملك السعيد بركة خان وحصلوه بقلعة الجبل فخامر عليها اكثر من كان معه من الامراء مثل لاجين الزيني وغيره واخذوا يخرجون واحداً بعد واحد من القلعة وينضموا الى العسكر الذي يحاصرها فلما رأى الملك السعيد ذلك اجابهم الى الانخلاع من السلطنة وأن يعطي الكرك فاجابوه الى ذلك وانزلوه من القلعة وخلعوه في ربيع الاول وسفروه من وقته الى الكرك صحبة بيدعان الركني وجماعة معه فوصل اليها وتسلمها بما فيها من الاموال

﴿ سلطنة الملك العادل سلامش وخلعه ﴾

بعد خلع الملك السعيد كما تقدم اتفق اكابر الامراء مثل بدر الدين اليسرى الشمسي وايتامش السعدي وبكمتاش الفخري أمير السلاح وغيرهم على سلطنة بدر الدين سلاهش ابن الملك الظاهر بيبرس ولقبوه الملك العادل وذلك في ربيع

أول سنة ٦٧٨ وعمره اذ ذلك سبع سنين وشهور وأقاموا الامير سيف الدين  
 قلاوون الالفي وصياً عليه وخطب للعاذل ر ضربت السكة باسمه . ولم يكن هم هذا  
 الوصي الا خلع ذلك السلطان الصغير وفي شهر رجب من تلك السنة تمكن من مراده  
 فبعثه الى قلعة الكرك منفياً واستقام هو زمام الاحكام وطلب المبايعة فبايعه الناس  
 ولقبوه بالملك المنصور

﴿ سلطنة الملك المنصور قلاوون الالفي ﴾



المنصور قلاوون الالفي

ولما استوى قلاوون على كرسي السلطنة استوزر نخر الدين وكان كاتب  
 سره الخصوصي وكان سنقر الاشقر بدمشق قد استقل بها وحلف له امرائها  
 وعساكرها وتلقب بالملك الكامل وفي سنة ٦٧٩ جهز الملك المنصور قلاوون  
 عساكر مصر مع علم الدين سنجر الحلبي وبدر الدين بكتاش وبدر الدين  
 الايدمرى وعز الدين الافرم فسارت العساكر المذكورة الى الشام وبرز  
 سنقر الاشقر (الملك الكامل) بعساكر الشام الى ظاهر دمشق والتقى  
 الفريقان في ١٩ صفر فولى سنقر وعساكره الشاميون منهزمين ونهبت العساكر  
 المصرية اطفالهم واستولوا على دمشق وتولى عليها بامر الملك المنصور قلاوون  
 عمالوكه حسام الدين لاجين السلحدار . ثم ان سنقر الاشقر كاتب اباكه  
 خان ملك التتر اطعمه في تملك البلاد ثم سار سنقر واستولى على بعض  
 البلاد السورية ثم تصالح مع الملك المنصور قلاوون واعطاه بعض البلاد مثل  
 الشفر وبكاس

### ✽ محاربة التتر ✽

وفي سنة ٦٨٠ خرج التتر الى سوريا بجيشين الواحد تحت قيادة اباكه  
 خان بن هولوكو والاخر مؤلف من ثمانين الف فارس تحت قيادة اخيه  
 منجوتيمور حتى وصلوا حصن فسار السلطان قلاوون بالجيوش الاسلامية من  
 دمشق الى جهة حصن وارسل الى سنقر الاشقر يستدعيه حسب اتفاق الصلح  
 فسار سنقر من صهبون ثم وصل الى قلاوون الملك المنصور صاحب حماه ثم  
 وصل سنقر ومعه ايتمش السهمدي والحاج ازدمرو علم الدين الدويداري ورتب  
 السلطان قلاوون عسكره يمينة وميسرة وكان رأس اليمينة الملك المنصور  
 صاحب حماه ثم بدر الدين البيسري دونه ثم علاء الدين طبيرس الوزير  
 ثم ايبك الافرم ثم جماعة من العسكر المصري ثم عسكر الشام ومقدمهم

حسام الدين لاجين وكان رأس الميسرة سنقر الاشقر ثم بدر الدين بكتاش  
 أمير السلاح وكان بر الميمة العرب وبر الميسرة التركان وكان شاليش القلب  
 حسام الدين طرنطاي ومن أضيف اليه والتقى الفريقان بظاهر حصص في  
 الساعة الرابعة في يوم الخميس ١٤ رجب وأنزل الله نصرته على القلب والميمنة  
 من المساكر الالامية فهزموا من كان قبالتهم من التتوروكبوا قفاهم يقتلونهم  
 وكان منجوتيمور قبالة القلب فانهزم أيضاً وأما ميسرة المسلمين فانها انكشفت  
 وتم ببعضها الهزيمة وساق التتر في أثرهم ثم علموا بنصرة المسلمين عليهم وهزيمة  
 جيشهم فولوا منهزمين على أعقابهم فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ولما وصل  
 خبر هذه الكسرة الى اباكه خان وهو محاصر الرحبة رحل عنها وكتب بهذا الفتح  
 الى جميع البلاد الاسلامية وسافرت المساكر الى بلادها وسافر السلطان  
 قلاوون الى دمشق والاسرى بين يديه وأما منجوتيمور فانه مات بعد أيام وفر  
 اباكه خان الى حمدان فسمه أخوه الثالث تيكودار أوغلان وتولى الحكم بعده  
 وأظهر دين الاسلام ولقب بأحمدخان

### فتح حصن المرقب من الصليبيين وغيره

في شهر ربيع أول سنة ٦٨٤ سار السلطان سيف الدين قلاوون بمساكره  
 المصرية والشامية ونازل حصن المرقب (الجمية القديس يوحنا المعمدان) وهو في  
 غاية العلو والحصانة لم يطمع أحد من الملوك قبله في فتحه فلما زحف العسكر عليه  
 أخذ الحجارون ينقبون فيه ونصبت عليه عدة من جنبيقات ولما تمكنت النقوب  
 من أسوار القلعة طلب أهل الامان فاجابهم على ان يخرجوا بما يقدرون على حمله  
 غير السلاح وتسلمه في يوم الجمعة ١٩ منه ونصبت الاعلام الاسلامية باعلاه وكان  
 يوماً مشهوداً وأمر السلطان بحمل أهل حصن المرقب الى مأمهم ثم قرر أمر الحصن

ورحل عنه

وفي سنة ٦٨٥ أرسل السلطان قلاوون نائب سلطنة حسام الدين  
طر نطاي الى الكرك فحاصرها وتسلمها بالامان وعاد معه أصحاب الكرك  
جمال الدين خضر وبدر الدين سلامش أولاد الملك الظاهر بيبرس فاقام بمصر  
مدة ثم اعتقلهما

وفي سنة ٦٨٦ أرسل السلطان قلاوون حسام الدين المذكور الى قلعة صهيون  
فحاصرها ونصب عليها المنجنيقات وضايقها فاجابه صاحبها سنقر الاشقر الى تسليمها  
بالامان في سبع اول ثم سار طر نطاي الى اللاذقية وكان بها برج للصليبيين يحيط  
به البحر فحاصر البرج وتسلمه بالامان وهدمه ثم سار الى مصر وأرسل أيضاً في هذه  
السنة السلطان عسكرياً بقيادة علم الدين سنجر المسروري المعروف بالحياط الى النوبة  
فساروا اليها وغزوها وغنموا وعادوا

وفي سنة ٦٨٧ توفي الملك الصالح علاء الدين على ابن قلاوون وكان ولي  
عهده وسلطنته في حياته وكان مرضه بالودوسنطاريا فحزن عليه والده حزناً  
عظيماً

### ثورة المماليك وقتل الرعية \*

وتورد المماليك ونبدوا الطاعة فنضب السلطان عليهم غضباً اعمى بصره  
حتي لم يعد يميز المجرم من البريء فساق الجميع بعضا واحداً وأعمل فيهم  
السيف ثلاثة أيام متواليه حتي غصت الاسواق بمجثهم رجالا ونساء وأولاداً  
فجاء العلماء الى السلطان واخضوا ويخففون من غيظه ويبتنون له رجه عسفه فاتبه  
الساخاء من الاستبداد الفاحش فدم ندماً لا يزيد عليه وتكفيراً لذلك أمر  
ببناء البنايات والتكايا رحمة بالمساكين وذوى الاسقام ومن أجل ذلك أيضاً  
بنائه الملك الناصر المستنفي الشهير المعروف باليارستان وكان المماليك

الى ذلك الحين يلبسون لباس الزينة بما يناسب جاهلهم فامر قلاوون أن  
يقير الممالك ملابسهم فمنهم من استعمال الوشي والزينة بالذهب وعن الصفائر  
الطويلة التي كانوا يجعلونها في اكياس من حرير وجمال حالهم من اللباس وغيره كما  
تنتضيه حالة رجال الحرب

### ﴿فتح طرابلس من الصليبيين﴾

بعد وفاة ولده الصالح علاء الدين على وحزنه عليه أمر بتجهيز حملة  
لافتتاح طرابلس من يد الصليبيين تسليمة له عن هواجسه فسار بمساكره في  
محرم سنة ٦٨٨ الى ان وصل الى مدينة طرابلس فازلها ونصب عليها عدة  
من جنيقات ولازمها بالحصار واشتد عليها بالقتال حتى فتحها يوم الثلاثاء ٤ ربيع  
آخر ودخلها العسكر عنوة فهرب أهلها الى المينا فنجوا بعضهم في المراكب وقتل  
أكثرهم وسببت ذرايبهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة وكان في البحر  
قريبا من طرابلس جزيرة يقطنها كثير من الصليبيين فاقترحم العسكر الاسلامي  
البحر وعبروا بنحوهم الى الجزيرة فقتلوا جميع من فيها من الرجال وغنموا جميع  
ما بها من النساء والاولاد

### ﴿وفاة الملك المنصور قلاوون وآثاره﴾

بعد فتح طرابلس عاد الملك المنصور قلاوون الى الديار المصرية فجاءه وفد  
من قبل ملك ارغون الفونس عقده معه معاهدة في ١٣ ربيع أول سنة ٦٨٩. ثم  
عزم على فتح مدينة عكا من الصليبيين. غير ان كل ذلك لم يكن ليشغله عن أحزانه  
وما زال كئيهاً فاتاه مرض في العشر الاخير من شوال فتوفي يوم السبت ٦ القعدة  
سنة ٦٨٩ فاحتفل بمجنازته احتفالاً حضره جمع غفير من جهادة ومليكية وشيعوه  
الى البيارستان حيث واروه اتراب ولا يزال مقامه هناك الى هذا العهد وكانت مدة  
حكمه ١١ سنة و ٣ أشهر و ٦ أيام

ومن آثاره الباقية الى هذا اليوم جامع الشهر ومقامه وكلاهما داخلان في  
 بناء اليبارستان الذي يشاهده المار في شارع النحاسين تجاه جامع الصالح نجم  
 الدين أيوب بعد ان يتجاوز خان الخليلي ولا تزال هذه الابنية رغماً عن تكرار  
 السنين قوية العماد تتجلي فيها العظمة والقوة ومهارة الصانع الالبيارستان فانه  
 أصبح أقرب الى الاثر من العين. وفي مقام هذا السلطان مثل ما في غيره جماعات  
 من النساء والاطفال هم في الغالب من ذوى الامراض جاؤا يطلبون الشفاء وهم  
 يأتون في أيام السبت ولهم في ذلك أساليب مختلفة فبعضهم يضع الطفل المريض تحت  
 الحجر ويجلس مصلياً وبعضهم يأخذ من الليمون ويمصره على حجر هناك  
 ثم يجلسه باسائه طلباً للشفاء ومن أعماله ميدانه الذي عرف بالميدان السلطاني  
 جعله في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وكان يتردد اليه كثيراً ولا  
 يمر عليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال لمن  
 حوله انى عند ما أركب الى الميدان وأمر هذه القناطر يتألم ظهري من علوها وأشاع  
 بعضهم انه أراد بالحقيقة نزع آثار من كان قبله ليأتي الفخر له فامر به بدمها جيمها  
 وبناها نانية فبنيت ولكن السباع لم توضع عليها فغضب ما رأى السلطان ذلك أمر  
 بإعادتها فأعيدت السباع الى أماكنها. وبما يحكي عنه انه كان يجول في بناياته أماكن  
 مخصوصة يضع فيها الحبوب طعاماً للطيور. وكان قلاوون سيداً لأخراج السلطنة  
 من يد نسله كما كان الملك الصالح نجم الدين الابوي باستيثاره من المماليك  
 الشرا كسة حتى جمع منهم نحواً من ١٢ ألفاً جعل منهم بطانته وكان يلقب  
 بعضهم بالالقي أى المبتاع بالف دينار وبعضهم بابي المعالي وغير ذلك

### ﴿ سلطنة الملك الاشرف ﴾

وتولى السلطنة بعد قلاوون ابنه البكر صلاح الدين خليل ولقب بالملك  
 الاشرف وكان جلوسه في ٧ النعمدة سنة ٦٨٩ ثم قبض على حسام الدين ظر نطاي



نائب السلطنة وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا والوزارة الى شمس  
الدين محمد بن السلقوس

### ﴿ في فتح عكا وانقراض الصليبيين ﴾

وفي سنة ٦٩٠ سار الملك الاشرف بالعساكر المصرية قاصداً عكا وأرسل  
الى العساكر الشامية وأمرهم بالحضور معهم المنجنقيات فتوجه الملك المظفر  
صاحب حماه وعم الملك الافضل وبمسكرهم الى حصن الاكراد وتسلموا منه  
المنجنقيات وكان هناك منجنيق عظيم يسمى المنصوري حمل مائة عجلة ثم ساروا  
الى ان وصلوا عكا فنزلت العساكر الاسلامية عليها (على عكا) في أوائل  
جمادى الاولى واشتد عليها القتال ولم يفاق الصليبيون غالب أوائها بل كانت  
مفتوحة وهم يقتلون فيها فحصر المسلمون المدينة ونصبوا عليها المنجنقيات  
وفي بعض الليالي خرج الصليبيون وكسوا المسلمين فنسكرو عليهم المسلمون  
فولى الصليبيين منزهين الى البلد واشتدت مضايقة المسلمين لعكا حتى فتحوها  
عنوة في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة بالسيف ولم يفتحها المسلمون هرب  
جماعة من أهلها بالمراكب وغنم المسلمون من عكاشيناً يفوق الحصر من كثيرته  
ثم استنزل السلطان من تحصن بالأبراج من الصليبيين وقتلهم ثم أمر بهدم  
مدينة عكا ومن غرائب الاتفاق ان الصليبيين استولوا على عكا من السلطان  
صلاح الدين الابوي في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ وقتلوا من  
بها انقدر الله عز وجل ان المسلمين يفتحونها في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة  
٦٩٠ على يد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين وقتل من فيها فكان الناريخان  
مثل بعضهما كذلك لقب السلطانين. ولم تفتح عكا القى الله الرعب في قلوب جميع  
الصليبيين الذين بساحل الشام فاخلوا صيدا وبيروت وتسلمها الشجاعى في أواخر  
رجب وكذلك هرب اهل مدينة صور فتسلمها السلطان ثم تسلم عثيث في مستهل

شعبان وفي ٥ منه تسلم طرسوس واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره  
من فتح هذه البلاد الصليبيين بغير قتال وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد  
الساحلية وانقرضت دولة الصليبيين من الشام والسواحل بعد ان كانوا قد اشرفوا  
على اخذ الديار المصرية فله الحمد والمنه

(انتهى)

### ﴿ الحمد لله اولاً وآخراً ﴾

بعون الله وحسن توفيقه قد تم طبع هذا الكتاب النفيس والسفر الجليل  
الذي جمع من شتات الحروب الصليبية ما تفرق . ووعى ما عبثت به يد التبديل  
فكاد ان يتمزق . ولا غرو فهو اول كتاب وضع في العربية موضعاً اسماً من  
ورد ذكرهم في تلك الحروب بالضبط الشافي . والانتقاء الكافي . حتى جاء  
جليلا في الوضع جميلاً بالطبع . لم ينسج له على منوال . ولم يسبق بمثال  
تأليف حضرة الكاتب الاديب . والمنشئ الاروب . سيد افندي على الحريري  
حيث طرزه احسن تطريز . وجاء فيه بكل نادر عزيز . مرموقا بنظر صاحب  
السعادة والاقبال . والفخر والجلال . ذي المجد الباذخ . والشرف المؤثر الشاهخ من  
له الفضل . الاعم سعادتلوا عبدالسلام باننا الموباحي الانخم . شكر الله مسعاه الجليل  
وجزاه عن اهل الادب الجزاء الجميل . وقد بزغ بالطبع بدر تمامه . وفاح سدك  
ختامه . بالمطبعة العمومية . بمصر المحمية . في اوائل رجب سنة ثلاثمائة وسبعة عشر  
بعمد الالف هجرية . على صاحبها ازكي السلام وابهي التمجية

بعمون الله وحسن توفيقه قدمت الطبعة الثانية لهذا السفر الجليل مزينة بصور  
الملوك الصليبيين والمسلمين وبعض الحصون وآلات الحرب المستعملة وقتها مما  
زاده رونقا وبهاء بمطبعة النيل بمصر في ٢٥ مايو سنة ١٩١١ الموافق ٢٦ جمادى  
الاولى سنة ١٣٢٩

### ﴿اعتذار﴾

من ذا الذي ترضى سبحانه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معائبه  
جاء في الصحيفة ٢٢٨ بياض كبير لم يسع وضع صورة ريكاردوس ملك  
الانكليز الملقب بقلب الاسد ولذا وضعت صورته في الصحيفة التالية وترك  
بياض الصحيفة المذكورة ووضع به مشطا مع أن باقي العنوان موجود  
بالصحيفة التالية وذلك وقع سهوا من عمال المطبعة  
ووقعت سهواً بعض غلطات مطبعية في كتابنا هذا لا تخفى على الادباء فترجو  
ممن يقع نظره على شيء من ذلك ان يسبل عليه ستر المعذرة فان المدر عند كرام  
الاس مقبول  
وان تجدد عيباً فسد الخلالا ففعل من لا عيب فيه وعلا



﴿ فهرست ﴾

﴿ كتاب الاخبار السنية في الحروب الصليبية ﴾

صحيفة

- ٣ اهداء الكتاب  
٥ مقدمة الطبعة الثانية  
٦ مقدمة الطبعة الاولى  
٨ ← أسباب الحروب الصليبية  
١٠ مؤتمر مدينة بلاصانس بايطاليا  
١٠ مؤتمر مدينة كليرمون بفرانسا  
١٤ الحروب الصليبية الاولى  
١٦ دخول الصليبيين آسيا وهلاك هذه الجيوش في نيقية  
١٦ الحملة الثانية من الحروب الصليبية الاولى  
١٨ ما جرى للصليبيين في القسطنطينية  
٢١ الصليبيون في آسيا واستيلاؤهم على قونية  
٢٥ وصول الصليبيين الى طرسوس واختلافهم  
٢٧ اخبار بودوين على شطوط نهر الفرات  
٢٨ محاصرة الصليبيين انطاكية وامتلاكها  
٣٢ محاصرة المسلمين انطاكية وظهور الحرب المقدسة  
٣٤ مسير الصليبيين من انطاكية قاصدين بيت المقدس  
٣٦ محاصرة الصليبيين لبيت المقدس واستيلاؤهم عليه  
٤٠ واقعة عسقلان وانتصار الصليبيين فيها  
٤٠ انتهاء الحروب الصليبية الاولى وسفرهم الى اوطانهم

- ٤١ الحروب الصليبية الجديدة  
 ٤٣ محاصرة غودافرو مدينة ارسور  
 ٤٤ اجتماع الامراء الصليبيين بالقدس وانتخاب قانون لحكومتها  
 ٤٥ موت غودافرو سلطان القدس  
 انتخاب بودوين سلطاناً للقدس  
 ٤٦ خلافة الامير باحكام الله وواقعة عسقلان  
 ٤٧ بوهيموند أمير انطاكية وما جرى له  
 ٤٩ استيلاء الافرنج على عكا  
 ٥٠ محاصرة مدينة طرابلس  
 ٥١/ باقى ولاية بودوين الاول على القدس  
 ٥٣/ جمعيات الرهبان الصليبيين  
 ٥٤/ فى ولاية بودوين الثانى  
 ٥٥ وفاة الامام المستظهر بالله العباسى وخلافة ولده المسترشد بالله  
 ٥٥ واقعة ايلغازى مع الصليبيين بحدود انطاكية  
 ٥٧ قتل الافضل بن بدر الجمالى وزير مصر  
 ٥٨ محاربة بلك بن هرام مع جوسلين أمير الرها وأسرهم  
 ٥٨ محاربة بلك مع بغدوين ملك القدس وأسرهم  
 ٥٩ ورود أهل البندقية للاشتراك مع الصليبيين  
 ٥٩ استيلاء الصليبيين على مدينة صور  
 ٦١ محاصرة الصليبيين لمدينة حلب واستيلاء البرسقى عليها  
 ٦٢ فى خلوص بودوين الثانى ملك القدس من الامر  
 ٦٢ استيلاء البرسقى على كفر طاب

## صحيفة

- ٦٣ قتل المأمون بن البطائحى وزير خليفة مصر الآمر
- ٦٣ أخبار الاسماعيليين وامتلاكهم قلعة بانياس
- ٦٤ محاربة طغتكين اتابك مع بودين اثناني
- ٦٥ في الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله العباسي والسلطان محمود
- ٦٨ وفاة عز الدين البرستي وولاية عماد الدين زنكى الموصل ومحاصرة  
الصاييين حلب
- ٧٠ قتل الاسماعيلية بدمشق واتحادهم بالافرنج
- ٧١ محاصرة الصاييين دمشق وانهمزامهم
- فتح عماد الدين زنكى حصن الانارب ومحاصرة قلعة حارم
- ٧٢ وفاة الآمر بأحكام الله وخلانة الحافظ لدين الله بمصر
- ٧٣ وفاة جوسلين صاحب الرها
- وفاة بودوين الثانى ملك القدس
- ٧٤ في تملك فولك دى اينوى على القدس  
وفاة السلطان محمود
- ٧٥ استيلاء شمس الملوك على بانياس  
محاربا فولك ملك القدس نائب حاب
- ٧٦ استيلاء شمس الملوك على حصن شقيف تيرون ونهبه بلاد الافرنج
- ٧٧ قتل الخليفة المسترشد بالله وخالفة الراشد بالله
- ٧٨ غزو العساكر الاتابكية بلاد الافرنج
- ٧٨ خلع الخليفة الراشد بالله وخالفة المفتي لامر الله
- ٧٩ استيلاء المسلمين على حصن وادى بن الاحمر
- ٧٩ استيلاء زنكى على قلعة بعيرين

- ٨٠ في مسير ملك الروم يوحنا كومنينوس الى بلاد الشام  
 ٨٣ محاصرة زنكي دمشق واستيلاء الافرنج على بانياس  
 ٨٥ وفاة فولك ملك القدس وتولية ولده بودوين الثالث  
 ٨٥ فتح زنكي مدينة الرها والبلاد الجزرية  
 ٨٦ قتل اتابك عماد الدين زنكي وتولية اولاده  
 ٨٧ عصيان أهل الرها واستيلاء نور الدين عليها  
 ٨٨ ابتداء الحروب الصليبية الثانية  
 طلب الصليبيين النجدة من البابا ومن ملوك أوروبا  
 جمعية فينزا الاي بفرانسا  
 ٨٩  
 ٩١ تحرير الملك كونراد ملك المانيا بتحاوه مع الصليبيين  
 ٩٢ جمعية مدينة اناميس بفرانسا والاستعداد لسفر الصليبيين  
 ٩٢ سفر الصليبيين واجتماعهم بالقسطنطينية  
 ٩٣ أخبار الصليبيين في القسطنطينية  
 ٩٥ مسير العساكر النمساوية والامانية  
 ٩٥ سفر الاساكر الفرنسية  
 ٩٧ المشورة بالحروب الصليبية الثانية  
 ٩٨ محاصرة الصليبيين مدينة دمشق  
 ٩٩ استيلاء نور الدين على حصن المزينة  
 ١٠٠ انهزام الافرنج بغيرى  
 ١٠١ قتل رايوند صاحب انطاكية  
 ١٠٢ وفاة الحافظ لدين الله خليفة مصر وولاية الضافر بامر الله  
 ١٠٢ أسر جوسلين

- ١٠٤ قتل ابن السلار وزير الخليفة الظافر ووزارة عباس  
 ١٠٤ امتلاك الصاييين مدينة عسقلان  
 ١٠٥ استيلاء نور الدين على مدينة دمشق  
 ١٠٦ قتل الخليفة الظافر وولاية ابنه الفائز  
 ١٠٩ محاصرة نور الدين حصن حارم  
 ١٠٩ انتصار الساكر النورية على الافرنج  
 ١١٠ محاربة المصريين غزة وعسقلان  
 ١١٢ وفاة الخليفة الفائز بنصر الله وولاية العاضد لدين الله الملوي  
 ١١٣ وفاة الخليفة المقتفي لامر الله المباي وخلافة المستنجد بالله  
 ١١٤ تاريخ جامع سيدنا الحسين رضى الله عنه  
 ١١٥ قتل الصالح بن رزيك وزير مصر  
 ١١٥ وفاة بودوين الثالث وولاية أخيه أموري  
 ١١٦ وزارة شاور ووزارة ضرغام بعده  
 ١١٧ في دخول أسد الدين شيركوه مصر أول مرة  
 ١٢١ فتح حارم  
 ١٢٢ فتح بانياس  
 ١٢٣ في دخول أسد الدين شيركوه مصر المرة الثانية  
 ١٢٤ محاربة أسد الدين شيركوه المصريين والصاييين  
 ١٢٦ استيلاء أسد الدين على الاسكندرية ومحاربة المصريين والصليبيين  
 ١٢٦ في رجوع أسد الدين والصليبيين من مصر  
 ١٢٨ في محاربة نور الدين بلاد الافرنج  
 ١٢٨ في تجهيز الملك أموري بمسكوه للاستيلاء على الديار المصرية



- ١٢٩ استيلاء الصليبيين على بلبيس
- ١٣٠ محاربة الصليبيين مدينة القاهرة
- ١٣١ دخول أسد الدين شيركوه مصر ثالث مرة
- ١٣٣ قتل شاور ووزارة أسد الدين شيركوه
- ١٣٤ حكم الملك المنصور أسد الدين شيركوه ووفاته
- ١٣٦ وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف
- ١٤٥ قتل جوهر مؤتمن الخلافة ووافسة العبيد
- ١٤٢ محاصرة الصليبيين ثغر دمياط
- ١٤٤ مسير نجم الدين أيوب وباقي عائلته الى مصر
- ١٤٥ محاربة نور الدين حصن الكرك والزلزلة الكبرى
- ١٤٧ محاربة صلاح الدين بلاد الصليبيين
- ١٤٧ وفاة الخليفة المستنجد بالله وخلافة المستضيء بأمر الله
- ١٤٨ وفاة الخليفة العاضد لدين الله بمصر والخطبة فيها لبني العباس
- ١٥١ محاربة نور الدين الصليبيين بناحية حصن عرقه وغيره
- ١٥٢ بريد الحمام
- ١٥٢ النفور بين صلاح الدين ونور الدين
- ١٥٤ محاربة نور الدين وصلاح الدين الصليبيين
- ١٥٥ فتح بلاد النوبة
- ١٥٦ وفاة نجم الدين أيوب وبعض سيرته
- ١٥٩ استيلاء بهاء الدين قراقوش على طرابلس الغرب وغيرها
- ١٦٠ استيلاء شمس الدولة تورانشاه على بلاد اليمن
- ١٦١ ظهور المؤامرة وصلب اعضاءها

- ١٦٢ وفاة الملك العادل محمود اتابك نور الدين
- ١٦٤ حصار الصليبيين حصن بانياس وعودهم عنه
- وفاة الملك أموري وتولية ابنه الملك الابرس
- ١٦٥ ورود اسطول جزيرة صقلية ومحاصرة الاسكندرية
- ١٦٧ واقعة الكنز وقتله
- عزم صلاح الدين على السير الى بلاد سوريا
- ١٦٨ حكم قراقوش وبناء القلعة والسور وغيرهم
- ١٧١ مسير الملك الناصر صلاح الدين الى سوريا واستيلاءه على دمشق وغيرها
- ١٧٥ في استقلال صلاح الدين بالملك وسلطنته
- ١٧٦ حرب السلطان مع الموصل وهدنة الصليبيين
- ١٧٨ ماجرى للسلطان مع الحشيشيين
- ١٧٩ استيلاء تورانشاه على حضرموت واستيلاء قراقوش على بعض بلاد الغرب
- ١٨٠ حصار حلب وحرب الاسماعيلية
- ١٨١ تقوية اسطول مصر وبعض فتوحات
- ١٨٢ حرب للسلطان مع الصليبيين بواقعة الرملة
- ١٨٣ محاربة الصليبيين حماه وحارم ورجوعهم الى بلادهم
- ١٨٤ مسير السلطان صلاح الدين الى سوريا ومحاربة الصليبيين
- ١٨٥ محاربة الصليبيين بمرج عيون بانتصار الاسطول المصري
- تخريب حصن بيت الاحزان
- ١٨٧ محاربة الاسطول المصري ميناء عكا
- ١٨٨ وفاة المستضيء بامر الله وخلافة الناصر لدين الله
- محاربة السلطان بلاد الارمن

- ١٨٩ وفاة شمس الدولة وورود التشریف لاسلطان ورجوعه الى مصر
- ١٩٠ محاربة عز الدين فرخشاه رانود صاحب الكرك
- ١٩١ وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين
- في سفر السلطان صلاح الدين الى الشام ومحاربة الصليبيين
- ١٩٣ محاصرة بيروت برأوبجراً ومسير السلطان الى الموصل
- الصليبيون في البحر الاحمر او بحر القلزم وهلاكهم
- ١٩٥ استيلاء السلطان على حلب
- في تنزل بودوين الرابع وولاية بودوين الخامس
- ١٩٦ منارشات الصليبيين مع العساكر الاسلامية
- ١٩٧ محاصرة الكرك ودخول السلطان بلاد الصليبيين
- مرض السلطان وصلاحه مع عز الدين صاحب الموصل
- ١٩٨ وفاة بودوين الخامس وولاية غوى دي لوزينانا
- حساب انجمين بخراب الكون
- ١٩٩ اختلاف الصليبيين وانجياز راجموند الى السلطان صلاح الدين
- ٢٠٠ غدر رانود صاحب الكرك بالهدنة
- واقعة صفورية وحصار الكرك
- ٢٠١ فتح طبرية ومجلس مشورة الصليبيين
- ٢٠٣ واقعة حطين واخذ المسلمين صليب الصابوت
- ٢٠٥ اخذ قلعة طبرية
- ٢٠٦ فتح عكار وغيرها من الحصون
- ٢٠٧ فتح تذبين وصيدا وجبيل وبيروت
- ٢٠٨ فتح عسقلان وما يجاورها من البلاد والحصون

## حكمة

- ٢٠٩ فتح البيت المقدس شرفه الله  
 ٢١٥ اظهار محراب المسجد الاقصى والصخرة المقدسة ومحراب داود  
 ٢١٧ أول خطبة بالمسجد الاقصى بعد فتحه  
 ٢٢٢ حصار مدينة صور وفتح هونين  
 ٢٢٥ في التحريض على طاب الحروب الصليبية الثالثة  
 ٢٢٦ صالح فرانسوا انكلترا وتحريضهم على الحروب الصليبية  
 ٢٢٧ ضربية المشور للحروب الصليبية الثالثة  
 ٢٢٨ موت ملك الانكليز وتولية ولده ريكاردوس وذب اليهود  
 ٢٣٠ التحريض على الحروب الصليبية ببلاد النمسا  
 ٢٣١ في اتحاد فرانسوا انكلترا للمسير الى سوريا  
 حصر حصن كوكب وفتح بعض البلاد  
 ٢٣٢ فتح جبلة واللاذقية وغيرها وخراسطول صقلية  
 ٢٣٤ فتح حصن صهيون وغيره من الحصون  
 ٢٣٥ فتح بكاس والشفر والسرمانية وبرزية  
 ٢٣٧ فتح حصن درساك وحصن يفراس  
 الهدنة ورجوع السلطان عن انطاكية وفتح الكرك وصفد وكوكب  
 ٢٤٠ في ابناء استحكامات عكا وحصار شقيف ارتون  
 ٢٤١ مناوشات بين الصليبيين وعساكر المسلمين  
 ٢٤٣ محاصرة الصليبيين عكا ومحاربتهم ومصارعة الصبيان  
 ٢٤٧ ورود المدد للصليبيين وواقعة عكا الكبرى  
 ٢٥١ وصول العساكر المصرية والاسطول المصري وهجوم الصليبيين على اليزك  
 ٢٥٢ احراق ابراج الصليبيين وواقعة الاسطول

- ٢٥٥ الحروب الصليبية الثالثة  
سفر ملك النمسا والمانيا الى فلسطين وما جرى له ووقته
- ٢٥٨ الواقعة العادلية على عكا بين الصليبيين والمسلمين
- ٢٥٩ حصار عكا من البحر ودخول الزاد اليها قهراً
- ٢٦١ احراق منجنيقات الصليبيين ومراكبهم واداء الامانة بعد الموت
- ٢٦٣ واقعات الدبابات والخندق والكمين
- ٢٦٥ في دخول البديل العسكري عكا
- ٢٦٦ سفر العساكر الصليبية الثالثة في البحر وما جرى لملك الانكليز بيسيبايا  
وقبرص وزواجه
- ٢٦٨ وصول الصليبيين الى عكا ومحاصرتهم لها وقتل بعض امرائهم
- ٢٧١ طلب الصلح ودخول الصليبيين عكا
- ٢٧٤ رمي علم النمسا في الخندق وسفر ملك فرنسا الى بلاده
- ٢٧٦ سفر ريكاردوس من عكا وواقعة ارسوف وتخريب عسقلان
- ٢٧٩ في وقوع ريكاردوس في الاسر ونجاته وعرض زواجه لخته جوانا بالملك  
العادل
- ٢٨١ مرسله ريكاردوس لاصلاح الدين بالصلح وما جرى بعد ذلك وتعمير بيت المقدس
- ٢٨٣ بناء الصليبيين مدينة عسقلان وما جرى في اثناء ذلك وغضب بعضهم
- ٢٨٤ في عزم ريكاردوس على السفر الى بلاده وموت كوزاد صاحب صور وغيره
- ٢٨٥ في تقرب الصليبيين الى القدس ورجوعهم عنه بقرار مجلس مشورتهم وما  
فعله السلطان
- ٢٨٩ استيلاء السلطان على يافا ومحاربة ريكاردوس

- ٢٩١ في مرض ريكاردوس والهدنة بينه وبين السلطان  
 ٢٩٢ انتهاء الحروب الصليبية الثالثة  
 ٢٩٣ سفر ريكاردوس ووقوعه في الاسر ببلاد النمسا  
 ٢٩٤ في التفتيش على ريكاردوس ووجوده في السجن ونقله الى سجن آخر  
 محاكمة ريكاردوس ظلما واطلاقه من الاسر  
 ٢٩٥ سفر السلطان الى دمشق بعد الهدنة وعرضه على الحج  
 ٢٩٧ مرض السلطان صلاح الدين ووفاته  
 ٢٩٩ تقسيم مملكة صلاح الدين على اولاده وماجرى في اثناء الهدنة  
 ٣٠٠ استيلاء الملك العادل على دمشق  
 ٣٠١ ابتداء الحروب الصليبية الرابعة  
 تحريض البابا وسفر العساكر الصليبية الرابعة  
 ٣٠٢ وصول الصليبيين الى عكا واستيلاء المسلمين على يافا واخذ الصليبيين بيروت  
 ٣٠٤ سير القسم الثالث من الجيوش الصليبية الرابعة  
 حصار حصن تينين و قدوم العزيز اليه ورجوع الصليبيين على اعقابهم  
 ٣٠٥ وفاة الملك هنريكوس السادس وتعيين الملك أموري على فلسطين وانتهاء  
 الحروب الصليبية الرابعة  
 ٣٠٦ وفاة العزيز صاحب مصر وتولية ابنه المنصور وماجرى للافضل  
 ٣٠٨ خلع الملك المنصور وسلطنة الملك العادل على مصر وسوريا  
 ٣٠٩ الحروب الصليبية الخامسة  
 تحريض البابا اينوشانسيوس الثالث على الحروب الصليبية  
 ٣١٥ سفر العساكر الصليبية الخامسة واتحادهم مع مشيخة البندقية  
 ٣١٣ محاربة الصليبيين مدينة زارا والقسطنطينية وغيرها

- ٣١٤ نورة القسطنطينية وامتلاك الصليبيين لها
- ٣١٥ تنويع بودوين على القسطنطينية وما جرى للصليبيين بها وانتهاء الحروب الصليبية الخامسة
- ٣١٦ مناوشات الصليبيين والملك العادل
- ٣١٧ موت الملك أموري صاحب عكا وتعيين خلفه والتحريض على الحروب الصليبية السادسة
- ٣١٧ ابتداء الحروب الصليبية السادسة
- ٣١٧ التحريض على الحروب الصليبية السادسة والصليبيون الفتيان ومؤتمر رومية
- ٣١٩ سفر العساكر الصليبية السادسة
- ٣١٩ محاربة الصليبيين مع الملك العادل وسفرهم الى مصر وسفر ملك هوامبريا وقدم صليبيين آخرين
- ٣٢٠ محاصرة الصليبيين لمدينة دمياط
- ٣٢٢ وفاة الملك العادل
- ٣٢٣ محاربة الصليبيين بارض دمياط ودخولهم حتى اشمون طنح واخذ نورة المسلمين
- ٣٢٥ قدوم نجدة للصليبيين بقيادة بيلاجيوس وهدم سور البيت المقدس
- ٣٢٥ تشديد الحصار على دمياط واستيلاء الصليبيين عليها
- ٣٢٧ في شقاق الصليبيين وبناء مدينة المتصورة
- ٣٢٨ ما جرى للصليبيين بعد ذلك واستيلاء المسلمين على دمياط
- ٣٣١ ما جرى للملك فريديريكوس الثاني باوروبا واستيلاءه على القدس صلحاً
- ٣٣٣ ذكر خلفاء المسلمين
- ٣٣٣ مؤتمر مدينة سبولاه

- ٣٣٤ باقى سلطنة الكامل ووفاته وسلطنة ولده العادل  
 ٣٣٥ فى سجن الملك الصالح نجم الدين أيوب  
 ٣٣٦ استيلاء المسلمين على القدس وماجرى للبابا وفريدريكوس  
 ٣٣٦ سلطنة الصالح نجم الدين أيوب على مصر وخلافة المسهم  
 ٣٣٧ محاربة الصليبيين بغزة ورجوعهم الى بلادهم  
 ٣٣٩ محاربة الملك الصالح نجم الدين أيوب وسجن يبيرس  
 ٣٤١ التتر باوروبا ومؤتمر ليون بفرانسا  
 ٣٤٢ ابتداء الحروب الصليبية السابعة  
 ٣٤٢ سفر العساكر الصليبية السابعة  
 ٣٤٤ وصول الصليبيين الى دمياط ومخابرتهم للملك الصالح أيوب  
 ٣٤٥ فى امتلاك الصليبيين دمياط  
 ٣٤٦ استيلاء الملك الصالح على الكرك ووفاته  
 ٣٤٧ محاربات الصليبيين وواقعة المنصورة  
 ٣٤٩ قدوم المعظم تورانشاه وسلطنته وواقعة الصليبيين وأسر لويس التاسع وغيره  
 ٣٥٠ قتل المعظم وسلطنة شجرة الدر واطلاق الملك لويس التاسع  
 ٣٥٣ الملك لويس بمكا وسلطنة ايبك الجاشنكير  
 ٣٥٤ سفر أخوات الملك لويس الى فرانسا وسلطنة الملك الاشرف بن يوسف  
 ٣٥٥ حروب بين المماليك والسوريين وانحيازهم مع الملك لويس وتخريب دمياط  
 ٣٥٦ طلب الملك لويس التاسع التجدة من أوروبا ووفاته الاشرف بن يوسف  
 ٣٥٧ انتهاء الحروب الصليبية السابعة  
 ٣٥٨ وفاة ايبك الجاشنكير وسلطنة ولده نور الدين  
 ٣٥٩ استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية



- ٣٦١ سلطنة المظفر سيف الدين قطوز وانتصار المصريين على التتر  
 ٣٦٣ قتل الملك المظفر وسلطنة الظاهر بيبرس البندقداري  
 ٣٦٦ انتقال الخلافة العباسية الى الديار المصرية  
 ٣٦٧ فتوحات الملك الظاهر بيبرس ووفاة المستنصر وخلافة الحاكم بامر الله  
 ٣٦٨ محاربات الظاهر بيبرس مع الصليبيين بسوريا  
 ٣٦٩ اصلاحات الملك الظاهر بيبرس  
 ٣٧٠ فتوحات الظاهر بيبرس ببلاد الصليبيين بسوريا  
 ٣٧١ حج الملك الظاهر بيبرس  
 ٣٧٢ الحروب الصليبية الثامنة  
 ٣٧٢ في التحريض على الحروب الصليبية الثامنة  
 ٣٧٢ تجميز العساكر الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا  
 ٣٧٣ سفر العساكر الصليبية الثامنة  
 ٣٧٤ وصول الصليبيين الى تونس ومحاصرتها  
 ٣٧٥ محاربات الصليبيين ووفاة الملك لويس التاسع  
 ٣٧٥ سفر كارلوس صاحب سيسيليا الى تونس وحصول الصلح وانتهاء الحروب  
 الصليبية الثامنة  
 ٣٧٦ بقية الحروب الصليبية  
 ٣٧٦ باقى فتوحات الظاهر بيبرس  
 ٣٧٨ وفاة الملك الظاهر بيبرس  
 ٣٧٩ آثر الملك الظاهر بيبرس  
 ٣٨١ سلطنة الملك السعيد بركة خان  
 ٣٨٢ سفر الملك السعيد والاغارة على ارمينية

صفحة

- ٣٨٢ خلع الملك السعيد بركة خان  
٣٨٢ سلطنة الملك العادل سلامش وخلعه  
٣٨٣ سلطنة الملك المنصور قلاوون الالفى  
٣٨٤ محاربة التتر  
٢٨٥ فتح حصن المرقب من الصليبيين وغيره  
٢٨٦ ثورة المماليك وقتل الرعية  
٣٨٧ فتح طرابلس من الصليبيين  
٣٨٧ وفاة الملك المنصور قلاوون وآثاره  
٣٨٨ سلطنة الملك الاشرف  
٣٨٩ في فتح عكا وانقراض الصليبيين

(تمت)

# تقاريط

جاءنا هذا التقريظ من سعادة الفاضل اللوذعي الكبير والمؤلف  
الشهير صالح بك حمدي حماد

﴿ الاخبار السنية ﴾

﴿ في الحروب الصليبية ﴾

من أطلى الحوادث التاريخية أخبار الحروب الصليبية ووقائعها  
الشهيرة التي قام فيها الغرب على الشرق تلك القومة المشهورة بدافع  
التعصب الديني فساق ملوك أوروبا الكبار وعياهلها العظام لذلك  
المهد الجيوش الجرارة والجحافل وعبأوا الاساطيل وشحنوها بالعدد  
والمقاتلة قاصدين الشرق وأهله من المسلمين لسحقهم في القدس  
والشام ومصر وتونس فانتشبت الحروب وقامت على ساق وقدم  
بين المسيحيين والمسلمين وكانت سجالات واستمر هذا العدوان  
الجنوني كما يسميه مؤرخو الغربيين اليوم زهاء المائتين من السنين لم  
تنقطع فيها نيران الحروب من حين لا آخر ولم تقترهمة ملوك الفرنج

عن الهجوم على الشرق باغراء جماعة القسوس وبدعوى استخلاص القبر  
 المقدس من أيدي المسلمين مما عاب به أبناء الاجيال المتأخرة  
 تلك الاجيال الماضية وان كانت تلك الحروب قد أفادت أهل أوروبا  
 الفوائد الجليلة في رقيهم المادى والادبي بما استفاده الصليبيون  
 من آداب الشرق وعلومه وفنونه التي كانت ركناً ركيناً في المدينة  
 الحاضرة بأوروبا

فاخبار هذه الحروب وتفصيل وقائع تلك الكروب وبيان  
 أسبابها ومسبباتها وسير ملوكها مثل (نور الدين) و (صلاح الدين)  
 و (ريكاردوس) الملقب (قلب الاسد) و (الملك الظاهر) و (لويس  
 التاسع) ملك فرنسا الخ كل هذا مما يحلولا بناء هذا العصر دراسته  
 ولقد صنف في أخبار هذه الحروب أناس كثيرون غير أنني  
 والحق يقال مارأيت كتاباً جامعاً لأخبارها ووقائعها مثل هذا  
 الكتاب الذي عني بتأليفه وجمعه منذ اثني عشر عاماً حضرة الاديب  
 الفاضل سيد أفندي على الحريري وتحري فيه الجمع وحسن  
 للتنسيق والتحقيق حتى صار بذلك مما يرجع اليه ويعول عليه ولقد  
 أعاد طبعه الآن مرة ثانية مزيناً بالرسوم محلي بصور الكثير من

(٤٠٩)

ملوك الصليبيين والمسلمين بقاء كما ترى سفراً جليلاً وانراً جليلاً  
قل أن يستغنى عنه أديب أو يرضن به على مكتبته أريب فـ  
القاهرة في ٢٠ مايو سنة ١٩١١

صالح  
حمدي حماد



وجاءنا هذا التقريظ من سعادة العالم المحقق والأتري المدقق  
للتحرير على بك بهجت وكيل دار الآثار العربية  
\* الاخبار السنوية في الحروب الصليبية \*

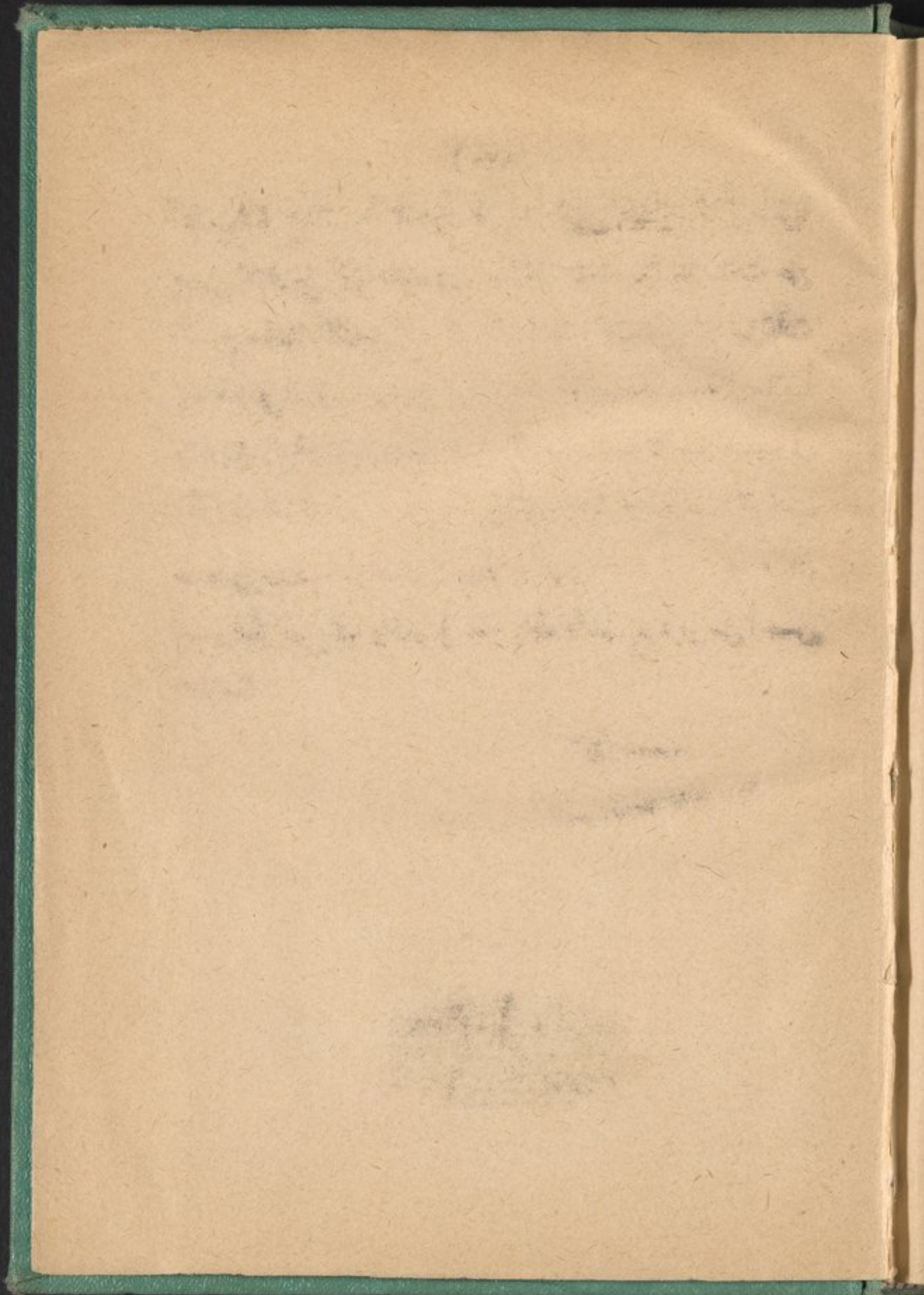
تصفحت هذا الكتاب المستطاب فرأيتني بين عاملين آسف  
يتردد بين الجوانح على ضعف العناية بدرس التاريخ بين ناشئتنا  
ومعلمينا. وفرح يسري عن النفس ذلك الترح بما أراه من نهوض  
بعض كتابنا وأخذهم بأسباب العمل على نشر صحيح الاخبار واحياء  
دارس الآثار. التاريخ عظة الانام ومرآة الايام ولا شيء فيما اعتقد  
انفع لانجاح نهضتنا العلمية وانجع في تقويم أخلاقنا الاجتماعية  
كدراسة تاريخ اسلافنا الصالحين وآبائنا المتقدمين ولقد رأيت

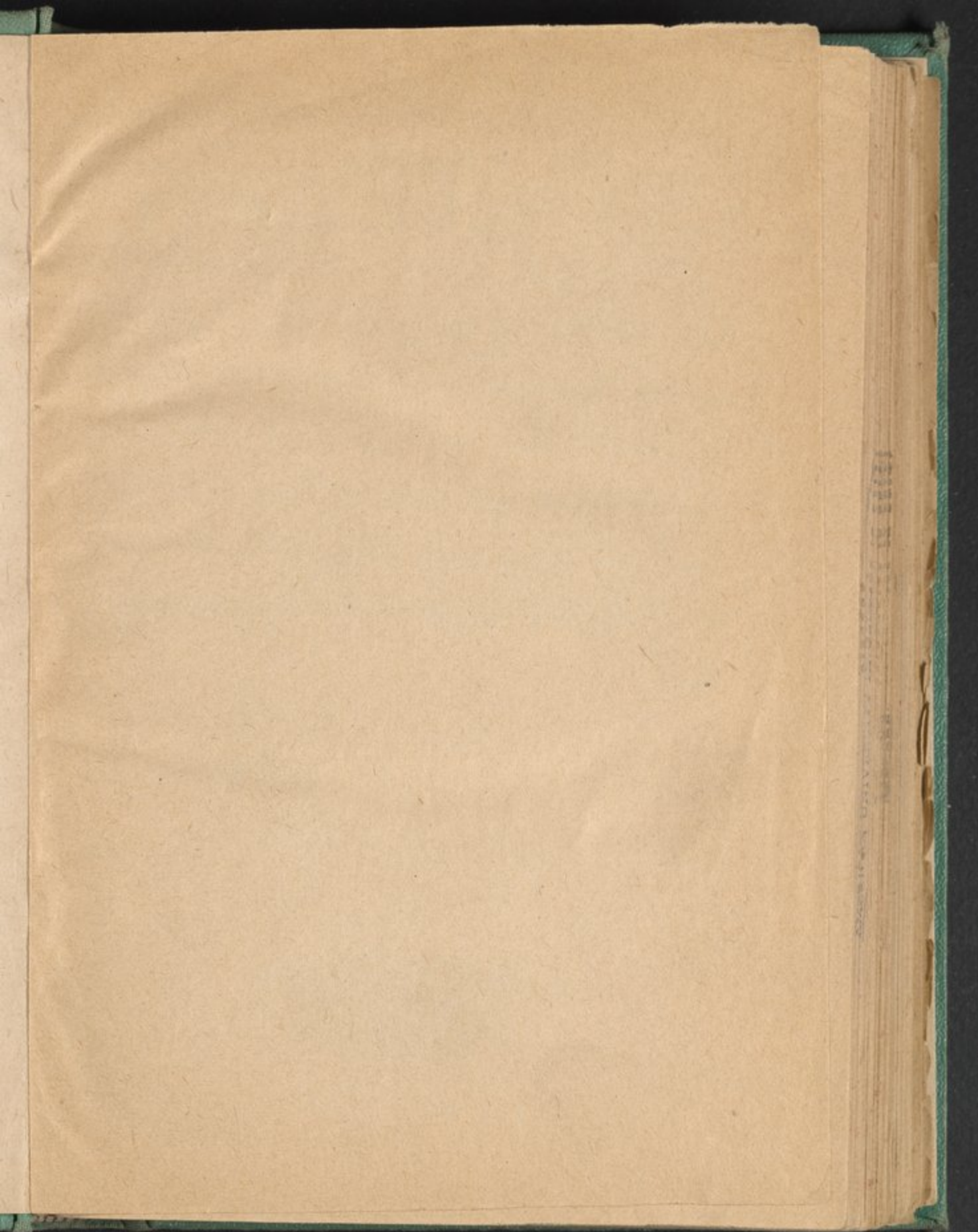
كتب التاريخ العربية كالبحور الزواجر ليس اصطفايا الآلى فيها  
يسهل المنال علي كل طالب ورأيتها كلما بعدت بها الايام تناءت عن  
الافهام . لذلك كان من انفع الوسائل لنجاح نهضتنا وضع مؤلفات  
جديدة على اساليب حديثه تقرب تلك الحوادث الماضية الى طالبها  
وتبين اسبابها ونتائجها ومن هذا القبيل كتاب الاخبار السنية في  
الحروب الصليبية قرأته فرأيتها سهل المورد جميل الوضع حسن الترتيب  
قد فصل شتات الحوادث تفصيلا وتجرى صحة اسانيدها فكان  
جديرا بالرجوع اليه والتمويل عليه والله لا يضيع أجر من أحسن  
عملا

علي بهجت  
وكيل دار الآثار العربية

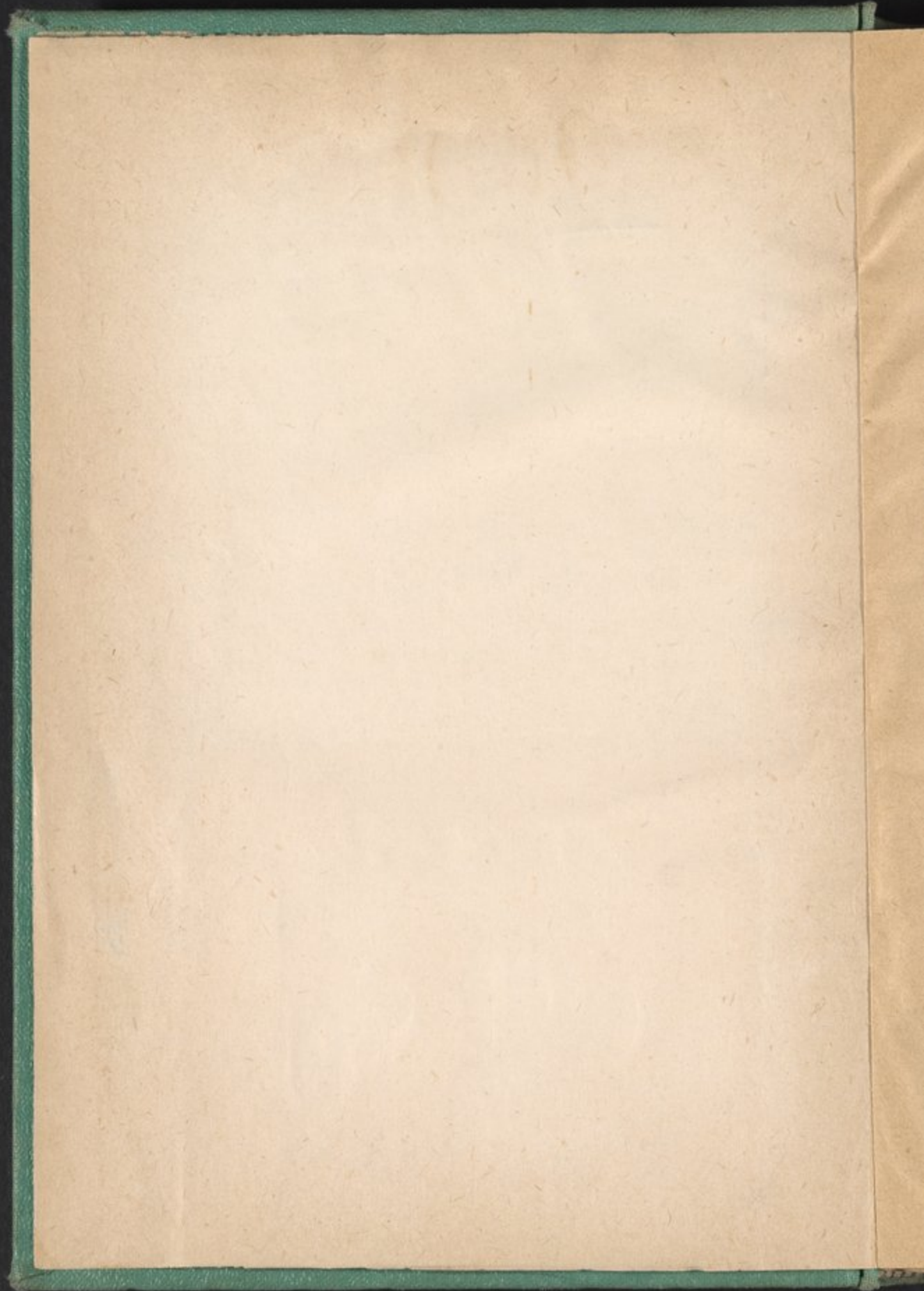
حامد شوي











AUC - LIBRARY



DATE DUE

<del>0 JAN 1987</del>	
<del>20 DEC 1988</del>	
<del>10 MAR 1990</del>	
<del>30 JUN 1991</del>	
<del>7 JUL 1991</del>	

D  
158  
H3x  
1911

JAN 21 1987  
1977

i 14940632

B 13141302



